

المكتبة العربية

خصائصها وتراثها الحضاري الإنساني

مكتبة جامعة القاهرة



المعهد العربي لانماء المدن

للحصول على أي معلومات اضافية عن هذه الندوة الرجاء الكتابة الى :

د. محمد عبدالله الحماد
مدير عام المعهد العربي لانماء المدن
ورئيس اللجنة الفنية للندوة
ص. ب. ٦٨٩٢ - الرياض، المملكة العربية
السعودية

للحصول على أي معلومات بخصوص طباعة هذا الكتاب يرجى
توجيه الرسائل الى

اسماعيل سراج الدين

PO Box 911
Arlington VA. 22216 USA
الولايات المتحدة الأمريكية

قام بتحرير هذا الكتاب اسماعيل سراج الدين وسمير الصادق

طبع بواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

جميع الحقوق محفوظة

أبحاث من ندوة

المدينة العربية

خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي

اشترك في تنظيم الندوة

- منظمة المدن العربية
- المعهد العربي لإتقان المدن
- وزارة الشؤون البلدية والقروية
- بلدية المدينة المنورة
- المملكة العربية السعودية

عقدت بالمدينة المنورة

من ٢٤ - ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ
الموافق ٢٨ فبراير - ٥ مارس ١٩٨١ م

قام بتحرير هذا الكتاب إسماعيل سراج الدين وسمير الصادق

تنظيم الندوة

اللجنة العليا للندوة

رئيسا	أمين مدينة الرياض رئيس مجلس أمناء المعهد العربي لانماء المدن بالنيابة	معالي الشيخ / عبد الله العلي النعيم
	رئيس بلدية المدينة المنورة مدير عام المعهد العربي لانماء المدن	سعادة الشيخ / صدقة حسن خاشقجي سعادة الدكتور / محمد عبد الله الحماد
	مدير عام منظمة المدن العربية مدير ادارة التخطيط ببلدية المدينة	سعادة الأستاذ / طالب الطاهر سعادة المهندس / عبد الرازق طالب حكيم
سكرتير عام الندوة	الاستاذ المشارك بكلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك فيصل	سعادة الدكتور / سمير صادق محمد الصادق

اللجنة الفنية للندوة

رئيسا	مدير عام المعهد العربي لانماء المدن	سعادة الدكتور / محمد عبد الله الحماد
	سكرتير عام الندوة	سعادة الدكتور / سمير صادق محمد
	الاستاذ ورئيس قسم العمارة بكلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك فيصل	سعادة الدكتور / علي عبد الرحمن تاج مستشار الندوة سعادة الدكتور / اسماعيل سراج الدين

استشاري التحرير
سعادة / ريتشارد هربرت



الصفحة

القسم الثاني : أسس المنهج العلمى للتخطيط	٩١
القواعد التنظيمية فى تخطيط المدن الاسلامية	عبد الباقي ابراهيم ٩٢
أسس المعالجة العمرانية للمدن العربية من واقع المشاكل القائمة	عمر شوقى كتحدا ٩٧
التقييس وأهميته فى الحفاظ على طابع وشخصية العمران ومواد البناء فى المدينة العربية .	مختار محمد الشيبانى ١٠٠
دور تكنولوجيا الكمبيوتر فى تخطيط المدن	سعيد يوسف أمين ١٠٣

القسم الثالث : التجارب والمدن الجديدة	١٠٩
مدينة يتبع الصناعية	حسن مراد رضا ١١٠
أساليب التخطيط فى المدينة العربية وملاحظها فى تخطيط مدينة الجبيل الصناعية	حمدان عبد العزيز الحمدان ١١٥
اسلوب الاسكان الحديث بالجماهيرية الليبية ومدى ارتباطه بواقع مجتمع الغد	محمد فؤاد السيد ١١٦

القسم الرابع : نحو المستقبل	١٢٣
نحو مدرسة فكرية جديدة للعمارة والتخطيط فى العالم العربى	محمد مكيه ١٢٤
عن أنشاء دراسات متخصصة للعمارة والتخطيط الاسلاميين	فريد شافعى ١٢٥

الفصل الثالث : دراسات عن المدن العربية

• أولا : المدينة المنورة	١٣١
النمو العمرانى وتغير ملامح تركيب المدينة المنورة	محمد شوقى مكى ١٣٣
النمو العمرانى وخصائصه فى المدينة المنورة	صالح لمعى مصطفى ١٤٠

• ثانيا : القدس	١٥٥
الحرم الشريف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلى	رائف يوسف نجم ١٥٥

• ثالثا : فاس	١٦٣
انقاذ مدينة فاس فى اطار الحفاظ على التراث الاسلامى	عبد اللطيف الحجامى ١٦٣
اشكالية المحافظة على التراث العمارى لمدينة فاس فى اطار مخططها التوجيهى	نجيب العرائشى بدوى ١٧٠

• رابعا : القاهرة	١٧٣
إحياء القاهرة العصور الوسطى	أحمد كمال عبد الفتاح (وآخرون) ١٧٣

• خامسا : جدة	١٨٣
جدة القديمة والحديثة	محمد سعيد فارسى
وحمزة ابراهيم عامر	١٨٣

الصفحة

● سادسا : دمشق

الخصائص المشتركة للمدينة العربية والمتمثلة بمدينة دمشق القديمة غسان نويلاتى ١٨٧

● سابعا : تونس

التطوير مع المحافظة على الطابع الذاتى للمدينة العربية : تجربة باب سعدون محفوظ الامام ١٩١

مبادئ الصيانة وقضية التجديد : تجربة الحفصية جميلة بينوس ١٩٤

● ثامنا : طرابلس لبنان

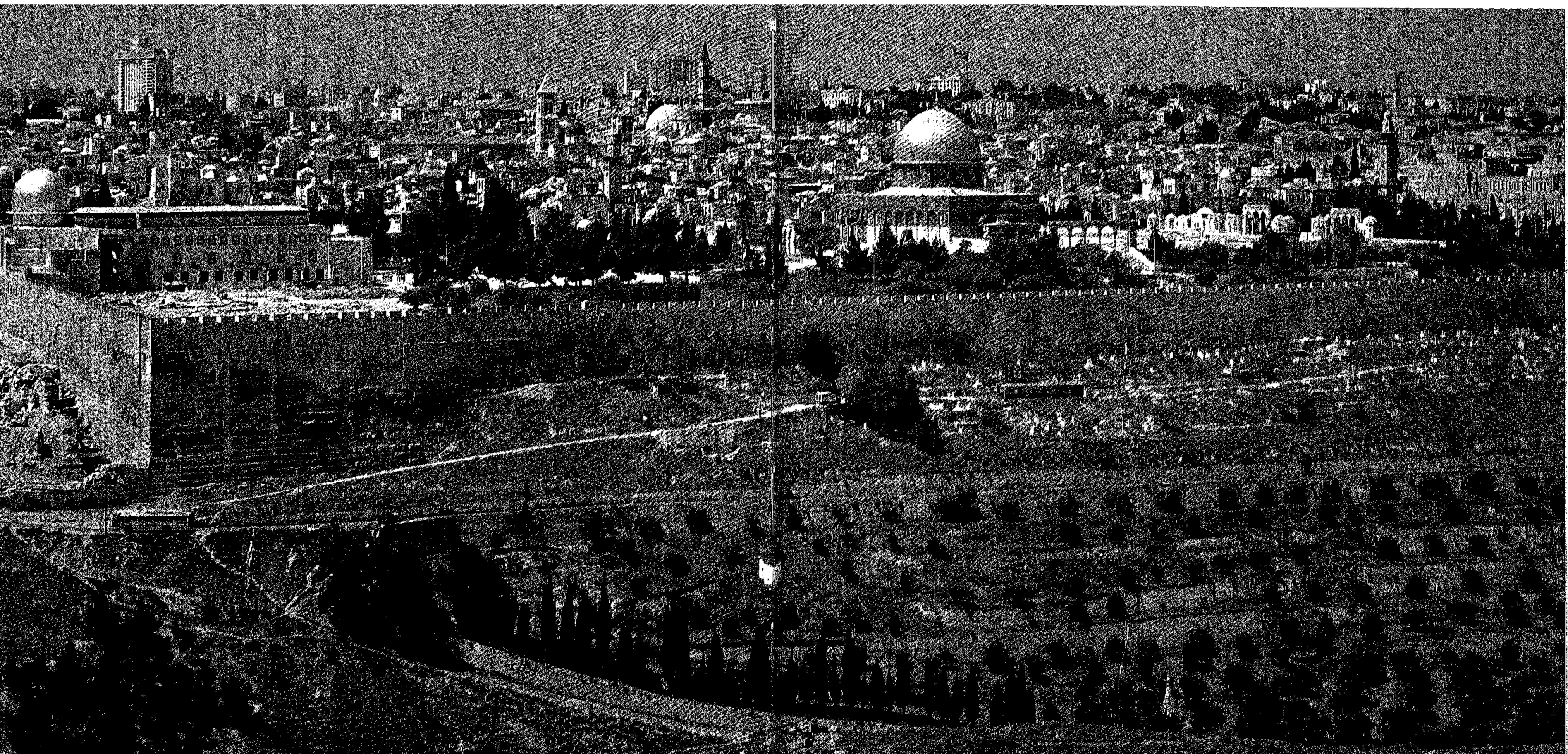
خصائص العمارة الاسلامية فى طرابلس وآثارها المالىكية عبد السلام تدمرى ١٩٩

● تاسعا : صفاقس

وضعية مدينة صفاقس العربية الاسلامية والتوسع التجارى والصناعى داخلها على الزوارى ٢٠٥

● عاشرا : دومة الجندل

الحفاظ على خصائص المدينة العربية الاسلامية الادارة العامة للآثار ٢٠٩



تقديم

اليوم والعالم يقف على عتبة صحوة فكرية حضارية خلاقية يستمدّها من أصوله الحضارية وتراث أجداده وعراقه أجداده وماضى تراثه وما قدمه للانسان في مشرق الأرض ومغربها وما سطرته الكتب واحتوته المكتبات وشهدت به الآثار الرائعة المنتشرة هنا وهناك .

في هذه الصحوة الجديدة المتوثبة لوصول الحاضر بالماضى مع الاستفادة من معطيات العلم الحديث وروعة ما ابتكره الانسان المعاصر يجدر بنا أن نقف وقفة تأمل نراجع فيها أنفسنا ونعود بها الى عراقه تراثنا الحضارى الأصيل .

يسعدنى أن أقدم للقراء الكرام هذا المجلد الذى يتضمن الأبحاث التى قدمت باللغة العربية لندوة المدينة المنورة عن (المدينة العربية : خصائصها والحفاظ على تراثها الحضارى والاسلامى) المنعقدة فى الفترة ما بين ٢٤ - ٢٩ ربيع ثانى عام ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٨ فبراير الى ٥ مارس عام ١٩٨١ م .

أما الأبحاث التى قدمت باللغة الانجليزية فقد حررت وصدرت فى كتاب مستقل ، وجدير بالذكر أن عددا من الأبحاث القيمة (المطولة) التى عرضت ولخصت فى تلك الندوة ولم تنشر فى هذين المجلدين سوف ينشر كل واحد منها مستقلا .

هذه الندوة التى اجتذبت اليها مئات كثيرة من المهتمين بدراسة المدينة العربية فى كل أنحاء الوطن العربى وخارجه وحاضر فيها عدد كبير من العلماء الأفاضل من مختلف القارات لتعطى انطبعا واضحا على الرغبة الملحة لدى العلماء ، وطلاب العلم على الاهتمام بتراث المدينة العربية وهى أولى الندوات التى تعقدتها منظمة المدن العربية بالمملكة العربية السعودية كما انها أول ندوة يعقدها المعهد العربى لانماء المدن وبما أنها باكورة أعماله فانها تعنى تفاقولا غير محدود فى أن يساهم المعهد فى احياء تراث المدينة العربية ونظرا لأهمية المعهد وما يعقد عليه من آمال المتابعة توصيات الندوة ولمساهماته فى تطوير المدينة العربية ، رأينا أن نعرف القارىء بمعهدنا ، ففضل سعادة الدكتور محمد عبد الله الحماد مدير عام المعهد العربى لانماء المدن بكتابة تعريف عن المعهد وأهدافه ونشاطاته ، رأينا أن نعتبره المدخل الحقيقى لكل ما يلى فى الكتاب وتفضل الصديقان محررا هذا الكتاب الدكتور / اسماعيل سراج الدين والدكتور / سمير الصادق بكتابة نبذة عن الندوة ذاعها ناقلين للقراء لحة من ثراء النقاش وغزارة المادة التى اتسم بها هذا اللقاء ومقدمين بها التيوب الذى اتبع فى تجميع هذه البحوث .

لقد عقدت الندوة تحت الرئاسة الشرفية لكل من صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة وصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الشؤون البلدية والقروية بالنيابة ووزير الإسكان والأشغال العامة ، ورئيس مجلس أمناء المعهد العربي لانماء المدن .

وقبل أن أختتم هذا التقديم أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة مدير عام المعهد العربي لانماء المدن الدكتور/ محمد عبد الله الحماد وسعادة أمين المدينة المنورة الشيخ صدقة خاشقجي وزملائه العاملين بالامانة وسعادة الاستاذ/ طالب طاهر مدير عام منظمة المدن العربية وزملائه لما أعطوه جميعا من العون لانجاح هذه الندوة واشكر اخواني أهل المدينة المنورة على كريم معاونتهم التي فاقت كل وصف وأشكر كل من ساهم في الندوة أو مهد لانجاحها والاعداد لها وبالذات جامعة الملك فيصل بالدمام وعلى رأسها مدير الجامعة الصديق/ الدكتور محمد سعيد القحطاني .

راجيا أن تكون هذه الندوة متبوعة بندوات أخرى مماثلة ، وأن ينفع الله بها ، والله الموفق .

أمين مدينة الرياض

رئيس مجلس أمناء المعهد العربي لانماء المدن
بالنيابة ورئيس اللجنة العليا المشرفة على الندوة

عبد الله العلي النعيم

منظمة المدن العربية والمعهد العربي لإيحاء المدن في خدمة المدينة العربية

د. محمد عبد الله الحماد
مدير عام المعهد العربي لإيحاء المدن

١ - مقدمة :

حينما بزغ نور الاسلام في « مكة المكرمة » سجدت الأرض لرسالة السماء وفتح التاريخ صفحاته لاستقبال الحدث العظيم وتسجيل آثاره الكبرى ، وحينما هاجر محمد صلوات الله وسلامه عليه الى يثرب تلفت العالم الى هذه المدينة المنورة التي أصبحت عاصمة الدولة الاسلامية ومنازة الهداية للبشرية ومركز الاشعاع لحضارة جديدة متميزة ضربت بسهم وافر في كل نواحي الحياة واخذت بمجامع العلم والمعرفة وجمعت بين الدين والدنيا في نظام التزم شريعة الله فارتفعت ألويته في مشارق الأرض ومغاربها ..

وفي عصر النهضة الاسلامية بلغت المدينة العربية درجة كبيرة من الرق والتقدم سبقت بها مدنا عريقة وحواضر ذات أجداد . وظهرت الى جانب المدينتين المقدستين عبر عصور الاسلام الزاهرة مدن اخرى (كبغداد ، ودمشق ، والكوفة ، والبصرة ، والفسطاط ، والقيروان ، وغيرها) اشتهرت بطابعها الاسلامي المميز في فنون العمارة وماضمتها من مساجد ومعاهد ومؤسسات علمية ومراكز للاداب والفنون ومختلف العلوم الفلكية والطبية والرياضية والطبيعية وغيرها مما برع فيه علماء المسلمين ومفكروهم ..

ثم رانت على الدولة الاسلامية فترات حمل حضارى تأثرت بها مدنها فتخلفت عن حركة التطور والتحديث الى أن تغيرت الظروف السياسية بالمنطقة العربية وسيطرت الأمة العربية على ثرواتها ومقدراتها فشهدت المنطقة مع بداية الخمسينات نموا سريعا متجاوزا معدلات النقلة الحضارية وبتركيز على المدن دون غيرها من المستوطنات البشرية ..

وظهرت حاجة المدن العربية الى نوع من التنسيق والتعاون على مواجهة آثار التحول الحضارى بتضاعف مساحتها وزيادة عدد سكانها وضرورة تحسين وتطوير تجهيزاتها الأساسية ومرافقها وخدماتها البلدية والوان نشاطها الاخرى .. والتوفيق بين متطلبات النمو السريع واحتياجات المواطن مع الحفاظ على هوية المدينة العربية وأصالتها وتراثها الاسلامى وحمايتها من مخاطر الطفرة التي تصاحب حركات التنمية السريعة ..

١٥

٢ - منظمة المدن العربية :

وسط هذه المتغيرات ، اجتمع رأى بعض الرواد من قيادات المدن العربية على ضرورة انشاء منظمة تسعى لتأكيد التعاون وتقوية الروابط ودعم الصلات بين الأشقاء على ساحة الوطن العربي بأسلوب يبعد عن تيارات السياسة ومنعطفاتها وتقلباتها ، ويستهدف انماء المدن العربية عامة والخدمات البلدية ومرافقها بصفة خاصة ..

وفي عام ١٩٦٧م على اثر اجتماع تأسيسي عقد في الكويت شارك فيه مندوبون عن سبع وعشرين مدينة عربية ، وبعد دراسة مستفيضة منطلقة من فهم عميق لواقع الوطن العربي وتطلعاته وآماله ، قامت « منظمة المدن العربية » وروعي أن تكون منظمة مدن تفتح ذراعها لكل المدن العربية التي تتساوى جميعا في الحقوق والواجبات بعض النظر عن عدد سكان المدينة العضو أو القطر الذى تنتمي اليه أو أية اعتبارات أخرى ، واقبلت المدن على الانضمام للمنظمة سنة بعد أخرى حتى وصل عددها هذا العام الى « ٢٣ » مدينة ..

وخلال الأربع عشرة سنة الماضية هي عمر المنظمة كانت واضحة في خطها الاستقلالي وتمسكها بمبدأ البعد عن المشاكل والخلافات السياسية مما جعلها محل ثقة الحكومات والبلديات والمواطنين ..

وكانت أهدافها واضحة لرفع مستوى الخدمات والمرافق البلدية في المدن العربية وتطويرها بما يواجه النمو السكاني نحو حياة أفضل للمواطن العربي ورفي وازدهار للمدينة العربية ..

ثم لاحظ المسؤولون في المدن والحكومات العربية أن المدينة العربية الاسلامية في نموها السريع فقدت الكثير من طابعها وتراثها الاصيل ولم تأخذ - في معظم الاحيان - بعين الاعتبار احتياجات البيئة والعادات والتقاليد والواقع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ، ورأوا ضرورة النص على ذلك في النظام الأساسي للمنظمة الذي جرى تعديله في الآونة الأخيرة باقتراح الأمانة العامة وأخذ رأى المدن الأعضاء تفهما لسير الاحداث ومتطلبات العصر وتطلعات المستقبل وادراكا لأهمية الاستجابة لحركة التطور والسعي الجاد لتحقيق الأهداف على نحو أفضل ..

وفي الفترة من ١٩٦٧ - ١٩٨٠ م عقدت المنظمة ستة مؤتمرات عامة بحثت فيها العديد من الموضوعات الهامة وكانت مجالات خصبة لتبادل المعرفة والخبرات واستعراض البحوث والدراسات والوصول الى قرارات وتوصيات في خدمة المدن العربية واثرائها .. وهي بسبيل الإعداد للمؤتمر السابع المزمع عقده في الربع الاخير من سنة ١٩٨٢ م بمدينة الجزائر ..

كذلك عقد المكتب الدائم ستة عشر اجتماعا اتخذ فيها الكثير من القرارات والتوصيات الهامة فضلا عن متابعة قرارات وتوصيات المؤتمرات العامة ..

وفي عام ١٩٧١ م عقدت المنظمة أول ندوة لها لمديري البلديات وتوالت ندواتها بعد ذلك بمعدل ندوة أو ندوتين سنويا خصصت كل منها لدراسة مشكلة من المشاكل التي تواجه المدن العربية واشرفت على الاعداد العلمي لها هيئات علمية متخصصة تضم مجموعة من الخبراء (لعدم وجود جهاز فني متخصص للمنظمة حينئذ) ..

وقد انتهجت المنظمة على المستوى الدولي سياسة قوامها الانفتاح وتدعيم التعاون مع المدن الصديقة والمنظمات الدولية فاسهمت بشكل ايجابي في تحقيق أهدافها ، وتسير المنظمة في طريق تعزيز علاقاتها بالمدن والمنظمات الصديقة والافادة من كافة الخبرات المتاحة وتطويرها بما يتلاءم مع احتياجات مدننا وظروفها ويخدم تطلعاتها وآمالها ..

وفي حرص المنظمة على أن تصل خدماتها الفعلية الى المدن الأعضاء ونظرا لما استبان من نتائج الدراسات التي أجرتها الأمانة العامة للمنظمة من ان ضعف الموارد المالية يقف حجر عثرة في طريق تنفيذ الكثير من المشاريع الهامة للمدن ، تبلورت فكرة انشاء (صندوق تنمية المدن العربية) الذي بدأ وقام فعلا بتقديم خدماته في مساعدة المدن الاعضاء وتقديم القروض المالية لها ، فقدم اكثر من ثلاثين قرضا للمدن الصغيرة المحتاجة ..

ثم كان سعي المنظمة لانشاء جهازها المتخصص ليحمل عبء الجوانب الفنية والعلمية في مجالات خدمات المدن ورفع مستوى اداء العاملين بها وتحديث طرق العمل وأساليب الادارة والتنظيم واجراء البحوث والدراسات وتقديم الاستشارات فيما تطلبه المدن ..

٣ - المعهد العربي لإنماء المدن :

التعريف بالمعهد :

المعهد ، مؤسسة علمية ثقافية استشارية تهتم بالمدينة في كافة مجالاتها واختصاصاتها واغراضها ، وبالمدن العربية والشئون البلدية بصفة خاصة . وهو الجهاز المتخصص لمنظمة المدن العربية في مجالات التدريب والاجتاه والاستشارات والتوثيق وكل ما من شأنه دعم المنظمة والعمل على تحقيق أهدافها في رفع مستوى المدينة العربية وتطويرها مع الحفاظ على هويتها العربية والاسلامية وتراثها الحضارى ..

وللمعهد شخصيته المعنوية وذمته المالية المستقلة ومقره مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية ويباشر مهامه بالتعاون والتنسيق مع المنظمة ..

ويشرف على المعهد ويرسم سياسته ويضع خططه (مجلس أمنائه) الذي اختارته المدن العربية في سنواته الأولى برئاسة سمو وزير الشؤون البلدية والقروية بالمملكة وعضوية كل من : معالي أمين مدينة الرياض (نائبا للرئيس) وأصحاب المعالي والسعادة أمناء ورؤساء مدن : جدة - بغداد - دمشق - عمان - طرابلس - تونس - الرباط (مختارين من اعضاء المكتب الدائم للمنظمة) وأمين عام المنظمة ومدير عام المنظمة ومدير عام المعهد (أمينا عاما للمجلس) .

وتتحمل المملكة العربية السعودية الدعم الكامل لميزانية المعهد مدة السنوات الثلاث الأولى ، وتتعدد موارده المالية بعد ذلك مع الأخذ في الاعتبار المورد الاساسي من حكومة المقر .

فكرة المعهد ونشأته :-

في المؤتمر الثالث لمنظمة المدن العربية الذي عقد بتونس في المدة من ٢٠ - ٢٦ / ٩ / سنة ١٩٧١ م ، تقرر انشاء مركز للأبحاث والدراسات يكون مقره مدينة الرياض لتحقيق أهداف عدة في خدمة المدن الاعضاء .

وتمت للمنظمة على المملكة العربية السعودية الاستجابة لرغبة المؤتمر ، وكانت المملكة كالعهد بها في كل ما يتعلق بدعم المدن العربية وتطويرها ، فصدرت الموافقة من المقام السامي برقم ١٩٥٠٢ وتاريخ ١٣٩٢/٩/٢٨ هـ .

وفي المؤتمر الرابع للمنظمة المنعقد بمدينة بغداد في المدة من ١٠ - ١٦ نوفمبر ١٩٧٣م تقرر تكليف أمين مدينة الرياض بأن يتولى اجراء الاتصالات التي يراها مناسبة لانجاز الدراسات المتعلقة بهذا المركز والاتصال بالمعاهد والمراكز المماثلة في العالم - وصدرت الموافقة السامية على ذلك برقم ٢٤٠٥٧ وتاريخ ١٣٩٣/١٠/٩ هـ .

وقد جرى تداول الموضوع بين المنظمة وأمانه مدينة الرياض والجهات المعنية سعياً لاقامة مؤسسة على ركائز قوية مع توفير عناصر ومقومات النجاح لها . وكان بين الجهات التي كلفت بالدراسة الجهاز التنفيذي للأمم المتحدة واللجنة الاقتصادية لغرب آسيا وبعض المكاتب الاستشارية . الى أن تلقت وزارة الشؤون البلدية والقروية بالمملكة خطاب المنظمة المؤرخ في ١٩٧٧/٣/٩ والذي يفيد أن احدى الشركات الاستشارية التي كانت مكلفة باعداد الدراسة تعرضت في حوادث بيروت المؤسفة لفقدان مكاتبها واطلاف كافة وثائقها ، وطلبت المنظمة استئناف الدراسة حتي يقوم المركز في الرياض كما تقرر من قبل ..

وفي المؤتمر الخامس للمنظمة المنعقد بمدينة الرياض في شهر يونيو سنة ١٩٧٧م تقرر مجددا انشاء المركز المذكور بمدينة الرياض بموافقة جميع المدن الاعضاء بالمنظمة ..

وفي ١٩٧٧/١٢/٢٠م أرسلت المنظمة خطابها رقم ١١/٢/٣ - ٣٥١ بإبلاغ قرار المكتب الدائم في اجتماعه الحادى عشر بمدينة العين بتكليف أمين مدينة الرياض بالاشراف على كافة الأعمال التنفيذية لانجاز انشاء مشروع مركز الأبحاث والدراسات وعقد اجتماع تشارك فيه المنظمة والأمانة وممثلون عن الامم المتحدة ووزارة الشؤون البلدية والقروية وقد تم في الاجتماع الذي عقد في ١٣٩٨/٣/٢٥ هـ بحث الموضوع وتحديد عناصره الأساسية وخطة العمل والبرامج والاحتياجات البشرية والمادية .. الخ ..

وتابعت وزارة الشؤون البلدية وأمانة مدينة الرياض الموضوع فرفع سمو الوزير خطابا الى صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء في ١٣٩٨/٩/٢ هـ شارحا الظروف التي صادفت انشاء مركز الأبحاث وتمسك منظمة المدن العربية بانشائة في مدينة الرياض ، واقترح أن تقوم حكومة المملكة بتجهيز المقر اللازم واتمام وضع الخطة والدراسة والمنهج اللذين بدأتها أجهزة الامم المتحدة وان ممثلى المدن العربية يأملون ان تقوم حكومة المملكة بتحمل نفقات تشغيله لمدة ثلاث سنوات ..

وقد تفضل سمو ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء بالموافقة على ذلك بالخطاب رقم ٢٢٣٣٦/ف/٥ وتاريخ ١٣٩٨/٩/٢٤ هـ والأمر بانفاذة وزود معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني بصورة الخطاب لتوفير الاعتماد اللازم ..

وفي ١٩٧٨/٩/٣٠ ورد خطاب من أمين عام المنظمة رقم ٢/١/١٢ - ٢٦٧ بأن المكتب الدائم في دورته الثانية عشرة المنعقدة بمدينة طرابلس في ١٩٧٨/٩/١٧م أحيط علما بقرار الحكومة الموقرة ، ووافق على مشروع النظام الاساسي للمعهد (مركز الأبحاث في صورته الاولي) وقرر تأليف مجلس أمناء المعهد تحت رئاسة سمو وزير الشؤون البلدية والقروية بالمملكة وعضوية أمناء ورؤساء مدن : الرياض - جدة - بغداد - دمشق - عمان - طرابلس - تونس - الرباط وأمين عام منظمة المدن العربية ومديرها العام ومدير عام المعهد ..

وفي خطاب اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا التابعة للأمم المتحدة رقم ١٤٠ وتاريخ ١٩٧٨/١٢/٦م أعربت اللجنة عن سرورها باعداد الوثيقة النهائية الخاصة بمعهد انماء المدن العربية وابلغها للمنظمة وفي انتظار الخطوات العملية الرامية الى مباشرة المعهد لنشاطه وتبدي اللجنة استعدادها لبذل اقصى جهودها لانجاح المشروع لدعم جهود الانماء في المنطقة العربية ..

وفي الاجتماع الذي عقد برئاسة سمو وزير الشؤون البلدية والقروية في ١٣٩٩/٢/١٢ هـ الموافق ١٩٧٩/١/١٠م اتخذت عدة قرارات من بينها :-

- تكليف لجنة لدراسة مشروع اتفاقية المعهد العربي لانماء المدن ، ويتم التوقيع عليها خلال شهرين ..
- تكليف أمين مدينة الرياض بالقيام بأعمال نائب رئيس مجلس الامناء على ان يتم تعيينه في هذا المنصب بعد الاجتماع الاول لمجلس الامناء ..
- يتولى أمين مدينة الرياض الاشراف على متابعة تنفيذ كافة القرارات والتوصيات المتعلقة بانشاء المعهد ..
- تتولى أمانه مدينة الرياض تسديد كافة النفقات المالية اللازمة التي تترتب على تنفيذ القرارات المتخذة في هذا الاجتماع وكذلك المترتبة على الأعمال التحضيرية والميزانية واختيار الموقع ، وترشيح مدير المعهد ..

قامت اللجنة المكلفة بمراجعة مشروع الاتفاقية ، وقدمت مسودة لمشروع بديل أحاطت به المنظمة التي أفادت بالخطاب رقم ١/١٢ ٢٣٩٠٠ بتاريخ ١٠/٦/١٩٧٩م بأنه تمت دراسة المسودة المذكورة وطباعتها وتوزيعها ..

وفي ٢٧/١١/١٩٧٩م طلبت المنظمة بكتابها رقم ٤٤٧/١٠١٢ موافقة حكومة المملكة العربية السعودية على تعيين الدكتور محمد عبد الله الحماد (الذى كان يعمل مديرا عاما للتخطيط والبرامج بوزارة الشؤون البلدية والقروية) مديرا عاما للمعهد وتم اقرار ذلك وتم اختيار المقر المؤقت للمعهد (الى ان يدبر له مقر دائم) وبدىء في شغل الوظائف الشاغرة فيه وفقا للهيكل الوظيفي وحسب خطة زمنية قسمت الى مراحل تناسب مع حاجات المعهد ونشاطاته وطبيعة العمل فيه ..

دراسات اجريت عن المعهد :

اجريت عدة دراسات عن المعهد تضمنت أولاها خلفية المشروع والاسباب الموجبة لقيامه ، استعرضت كيف احتلت المدينة في الحضارة الاسلامية مكانتها الممتازة بين المستوطنات البشرية ولماذا يتعين في الوقت الحاضر التصدى لمشاكل النمو الحضري وتوجيه وترشيد الخدمات البلدية والاجتماعية وتوفير الحاجات الاقتصادية الأساسية والاستقرار النفسي للمواطن العربي ، وكيف يمكن القيام بعملية التحديث في المدن العربية مع المحافظة على التراث الحضارى الاسلامي .

وتطرقت الدراسة الى الأجهزة التي عليها ان تواجه المشاكل الحضرية ومدى افتقارها الى العنصر البشرى الكفاء ، والى التنسيق اللازم بين الادارات والقطاعات ذات العلاقة ، وكيف ان بعض الحكومات لجأت الى الاستعانة بخدمات الشركات الاستشارية الأجنبية ، كما لجأت حكومات أخرى الى استيراد القوى البشرية ، أو ايفاد عدد كبير من مواطنيها لمتابعة تحصيلهم العلمي أو التدريبي في الخارج ، غالبا أوروبا وأمريكا الشمالية ، ولكن التدريب في الخارج مهما كان مستواه رفيعا وحتى في أفضل الجامعات لا يغني عن التدريب الذى يعتمد وينطلق من الواقع الاقتصادي والحضارى والاجتماعي والثقافي للدول العربية وأنه يجب النظر الى استيراد الخبراء والاختصاصيين الاجانب على انه تدبير مؤقت . ولهذا فان انشاء معهد يعمل على الصعيد الاقليمي قد أصبح امرا ضروريا لسد احتياجات المنطقة ، وليغضى بنشاطاته كافة المدن العربية على الا يقصر على تدريب الاختصاصيين فحسب بل انه في ضوء حجمه وموارده سوف يؤمن مستوى رفيعا لمجالات تخصص متعددة ومختلفة وبالإضافة الى ذلك يمكن للمعهد كمؤسسة اقليمية ان يمد من نشاطه ليشمل سلسلة أوسع من مواضيع الأبحاث في مجال الإنماء الحضري وانشاء مركز للمعلومات عن تخطيط وتنظيم المدن ، ونشرة دورية تتحول في مرحلة لاحقة الى مجلة علمية وتقديم الخدمات الاستشارية الى المدن الاعضاء ..

وتناولت الدراسة الثانية الحاجة الى انفتاح أشمل يتسع لبلدان الوطن العربي كله وأن الغرض من وجود المعهد هو انشاء مؤسسة للتدريب والأبحاث تتبع منظمة المدن العربية وأن يعتبر المشروع عند اقراره (المرجع القانوني) المنظم للعلاقات مع حكومة المقر ، وأن (الهدف الإنمائي) للمؤسسة هو التركيز على احتياجات الإنماء للمستوطنات البشرية في الدول العربية وقيامها بتنفيذ برامج التدريب في مجالات التخطيط وعمل البحوث ودعم البرامج التعليمية وجمع ونشر المعلومات عن التحضر في المنطقة وتوفير الخدمات الاستشارية للمدن المشاركة في المشروع .

كما تناولت مدى الحاجة الى انشاء هذا المعهد في هذه المنطقة من العالم حيث نشأت وازدهرت في أوج الامبراطورية الاسلامية مدن عديدة بلغت الحياة فيها مستوى عاليا من الرقي الفكرى والفني لم تصل اليه المدن الاوربية في حينه ، وضرورة مضاعفة وتنظيم الجهود لتدريب المخططين والمستوى المتوسط من الفنيين على نطاق العالم العربى لسد حاجات المنطقة .

وفي المرحلة الأولى من انشاء المعهد يمكن اختيار هيئة التدريس والجهاز الوظيفي على المستوى الدولي سواء من الاقليم نفسه أو من خارجه ، ويكون الهدف النهائى بطبيعة الحال أن تكون هيئة التدريس كلها من قلب الاقليم نفسه ..

وأشارت الى أهمية الاتصال بالجامعات والمؤسسات المتخصصة على المستوى الرسمى وغير الرسمى لتحقيق أقصى سبل التعاون وتبادل الخبرات .

أما الدراسة الثالثة فقد تناولت في (القسم الأول) الاطار القانوني في تنظيم العلاقة بين منظمة المدن العربية وحكومة المملكة العربية السعودية (الدولة المضيفة) وتحدثت في (القسم الثانى) عن أهداف المشروع وعن برامج التدريب المختلفة والقيام بالبحوث في مجالات الإنماء الحضري وانشاء مركز للمعلومات وتقديم الخدمات الاستشارية للمدن الأعضاء وعن الانشاءات والتجهيزات اللازمة لنشاطات المعهد وتأمين الجهاز الوظيفي من خبراء وموظفين ومستخدمين .

وعن (الاطار التنظيمي وادارة المعهد) وزعت الأمور التنظيمية على مستويين : وضع السياسة العامة للمعهد وادارته العليا ، ويختص بها (مجلس الأمناء) وسير العمل التنفيذى ويتولاه (المدير العام) .

أغراض المعهد وأهدافه

- يمكن أن نشير في إيجاز إلى الأهداف الأساسية للمعهد وهي : التدريب والبحوث والاستشارات والتوثيق على المستوى الإقليمي للمدن العربية وبتكيز خاص على المتطلبات الانمائية لهذه المدن ، ويشمل ذلك ما يلي :
- ١ - التدريب : وضع برامج التدريب الشامل في مجالات الخدمات البلدية وتخطيط المدن وتصميم الاعمال الهندسية والأمور ذات العلاقة بتطوير المدينة ، وذلك بهدف تخفيض العجز الكبير في الاختصاصيين ومساعدتهم ورفع مستوى الاداء في قطاعات العمل المختلفة بالمدن العربية .
 - ٢ - البحوث والدراسات : القيام بالبحوث والدراسات في مجالات اهتمامات المعهد مع الجهات والمعاهد المتخصصة لتطوير المعطيات الأساسية المتوافرة للمنطقة ودعم البرامج والمساهمة في مشاريع التنمية وفي اثراء المعرفة والمعلومات .
 - ٣ - الاستشارات : تأمين الخدمات الاستشارية للمدن الاعضاء في مجالات تخصص المعهد .
 - ٤ - التوثيق : انشاء مركز متخصص لجمع المعلومات والوثائق والمطبوعات لتغطية كل ما يتعلق باهتمامات المعهد وتطوير الأنظمة والوسائل لنشر وتوفير هذه المعلومات .

بدء نشاط المعهد :

حرص المعهد على أن يبدأ في مباشرة المهام الموكلة اليه على أسس تستند إلى الحاجات الحقيقية للمدن العربية وذلك من خلال القيام بأعمال المسح وجمع المعلومات التي تتيح للمعهد مواكبة هذه الحاجات واعطاء الأولوية للموضوعات ذات الاهتمام المشترك بين المدن والبلديات ومحاول المعهد التوصل إلى ذلك من خلال الطرق والأساليب العلمية المتبعة .

وقد بادر المعهد باستطلاع آراء المدن الأعضاء فوجه استشارات « استبيان رأى » لتزويد المعهد باحتياجات العاملين بالبلديات من الجوانب التدريبية وما تقترحه المدن من برامج أو من دورات لذلك .

كما تم ارسال استبيان آخر يطلب البيانات الأساسية عن المدن ونظامها الإداري وتعداد سكانها ومساحتها إلى جانب الأجهزة الرئيسية بها من مصالح ومعاهد ومؤسسات وغير ذلك ليتسنى اصدار دليل يقدم تعريفا عاما بكل مدينة عربية . كذلك يتابع المعهد ارسال عدة استبيانات أخرى متخصصة لأغراضه المختلفة ..

كما أجرى المعهد العديد من الاتصالات بحوالي سبعين جامعة ومعهدا متخصصا في الوطن العربي ، وحوالي مائة وخمسين جامعة أجنبية ومعهدا متخصصا لاستطلاع مدى امكانية تعاونها مع المعهد في اقامة الندوات والبرامج التدريبية في الموضوعات التي تهتم البلديات والمدن ليتسنى على ضوء مايرد من اجابات وضع التخطيط المدروس للبرامج المختلفة ..

وقد تلقي المعهد اقتراحات جادة ومفيدة هي الآن قيد الدراسة ولا تزال الاجابات ترد حتى اعداد هذه السطور .. ومن الاقتراحات التي تجدر الاشارة اليها في هذا الخصوص اقتراح جامعة هارفارد ومعهد ماسا تشوستس بامريكا ، وعقد برنامج تشارك فيه كل من كلية الدراسات العليا لتصميم في جامعة هارفارد ومعهد ماسا تشوستس للتكنولوجيا (كلية العمارة والتخطيط) وهو برنامج مهني اثنائي للعاملين بالبلديات يغطي كلا من الأمور الفنية وغير الفنية التي تقابل المشتركين ، ويركز على تأثيرات انماء المدن السريع على وظائف البلديات وبدلا من الاعتماد على تطبيق المواد الدراسية الموجودة أو استعمال برنامج منمط تعتمد البرامج المقترحة على مواد تعليمية معدة خصيصا لدراسة أعمال ومشاكل البلديات في المدن العربية بأسلوب علمي وعملي وأيضا بأسلوب تطبيقي ..

بعض انجازات المعهد :

رغم قصر المدة التي انقضت منذ بدأ المعهد مباشرة نشاطه بصورة فعلية فقد استطاع بتوفيق من الله وبتعاون المسؤولين في المدن الاعضاء بالمنظمة وبما وفرته حكومة المقر من امكانيات انجاز بعض الأنشطة العامة يمكن الاشارة إلى بعضها فيما يلي على سبيل المثال : -

(١) ندوة المدينة العربية :

كانت الندوة بمثابة باكورة أعمال وأنشطة المعهد وقد كان موضوع الندوة « المدينة العربية : خصائصها وتراثها الحضارى الاسلامى » وقد اختيرت عاصمة الاسلام الاولى مثنى الرسول الكريم « المدينة المنورة » مقرا لعقد هذه الندوة خلال (المدة من ٢٤ - ٢٩ ربيع ثاني ١٤٠١هـ الموافقة للفترة من ٢٨ فبراير الى ٥ مارس ١٩٨١م) .

وقد حضر الندوة حوالي الالف مشارك يمثلون المدن العربية الأعضاء في المنظمة والكثير من الهيئات العلمية والجامعات وحضرها عدد كبير من المتخصصين والمعنيين في المدن والبلديات بالإضافة الى عدد كبير من الخبراء العاملين في هذا المجال المهتمين بما عنيت الندوة بتناوله من موضوعات .. وبعض الوفود التي تمثل عددا من الهيئات والمنظمات الدولية .

معرض المدينة العربية :

وقد صحب انعقاد الندوة افتتاح معرض المدينة العربية المتصل بموضوع الندوة والذي يعتبر أساسا للمعرض الدائم والمؤقت والمتنقل للمدينة العربية وقد قام بافتتاح المعرض سمو الامير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة والامير متعب بن عبد العزيز وزير الشؤون البلدية والقروية بالنيابة ، وقد شمل المعرض العديد من الرسوم والخرائط والصور والمجسمات التي عرضتها المدن العربية فيما يتصل بموضوع الندوة ..

توصيات الندوة :

تمخضت الندوة عن عدد من التوصيات الهامة والتي هي نتاج لما تمت دراسته فيها من أبحاث وما طرح بها من أفكار واءا واقتراحات بناءة وقد طبعت هذه التوصيات في كتيبات ويجرى توزيعها على المدن والبلديات والجامعات . والجدير بالذكر أن معظم التوصيات إما انها قد طبقت بالفعل أو جار الاخذ بها ووضعها موضع التطبيق وفق الامكانيات والظروف المناسبة ومن ذلك أن الندوة أوصت باعداد مشروع متكامل ينظم منح جوائز تشجيعية للمشروعات العمرانية المتميزة في المدن العربية والتي تقترح حلولاً ملائمة أو تصلح لتكون حلولاً يبتدى بها وذلك بهدف اعطاء مضمون للمفاهيم التي شملت توصيات من جهة ولتشجيع الممارسين والمخططين العرب من جهة أخرى .

مجلدات بأبحاث الندوة :

والجدير بالذكر أن العمل جار في طبع ابحاث الندوة باللغتين العربية والانجليزية وكان قد جرى بعضها في شكل كتيب منفرد وسيتم توزيع المجلدات التي ستضم هذه الابحاث على المدن الاعضاء والجامعات والمعاهد العلمية والبلديات في المدن العربية والمراكز والمنظمات الدولية ذات العلاقة أو الاهتمام بموضوع الندوة أو المعنية بالمدن وتنميتها .. وذلك بهدف تعميم الفائدة التي تحققت من وراء تنظيم الندوة .

(٢) ندوات أخرى ودورات تم تنظيمها :

قام المعهد بعد تنظيمه لندوة المدينة العربية بالمدينة المنورة . بتنظيم عدة دورات وندوات وفقا لما تتطلبه احتياجات المدن من موضوعات وما صدر عن المدينة العربية من توصيات نذكر منها :

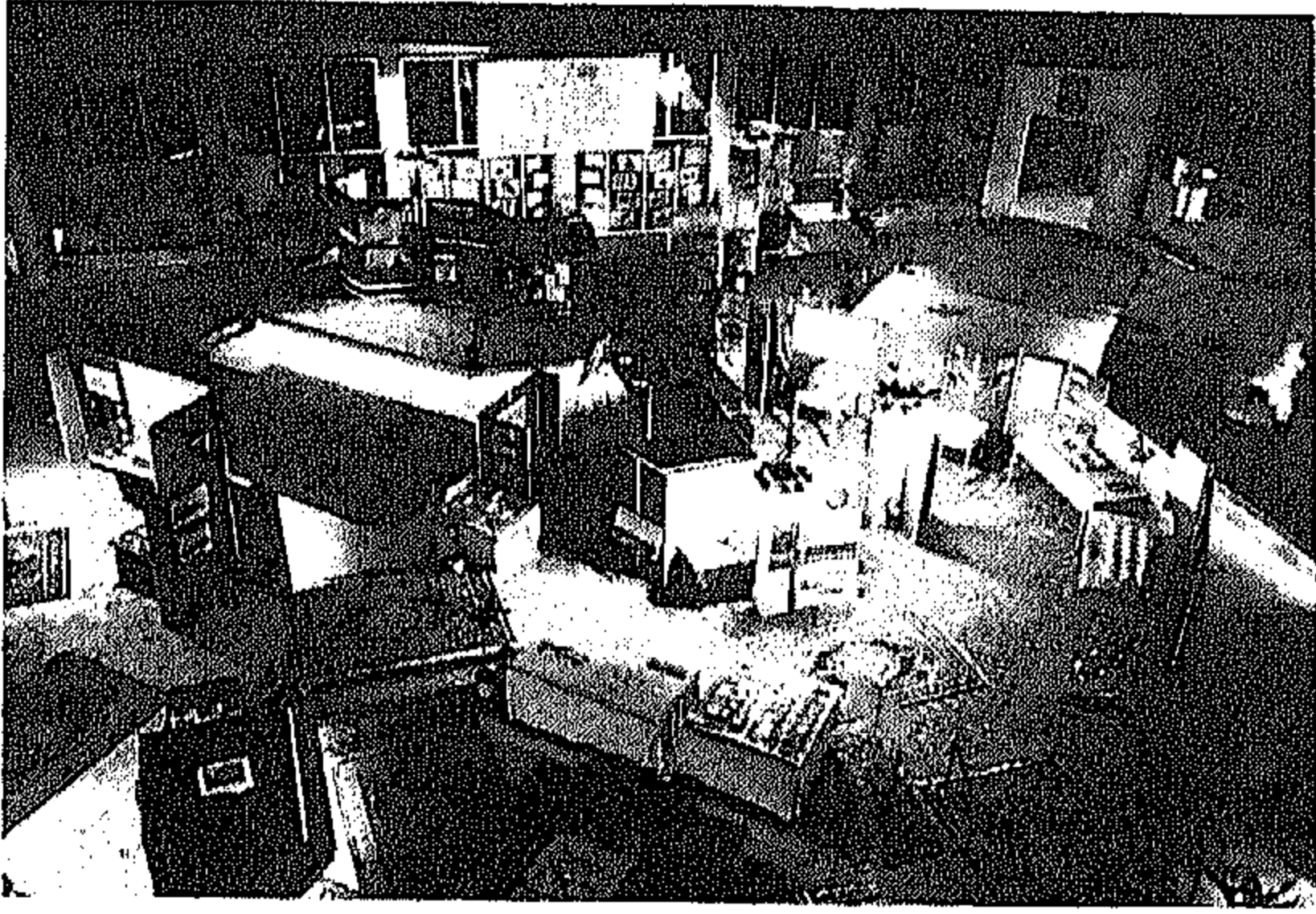
١ - دورة مديري ومأموري البلديات الحديثة في (مسقط - عمان) :

أنشأت سلطنة عمان بشكل سريع ومفاجيء عددا من البلديات ورغبة في المساعدة في اعداد الكوادر القيادية العاجلة لهذه البلديات فقد رُئى التعجيل باقامة هذه الدورة وعقد جانبها النظرى في مسقط في الفترة من (٣/٢٨ الى ١٩٨١/٤/٧) ليحضرها قرابة خمسين مشتركا من مديري ومأموري البلديات الحديثة ويتلقوا محاضرات في التنمية الاقتصادية ودور الهيئات والسلطات المحلية واختصاصاتها وموضوعات أخرى .

٢ - الدورة التطبيقية لدورة مديري البلديات الحديثة في (سلطنة عمان والخليج) :

نظمت هذه الدورة لتقام في العاصمة الاردنية (عمان) على ان تبدأ من ١٩٨١/٥/١٨ ويتضمن برنامجها موضوعات عن تخطيط المدن وصحة البيئة والنظافة والمسائح ونظم البلديات وادارتها .

ويشارك فيها عدد من مأموري ومديري البلديات العمانية وآخرون من مدن الخليج والجزيرة العربية كما تتضمن الدورة برامج تطبيقية وزيارات ميدانية ولقاءات مع المختصين .



٤ المعرض



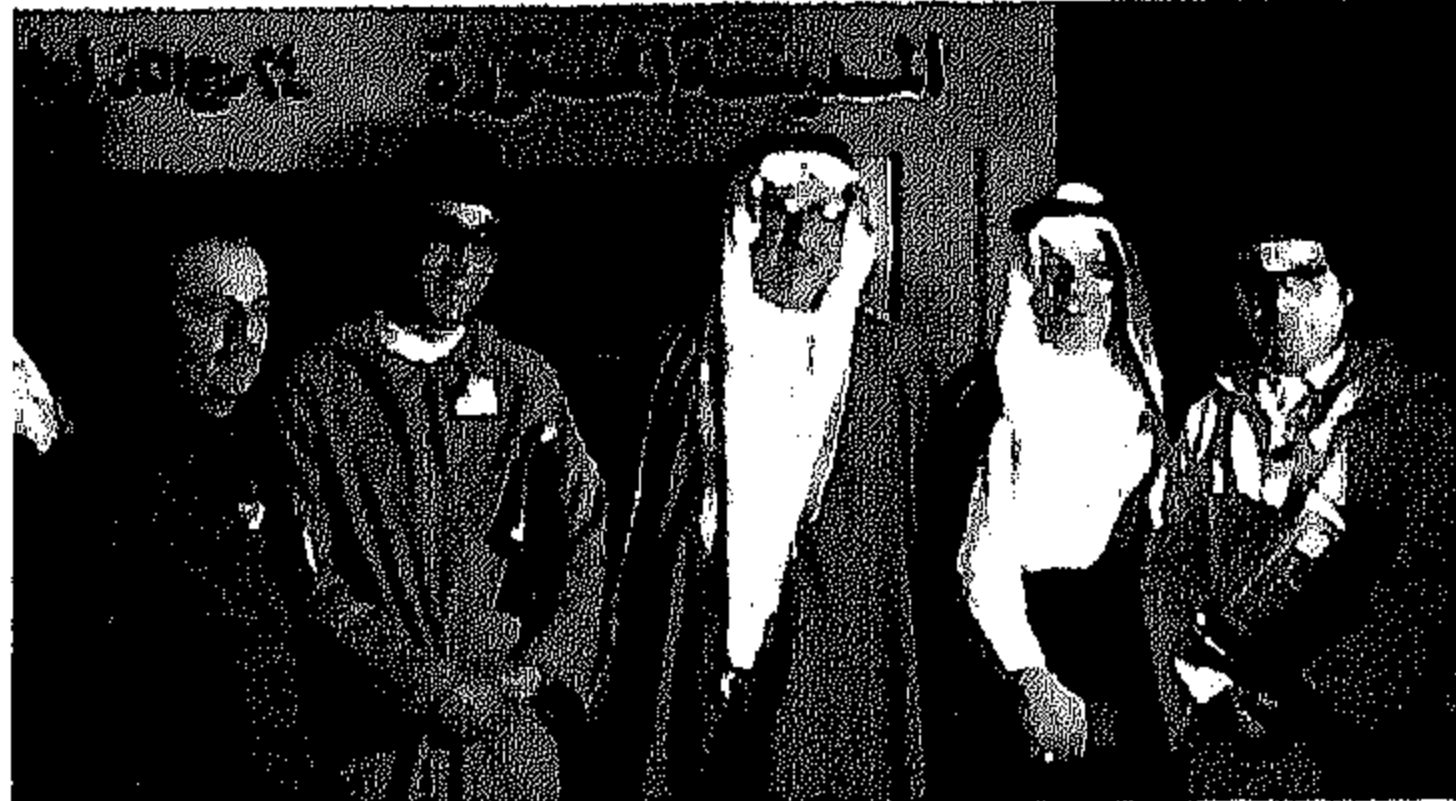
٥ المعرض



٢ الفندق



٣ لقاء فكري



٦ وجوه ولقاءات ومناقشات

٣ - ندوة التخطيط الحضري في البلاد العربية مع خلفية خاصة في الحفاظ على هوية المدينة العربية وتمييزها :

تم الاتفاق على تنظيم هذه الندوة وضمن القرار رقم (١) من اتفاقية التعاون بين منظمة المدن العربية والمؤسسة الألمانية للائتمان العالمي في برلين في الفترة من (٨/٣١ الى ١١/٩/١٩٨١ م) ويشترك فيها بعض المسئولين عن التخطيط في المدن العربية وتجمع عناصر من أحدث ما وصل اليه العلم في التطبيق الحضري من نظريات ..

دراسات وبرامج هامة للندوات ودورات قادمة :

١ - الدورة التدريبية لدراسة المشاكل الادارية للمدن المتوسطة في العالم العربي :

وينظمها المعهد بالتعاون مع المؤسسة الألمانية للائتمان العالمي خلال الفترة من (٨/٢٨ الى ١٨/١٠/١٩٨١ م) في برلين الغربية .

٢ - ندوة دور البلديات في حماية البيئة :

تنظمها منظمة المدن العربية ويشارك فيها المعهد مع جمعية حماية البيئة بالكويت في الفترة من (٥ - ١٠ ديسمبر ١٩٨١ م) لبحث الدور الذي يمكن للبلديات في المدن الأعضاء ان تقوم به من أجل حماية البيئة التي تتعرض حاليا وفي أماكن كثيرة من العالم من بينها المنطقة العربية بصفة عامة لآخطار كثيرة بسبب زحف المناطق الصناعية وانتشار الدخان الصادر منها أو من السيارات والمكائن ، بالإضافة الى الكثافة السكانية ونقص الأماكن الخضراء وتأثير ذلك على النواحي الصحية والاجتماعية لسكان المدن .

٣ - دورة عن مياه الشرب بالمدن (مصادرها - تنقيتها - ترشيد استهلاكها .. الخ) والتي يجري التنسيق بشأنها حاليا مع بعض الجهات المعنية .

٤ - ندوة عن تنظيم وإدارة المرافق العامة بالمدن .

٥ - دورة عن تنظيم النظافة والتخلص من النفايات .

٦ - دورة عن مركز المعلومات واستخدام الحاسب الآلي في خدمة البلديات والمدن .

٧ - دورة لمقاييس الأطفاء العامة في برلين .. تعقد في صيف عام ١٩٨٢ م .

٨ - دورة لإدارة المدن المتوسطة في المركز الدولي في برلين تعقد في صيف عام ١٩٨٢ م .

٩ - دورة لإدارة المدن المتوسطة تعقد في ميلانو وسيرنوني بالتعاون مع المركز الدولي لكبريات مدن العالم خلال عام ١٩٨٢ م .

في مجال التعاون مع المنظمات والجامعات والمعاهد والمراكز المتخصصة :

بينما يعمل المعهد على توثيق علاقاته مع المعاهد والمراكز التي تعمل في مجال مماثل للإفادة من خبراتها فإنه يسعى ليكون بمثابة همزة وصل بين الجهات الأكاديمية (بتلاحمه معها ورعايته ودعمه للبحوث الأكاديمية ذات العلاقة بنشاط المعهد) وبين بلديات المدن العربية لتزويدها بما تستخلصه البحوث الأكاديمية من نتائج تفيد في مجال التطبيق العلمي لمجالات علاج ما تعاني منه المدينة العربية .

وهناك تنسيق وتعاون مع منظمة العواصم الإسلامية التي كانت منظمة المدن العربية من الساعين لتأسيسها كما تشتمل اللجنة الاستشارية العليا للمعهد العربي لائتمان المدن من بين أعضائها على عدد من المتخصصين من المدن العربية ومنظمة العواصم الإسلامية والجامعة العربية (إدارة الإسكان) والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

والجدير بالذكر ان المعهد يقيم في اطار منظمة المدن العربية عددا من الروابط والعلاقات مع المؤسسات والجامعات والمنظمات الدولية والمراكز الاقليمية ذات العلاقة والاهتمام في مجال الشؤون المختلفة للمدن .

وقد تم عقد عدة اتفاقيات تعاون مشترك مع عدد من الهيئات نذكر منها على سبيل المثال :

- منظمة المدن البافارية في (المانيا الغربية) .

- بلدية مدينة برلين والمؤسسة الدولية للائتمان بها .

- اتحاد مرمرة والمضائق بتركيا .

- جامعة البصرة ومركز دراسات الخليج .

وهناك اتفاقيات أخرى في طريقها للتصديق .

كذلك يتابع المعهد عن كثب الدراسات التي تجرى في الوطن العربي عن طريق الهيئات الأكاديمية أو الأجهزة الحكومية الوطنية وما تقوم به المنظمات الدولية ذات العلاقة في هذا الخصوص بهدف استخلاص النتائج ونقل الحلول المناسبة الى المدن الاعضاء في المنظمة .

ولا يكتفى المعهد بذلك بل أنه يتقدم بالدعم والمساندة المادية والعلمية في اجراء البحوث والوسائل التعليمية في الجامعات وغيرها والتي تتعلق بالمدينة العربية كالمقاييس المعمارية وتخطيط المدن ، والنقوش والزخارف والطرز العربية الاصيلة أو تلك التي تعرض للمشكلات التي تعانيها المدينة العربية .

ان الكثير من الدارسين في المراكز العلمية بالوطن العربي يبحثون برسائلهم التي تتضمن مقترحات وافكارا واستفسارات وطلب معلومات ويعمل المعهد على تزويدهم بأرائه وخبراته ويمدهم بالمعلومات والمساعدات المتاحة لديه ...

في مجال العمل الاعلامي :

تتضمن خطة العمل الاعلامي للمعهد مد قنوات الاتصال بين المدن العربية وغيرها من خلال وسائل الاعلام العربية والعالمية وأساليب الاتصال المباشرة .

ويجري الاعداد حاليا لقيام المعهد بالتنسيق مع المنظمة باصدار سلسلة كتاب المدينة العربية ليلقى الضوء على المدن العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها واصدار مجلة المدينة العربية التي ستتابع نشر المعلومات والأنشطة المتصلة بالمدن العربية .

وتحمل الشهور القادمة خطوات عملية لتنفيذ عدد من الأفكار الهامة منها انتاج فيلم سينمائي وتلفزيوني يصور الحضارة الاسلامية العربية لمدننا العربية وآخر وثائقي كما يعد فيلم للتوعية بالنظافة ومدى اهميتها بالنسبة لمستقبل المدن العربية التي تواجه نموا سكانيا وعمرانيا سريعا ..

ومن الأفكار محل الدراسة اقامة معرض للصور ينتقل في المدن العربية الى المحافل الدولية ويعتمد على الصور والخرائط والرسومات والمجسمات للتعرف على المدن العربية وملاحظها الاصيلة وكذلك اقامة معرض دائم له كل مقومات المعارض الحديثة ..

كذلك يدرس المعهد حاليا فكرة انتاج برنامج اذاعي للتعريف بالمدينة العربية بالتعاون مع الاذاعات المحلية في المدن الاعضاء بالمنظمة واتحاد الاذاعات العربية ..

ويستعد كذلك لاصدار تقرير سنوي مصور يحوى بيانات تاريخية وحضارية عن العواصم العربية والمدن التاريخية ..

كما يجري الاعداد حاليا لعمل موسوعة كبرى تضم جميع ما صدر حول المدن والبلديات العربية من قوانين وأنظمة ولوائح لتكون بمثابة مرجع هام بالنسبة للجامعات ولمراكز المعلومات والمدن ..

خاتمة : -

ان مهمة النهوض بالمدينة العربية لتحتمل ما كانت لها من مكانة مرموقة ، ورفع مستوى الخدمات والمرافق فيها ، وتطويرها وتحديثها ، واطلاق ملكات التخطيط العمراني بمراعاة الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والبيئي للمدينة مع الحفاظ على هويتها العربية وتراثها الاسلامي ، تمثل عبئا ثقيلا حملته منظمة المدن العربية منذ أربعة عشر عاما ولا تزال . وفي مواجهة تحديات العصر وسباق العلم والتقنية ينبغي ان تكرس كل جهود المنظمة واجهزتها المتخصصة مع تعاون المدن الاعضاء ومشاركتها والاستفادة من كل جديد في مجالات العلم والمعرفة ..

ونحن لانصعب المهمة ولا نخفف منها ، بل نقدر حجمها ونعلم ابعادها ونتفهم مسالك الطرق اليها . وننظر بشيء من التفاؤل الى تزايد الاهتمام بالحفاظ على الشخصية العربية لمدننا وابرار الكثير من معالم تراث حضارتها الاسلامية ، واللمسات الفنية في العمارة والتخطيط وانشاء مبان حديثة على طرز عربية اسلامية متطورة واجتذاب هذه الحركة للكثير من المفكرين والمتخصصين في هذه الميادين ..

وفي نطاق ظاهرة التضخم السكاني بالمدن .. بدأت موجة عكسية بالاتجاه الى سكنى المناطق الريفية ، وتعميرها وانماؤها الى انشاء ضواحي جديدة حول المدن الكبرى لالتصق بها ولا تبعد كثيرا عنها ، وفي ذلك تخفيف مطلوب عن المدن واتاحة الفرصة للتخطيط السليم والتطوير والتحديث وعلاج المشاكل القائمة ..

وتابعت المنظمة مجريات الأمور وقياس الاتجاهات العامة وحركات التطوير في مختلف المدن والمجتمعات وسعت سعيها الدائب للاقترب اكثر من المدن الاعضاء وتقوية اواصر الارتباط بها والتعاون معها وشد أحاسيس المسؤولين فيها الى الترابط والتكافل فيما بينها ، ولفت الانتباه الى اهمية الاستفادة من تجارب مدن العالم الاخرى مع الحفاظ على طابع المدن العربية وهويتها وتراثها الحضاري ، وكان من آثار ذلك اقبال المدن على المنظمة وارتفاع عدد الاعضاء الى اكثر من تسعة اضعاف العدد الذي بدأت به نشاطها ..

وفي سعيها لتطوير وسائلها لتحقيق اهدافها ، اجرت المنظمة تعديلا في نظامها الأساسي لمواجهة المتغيرات الجديدة والاستجابة الى رغبة المدن الاعضاء وأملهم في أن تواصل المنظمة مسيرتها الى الأمام وان تكون عوناً للبلديات وللمدن العربية ، مع رسم سياسة المستقبل على أسس علمية وواقعية مدروسة عبر عنه بموضوع تطوير منظمة المدن العربية بوضع خطة تشمل : -

- ١ (الاستمرار في عقد المؤتمرات والندوات العلمية واقامة المعارض التي تبرز طابع المدن العربية ومنجزاتها ..
- ٢ (الاهتمام بالدورات التدريبية في مجالات نشاط المدن والبلديات لرفع مستوى التخصصات المختلفة مع تبادل الخبرات بين المدن ومطالبة المدن الكبرى بمعاونة المدن الاخرى .
- ٣ (العناية بمتابعة تنفيذ السياسات والخطط وتوصيات المؤتمرات والندوات وتخصيص مكتب دائم لذلك ..
- ٤ (عقد اتفاقيات مع المنظمات العربية والدولية للتعاون معها في شتى المجالات ومن ذلك المنح الدراسية لمرشحي المنظمة من منسوبي المدن العربية ..
- ٥ (الاستمرار في تدعيم العلاقات مع المنظمات العالمية والاقليمية والمدن العربية ..
- ٦ (تدعيم الموارد المالية للمنظمة وصندوق تنمية المدن العربية ..
- ٧ (توفير جهاز ادارى ومالي متكامل ومتفرغ ..
- ٨ (استكمال الخطوات التنفيذية اللازمة لقيام المعهد العربي لانماء المدن ..

لقد نجحت المنظمة في تطوير نفسها وتنويع الوسائل لبلوغ اهدافها ، والفصل بين هيئاتها ومؤسساتها وتحديد اختصاصاتها ومسئولياتها وتبعية الظروف الملائمة لتؤدي كل منها المهام المنوطة بها ، وفي اطار التخصص والتكامل قام المعهد كمؤسسة علمية ثقافية استشارية اختصاصها المنظمة بالاهتمام بتغطية مجالات التدريب والبحوث والتوثيق والاستشارة ووضعها في خدمة المدن العربية ، حظي المعهد بتشجيع المنظمة ورعاية ومعاونة المملكة العربية السعودية « دولة المقر » ومنذ بدأ في استكمال مقوماته الاساسية انطلق لاداء رسالته فلم يضيع وقتا ولم يدخر جهدا ..

نظم - بمعاونة الامانة العامة - ندوة « المدينة العربية » والندوات والدورات الأخرى وغيرها من المنجزات - السابق الاشارة اليها - ، وأجرى اتصالات بأكثر من « ١٧٠ » جامعة ومعهدا ومؤسسة عربية ودولية ، واتجه الى المدن الاعضاء باستمارات استبيان لتحديد مطالبها والتعرف على مشاكلها ووضع أولويات مجال العمل بالتعاون معها ..

كما قام المعهد بالاتصال ببعض مراكز المعلومات في الوطن العربي والبلدان الاجنبية لتزويده بالمعلومات والبيانات بصفة مستمرة واشترك في عدد من الدورات العلمية وبدأت الردود تصل من أنحاء مختلفة ..

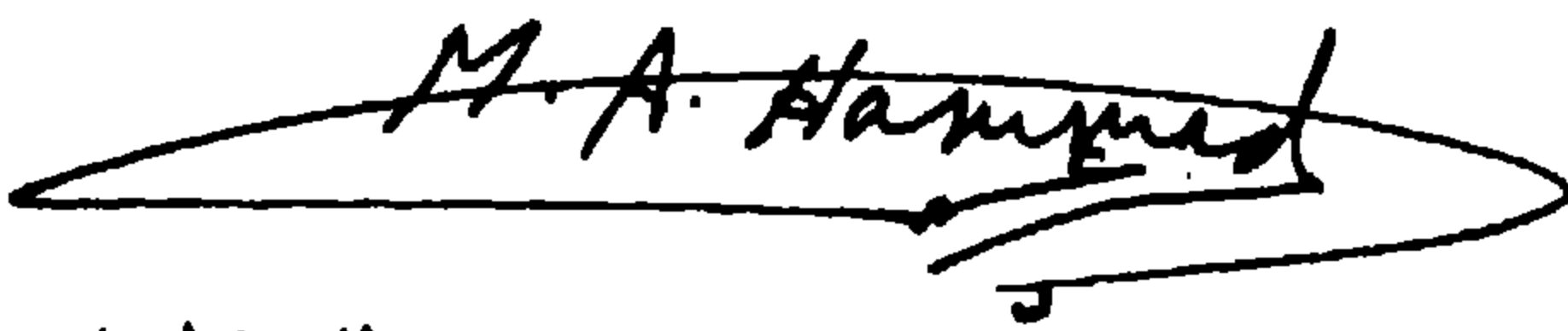
وتتجمع خيوط الخطة وعناصرها يوما بعد يوم لتشمل : -

- (١) برامج التدريب والمؤتمرات والندوات وحلقات البحث والدراسات العليا ..
- (٢) اجراء البحوث العلمية والاعداد لنشرها ..
- (٣) جمع المعلومات والوثائق وتصنيفها وتنظيمها واستخدام أحدث الاساليب لإتاحة استرجاعها عند الحاجة لتكون أساسا لمركز المعلومات عن المدن العربية ولتوضع في خدمتها ..
- (٤) دعم مكتبة المعهد المتخصصة وتزويدها بكل ما يلزم المكتبة الحديثة ..
- (٥) استكمال قوائم العلماء والخبراء والمستشارين المتعاونين مع المعهد في التخصصات المختلفة ..
- (٦) تكوين فرق عمل في التخصصات البلدية وغيرها استعدادا للاستجابة السريعة لدعوة أى من المدن الاعضاء ..
- (٧) متابعة الاتصالات بالجامعات والمعاهد والمنظمات المتخصصة...
- (٨) تقوية الروابط بالمدن العربية ودعمها ..

إنها بداية طريق طويل يحتاج الى خلاصة كل فكر ثاقب ، ونتاج كل خبرة قادرة ، وتعاون كل صاحب رأى وتجربة ، وتأزر العلماء والخبراء في مختلف التخصصات التي تدخل في نشاط المعهد . ولعل العقول العربية أولي بالألا تضمن على المعهد بما أفاء الله عليها .. لخدمة الوطن العربي من خلال العمل على رفع مستوى مدنه والحفاظ على أصالتها وتراثها وحضارتها العربية والاسلامية ..

والله سبحانه وتعالى وراء القصد وهو يهدى السبيل

مدير عام المعهد العربي لانماء المدن



د. محمد عبد الله الحماد

عن الندوة وهذا الكتاب اسماعيل سراج الدين وسمير الصادق

ندوة المدينة العربية

أهمية الندوة

ان اللقاء الذي تم بالمدينة المنورة كان لقاءً بالغ الأهمية من عدة نواح :
أولاً : أهمية الموضوع ذاته : فالعالم العربي بأسره يمر بفترة حرجة من تاريخه ، يجابه فيها التحدي الحضاري الغربي ، ولابد في أن المدينة العربية هي الساحة التي تمارس فيها معركة التغريب ، حيث انتفضت قوى ذاتية بالمجتمع العربي تنادي بالحفاظ على الأصالة الحضارية والاستمرارية في التعبير الحضاري لمجتمعنا .

ثانياً : أنه كان لقاء المفكرين والمسؤولين : ولا نريد فرض تباين وهمي ، ولكن نقصد أنه لقاء أعطى فرصة الربط بين النظرية والتطبيق ، وفرصة ادخال قيود الواقع ، مره وحلوه ، على الحلول الأكاديمية المثالية ، وصهر كل ذلك في بوتقة واحدة للخروج بما هو أجدى وأنفع .

ثالثاً : تعارف ممثلي المدن العربية : فليس باليسير على المسؤولين من شتى أنحاء العالم العربي الفسيح أن يتبادلوا الرأي مع زملائهم من كل الأقطار العربية من الخليج الى المحيط . وقد قام منظمو الندوة عامة وممثلو منظمة المدن العربية والمعهد العربي لانماء المدن خاصة بالعديد من اللقاءات التنظيمية مع مندوبي المدن العربية ، تلك اللقاءات التي وطدت أواصر الصداقة والأخوة ، وأرست قواعد التعاون وتبادل الرأي والمشورة

حصر موضوعي

لقد تشعبت الموضوعات في المناقشات بالندوة ، ولكن لتوضيح هذا الوصف من الممكن تجميع موضوعات النقاش بالندوة حول ثلاثة محاور رئيسية :

أولاً : ماهية المدينة العربية : فقد تعرض الكثيرون لمحاولة ربط مدينة الماضي بالحاضر ، وأكد آخرون على تكامل النظرة الشمولية للمدينة العربية بين مكوناتها المادية ومكوناتها المعنوية . وأكد الكثيرون على رفض الازدواجية التاريخية التي - على حد قول فرج استنبولي - جعلت من المدينة العربية الاصلية وعاء للفقراء والمعدمين وحرمت من الخدمات العمرانية الأساسية مثل المجارى والمياه واعتبرت رمزا للتأخر بينما اعتبرت الأحياء الحديثة المستغربة رمزا للدynamكية والتقدم . وقد أدى هذا الوضع المعوج الى البخس من قيمة التراث العمراني والمعماري الأصيل ، وأصبح فريسة محللة للعدوان الاقتصادي والعقارى وتعرضت القيم الأخلاقية والاجتماعية ذاتها لحملة

ان هذا الكتاب يضم مجموعة من الأبحاث التي قدمت في ندوة « المدينة العربية : خصائصها وتراثها الحضاري الاسلامي » المنعقدة بالمدينة المنورة من ٢٤ الى ٢٩ من ربيع الثاني ١٤٠١ هـ (الموافق ٢٨ فبراير الى ٥ مارس ١٩٨١م) والتي اشترك في تنظيمها منظمة المدن العربية ، المعهد العربي لانماء المدن ، ووزارة الشؤون البلدية والقروية ، واستضافتها بلدية المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية . وقد حضر الندوة ممثلو أكثر من مائتي مدينة عربية بالاضافة لما يزيد على المائة من الأساتذة والمتخصصين والمفكرين .

لقد قدمت الى الندوة عشرات من البحوث والدراسات أسهم بها العديد من الخبراء ، والمختصين ، وجرت مناقشتها في جو علمي سادته روح الأخوة الصادقة والرغبة الأكيدة في التوصل الى أنجح السبل لتحديد خصائص المدينة العربية والحفاظ على تراثها الحضاري وكنوزها الفنية والمعمارية . وقد فاق عدد وحجم هذه البحوث ما يمكن أن يتضمنه الكتاب الواحد ، ولذلك رأى المعهد العربي لانماء المدن أن ينشر بعضها ، خصوصاً الذي كان مفصلاً ومطولاً منها ، في صورة مطبوعات مستقلة حتى تأخذ حقها من التوزيع دون أن يضيق بعض فائدها في الاختصار الذي يستلزمه النشر في مثل هذا المجلد . ولا يفوت القارئ مدى ثراء هذه الندوة ، فبالرغم من أن هذا المجلد لا يحتوي على كل ماورد بالندوة من أبحاث ، إلا أننا نأمل أن نكون وفقنا أن ننقل للقارئ انطباعات عن هذا اللقاء الذي اتسم بغزارة المادة والذي تمكن من أن يجمع هذا الموضوع الواسع من اطرافه المترامية ويحقق رؤية شاملة للمدينة العربية بين ماضيها ومستقبلها ، ويوجه الأنظار الى دور التراث الحضاري الاسلامي في تكوين خصائص المدينة العربية المعاصرة .

وان الأبحاث التي قدمت ، والمناقشات التي دارت بالندوة رمت الى دراسة الملامح الرئيسية لطابع وشخصية المدينة العربية والعوامل المختلفة التي أثرت على نموها ، وعلاقة ذلك بالتراث الحضاري الاسلامي لامكان تحديد سبل تطوير وانماء المدن العربية مع ضمان الحفاظ على القيم الأساسية لهذا التراث . ومثل هذه الأهداف تعني بالضرورة التعرض لموضوعات عديدة منها : العلاقة بين التراث الحضاري الاسلامي ونمو المدينة العربية ، الملامح الأساسية لطابع وشخصية المدينة العربية ومكوناتها ، العوامل التي توجه نمو المدينة العربية ، أسس الحفاظ على التراث الحضاري الاسلامي في المدينة العربية ، والخطط والأساليب والمبادئ التي يمكن تطبيقها في المستقبل .

هذا الكتاب :

هذا الكتاب يتضمن جزءا من الأبحاث المقدمة بالندوة ، وقد ذكرنا في طيات صفحاته أسماء الأبحاث التي قدمت باللغة العربية ، بالإشارة إلى أن عددا منها سوف ينشر نشرا مستقلا فيما بعد ، ونود هنا أن نخص بالذكر الأبحاث الثلاثة الآتية :

– خصائص العمران في المدينة المنورة في عصر الرسول ﷺ
لعبد المنعم محمد حسنين

– عناية الاسلام بتخطيط المدن وعمارتها
لمحمد السيد الوكيل

– المدينة العربية التاريخية : تركيبها الاجتماعي والاقتصادي
(تطبيق : المهدي)
لمحمد الباهي

حيث ستقوم الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة بطباعة البحثين الأولين ، بينما يتم التنسيق حاليا لطباعة الأخير طباعة مستقلة .

وقد جمعنا الأبحاث التي يتضمنها هذا الكتاب في ثلاثة فصول ، يحتوي كل منها على عدد من الأقسام ، وهي :

الفصل الأول : المدينة العربية وتراثها الحضاري الاسلامي

الفصل الثاني : المدينة العربية المعاصرة بين الحاضر والمستقبل

الفصل الثالث : دراسات عن المدن العربية .

إعتذار

وثمة إعتذار نسوقه إلى السادة الباحثين .. فقد إقتضت ظروف الطبع ، من حيث الالتزام بعدد معين من الصفحات ... اللجوء إلى إختصار كثير من النصوص برغم ما نشهد لها بداية من قيمة ، وجهد علمي مبذول .. ونأمل أن يكون اعتذارنا محل القبول ..

... وشكر ...

لا يمكن أن ننهي هذا التقديم دون أن نتقدم بالشكر لمنظمة المدن العربية والمعهد العربي لائتماء المدن ووزارة الشؤون البلدية والقروية بالمملكة العربية السعودية وبلدية المدينة المنورة والذين شاركوا في هذه الندوة من ممثلي المدن العربية ومن الباحثين والعلماء المهتمين بموضوع المدينة العربية وتراثها الحضاري الاسلامي. كما أننا نود أن نشكر بعض الذين ساهموا معنا في اخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود ، ومع أنهم كثيرون ، نود أن نخص بالشكر السادة محمد مذكور ، خميس البكري ، احمد ثابت ، ريتشارد هربرت وبصفة خاصة مختار ضالح الذي ساهم بالكثير في الإخراج الفني لهذا المجلد .

... وأمل :

وختاما ، إذ نضع هذه الأبحاث بين يدي القارئ ، نرجو أن نكون وفقنا في أن نضع في متناول يده تلك المادة الثرية التي شارك بها الباحث والممارس في لقاء المدينة المنورة . وفقنا الله جميعا إلى ما فيه الخير ، والله ولي التوفيق .

ضارية من التعريب . ورأى الكثيرون أنه لا مفر من الحفاظ على التراث المعماري والعمراني المهتد في موجة التوسع الحضري والغزو الحضاري ، ورأوا في ذلك احتراما لماضيها ، وصيانة لكرامتنا وحفاظا لأمانتنا في أعناقنا وجب علينا تسلمها للأجيال القادمة . كما أكد الكثيرون على أن الحفاظ على التراث يجب أن يتعدى المفهوم المتحفى الضيق الذي يقضى بحماية الأثر ، بل وحماية واستمرارية القيم الحضارية التي أفرزت هذا التراث الأصيل . ونؤكد هنا على أن المقصود هو حماية استمرارية القيم الحضارية الاصيلية وليس أوضاع اقتصادية واجتماعية وتكنولوجية سادت في مدن علمنا العربي منذ قرون . ان الانغلاق عن المد الحضاري العالمي لا يمكن الا أن يكون اختناقا لقدرات الشعوب وملكاتنا الخلاقة .

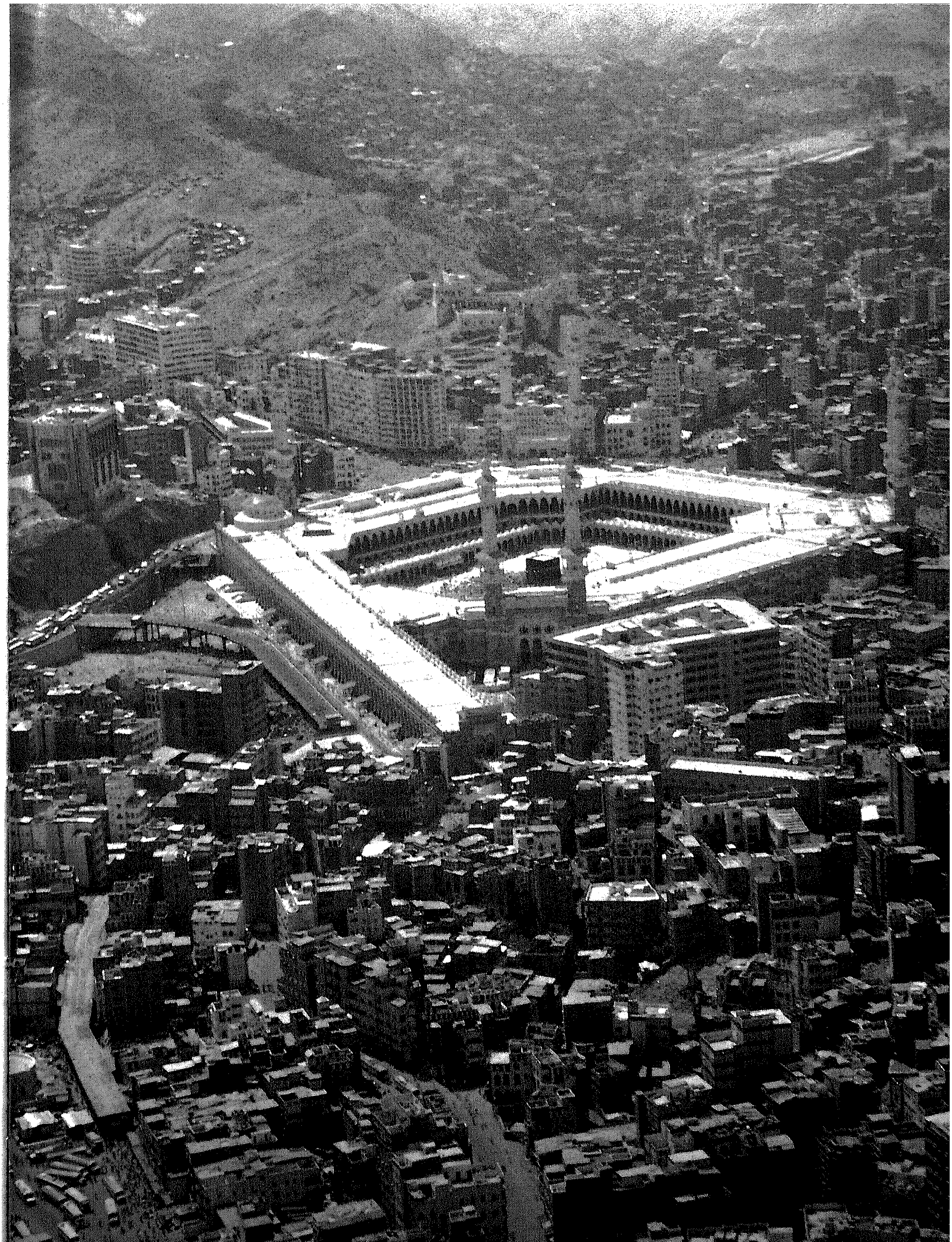
ثانيا : المشاكل الآتية للمدينة العربية : حيث تعاني المدينة المعاصرة من الازدحام السكاني ، والاختناق المروري ، وأزمة السكن المناسب ، الى آخرة من المشاكل العمرانية وليدة التخلف والاستعمار والتي تفاقمت نتيجة للانفجار الديموغرافي الذي اجتاحت العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، أعيت الجهود المخلصة لمعالجتها بالتقنيات والأساليب التخطيطية المتفاوتة . وقد تعرض الكثيرون لأوجه مختلفة من أزمة المدينة العربية المعاصرة ، بما في ذلك دراسات اجتماعية لمسببات التحول في المدينة العربية وتأثير ذلك على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ومردودها على البيئة والنسيج العمراني عامة والتعبير المعماري خاصة . وقد أثرت هذه المناقشات العديد من الدراسات الموضوعية لحالات خاصة Case Studies أكملت الحديث النظري بالواقع الملموس ، وربطت التعميم بالتخصيص فزادته وضوحا وموضوعية .

ثالثا : الحلول المقترحة : من الجدير بالذكر أن الكثيرون من الحاضرين رأوا أن المدخل السليم للتوصل لحلول مناسبة لمعالجة مقتضيات هذا المنعطف الحضاري الحرج ، هو الاتجاه نحو الفكر وتأصيله وأكدوا على دور التعليم السليم في تكوين الممارسين والمخططين ، كما شاركهم آخرون في التأكيد على دور المؤسسات في تكوين الأطر المناسبة المحددة للمسئوليات بما في ذلك ضبط أسلوب العمل ، وتحديد أسس ممارسة المهنة .

واتسعت قاعدة الاتفاق على أهمية التجربة كوسيلة لاستلهام الحلول المناسبة ، ورأى البعض ربط ذلك بما ورد في مناقشة ماهية المدينة العربية ، ومن ثم ذهبوا الى أن مستقبل المدينة العربية مرهون بمقدرة المخططين والممارسين العرب لأن يتصدوا لتيار التعريب الجارف ، وأن يستعيدوا من ماضيهم العريق أصول التخطيط والمعمار العربي الاسلامي ، وأن يستلهموا من الماضي صيغا آتية قادرة على مجابهة تحديات المستقبل ، واستعادة المدينة العربية وحدتها العضوية ، ومن ثم كان كسر الانقسام الحضاري هو الخطوة الأولى نحو تحقيق ميلاد جديد للمدينة العربية .

التوصيات

وقد نتج عن هذا الحوار العديد من التوصيات التي أصدرت باللغتين العربية والانجليزية ، وطبعت في كتيبات مستقلة ووزعت على المسفولين . وقد تناولت التوصيات : أولا : الحفاظ على التراث الحضاري الاسلامي للمدن العربية ، ثانيا : مشاكل المدينة العربية المعاصرة ، وثالثا : المعهد العربي لائتماء المدن حيث عقد المجتمعون آمالهم على المعهد لمتابعة تنفيذ العديد من التوصيات التي تمخضت عن هذا اللقاء العظيم .



الفصل الأول

المدينة العربية وتراثها الحضارى الإسلامى

يحتوى هذا الفصل على أربعة أقسام ، تتناول بتسلسل الموضوعات التالية :

أولا : مفهوم المدينة :

ومن مراجعة هذه الموضوعات بات جليا أن التراث الحضارى الإسلامى ليس موضوع المؤرخين واهتمام المتخصصين فى شئون المتاحف ، إنما التراث الحضارى الإسلامى الركيزة التى يجب أن يستند عليها كل تحرك وإع هادف الى تطوير المدينة العربية المعاصرة لتحقيق الوفاق المرموق بين البيئة والمجتمع وبين القديم والجديد .

ليست المدينة مجموعة من المنشآت والمباني والطرق فحسب ، كما أنها ليست مجرد تجمع من البشر فى مكان جغرافى واحد ، ولكن المدينة عبارة عن تفاعل حقيقى بين الانسان والانسان ، وبين الانسان والمكان . ولا يتم هذا التفاعل فى فراغ بل تحكمه أطر فكرية وتكنولوجية تعبر عن صيرورة تاريخية لذلك المجتمع وهذا المكان .

ثانيا : المدينة والتراث :

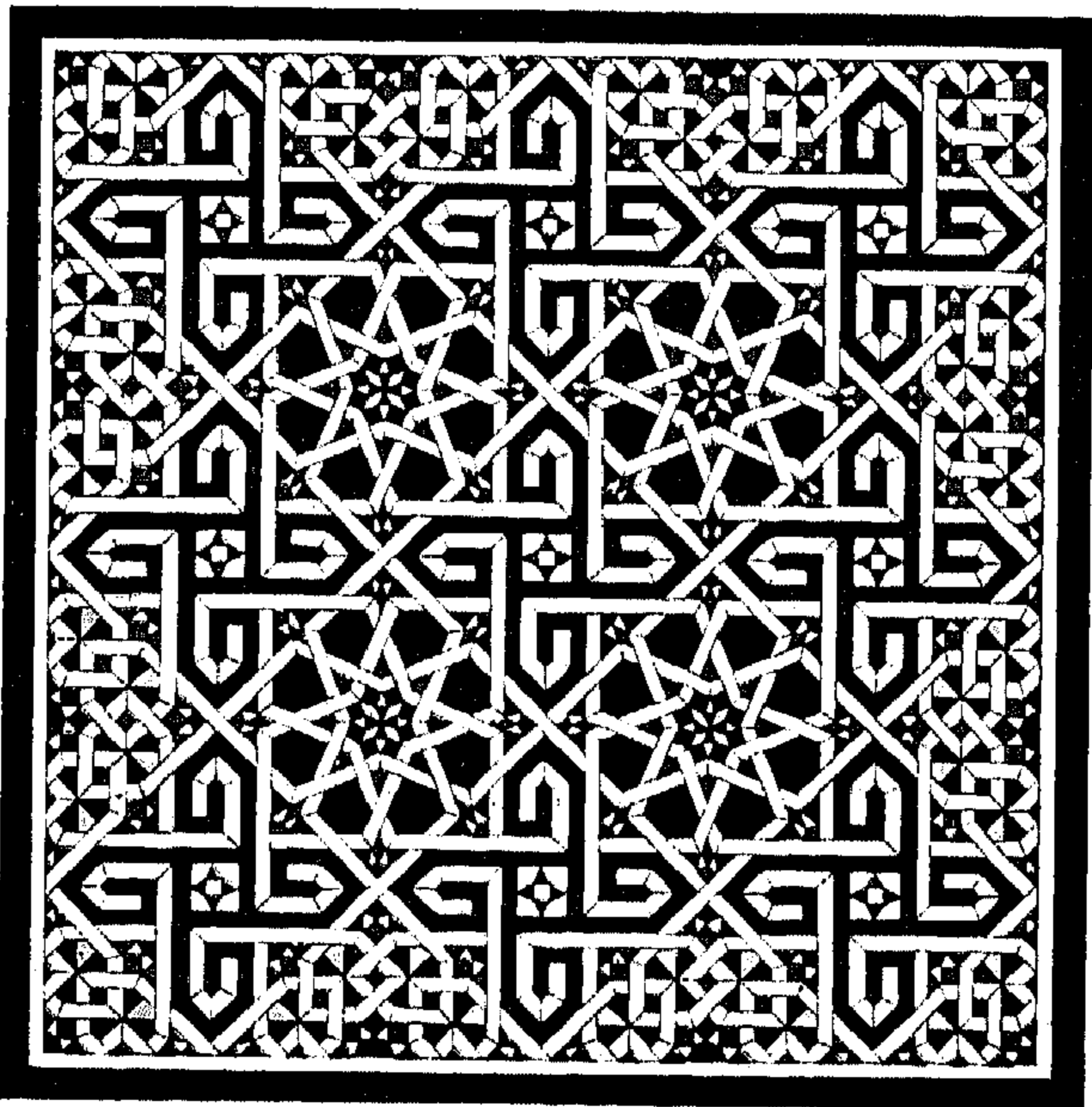
انطلاقا من هذه الصيرورة التاريخية ، كان للتراث دور جوهري فى تحديد ماهية الحاضر واتجاهات التطور فى المستقبل . ولذا وجب على المفكرين والمسؤولين بالمدن العربية أن يعمقوا نظرتهم للتراث باعتباره أكثر من مبان بالية خلفتها لنا أجيال سابقة ، فهذه النظرة المتحفية القاصرة إنما تمهد لاقتلاع الحاضر من جذوره وتجهز الأرض الخصبة لحملة التغريب العاتية . بينما الفهم الواعى للتراث هو الأساس لتأصيل الجديد وتطوير الحاضر .

ثالثا : المدينة التاريخية :

اذا انتقلنا من دراسة التراث بمفهومه الواسع ومن التحدث عن دوره فى تكوين المناخ الفكرى المناسب للتفاعل مع الواقع ، وجب علينا تعميق تلك المفاهيم بالعودة الى المدينة العربية التاريخية ، وتفهم جذورها وأصوبها ، فالمدن المعاصرة وليدة التطور التاريخى ولايجوز الفصل بين الماضى والحاضر وكأن صفحة التاريخ تطوى والاستمرارية الحضارية تنقطع . بل إن محاولة تفهم المدينة التاريخية إنما يظهر مدلول التراث المعمارى فى اطار التراث الحضارى .

رابعا : حول حماية التراث :

مما لاشك فيه أن التراث المعمارى والعمرالى للمدن العربية مهدد بالتبديد والضياع . ومن ثم كان على كل من تصدى للعمل فى هذا الميدان أن يعطى ماعنده فى تحديد كيفية حماية هذا التراث حتى يتسنى لنا أن نحافظ على شخصية مدننا وذاتية حضارتنا .



رسم هندسي من الفن العربي

القسم الأول

مفهوم المدينة

وأقرب البعثان المدرجان في هذا القسم لتكملة هذه الرؤية التاريخية الفلسفية فيكتب حسن حنفي باختصار عن فلسفة المكان مؤكداً أن المدينة الإسلامية لقاء بين الزمان والمكان ، لقاء يتم بناء للتصور الإسلامي للعالم في هذا الزمان بعينه .

أما اسماعيل سراج الدين فيحاول أن يحدد حقيقة المدينة العربية وتراثها الحضاري الإسلامي بين المكونات المادية والمقومات المعنوية ، مؤكداً أنه لا يمكن التفريق بين المادي والمعنوي لأن الأول مرآة الثاني ووعاؤه .

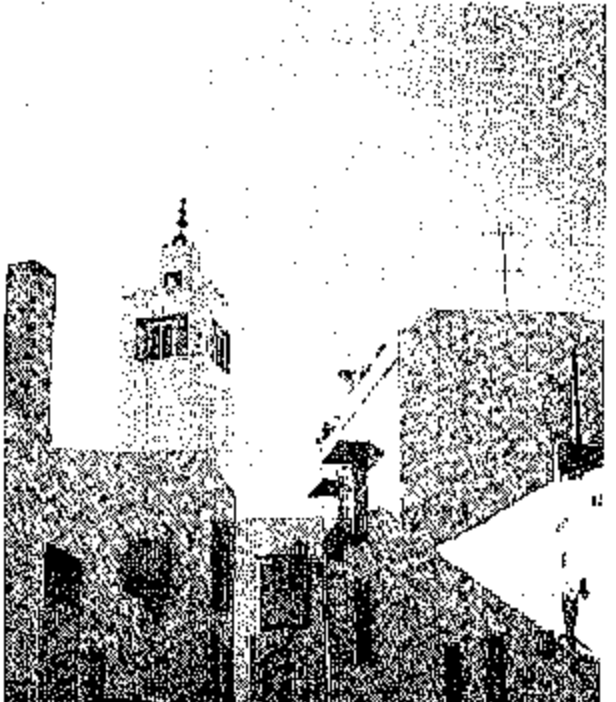
ان المدينة العربية تستمد ماهيتها من مفهوم حضاري للمكان ، ومن تطور تاريخي للعمارة ، ومن صيغة معينة لتعامل الانسان مع الانسان ومجتمعها في المقام الأول الحضارة الإسلامية في تطبيق المفاهيم الإسلامية على واقع البيئة العربية والأمصار المفتوحة التي اكتسبت التعريف . وقد كتب محمد أركون* عن مفهوم المدينة في إطار الحضارة الإسلامية ، مؤكداً أن هناك ضرورة واضحة للتوجيه التاريخي للفكر العربي المعاصر ، وملوحا بالوضوح بين التاريخية والأسطورية ، ومحددا لتيارين فكريين هما :

- ١ - التيار الداعي الى الجواز « المدينة الفاضلة » في هذه الحياة الدنيا ليسر جميع الناس نحو النجاة والسعادة القصوى .
- ٢ - التيار المراعي للمدينة التاريخية ، أي الحياة الواقعية في المجتمع الحضري والبدوي والريفي ، حتى يتوصل الى تفهم اسرار الحياة الاجتماعية ثم اصلاح مالا يستقيم في هذه الحياة .

* راجع محمد أركون « مفهوما المدينة الفاضلة والمدينة التاريخية في الفكر العربي » في ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٦) للبحث سوف ينشر مستقلاً فيما بعد .



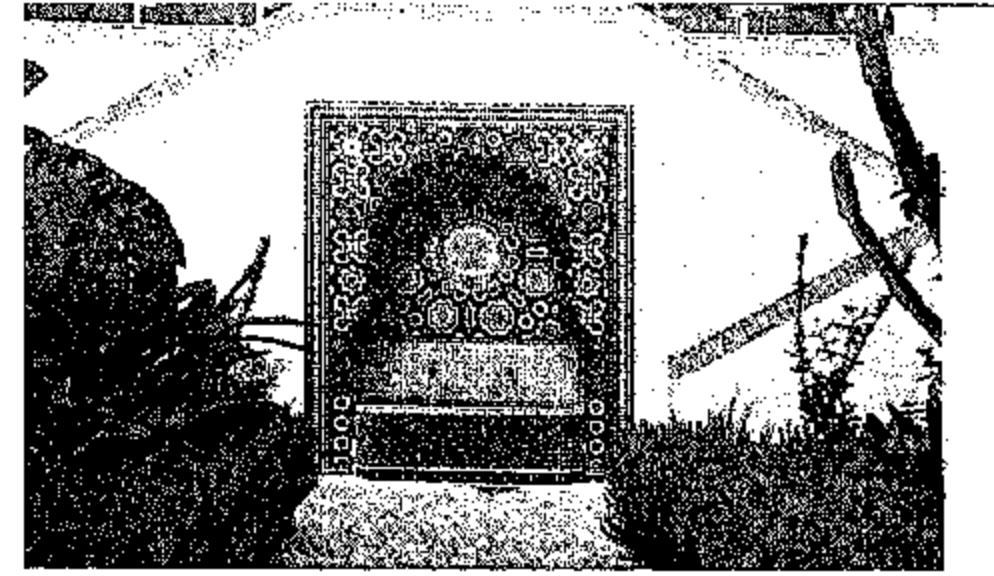
١٦ مدخل مدينة فاس



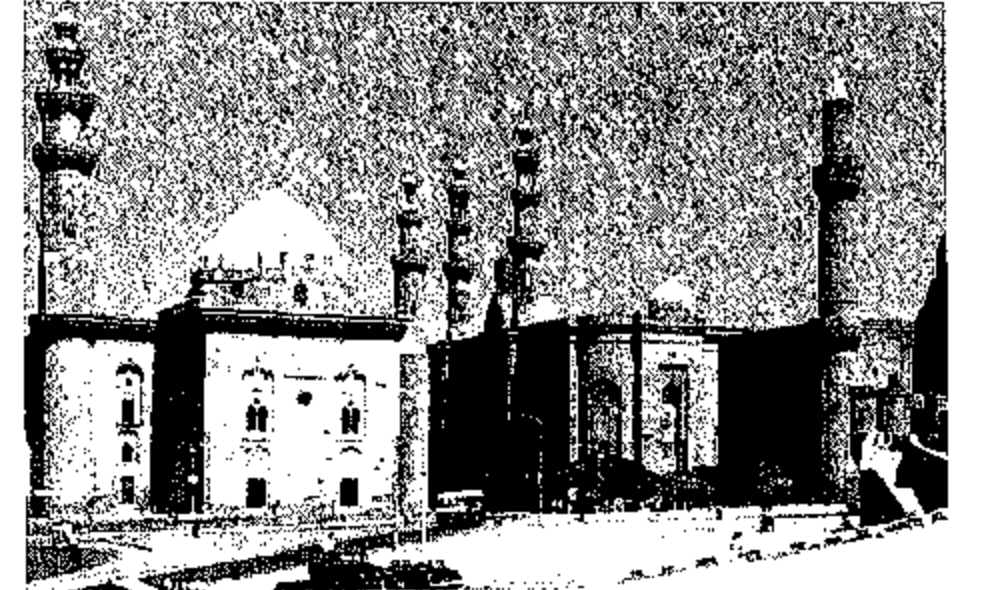
١٧ سيدي بو سعيد - تونس



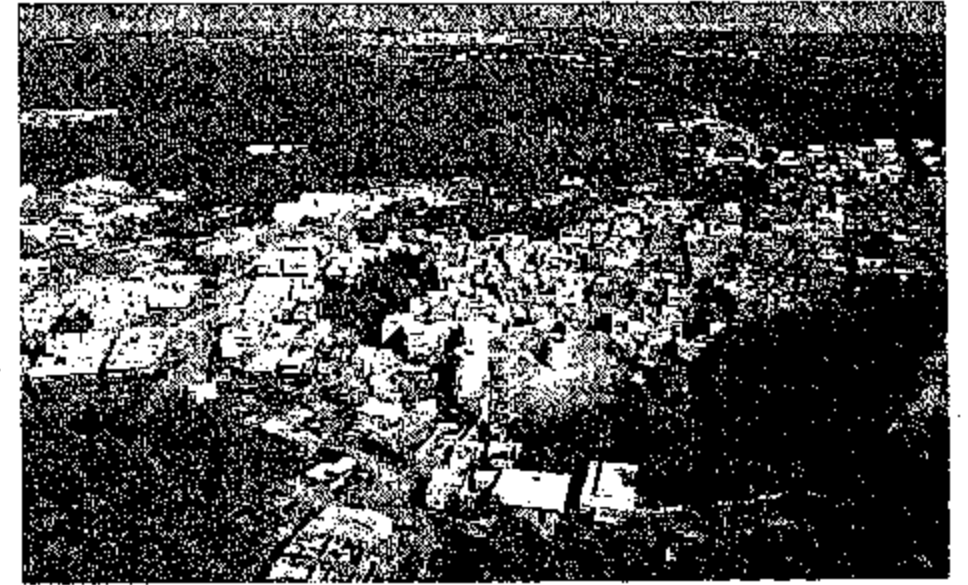
١٣ مكناس



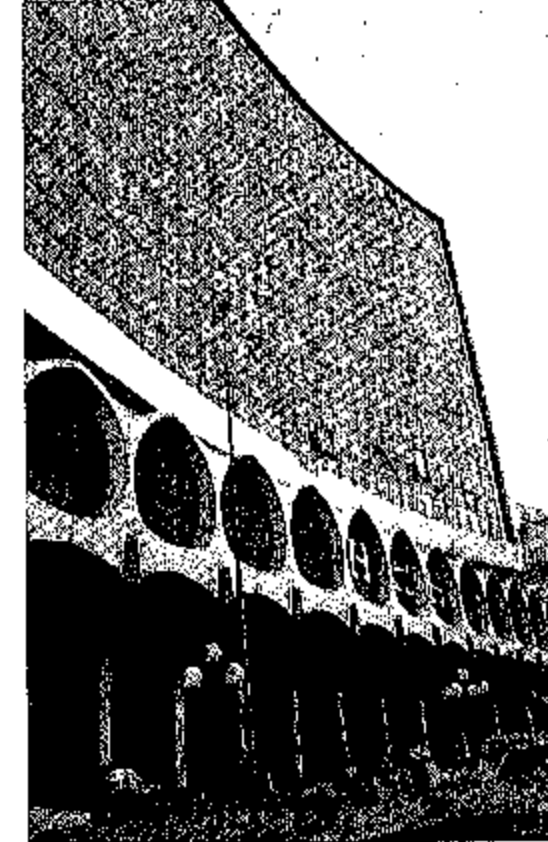
٩ حديقة بغندق قصر الجماعي - فاس



١٠ مدرسة السلطان حسن ومجسد الرفاعي - القاهرة



١١ قلعة ومدينة شاروت من الجو - السعودية



١٤ عمارة الملكة - جدة



١٢ منظر من المغرب

١٥ منظر جوي للجزائر

فلسفة المكان

حسن حنفي



المدينة الاسلامية لقاء بين المكان والزمان . واختيار المكان لا يتم عشوائيا بل طبقا لمواصفات للبقعة التي يستقر فيها البشر والتي تخدم اغراضهم ومقاصدهم والتي تجسد تصوراتهم للعالم . فالمكان ذاته لقاء بين الطبيعة والفكر ، بين المساحة والتصور ، بين الامتداد والرؤية . ولما كان وضع الانسان في العالم كما حدده الاسلام انه سيد الكون ، وخليفه الله في الأرض ، كل شيء مسخر له ، فإن اختيار المكان يتحدد طبقا لهذا التصور في أواسط البقاع للسيطرة والاشراف على الاطراف ، كما هو الحال في العواصم أو على الاطراف للدفاع كما هو الحال في الثغور ، أو على السواحل للدفاع عن الشواطئ ، كما هو الحال في المرافئ .

ويتم بناء المدينة ايضا طبقا للتصور الاسلامي للعالم ، محورها ومركزها المسجد الكبير ، مسجد المدينة الذي به يخطب الامام ويوجه الامة ويرعى مصالحها . وبه وحوله المدارس ودور المعلم ومساكن الطلاب ، والمكتبات . وحولها وسط المدينة من أسواق وحمامات ومرافق عامة . فالمدينة لها قلب وأطراف ، مركز ودوائر ، وفي المركز أيضا دور القضاء ، وحكم المدينة ويتم البناء طبقا للطبيعة التي أبدع الله صنعها من أرض خضراء ، وماء ، وهواء ، وبالتالي تنشأ ضمن الدار ، قطعة من الطبيعة وامتداد لها ، كما نشأت اساليب التهوية الطبيعية ، وغابات النخيل في صورة أعمدة لانهائية في العدد كالنخيل الباسقات والفن الاسلامي العري يعبر بوحداته الصغيرة اللامتناهية عن اللامتناهي وعن التوحيد .

ولكن المدينة أيضا موجودة في الزمان ، في عصر بعينه ، وفي التاريخ . يتم التوسع فيها بناء على نفس التصور للعالم مادام التصور مازال موجودا عند الاجيال المتعاقبة . ولا حرج في البناء على بقايا البنايات القديمة التي تعبر عن تصور آخر للعالم ، فليست الحضارات متاحف متوازنة بل يكمل بعضها بعضا ويحتوي الاكثر امتدادا الأقل امتدادا . ولا تمتد القطيعة في التاريخ الا بعد ان يغيب التصور الاسلامي ويطنغي عليه أو يحل محله التصور الاجنبي عن تقليد وتبعية ، وهنا يقع الانفصال في الزمان كما يحدث الخلط في المكان وتنشأ التجمعات والابنية المزروعة من بيعة الى بيعة اخرى فيثبت التفریب ويقوى الانفصال ، ولا يرتبط بالتصور القديم الا هوة الفن من الفقراء أو بناء القصور من الاغنياء .

المدينة العربية وتراثها الحضارى الاسلامى بين المكونات المادية والمقومات المعنوية

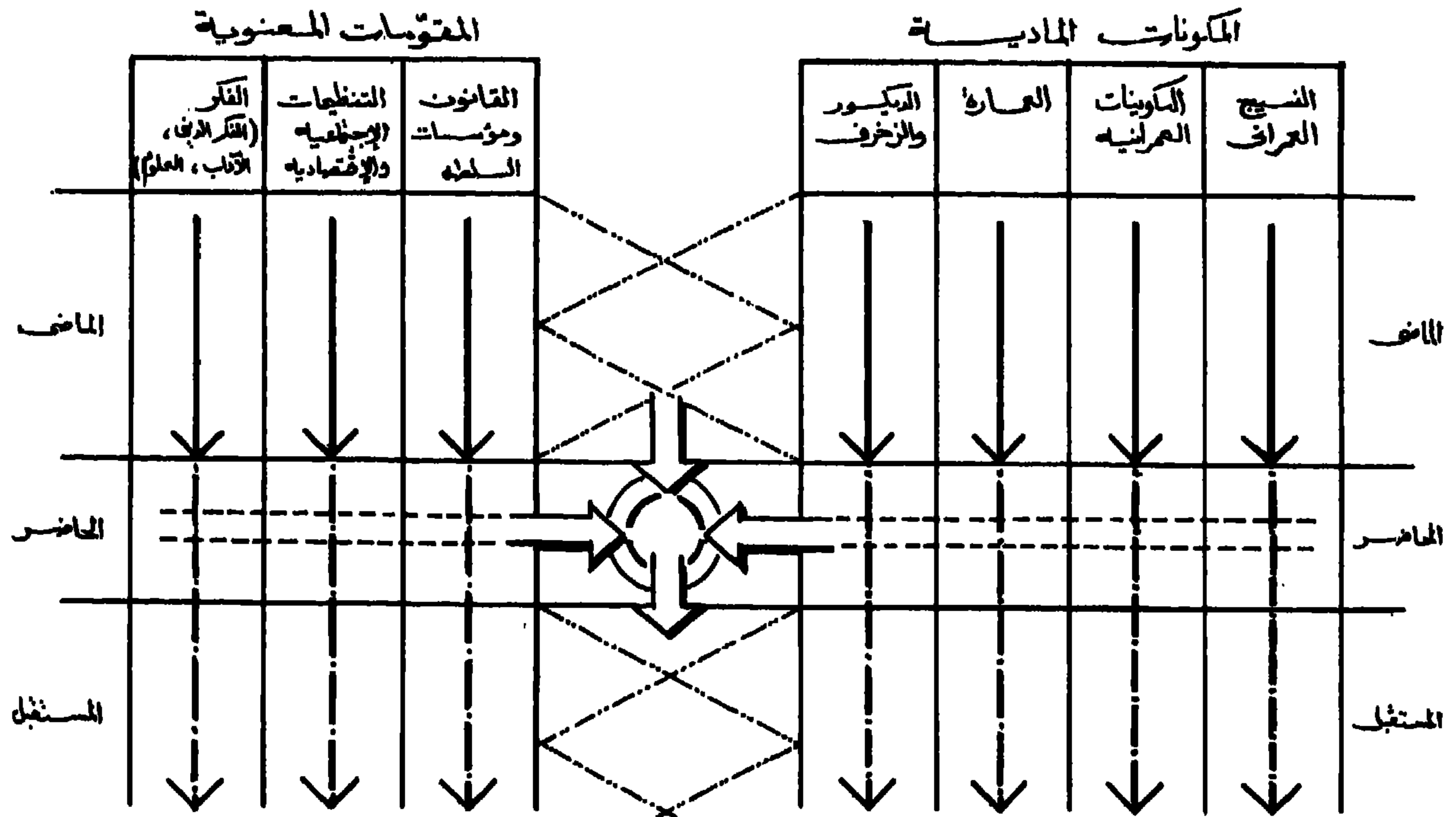
إسماعيل سراج الدين

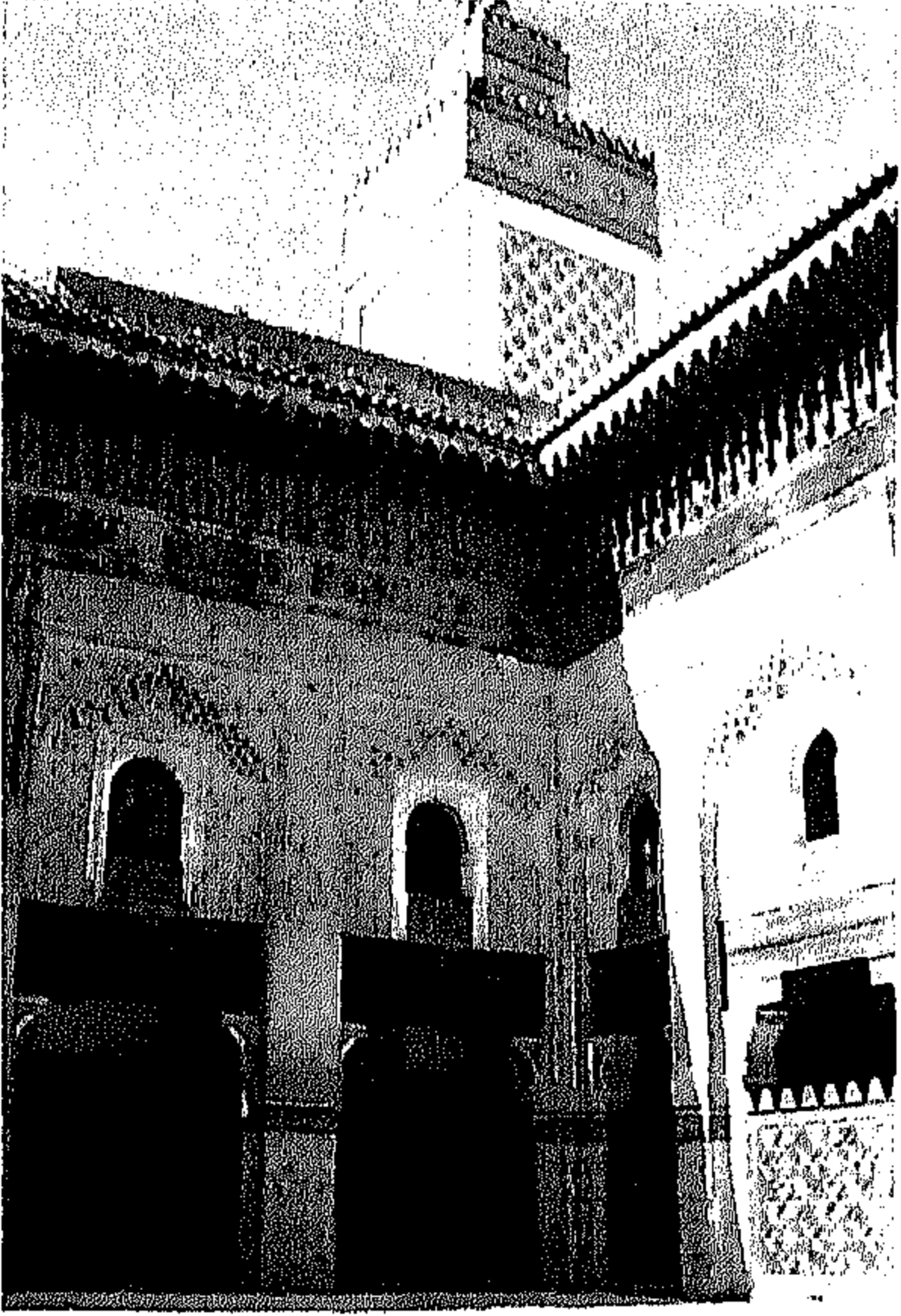
إذا سلمنا بأن الأصالة والتجديد وجهان لنفس العملة ، بات ضرورياً أن نفهم ماهية المدينة العربية اليوم ، بخصائصها ومشاكلها وواقعها المر والحلو على السواء . كما بات ضرورياً أن نفهم المقومات المعنوية لتراثها الحضارى الاسلامى بالإضافة للمكونات المادية لهذا التراث من عمارة وآثار وزخرف وابداع انساني يكون في مجمله هذا النسيج العمرانى الفريد الذى عجز المحدثون عن محاكاته . وهنا كان ضرورياً أن نتعرف على المدينة الملموسة ، بمكوناتها المادية التى تتدرج مقياساً من الطابع العام للنسيج العمرانى الى مجموعات المباني والهيكلى العام للمدينة الى عمارة المبنى الواحد ، الى زخرفة ونقوش ونتاج الفنون الأخرى . ثم أن نربط بين هذه المدينة الملموسة المادية ، التى تكون الوعاء المادى لنشاطات مجتمعنا الحيوى ، وبين المقومات المعنوية للمجتمع العربى الاسلامى الذى يسكن هذه المدينة ويشكلها ويتشكل بها .

أما المكونات المادية للمدينة ، فيمكن أن نحددها من منطلق مقياسها الفعلى ، فبدأ بادية ذى بدء بالنسيج العمرانى الذى نعرف أنه يطرح علينا نماذج متباينة بين المدينة الاسلامية بتكوينها العضوى المتناسك وبين

لم يشهد العالم طفرة عمرانية شاملة كالتى تمر بها مدن العالم العربى اليوم وجدير بنا اذا نجابه مشاكل اليوم والغد ، أن نطمع فى الحفاظ على استمرارية تراثنا الحضارى الاسلامى ، وحماية ماخلفته لنا أجيال سابقة من الارث المادى والمعنوى . ومن ثم كان المنطلق الأساسى لهذا البحث ، بل هذه الندوة ، هو الربط بين الماضى والمستقبل ، باعتبار كينونة الحاضر حلقة فى تيار مستمر لاينقطع . فماضينا الحضارى جزء منا ، ولايمكن ان نزنو لمستقبل بدون تلك الاستمرارية الحضارية المكونة للشخصية ، المحددة للذات . ولذا نجد عبر التاريخ كله ، ان الحلول الناجحة والأساليب والخطط الموقفة ليست هى التى وامت مشاكل الواقع الذى جابهته والبيئة التى نمت فيها وحسب ، ولكنها هى التى تعدت ذلك وأتت بالجديد الأصيل ، رافضة الاستسهال والاستيراد .

ان الربط بين الماضى والمستقبل هو مهمة المهندس والمخطط والعالم والمواطن ، كل فى مكانه ، فلا بد من التغيير لأن التثبيت بالماضى ورفض الجديد هو استسلام لانتحار بطنى . ولا بد من الأصالة لأن التجديد بدون تأصيل هو تحبط فى الضياع .





٣٠ منظر لمدينة فاس

المدينة العربية بتنظيمها الهندسي الجامد حيث اتسقت الأولى مع الانسان ،
بينما انقادت الثانية لتأثير الآلة .

ثم تنتقل خطوة أخرى الى التكوينات العمرانية ، وهي تلك العناصر
الأساسية التي تحدد معالم المدينة والتي يخطط منها واليها ، فهي بمثابة
الوحدات التكوينية للهيكل العمراني . ومن تراثنا العربي الاسلامي ، كان
المسجد والسوق وأحيانا القلعة أو دار الامارة هي التكوينات العمرانية
الأساسية ، ثم تليها التكوينات الثانوية مثل التجمعات السكنانية في
الحارات والرباع .

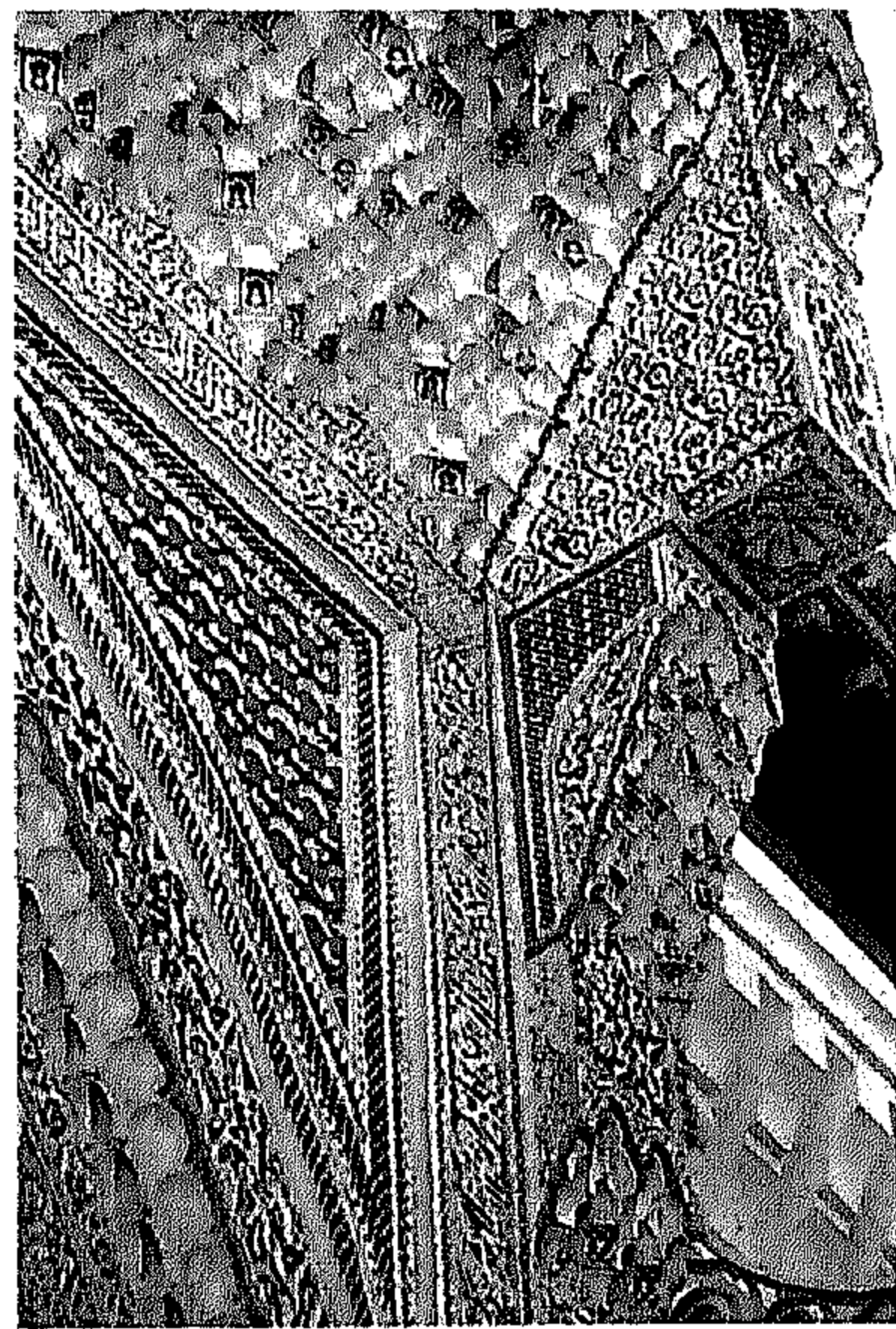
ثم تنتقل خطوة اخرى فنصل الى العمارة ذاتها بما في ذلك مجموعات من
المباني أو المبنى الواحد المنفصل . ولايفوتنا ذكر أنها عمارة اتسقت مع البيئة
والمناخ من جهة واتفقت مع أسلوب الحياة الاسلامية من جهة أخرى .
وأغلب هذه المكونات المعمارية لا تحتاج الى التعريف . يكفيننا القول أنها
ضربت مثلا في جمال النسب والابتكار الخلاق يتباين تماما مع الالتزام
الهندسي الأعمى الذي طغى على كثير من العمارة الأوروبية الكلاسيكية ،
الذي نصب السيمتريه الهندسية فوق كل شيء متجاهلا حقيقة أن العمارة
الناجحة هي التي تربط بين الوظيفة والجمال .

ثم تنتقل من هذا المجال الى الديكور والزخرف ، ولا حاجة لنا أن نزيد عما
قاله المستشرقون في انبهارهم بالانجازات الفنية الرفيعة التي طوعت المادة
لأقصى حدودها وأثرت التراث الحضاري الفني العالمي بوافر العطاء .

هذه اذن هي المكونات المادية للمدينة العربية ، وهي التي تحدد الاطار
المادى الذي تتم فيه المعاملات بين الأفراد ، وهذه الأخيرة هي المضمون



٢٢ شارع مغطى - فاس



٢١ تفاصيل معمارية - فاس

الحقيقي للحياة الحضرية ، ومن الجدير بنا أن نقف وقفة تمحيص لمقوماتها الأساسية .

ان المقومات المعنوية للمدينة العربية الاسلامية تدور حول محاور ثلاثة نعتبرها محاور رئيسية للتطور المعنوي للمجتمع الحضري . المحور الأول هو القانون ومؤسسات السلطة ، هذا المحور هو الذي ينظم المعاملات بين الأفراد ، ويتحكم في الأرض وتقسيمها ، ويربط استعمالها ، الى غير ذلك من التطبيقات . والمحور الثاني هو المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي تمخضت عن تطور المجتمع العربي الاسلامي عبر القرون ، فرأينا آثارها التخطيطية في ظهور أحياء وحارات معينة مثل « حارة النحاسين » و « الصاغة » وغيرها . أما المحور الثالث ، فهو ما يمكن أن نسميه الفكر وتطوره وهو في تفاعل جدلي مع كل شيء آخر رسمناه في هذا التصور من مكونات مادية أو مقومات معنوية . وللفكر روافده ، أهمها ثقافيا في المجتمع الاسلامي هو الفكر الديني ، ثم ما ينتج هذا المجتمع في الميادين المختلفة من الفنون والعلوم .

الترباط والتطور :

لا يخفى علينا أن هناك ترباطا واضحا بين المكونات المادية للمدينة ومقوماتها

المعنوية . فالأولى مرآة الثانية في أغلب الاحيان فالنتاج المادي هو نتاج فكر المجتمع وابداع الانسان ، ولا يمكن أن يكون أصيلا الا اذا كان كذلك .

ولكن المهم هو أننا كثيرا ما نظرنا الى كل من هذه المكونات المادية والمقومات المعنوية على حدة . وقام المتخصصون بدراسة تطوره في انغلاق فكري ونظرة احادية . ولم ينظر الى هذا التداخل والتفاعل الا فيما ندر .

وبهنا أن نعترف أننا نقف اليوم عند ملتقى الماضي بالمستقبل ، ومن هذا المركز الحيوي ، أمامنا مهمة شاقة وهامة ، ألا وهي أن نربط بين الماضي والحاضر لكل من هذه المكونات والمقومات حتى لانأق بما يحدث انفصاما فكريا وخطا حضاريا وبالتالي وجب علينا أن نتخذ هذه النظرة الشمولية التي تحدثنا عنها ، التي تربط بين المهندس والاجتماعي والمحامي والفقيه والاقتصادي وغيرهم ، كل يعطى عطاءه في سبيل الهدف المشترك .

ان هذه النظرة الشمولية للمدينة العربية وتراثها الحضاري الاسلامي هي الوحيدة الكفيلة لتحقيق الرؤية الشاملة للمجتمع ومدنه ومدنيته تلك الرؤية التي تتطلبها جسامه المسؤولة الملقاة على عاتق المفكرين والمخططين والمهندسين العرب في هذا المنعطف التاريخي الحاسم الذي يجابه أمتنا في مطلع قرننا الخامس عشر .



٢٣ مكة المكرمة من الجو

القسم الثاني المدينة والتميراث

ثانيا : صباح محمود محمد الذي يتحدث عن التراث المعماري العربي الإسلامي وسبل صيائه ، ويأتى ذلك مكملا لما ورد في البحث السابق ، مؤكدا على شخصية المدينة العربية وخصائصها .

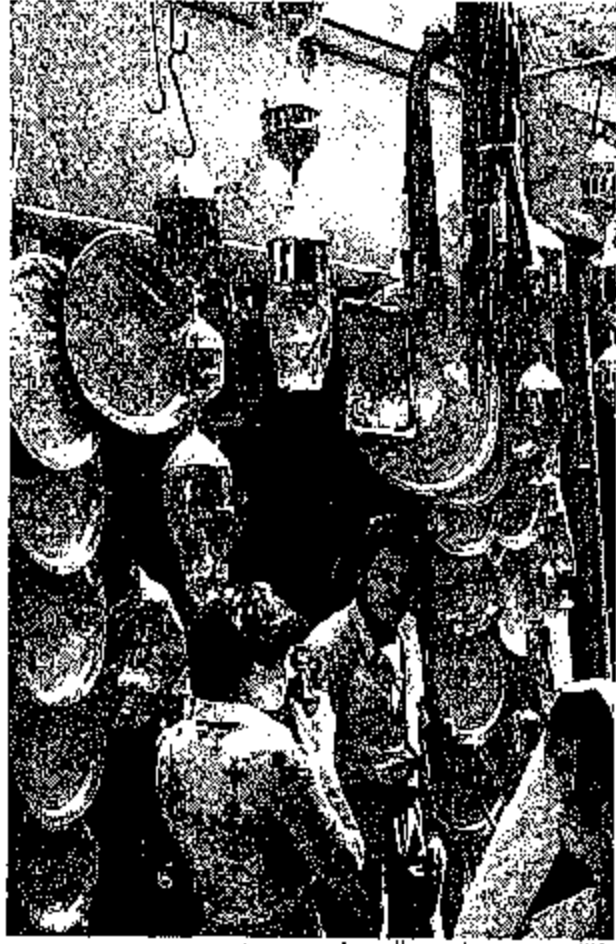
ثالثا : محمود حمدي ، الذي يكتب عن السبيل الى الحفاظ على الخصائص الأصيلة للمدينة العربية، حيث ينتهي الى بعض التوصيات المحددة التي يراها أساسا لتحريك المستقبل في هذا المضمار .

بعد التعرف على مفهوم المدينة بات ضروريا توضيح مفهوم التراث ، وهو مشتق لغة من الإرث ، أى ما خلفه الأولون للأخريين ، ما يرثه الخلف عن السلف .

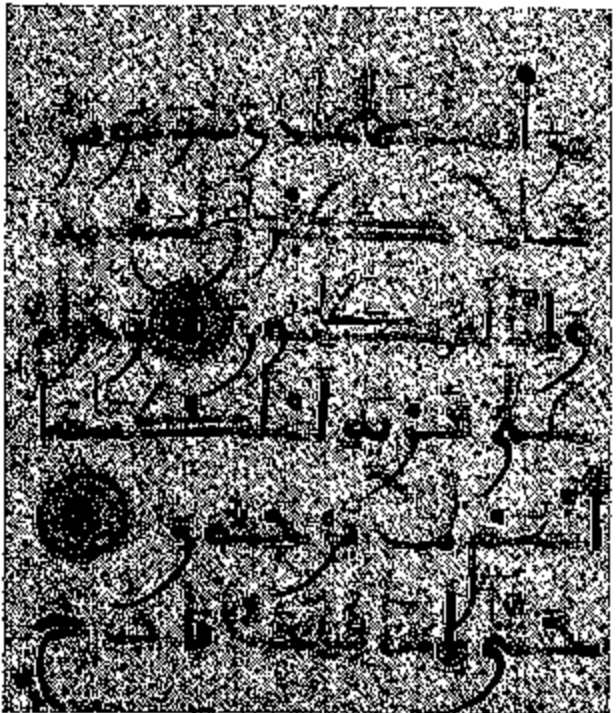
ومن هذا المنطلق واضح أن التراث هنا لايعنى فقط تلك المباني والمنشآت التي أقامها اجدادنا في المدن العربية ولكنه يعنى أيضا الاطار الفكرى والنظام الاجتماعى (المتطور) الذى يستند الى الاسلام ، ومنه نرى أن التراث الحضارى الاسلامى للمدينة العربية تراث حى متطور يعتبر تفهمه هو المدخل الحقيقى للحفاظ على شخصية المدن العربية ذاتها في وجه توسعها العمرانى السريع .

وفي هذا القسم يتعرض ثلاثة كتاب لذلك الموضوع .

أولا : حسن الششتاوى الذى يرى المدينة العربية بين الدعوات الثلاث : السلفية والمعاصرة والمتحفظة ، ينادى فيها بالحفظ ألا يستمر الخاصة في البحث والتقيب والمناقشة بينا يزداد العامة انغماسا في التغريب .



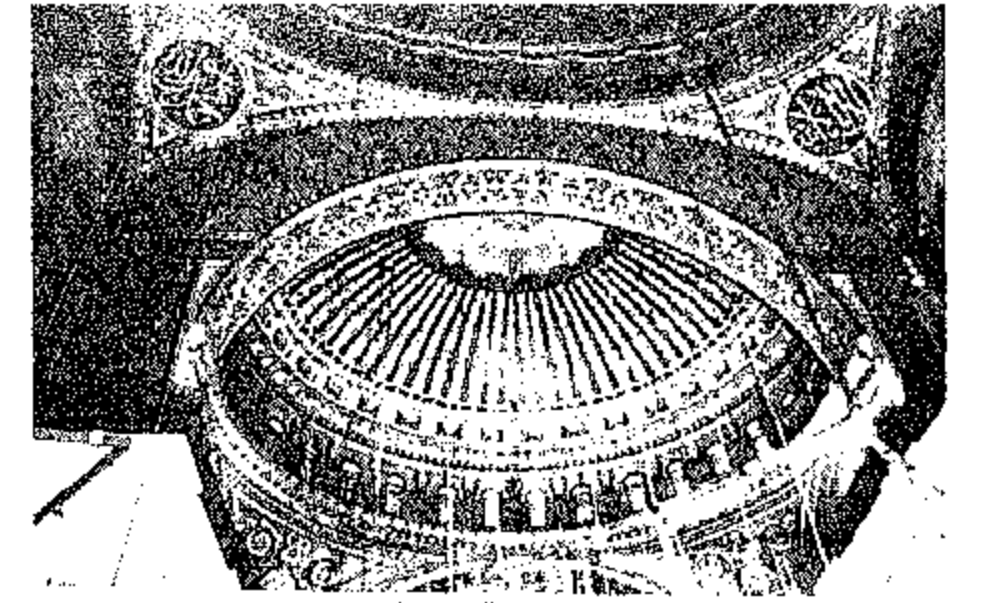
٣١ تاجر النحاس بتونس



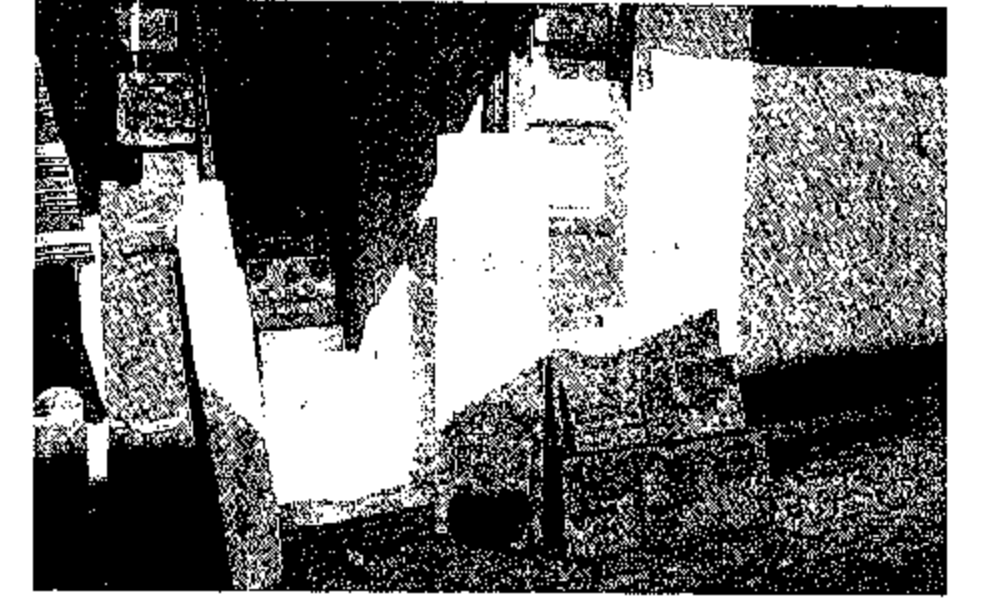
٣٢ مخطوط مصحف قديم - قاس



٢٧ منظر من مدينة قاس



٢٤ قبة جامع محمد علي بالقاهرة



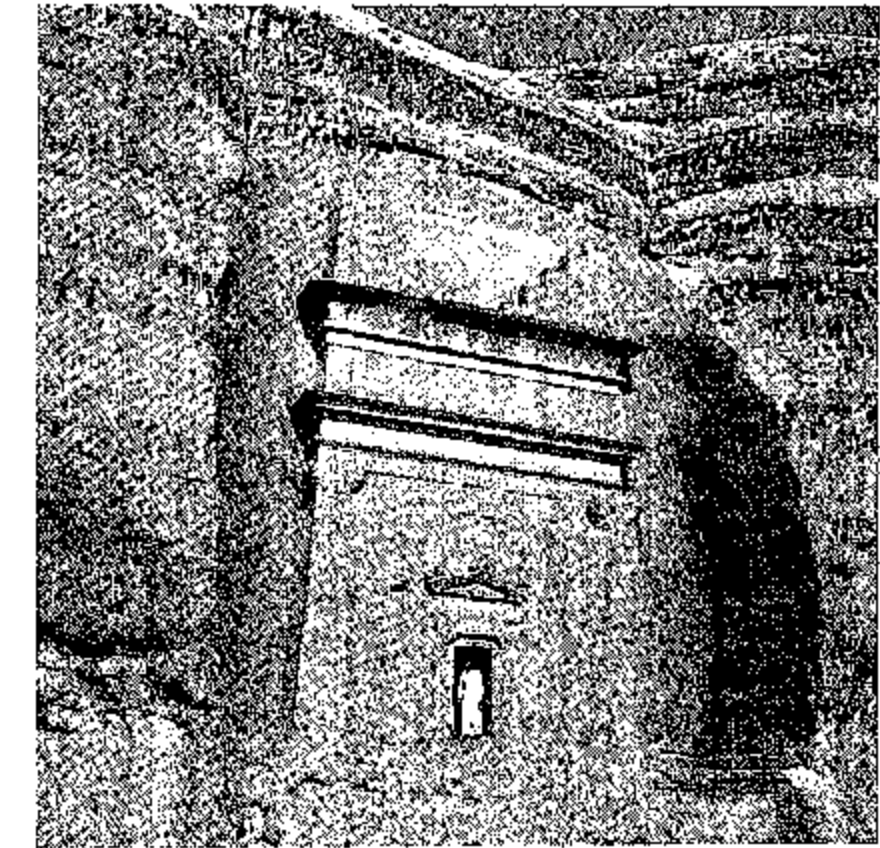
٢٥ شجاج حرف الرخام - قاس القديمة



٢٦ احد القصور القديمة بالرياح



٢٩ عامل ماهر من سوريا



٢٨ قبين شيطي من مدائن صالح

٣٠ الحرم ومكة المكرمة من الجو

المدينة العربية بين الدعوات الثلاث : السلفية والمعاصرة والمتحفظة

حسن الششتاوى حسن

مقدمة :

المدينة العربية كما كانت :

من المسجد يرتفع صوت المؤذن خمس مرات يوميا وتتجه القلوب الى الله في هدوء وطمأنينة وتتجه الشوارع الى المسجد ومنها الى الحارات المغلقة وتؤدي الشوارع الى البوابات الضخمة للمدينة وينساب الماء الضرورى للطهارة في المساجد والبيوت وتتوزع الاسواق والبازار والحوانيت وورش الصناعات الخفيفة مقسمة حسب نوعياتها وتتوافر لاعراض التجارة القيصريات والخان والوكالات . ويشكل البدو الرحل العنصر المتغير في التركيبة الاجتماعية وانقسم وقت المسلم بين مكان عمله لطلب الرزق والسعى لطلب العلم والعبادة والبيت لطلب الراحة والسكينة وكانت المدينة مفعمة بالحركة .

وكون البيت ذو الشكل الرباعي - في معظم الاحيان - مع البيوت الاخرى على غير ما استقامة ولا تماثل خطوطا منحنية وهي الصورة المغايرة تماما للتصميمات العمرانية والمعمارية الرومانية أو الاغريقية حيث بنيت على التشكل الهندسى الثابت والمنتظم .. وتراپطت الكتلة العمرانية لتعطى دلالة الأخوة والترابط البشرى للمسلمين وبرزت الوحدة بين البناء والسماء عن طريق تشكيل نهايات المباني متفادية الخط الافقى القاطع .

وكان تماثل الفكرة وليس للتماثل الهندسى الصفة السائدة في التصميمات العمرانية والمعمارية وكان أيضا للنمو العضوى والبعد عن النموذج المتكرر في الاسكان والكتلات العمرانية والمعمارية التي يتخللها الفراغات الاثر البالغ في اعطاء الصفات والسمات للمدينة العربية .

وارتبطت مواقع العمل بمواقع السكن بصفة مباشرة وكانت العلاقة بين المنتج والبائع ثم بين البائع والمستهلك بدون طرف ثالث وقلت المسافة بين الانتاج والتسويق ونشأت على جوانب الطرق خدمات ترويجية كالمطاعم والاستراحات للعابرين . ومثلت الحارة الوحدة الاجتماعية وحققتم الترابط والتعاون والحماية وتجمعت حول أفنية ومساحات ومنها الى الشوارع الرئيسية فحققت هذه الفراغات الهدوء المطلوب للسكن . للحماية من الضوضاء وأخطار السيارات ولتحقيق الخصوصية .

بعض العناصر التي تميزت بها المدينة العربية :

المسجد : إن شمولية التصور الاسلامى التي اعتبرت كل حركة للانسان خالصة لله بمثابة عبادة هي ذاتها التي اعتبرت الأرض كلها مسجدا وتربتها طهورا كما أنها ذاتها التي اعتبرت أبواب السماء مفتوحة في كل اتجاه ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (سورة البقرة ، ١١٥) .

أسست المدينة العربية الاسلامية الأولى في العام الأول للهجرة هنا في المكان المسمى بيبثب « المدينة المنورة فيما بعد » حيث عاش المسلمون في بدء الدعوة بمكة ثلاثة عشر عاما دون أن يكون لهم مسجد - بالمعنى الشائع - يقيمون فيه صلواتهم حتى أقيم مسجد قباء بيبثب .. وحقق الله للمسلمين النصر والفتح وعاد من عاد منهم الى مكة ببيوتها ودروبها وبطاحها وحطموا الاصنام .. ثم انتشر الاسلام خارج الجزيرة العربية في بلاد ذات حضارات وأنماط حياة وبيئات مختلفة ولم تكن معظمها عربية الا أنها دخلت في المضمار العربى وأصبح لها لسانه وحضارته فكانت الوحدة الكبرى التي هيأت السبل لخواص عامة جمعت الشعوب الاسلامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة ، فعرفت في العصور الأولى أمثلة شامخة كالقاهرة وبغداد وقاس وغيرها .

والمشاكل العمرانية والمعمارية التي يعانها العالم اليوم ليست مقصورة على العالم الاسلامى فحسب ... اذ هي في معظمها من نتائج التحول من مراحل ما قبل التصنيع الى مراحل ما بعد التصنيع .. الا أن العالم الاسلامى يختص منها بعدم الوضوح الكافى وعدم استمرارية التطور التاريخى وسرعة التغير وفجائيته بالإضافة الى عمليات الهدم المستمرة للتراث . ولب تغير العالم الاسلامى هو في حقيقته تغير المسلم ذاته حيث أن حديثا عن الاسلام والمسلمين لا بد وأن يخضع للتساؤل عن المسلمين كما كانوا أو كما هم الآن ؟ وأن عودتهم الى رحاب الاسلام سوف تحقق لهم الريادة كما كانت لهم في ماضيهم المجيد .

البحث عن النموذج :

وفي مجال البحث عن النموذج يجدر تحديد الحقبة من التاريخ الاسلامى وكذلك تحديد المكان منه ليحتدى به .. فالزمان والمكان هما من القضايا الرئيسية للتفهم الصحيح . ففي الوقت الذى يعبر فيه المكان عن البيعة بكل معطياتها الطبيعية وكذلك التى من صنع الانسان يعبر فيه الزمان عن الحقبة التاريخية بمؤثراتها التى تداخلت وأعطت النتاج الحضارى بغير ما اغفال للتاريخ الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والسياسى . وكان للتقدم التقنى للغرب والرغبة في مواجهة مشاكل الانشاء والتعمير وبسرعة الاثر البالغ في عدم اعطاء الفرصة لشعوب كثيرة للاختيار الا أن تقلد وفي معظم الاحيان تكلف شركات أجنبية بالتخطيط والتنفيذ جميعه ... واذا استمر الحال كذلك فسوف تتحول مدن العالم الاسلامى الى مقابر لهذه النسخ المقلدة لعدم مروءتها للحياة حضاريا واجتماعيا وبيعا وتكون النتيجة عمراننا متدهورا تماما .

البيت في القرآن الكريم : ورد البيت بمعنى السكن :

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وابوابها واشعارها اثانا ومتاعا الى حين . والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سراويل تفيكم الحر وسراويل تفيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ صدق الله العظيم (سورة النحل ٨٠ - ٨١) .

ورود البيت أيضا بمعنى دار العبادة :

﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ صدق الله العظيم (سورة النور ، ٣٦) .

ثم يأتي التوجيه الالهى نحو خصوصية البيت والمسلك الذى يجب أن يكون بداخله .

﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ .

وحرمه البيت مؤكدة :

قال الله تعالى :

﴿ واذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون الا فرارا ﴾ صدق الله العظيم .

ولتحقيق هذه الخصوصية للمسكن بذل المسلمون الاوائل محاولات كثيرة كانت منها الافنية الداخلية والمشريات .

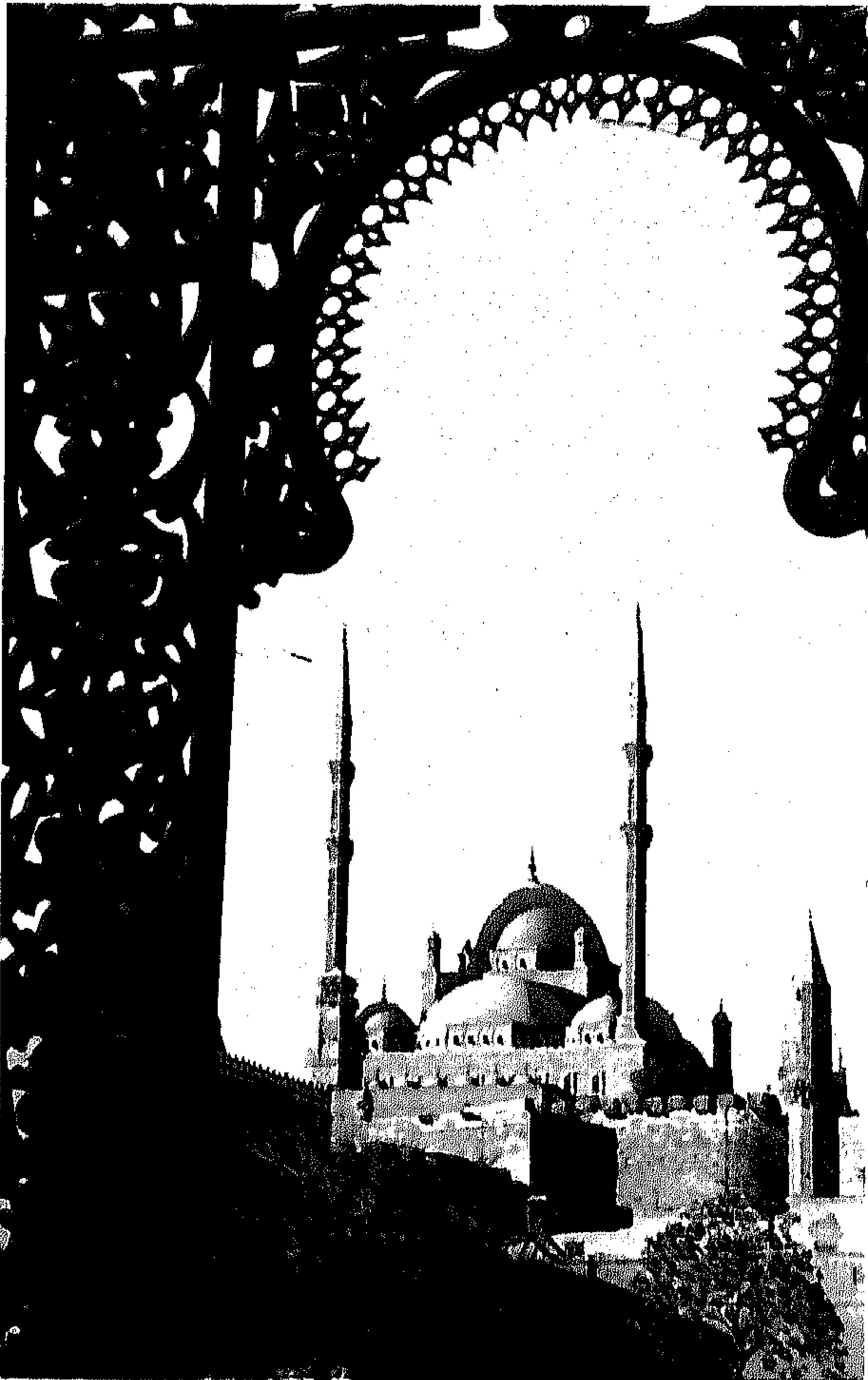
ولايتحقق هذا الا بالحفاظ على ماتبقى من آثارها وترميمه وتسجيله ثم بسلوك النهج الحضارى الذى يتواءم معه وذلك بالرجوع الى ما بناه الأولون .

المتغيرات والثوابت

وتجدر الاشارة الى انه من الخطورة بمكان أن يظل الخاصة من المسلمين فى هذا المجال يتباحثون فى المثاليات والمتوارثات الحضارية بينما يظل العامة منهم ينغمسون أكثر وأكثر فى معطيات المدينة الغربية مما يزيد الهوة اتساعا ويحصر هذه المثاليات فى النطاق العلمى (الاكاديمى) النظرى .

هل من الصحيح أن نرى المستقبل بعين الماضى أو أن نرى الماضى بعين المستقبل ؟

ليس صحيحا على أية حال أن نعظم أو نضفى صفات العصمة على الماضى فى هذا المجال فى طريقنا للبحث عن النموذج . آخذين فى الاعتبار المتغيرات والثوابت فى البلاد الاسلامية المختلفة فليس صحيحا أن نعود الى ما بناه الاوائل ونطبقه تماما لانه ليس تشريعا ولأنه كان وسيلة لتحقيق الهدف بامكانيات وعوامل معينة تغيرت الآن تماما ومع ثبوت الاهداف علينا أن نجتهد كما اجتهد الذين من قبلنا ولا يضيرنا فى هذا أن ننقل بعضا



٣٣ جامع محمد علي - القاهرة

يلجأ إليها السائح وإنما إلى إعطائها الفرصة لكي تساهم بإيجابية في تقديم الحلول التطبيقية في المجالات العمرانية والمعمارية والتحكم البيئي .

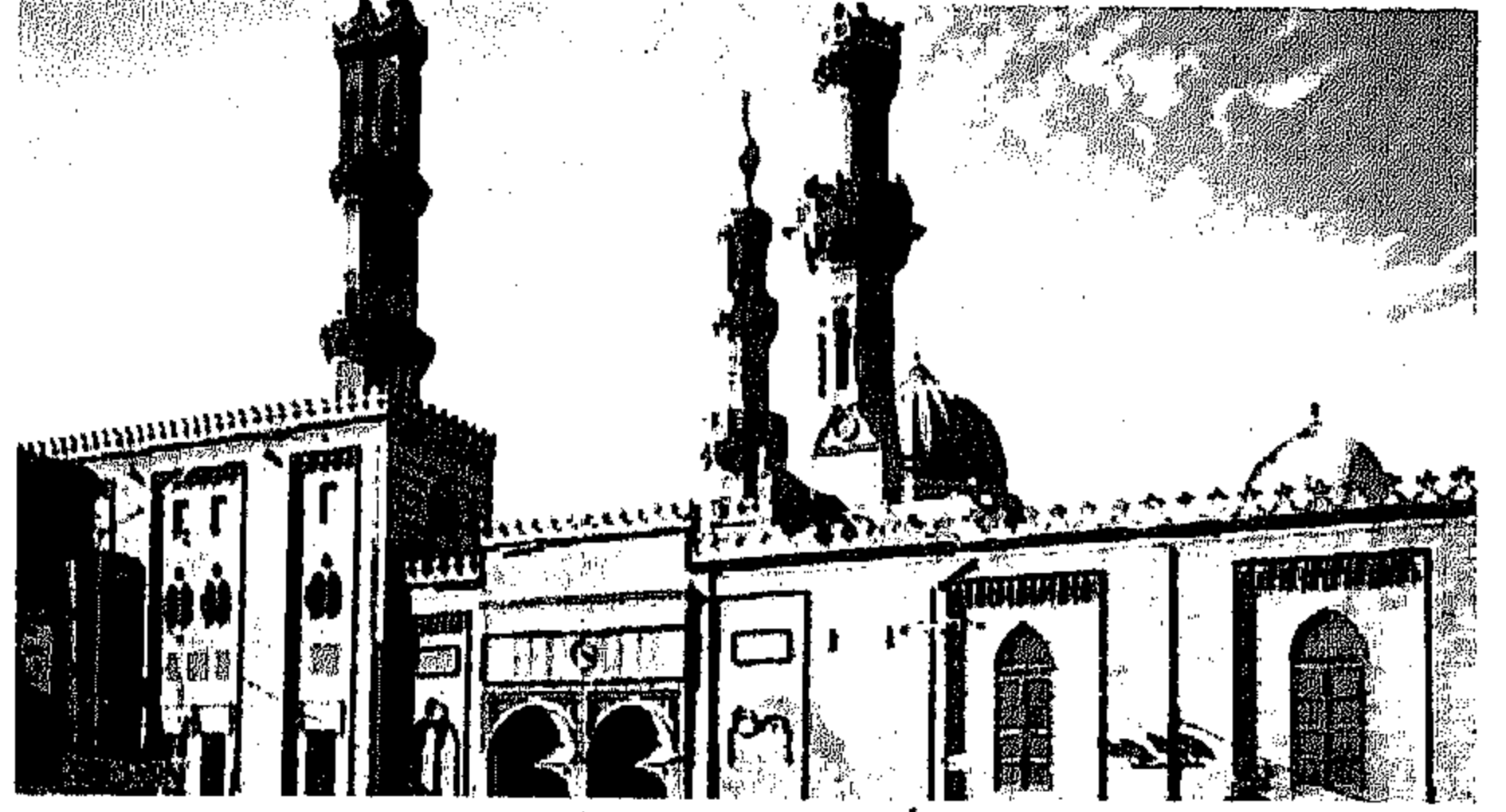
ويجب أن تكون الصحوة من أبناء البلاد العربية وذلك بتكوين جيل من الرواد ومن الصناع المهرة في كافة التخصصات ذات العلاقات الوثيقة قادرين على التعامل مع المشروعات العمرانية والمعمارية بمختلف نوعياتها ومقاييسها آخذين بالأسباب العلمية التي وجدها وحيثما ناسبتهم محققين الامتداد والاستمرارية الحضارية وهذه الامانة لاتقع فقط على المعمارين والا نكون كمن وضع العربية قبل الحصان ولكنها موزعة على كافة المستويات وكل منا يقف على ثغر وعليه أن لا يؤتى الاسلام من جانبه .

ولايفوتني في هذا المجال أن أنوه إلى الدور الذي يلعبه الاحتلال الصهيوني لكي يفقد مدينة عربية اسلامية عزيزة علينا وهي (القدس) ملامحها وعروبته « والله غالب على أمره والله من ورائهم محيط »

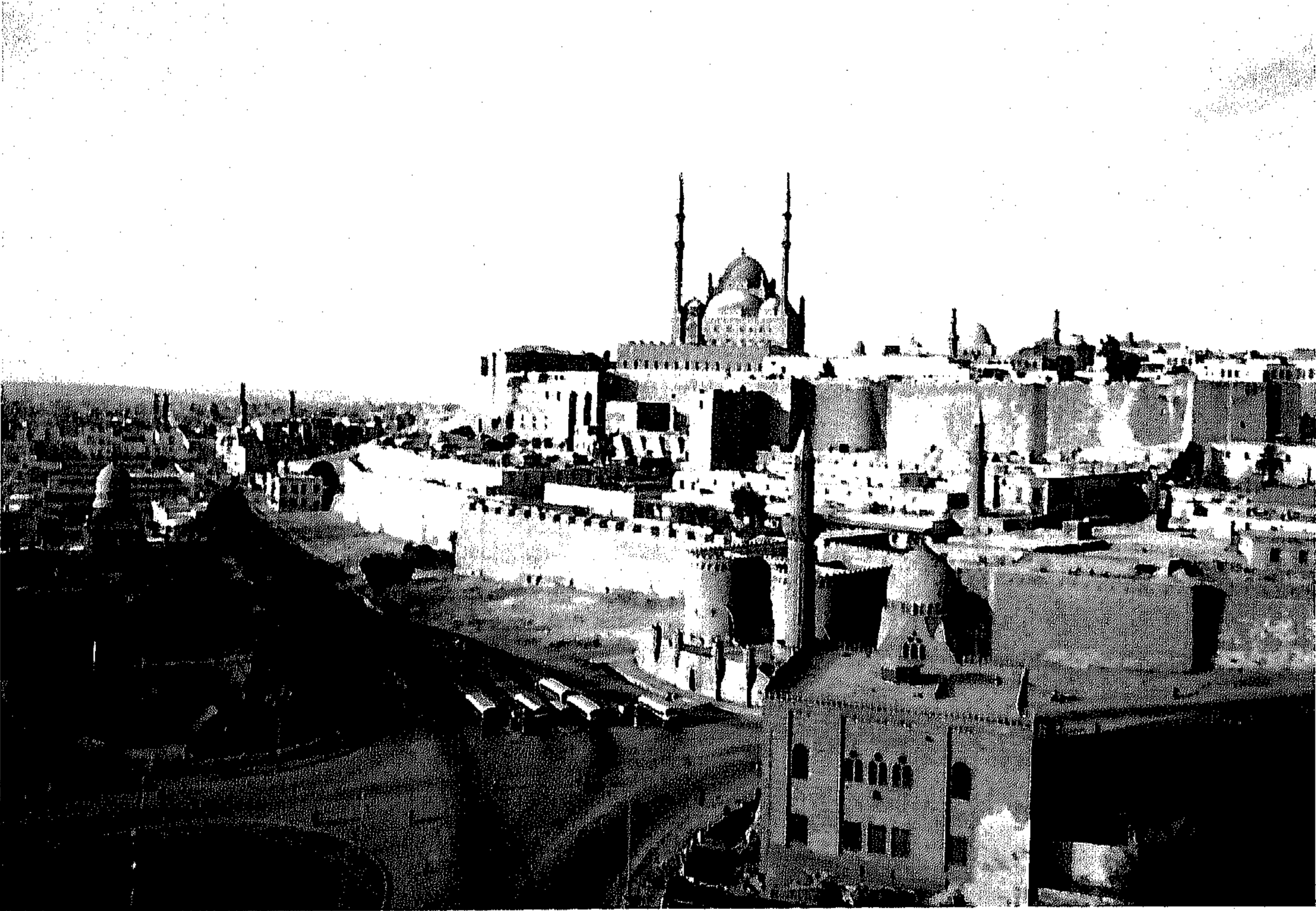
وأخطر من ذلك الاتجاه السائد والذي يمكن تسميته بعمارة الواجهات كحل سريع ولكنه مزيف . وذلك باستعمال عقود وكوابيل بدون العلاقة قطعاً بالفراغات الداخلية سواء بالنسبة للمساقط أو للحجوم فهي الرؤية السطحية من الشارع .

والعائدون من البلاد الغربية نجد أن نسبة منهم يحاولون جاهدين ان ينقلوا صورة المدينة الغربية إلى بلادهم والنتيجة هذا التشويش المعماري الذي نشاهده في كل مكان .

وساعدت وسائل الاعلام على ابراز صور النهضة بأبنية وشوارع على النمط الغربي فهجر الناس ماضيهم الذي هو في مفهومهم رمز للتأخر وجنحوا إلى النمط الغربي الذي صور لهم على أنه رمز للمدنية والتحضر . ووقفوا ينظرون باعجاب إلى الأيدي المستوردة وهي تبنى وتشيد أبنية فاقدة الهوية .. ولسنا ندعو إلى اعتبار المدينة العربية فرعاً من فروع الآثار التي



٣٤ واجهة الجامع الأزهر - القاهرة



٣٥ قلعة صلاح الدين - القاهرة

التراث المعماري العربي الاسلامي وسبل صيانتته

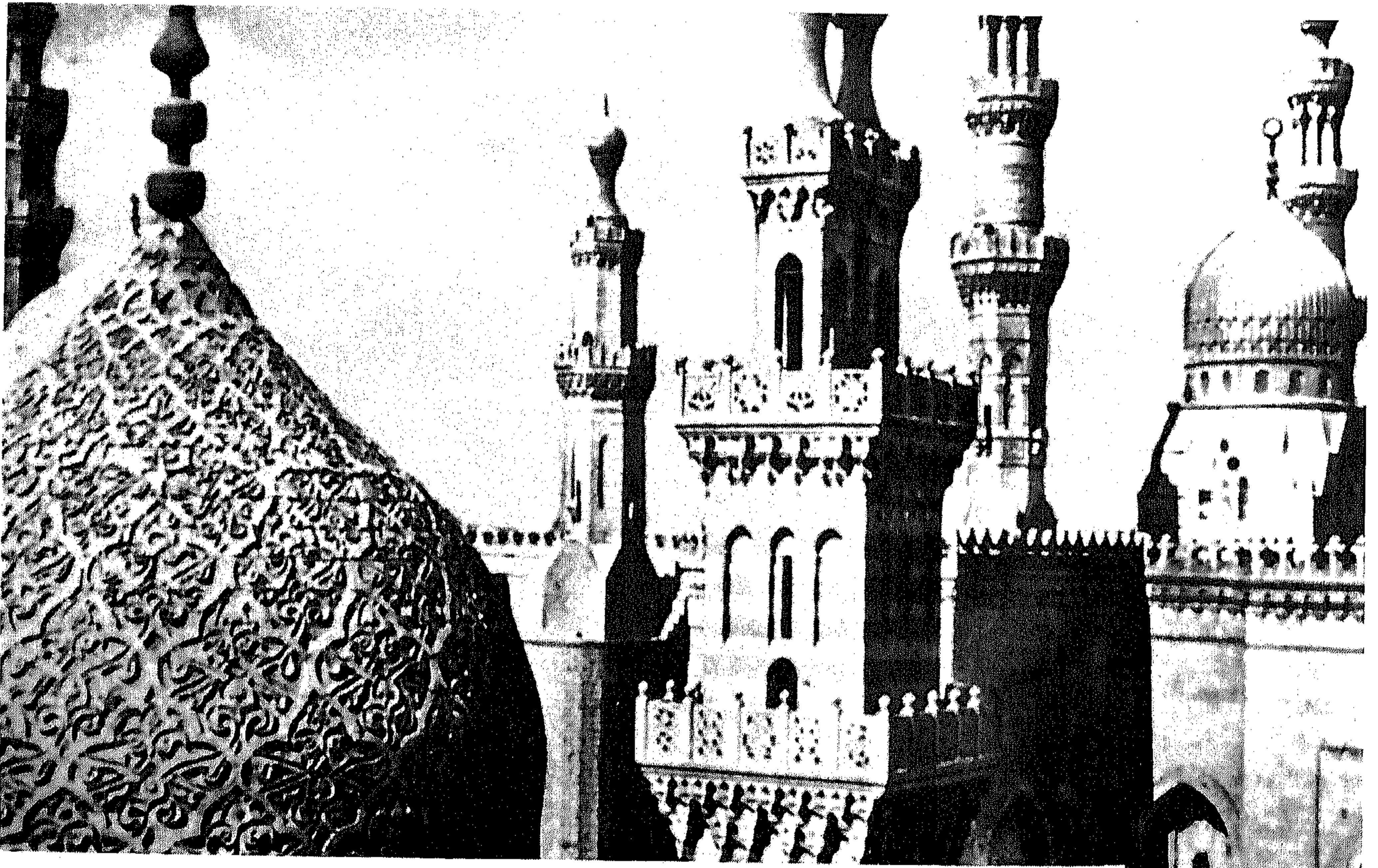
صباح محمود محمد

مقدمة

خصائص المدينة العربية الاسلامية :

لقد تأثرت العمارة العربية بالظروف البيئية للاقليم العربي وطبيعة الحياة البدوية ولهذا فقد اوجد العرب نموذجا من التصميم المعماري للبيت ذي الصحن الذي من خصائصه ان جزء المعيشة فيه يتكون من صحن مفتوح للسماء وتطل عليه ايوانات الجلوس تتقدمها لوجيات كما نراه في بيوت الفسطاط وقصر الاخضر ومنازل تونس^(١) . ان للساحات الوسطية المكشوفة في الدار اهميتها في توزيع الاضاءة والتهوية الجيدة^(٢)

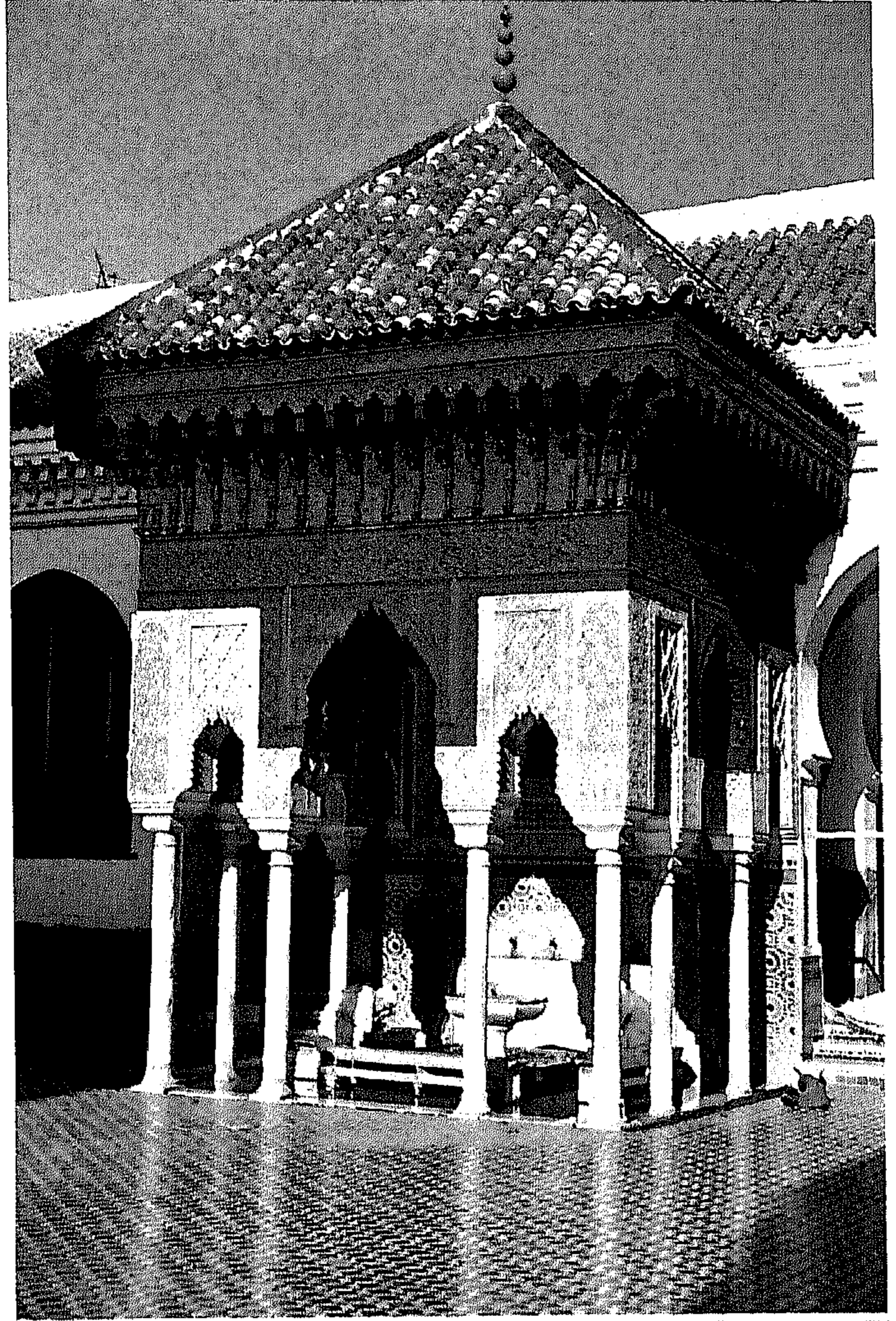
تعرضت وتعرض الاقطار العربية والاسلامية الى غزو اجنبي متعدد الجوانب مختلف الاشكال ويساهم البعض في ذلك بدعوى الاخذ باسباب الحضارة الجديدة واقفا من التراث العربي الاسلامي موقف المستصغر المستخف - ويعتبر الغزو المعماري الاجنبي لمدينة العربية الاسلامية وتشويه العمارة العربية احدى القنوات التي ينفذ منها الاستعمار العالمي لتشويه الحضارة العربية الاسلامية والماضي العريق للامة العربية والقضاء على شخصيتها بالتالي ؛ ولهذا فاننا ندعو لدراسة تراثنا المعماري وتناوله بالتحليل العلمي والتقويم الموضوعي ووضع الوسائل والاساليب التي تمكن من الحفاظ على هذا التراث الاصيل .



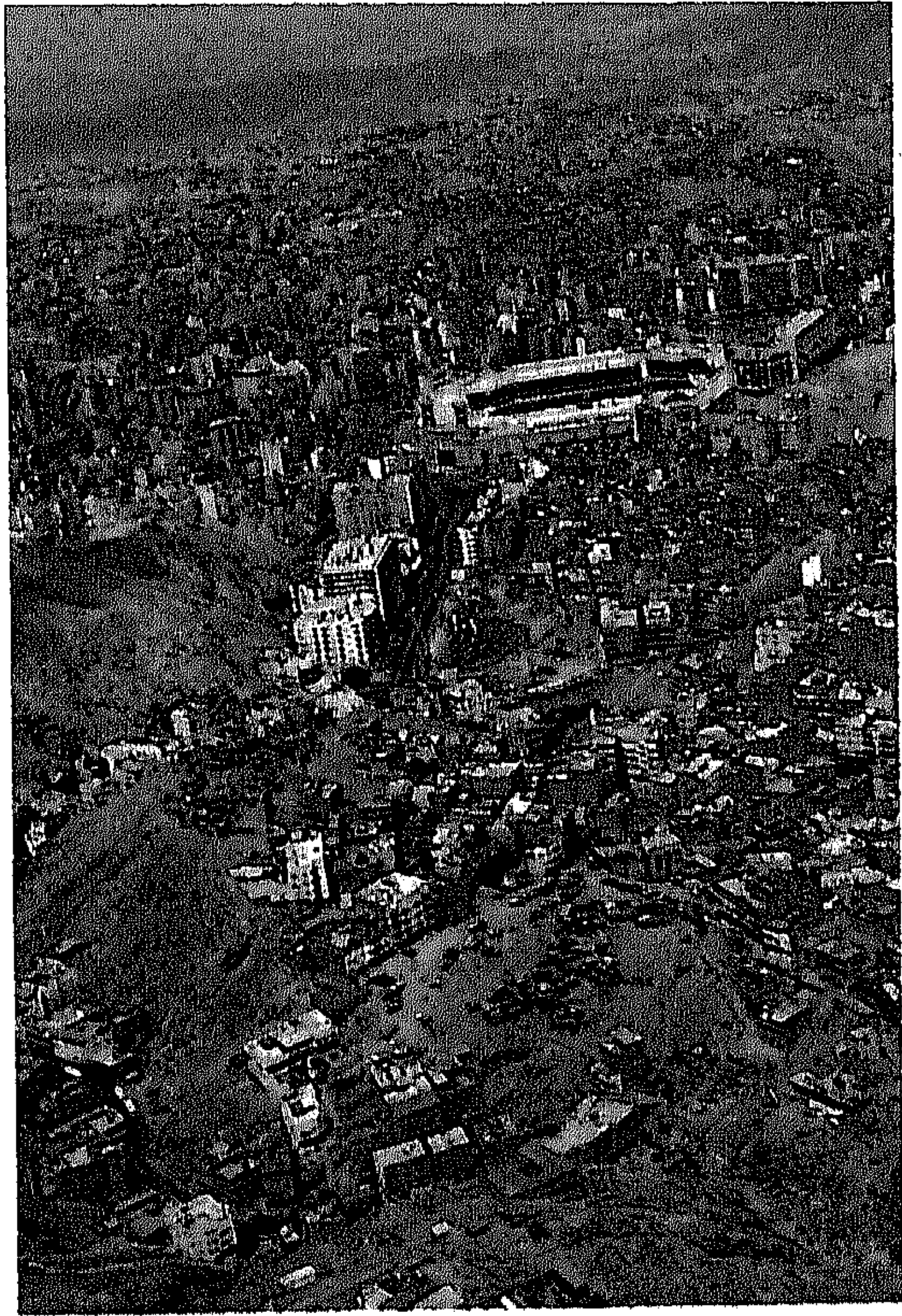
٣٦ مآذن القاهرة



٢٨ مدينة فاس



٣٧ مسجد القرويين - فاس

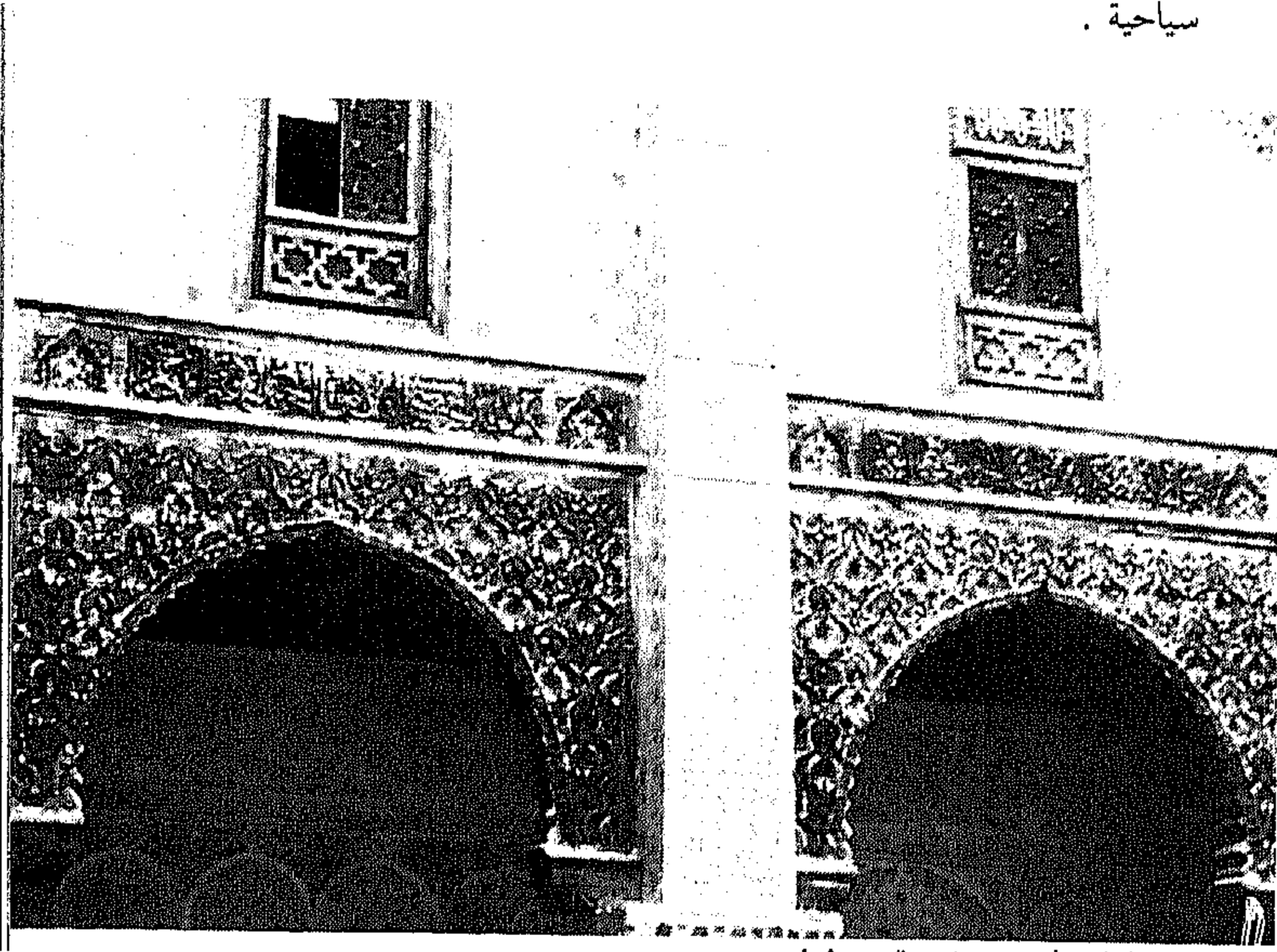


٣٩ مكة المكرمة من الجو

بحرص العربي (على دوام الاتصال بالسماء كما تعود عليه عندما كان يعيش في الصحراء لذا فانه ادخل فكرة الرمز الكوني بالشكل المعماري فانه يرمز الى الجدران الأربعة المحيطة بالصحن بانها الأعمدة الأربعة حاملة قبة السماء وزيادة على ذلك فان وضع نافورة ماء وسط الصحن لكي تنعكس هذه السماء على صفحة الماء فيها ويراها طول الوقت تسحب رحمتها وقديسيها وسط البيت وبين الحجرات (٥) وبالنظر لاهمية المسجد في حياة العرب المسلمين فقد اعتادوا أن يبدأوا بناء المدينة به في وسط أو مركز المدينة وقد أدى المسجد وظائف متعددة باعتباره مركزا سياسيا واجتماعيا وحضاريا (٦) .

وقد دلت البحوث المعمارية التي قام بها احد المختصين على سلامة فكرة الصحن في البيت العربي الاسلامي وملاءمة ذلك لبيئة المناخ الصحراوي الجاف (٣) كما وضع العربي نافورة ماء في الصحن كما قد تحتوي بعض الدور على سراديب وبإدكير التي هي عبارة عن مجار عمودية للتهدية متصلة بسطح الدار - ويتصل البادكير بتجويفة تؤدي الى مستوى منخفض في ارضية السرداب حيث يساعد الماء الموجود في القاع على تلطيف الهواء الخارجى الجاف الاتى من السطح وترطيبه (٤) ، ولم تكن الظروف البيئية وحدها المؤثرة على طبيعة تصميم الصحن الذى يتوسط السكن وإنما هناك عامل اخر متعلق

- ٦ - نشر وترجمة الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) والكتب التي تتناول أو تدرس العمارة والمدن العربية الإسلامية .
- ٧ - الطلب من المهندسين والمصممين عرب وأجانب تثبيت خصائص العمارة العربية الإسلامية التي دخلت في تصاميمهم للابنية التي يكلفون بها واعتبار ذلك شرطا أساسيا للتعاقد معهم .
- ٨ - تخصيص منح ومقاعد دراسية للطلبة عرب وأجانب لدراسة العمارة العربية والإسلامية .
- ٩ - دعوة المتخصصين من الجامعات والمؤسسات الأجنبية ذات العلاقة لزيارة المدن العربية الإسلامية والأطلاع على الخصائص المعمارية لها .
- ١٠ - قيام المسؤولين على شئون التراث والعمارة والحكم المحلي في الاقطار العربية الإسلامية بالحفاظ على بعض الابنية التراثية القديمة التي تحمل الاصول الأولية والدقيقة للعمارة العربية وتجديدها وتحويلها الى مراكز سياحية .



٤٠ تفاصيل معمارية - فاس

- (١) حسن فتحي : العمارة العربية الحضرية بالشرق الأوسط - جامعة بيروت العربية نيسان ١٩٧١ بيروت ص ١٥ .
- (٢) صالح فليح حسن : تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد الكبرى ١٩٥٠ - ١٩٧٠ بغداد ١٩٧٦ ص ١٩٩ محمد مكية - بغداد ، عرض تاريخي مصور بغداد ١٩٦٩ ص ٢٢٨ .
- (٣) D. Dunham: The Courtyard House as a Temperature Regulator The New Scientist, 8, Setp., 1960. PP 659-666.
- (٤) صالح فليح حسن ص ٢٠٠
- (٥) حسن فتحي : مصدر سبق ذكره ص ١٦
- (٦) د . عبد الرزاق عباس : جغرافية المدن - بغداد ١٩٧٧ ص ٢١
- W.J. Fisehel; The city in Islam
M.E. A, VcL. 7, 1956 PP. 227 - 232
- 7- A.H. Hourani and S.M. stern (eds): (٧)
The Islamic City. Oxford 1970.

- (٨) د . عبد الرزاق عباس : نشأة مدن العراق وتطورها القاهرة ، ١٩٧٣ ص ٣٩ - ٤٠ ود . ساهاجورج شير : العلم وتنظيم المدن العربية الكويت ١٩٦٣ ص ٣٠ .

تقع السوق أو منطقة الاعمال المركزية قرب المسجد ممتدة على الطريق الرئيسي والطرق الاخرى المتفرعة من مركز المدينة .. وقد عرف عن السوق العربية بانها تنقسم الى قطاعات تحتلها فعاليات تجارية متخصصة ، كما تتجاوز فعاليات تجارية بسبب الارتباط الوظيفي أو التكامل فيما بينها^(٧) .

يتحدد موقع مؤسسات الادارة في مركز المدينة وقرب المسجد اما المناطق السكنية فتتخذ لها مواقع حول السوق مرتبطة بها بشوارع رئيسية ويؤثر عامل الارتباط القبلي على توزيع السكان داخل المدينة .

تتميز شوارع المدينة الإسلامية بكونها ضيقة وملتوية وبعضها غير سالك - وقد رسمت هذه الخصائص عوامل متعددة اهمها ، ميل ورغبة السكان بسبب الروابط القبلية الى الاحتشاد في مكان واحد كما أن هذا الاحتشاد يساعدهم في الدفاع عن انفسهم اضافة الى ان الشوارع غير السالكة تسهل حصر المعتدين وابطادتهم - ولاشك ان تقارب الدور السكنية في هذا الاقليم الصحراوي يوفر ظلا للمشاة في هذه الازقة الضيقة^(٨) .

ومن خصائص المدن العربية الإسلامية وجود الاسوار حولها وفي بعض الاحيان الخنادق كما هو الحال بالنسبة الى بغداد وقد تهدمت تلك الاسوار اما بفعل الحروب أو نتيجة لتوسع نمو المدينة خارج اسوارها وخنادقها .

مقترحات لصيانة التراث المعماري للمدن العربية الإسلامية

ان الخصائص المعمارية للمدن العربية الإسلامية ترسم لهذه المدينة صورا جمالية مشرفة تظهر بشكل دقيق عبقرية العربي والاسس العلمية للفكر العربي والدور الرفيع له ولغرض الحفاظ على هذا التراث نقترح الوسائل التالية :-

- ١ - أن يكون المسجد جزءا حيويا في الوضع الاجتماعي العربي وهذا يتطلب اعطاءه اهتماما بارزا في خطة المدينة العربية .
- ٢ - ان موقع السوق في المدينة العربية الإسلامية يتفق والتركيب التجاري للمدينة الحديثة وهذا يتطلب الحفاظ على موقعها وتهيئة التسهيلات اللازمة لتطورها .
- ٣ - انشاء المعهد العربي للدراسات والبحوث الحضرية ، ويمكن ان يكون مركز التخطيط الحضري والاقليمي في جامعة بغداد نواة لذلك للقيام بالدراسات والبحوث حول المدن العربية والإسلامية واعداد الكوادر المتخصصة في هذا المجال .
- ٤ - اعطاء أولوية خاصة واهتمام دائم بمدينة القدس والقيام بكل ما من شأنه الحفاظ على الخصائص العربية والإسلامية لها عبر قنوات متعددة عن طريق ندوة دولية حول العمارة العربية الإسلامية لمدينة القدس واعداد اطلس لها يبين تلك الخصائص وطبع كارتات خاصة بذلك وغير ذلك من الوسائل .
- ٥ - قيام منظمة المدن العربية بعقد مؤتمر سنوي يخصص لمدينة عربية معينة كل سنة ويعقد في نفس المدينة التي يخصص المؤتمر لدراستها .

السبيل الى الحفاظ على الخصائص الأصيلة للمدينة العربية

محمد حمدى



٤١ طرابلس - ليبيا

مقدمة :

المدينة العربية - كغيرها من المدن - كيان فيزيائى ينشأ وترعرع بما فيه من مجتمع وحياة وعمل وطبيعة ومناخ ومواد .

نشأت المدن فى البداية من حاجة أفراد معينين الى المأوى فى مواقع توافق أهواء أولئك الافراد أو متطلباتهم . ولما كان الانسان مدنيا بالطبع فقد توسعت مستوطنات أولئك الافراد بازدياد الحاجات وتكاثر أعداد ذوى العلاقة .

كان توسع المدينة آنذاك فطريا . ومع أن المعلومات الوثيقة لاتشير بالضبط الى بداية تخطيط المدن الا أن المعروف ان مدينة كاهون التى انشأها الفرعون سنوسرت الثانى فى وادى النيل كانت أول مستوطنة بتخطيط وهدف .

بهذا تكون بلادنا العربية مهدا لأول مدينة فى العالم أقيمت وفق خطة مرسومة .

وبالمزور الزمنى وتطور الحياة والعادات والحاجيات نمت المدينة العربية وتطورت وخاصة بعد ظهور الاسلام وفق مقومات دينية واجتماعية وسياسية وعسكرية واقتصادية . وقد وضعت هذه المقومات فى تسلسل يتناسب ذكره مع عجلة تطور المدينة العربية وتغيرها رغم أن المدن وخاصة فى السالف - بطيئة التطور والتغير .

ولما كانت المعتقدات الدينية فى البلاد العربية أقل المقومات تغيرا بحكم المكانة السامية التى يتبوؤها الدين الاسلامى فإن تصاميم الجوامع والاضرحة والابنية الدينية الاخرى بقيت ثابتة تقريبا فى حرمها وصحنها ومحرابها واتجاهاتها ولم يتغير منها سوى النقوش والزخرفة وما يتعلق بالسعة . وهذا ماجعل المقام الدينى فى العمارة العربية بارزا وثابتا (ستاتيكا) على مر السنين .

أما الحياة الاجتماعية للمدن العربية فقد تطورت نسبيا أكثر مما تحركت فيه المعتقدات الدينية - ولكن هذا التطور فى العلاقات الاجتماعية المتينة للعرب يكاد يكون طفيفا اذا ما قورن بالحياة الاجتماعية المتينة فى أوروبا . والفضل فى ذلك يعود الى متانة الدين الاسلامى فى نفوس العرب . مع ذلك فإن الدخول المفاجئ للمدينة الغربية فى النصف الأول من هذا القرن قلب الكثير من العلاقات الاجتماعية وبالتالي تغيرت موازين العمارة فى البلاد

جديدة .

أما المقومات العسكرية فإن التكنولوجيا الحديثة قد غيرت الكثير من مبادئها وأسسها بحيث لم تعد الاساليب القديمة فى الاسوار والحصون والخنادق ملائمة للتطورات الجديدة مما يتطلب نظرات فى الدفاع العسكرى جديدة .

بالنسبة للمقومات الاقتصادية فان الطفرة الجديدة فى الموارد ودخول التقنيات الحديثة بشكل سريع ومفاجئ قد غيرت الكثير من مقومات المدينة العربية ولا بد لنا أن نعمل وفق متطلبات مجتمعنا فى العصر الراهن .

طابع المدينة العربية :

العلاقة بانطلاقة وطيدة وسريعة وعلى أسس علمية وفي تقويم الانحرافات القائمة والاحذ بمسيرة معلومة وواضحة لجعل مدننا قائمة على حضارة اصيلة ومتوائمة مع التقدم العلمى والتقنى السائر .

ان المدن العربية العريقة زاخرة بالمعالم الحضارية والنفائس - وان ما يتوافر من تلك الشواخص في مدينة ما يتوافر غيره في مدن اخرى دون ان يكون هنالك استنساخ لبعضها بعضا . الخطوة الأولى في ذلك هي تأسيس مركز ضمن منظمة المدن العربية لتسجيل وتوثيق الخصائص الاصلية للمدن العربية بعد تحديدها رسميا واجراء الدراسات الدقيقة لها وتسجيل ذلك تسجيلا سنائيا وخرائطيا ووصفيا .

من هذه المسوحات والدراسات يمكن تحديد الخصائص الجيدة والملائمة لمسيرة أمتنا العربية الحاضرة والمستقبلية وتعزيزها في مدننا العربية .

سعة المدينة العربية

نشأت المدينة العربية وترعرعت وهي صغيرة الرقعة نسبيا للأسباب التالية :

- ١ - حب التآلف والتقارب مما جعل الدور متقاربة أو متلاصقة .
- ٢ - القضايا الامنية استوجبت المجاورة المتقاربة .
- ٣ - ضرورة التقارب لتحقيق الاتصالات مشيا على الاقدام ويزمن ملامم .
- ٤ - عدم وجود حدائق كبيرة تستنزف الماء العزيز .

اما التقدم التكنولوجى وتطور وسائل النقل ومداهمة السيارة والحافلة والطائرة للمدن فقد جعل الصبيغ الجديدة للمدن غير قابلة للتطبيق على المدن العربية التراثية بشكلها الاصيل .

وعليه ولكي تكون المدينة العربية معبرة عن خصائصها الاصلية وفي نفس الوقت ملبية للحاجة المعاصرة دون ان تتوسع الى الحد الذى تفقد فيه هويتها الانسانية كما هو جار الان في المدن الكبيرة الصاخبة لابد لها ان تحافظ على حدود قصوى من التوسع وفي حالة عدم التمكن من ذلك لامناص من اللجوء الى اسلوب الانتشار العنقودى في اقامة المدن أى بانشاء مدينت صغيرة لكل منها علاقاتها وتراكيبها المتكاملة تفصل بينها مساحات كبيرة من الرياض لتتكون بمجموعها مدينة كبيرة واحدة . وفي هذه الحالة يمكن تحديد مناطق ومسارات خاصة لسير السيارات دون دخولها الى كل شبر من رقعة المدينت الصغيرة .

استقلالية الدور السكنية

تطلبت العادات الدينية لدى المسلمين أن تكون للعائلة دار مستقلة ومع أن ذلك عادة بمستحبة عندما تكون مستطاعة الا ان ضرورات الحياة في المدن العصرية ومساوىء الامتداد الافقى جعلت من المتعذر التوسع بالدور الخاصة والاتجاه نحو المجمعات السكنية والعمارات - وفي هذا الصدد لابد للمجمعات السكنية في المدن العربية أن تحفظ للعوائل خصوصيتها .

اضافة الى ذلك فان في بعض المدن العربية عادة استغلال السطوح للنوم مساء في فصل الصيف .

البلاد العربية منطقة تغلب عليها الصفة الصحراوية . وقد أضفت تلك الصفة على العرب طباعا معلومة منها الشجاعة والكرم وعزة النفس .

أما انبثاق الاديان السماوية في البلاد العربية فقد أوجد لدى العرب اخلاقيات وسلوكيات متينة في العلاقات الاجتماعية والعرف .

وبناء على ذلك شيدت المدن العربية وهي تعبر نظريا عن الخصال العربية والدينية وخاصة مايتعلق منها بالدين الاسلامى الذى تعتنقه الاكثية الكاثرة من العرب . والتعبيران المهمان في ذلك هما :

- بساطة وتواضع مظاهر الابنية من جهة الطريق .
- غنى الدواخل أو فقرها وفق الحياة الاقتصادية للأفراد .

لذا اتسمت الجدران الخارجية للمدن العربية التراثية باستواء جدرانها التي لايكسوها من التكوينات الجمالية سوى الشرفات العليا العميقة وأبواب المداخل التي تكون صغيرة وغير متقابلة - بينما تزخر الدواخل بالترينيات الجمالية والزخرفية والخزفيات والفرش الوثير والالوان الزاهية *.

اضافة الى هذه السمات فان الابنية كانت متلاصقة لضمان نوع من السياج الامنى بينما توافرت في الدواخل افنية محوطة ذات أشجار ونافورات تتيح لاهلها تلبية الطبيعة الاجتماعية في الارتياح المحتشم وابعاد الفعاليات العائلية عن الازقة والضوضاء وفضوليات السابلة .

لقد كان انتشار المدن العربية وازدهارها في القرون الأولى من الحكم الاسلامى مستندا الى الاصاله العلمية والفطرية والتكوين الانسانى والاجتماعى والاقتصادى الذين كانا سائدين آنذاك .

بعد ذلك جاءت فترات الاستعباد والركود وربما التدهور فدخلت مدننا في سباق عميق انقطعت أثناءه الصلة الحضارية والروحية بين سكان المدن واسلافهم الذين اقاموا صروحها .

اضافة الى انقطاع الصلة الحضارية والروحية وزوال المفهوم الاصيل لاقامة المدن - تاريخيا وعلميا وبيعا فان العالم العربى امسى - وهو في عداد الشعوب المتأخرة والمستعبدة - منقطعا حتى عن الحضارة الغربية .

حين وعى العرب وتوافرت لديهم معايير التحديث والتطوير وجدوا مدنيهم بعيدة الصلة عن كل امكانيات التطوير التقنى المعاصر والمعالجات التلطفية التي تتماشى مع مداخل من تقنيات جديدة فلجأوا الى التوسع العشوائى وأنشأوا الابنية المستنسخة من الغرب دون أن يعلموا ان الغرب كان هو أيضا يتخبط في منشآته تجاه ماداهم العالم من تقدم تكنولوجى كبير وسريع .

وهكذا أصبحت مدننا خليطا عجيبا من ابنية مندثرة فاقدة لقيمها العملية ومنشآت افتقدت قيمها الحضارية .

ومع علمنا بذلك فان من المؤسف له ان مدننا مازالت تستنسخ الابنية العُلبية في مدننا وكأننا شعب يفتقر الى الاصاله والتفكير الصائب والابتكار الحقيقى الذى يتواءم مع ظروفنا ومجتمعاتنا ومفاهيمنا .

وعليه وبغية الاقلال من الاضرار المستمر في مدننا علينا أن نبدأ في مؤتمرات وندوات منظمة المدن العربية واتحاد المهندسين العرب والمؤسسات ذات

أن هذه عادة عربية أصيلة تنبع من النزعة الروحية للفرد المسلم في أن يتقرب من الله عز وجل ومناجاةه قبيل نومه وعند صحوته المبكرة لاداء فريضة الصلاة إضافة الى التمتع ببرودة الهواء الطبيعي الطلق .

مع جينا لهذه العادة فاننا نرى انها لا تتحقق في الاتجاهات الحالية للعمارة الغربية المقلدة في البلدان العربية وعمارات المجمعات السكنية التي تقتضيها الحياة العصرية مما يستوجب على المهندسين المعماريين توفير مساحات مفتوحة - وقد تكون على شكل أفنية جانبية تجعل العمارة السكنية على شكل مدرجات هرمية .

الهيمنة التصميمية :

لما كانت اقامة المنشآت داخل المدن موكلة الى اصحاب الاملاك - سواء أكانوا مؤسسات حكومية منفردة أو أفراداً أهليين - فان نزعة التباهي والتسامي والاختلاف تكون هي السائدة وخاصة لدى الاهليين .

ومع أن أغلب المنشآت الحكومية الكبيرة تصمم في مكاتب هندسة مؤهلة

الا أن المعروف أن هذه المكاتب تخضع - لاسباب غير مجهولة - الى رغبات اصحاب الثروة والاملاك - مما يجعل التصاميم الناجمة اقرب الى الرغبات الفردية مما هي الى المصلحة العامة .

أما التنفيذ فمعلوم أن أغلب ابنية مدننا مليئة بمنشآت مبتذلة ورديئة بسبب نزوع الافراد الى الاكثر بالكلف الاقل .

هذا الامر - إضافة الى فقدان التنسيق هما سبب اللخبطة المعمارية السائدة في مدننا والعسر الذي تعانيه المدن العربية في تلبية حاجات العصر .

ولما كانت الشواخص المخلدة والمهذبة من المنشآت العتيقة هي مرآة الحضارات فان الابتذال الحالي في مدننا يضع أمتنا في مصاف غير مصاف الحضارات وهذا أمر لا يرتضيه أحد .

* تراثنا المعماري وموقعه في العمارة العربية المعاصرة - بحث من اعداد محمود حمدي مقدم الى ندوة تراثنا المعماري والعمارة المعاصرة - بغداد .



٤٢ تفاصيل - واجهة جامع ابن طولون - القاهرة



٤٤ سيدي بو سعيد - تونس



٤٣ شارع في طرابلس - ليبيا



القسم الثالث للمدينة التاريخية

أما البحث المطول الذي يحتويه هذا القسم ، فهو بحث دارة الملك عبدالعزيز عن العلاقة بين التراث الحضاري الإسلامي ونمو المدينة العربية ، حدد العوامل الاساسية في هذه العلاقة وورد فيه وصف مختصر لتاريخ المدن العربية المشهورة مهتماً بذلك الاطار الموضوعي لتفهم أوضاع المدن العربية المعاصرة التي ستعالج في الفصول الباقية في هذا الكتاب .

في قلب أغلب المدن العربية المعاصرة مدن تاريخية سبقتها وساعدت في تحديد شخصيتها ، ودراسة هذه المدن التاريخية جزء لا يتجزأ من الحفاظ على التراث .

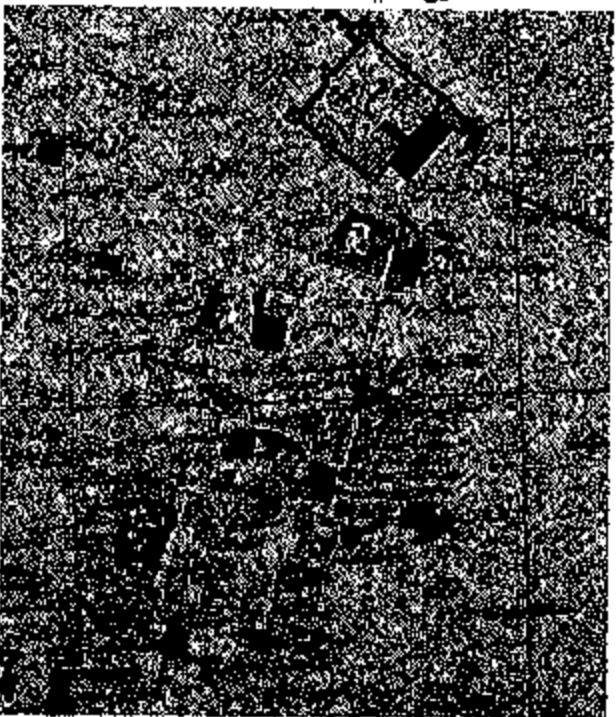
فحدثنا محمد الباهي* عن تجربته في التعرف على حقيقة الأوضاع بالمهدية وحدثنا فرج سنبول** عن الأزواجية المرة التي اتسمت بها علاقة المدن التاريخية بامتداداتها العمرانية الحديثة في بلاد المغرب العربي ، وانتهى الى أن ذلك الانقسام كان من صنع الاستعمار الأجنبي أصلاً ، ولكنه أصبح جزءاً من واقعنا الحالي ومن ثم وجب على المخططين العرب أن يعيدوا للمدينة العربية وحدتها العضوية .

يحتوي هذا القسم على بحثين (احدهما ملخص) وهما :
بحث رضا بوكراع (وهو ملخص هنا) عن العوامل الاقتصادية والثقافية المحددة للمدينة العربية ، فيطرح فهمه لهذه العوامل وكيف أثرت على تطور المدينة التاريخية عبر العصور مستلهماً من ذلك بعض الاتجاهات التي يحسن أن نتبعها حتى تستعيد المدينة العربية توازنها .

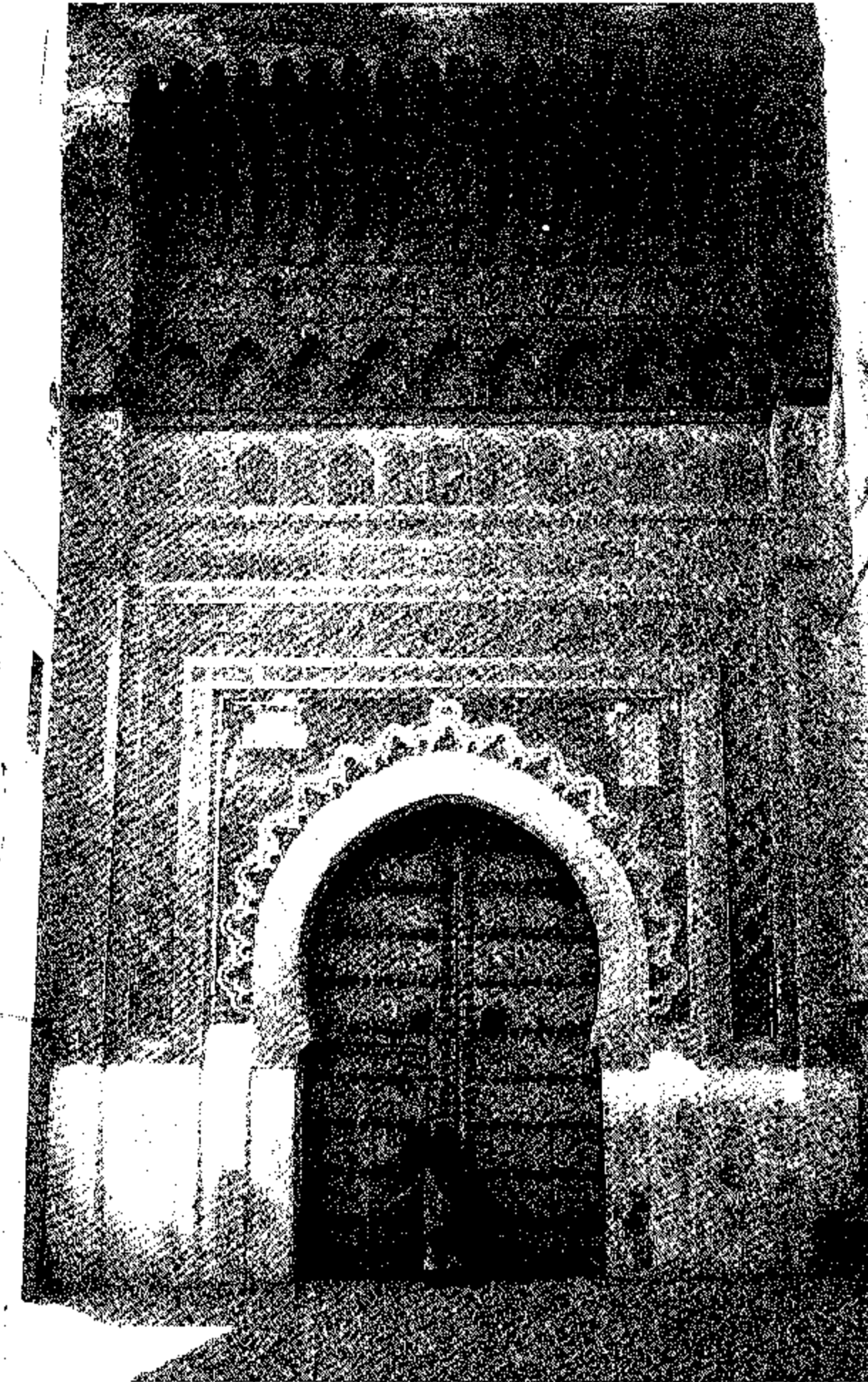
* راجع محمد الباهي « التركيب الاجتماعي والاقتصادي للمدينة العربية التاريخية » في ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٨) ، سينشر مستقلاً فيما بعد .
** راجع فرج سنبول « مستقبل المدينة العربية في المغرب » في ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٢٩) سينشر مستقلاً فيما بعد .



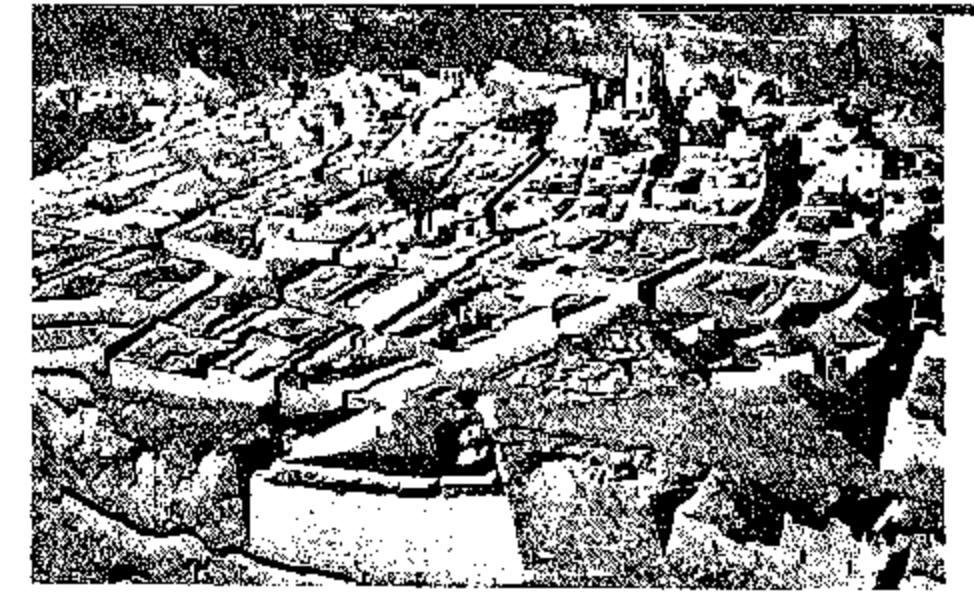
٥٢ شارع في فاس



٥٤ خريطة مدينة القاهرة الأثرية



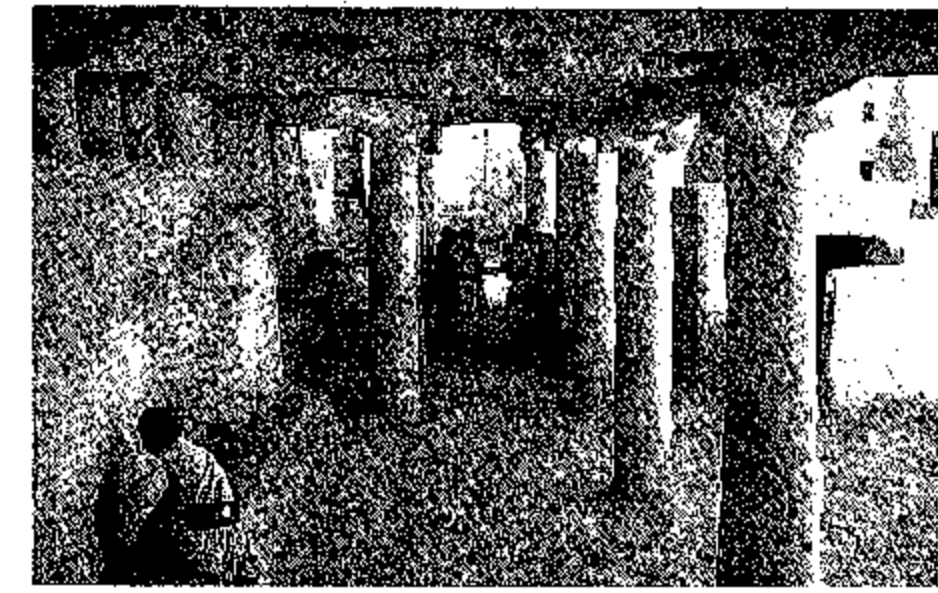
٤٩ بوابة في فاس



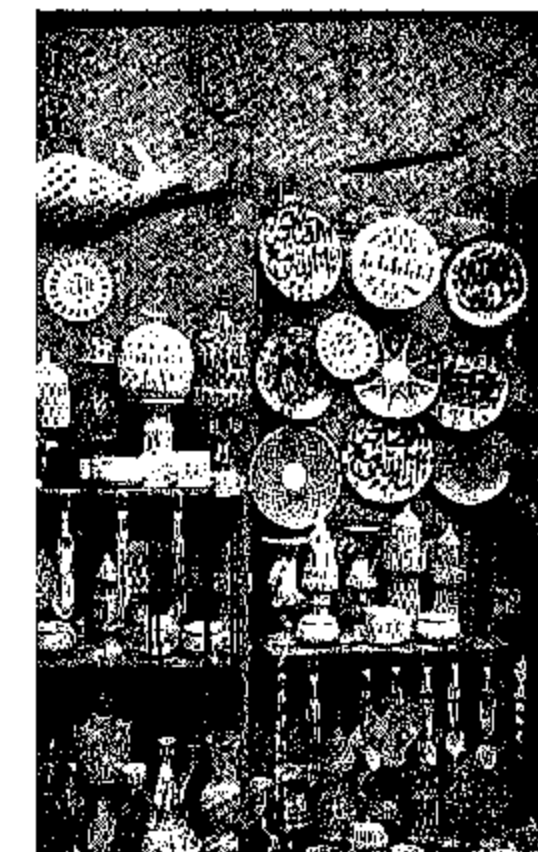
٤٦ مدينة الدرعية من الجو



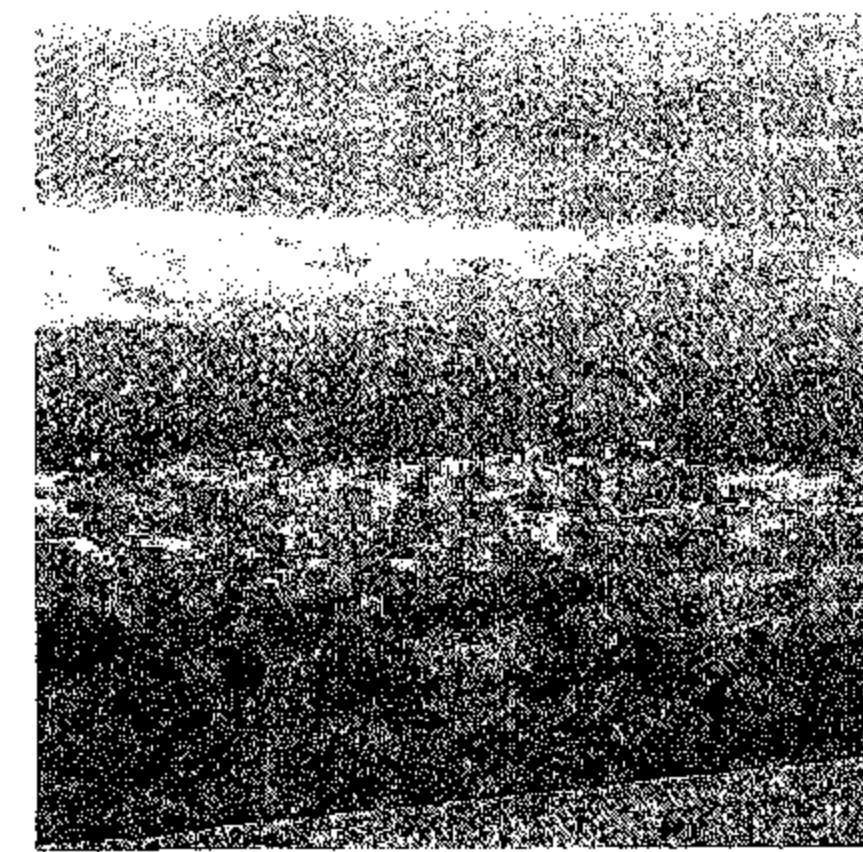
٤٧ قرية قديمة باليمن



٤٨ مسجد سعدة باليمن



٥١ صناعة الخزف بأحد أسواق تونس



٥٠ منظر عام لمدينة فاس بالمغرب

٥٢ صناعة القديمة

العوامل الاقتصادية والثقافية المحددة نمو المدينة العربية

رضا بوكراع

حسب علاقتها بالاقتصاد العالمي الا ان هذا التطور كانت تسيطر عليه القوى الاجتماعية الداخلية ولم يكن هنالك انفصال بين نمو المدينة وتطورها وبين الثقافة الاصلية المعبرة عن هويتها أى الاسلام .

والتحدى الذى تواجهه المدينة العربية الآن هو ان تسيطر على نموها وذلك حسب خصائص ثقافتها وبالاعتماد ايضا على التقدم العلمى وهذا يعنى مراجعة نمط النمو العمرانى الممارس الى يومنا هذا وذلك باعادة اكتشاف ما اصبح تراثا معماريا وتسخير ما يشتمل عليه من تقنية ومن تصورات فضائية لبناء عمران متوازن اصيل .

فاذا ما اندرج التراث فى الحياة اليومية المعاصرة وتكيف حسب متطلباتها من غير فقدان جوهره تنتفى بذلك مشكلية التراث بانتفاء التبعية وتستعيد المدينة العربية توازنها واصالتها التى اساسها اشباع الحاجيات المادية والروحية للانسان العربى المسلم .

انما المدينة بنية معمارية تخضع لعوامل جغرافية فى علاقتها بالمحيط وعوامل اقتصادية بحكم انتائها لنمط انتاج وعوامل اجتماعية نتيجة موضعها فى النظام الاجتماعى الذى تختص به التشكيلة الاجتماعية المحتوية لها .

وارتباط هذه العوامل المختلفة يكتسب معنى يولد وحدة حضارية لها خصوصيتها تتحقق فى الثقافة العمرانية المتجسمة فى تكييف المحيط العمرانى وفى طبيعة عملية الانتاج .

والثقافة العمرانية انما هى ارتباط الوظائف العمرانية فى المدينة بنظام الرموز والقيم المتولد عن التجربة الحضارية الجامعية .

والمدينة العربية تحقق فيها التوازن بين هاته العناصر المختلفة التى تستمد معنى التحامها من الاسلام كحضارة واسلوب عيش ونمط انتاج وبنية اجتماعية .

وذلك لاي معنى ان بنية المدينة العربية ثابتة لم تتغير عبر عصور التاريخ اذ ان السياقات المختلفة المندرجة فيها كانت تؤثر فى نموها سواء كانت وظائفها الاساسية تجارية أو عسكرية أو سياسية كما تغيرت ايضا بنية المدينة العربية



٥٥ ميناء الجزائر

العلاقة بين التراث الحضارى الاسلامى ونمو المدينة العربية

دارة الملك عبد العزيز

مقدمة :

المهنة الواحدة وتكتلهم ليسهل الاتصال ببعضهم وجمع الضرائب منهم في وقت واحد - وكان هذا التقارب والتكتل يفيد اصحاب المهنة الواحدة . فقد كان يفيدهم في مجال البيع والمنافسة فيما بينهم لتحسين مستوى حرفتهم وقد أصبحت ظاهرة التقريب بين أصحاب الحرفة الواحدة أساسا لتخطيط الاسواق والمناطق التجارية لفائدتها الاقتصادية العظيمة .

بعد السوق نجد المنطقة السكنية وكانت المنطقة السكنية تحيط بالسوق وتتصل به بواسطة الشوارع الرئيسية في المدينة وكانت الشوارع في داخل المنطقة السكنية ضيقة وملتوية وذلك لعدة اسباب منها :-

- كان للنظام الاجتماعى القبلى أثر كبير فقد كان أفراد القبيلة الواحدة يسكنون في جهة واحدة من المدينة أى لهم مساحة خاصة بهم في المدينة وكانت تجمع بينهم روابط قوية ففضلوا السكن قريبا من بعضهم فكانوا يشيدون دورهم متجاورة متلاصقة فنمت المدينة بذلك بطريقة غير نظامية .

- كان ضيق الشوارع يعطى للمدينة شكلا محتشدا مما يساعدهم في الدفاع عن مدينتهم وأنفسهم ضد الغارات الخارجية .

- كانت تلك الشوارع تستعمل كمسالك للانسان وممرات للحيوانات .

- جعلت تلك الشوارع ضيقة لتكون محمية من أشعة الشمس المحرقة في المناطق الصحراوية . مما يؤيد ذلك هو تغطية بعض أجزاء الشوارع عن قصد بواسطة تلالق الشرفات المتقابلة - وكانت هناك ظاهرة اخرى في المدينة وهى ظاهرة الأزقة غير السالكة أو المقلقة . ويمكن تمييزها بسهولة حصر الغزاة اذا ماتعرضت المدينة لهجمات خارجية . وربما يبرر ذلك ايضا صفة الشوارع الملتوية المتعرجة والضيقة .

وكما أسلفنا فقد كان هناك نوعان من التخطيط يغلبان على المدن العربية الاسلامية ولكننا نجد ان الخطة الدائرية تغلب على المدن الاسلامية وذلك لأن الشكل الدائرى يتناسب والافكار الدينية الاسلامية ، وذلك لأن الشكل الدائرى يسهل الدفاع عن المدينة ويكون مركز المدينة على أبعاد متساوية بالنسبة لأبراج المراقبة الموجودة على سور المدينة .

وكان للاسلام أثر كبير على معظم المدن العربية سواء التي كانت موجودة قبل الاسلام أو التي جددت بعد ظهوره .

ليست كل المدن العربية والاسلامية ينقصها التخطيط ولكن هناك مدنا نمت بعد الاسلام بصورة طبيعية وربما كانت هذه المدن اكثر من المدن التي خطط لتأسيسها . فلو نظرنا الى المدن العربية الاسلامية التي ظهرت للعالم لما وجدنا اختلافا في تخطيطها . فقد تشابهت هذه المدن في تخطيطها وتكوينها الى زمن قريب كان يصعب على الناظر الى صورها ان يفرق بينها . وقد تضافرت عدة عوامل ادت الى ظهور المدن الاسلامية وازدهارها منها الدينى والعسكرى والسياسى والاقتصادى .

تخطيط المدن العربية

ولكننا نجد نوعين لتخطيط المدينة النوع الأول ، وهو المدينة الدائرية ، والثانى هو المدينة ذات المحاور المتعامدة ومع ان النوعين مختلفان شكلا الا ان عناصرهما ومكوناتهما من ناحية التخطيط لا تختلف ، فقد كان المسلمون يبداون ببناء المسجد الجامع في وسط المدينة سواء الدائرية التخطيط أو ذات المحاور المتعامدة ، وبعد بناء الجامع الذي يجتمعون فيه لأداء عباداة الصلاة الجماعية فيه كصلاة الجمعة والاعياد . ولم يكن المسجد يؤدي هذه الوظيفة فقط ولكنه كان - منذ ان بنى النبي ﷺ مسجده بالمدينة المنورة - مركزا سياسيا واجتماعيا وحضاريا فقد كان عليه الصلاة والسلام يلتقى فيه برجاله وسفرائه . وكثيرا ما كانت المحاكم تعقد في المسجد - وكان المسجد مركزا حضاريا لدراسة القرآن وحفظه والجامع كان من المراكز المهمة للحركة الفكرية كما كان في مساجد الكوفة والفسطاط والقاهرة .

بعد بناء الجامع يأتى دور السوق في المدينة وهى المركز التجارى الرئيسى حيث يلتقى فيه التجار والحرفيون ومنه يحصل السكان على حاجياتهم وقد كانت السوق مقسمة الى عدة أقسام ، فنجد أن أصحاب الحرفة الواحدة والتجارة الواحدة مجتمعون في قسم واحد من السوق وذلك كنتيجة لتأثير اللجان المهنية - فقد كان أصحاب المهن المتشابهة منتمين الى لجنة خاصة تنظم نشاطاتهم ومعاملاتهم وكان من تأثير هذه اللجان المهنية تقارب ذوى

المدن الاسلامية :

السيطرة على طول نهر الفرات وذلك لقربه من البادية المجاورة للصحراء وكذلك اتصاله بالطرق الرئيسية من جميع الاتجاهات علاوة على خلو المنطقة من العوارض الطبيعية التي تسهل للمسلمين الهجوم والانسحاب والتنقل في أثناء القتال بحرية كاملة .

وأرض الكوفة عبارة عن سهول عالية فوق مستوى سطح البحر بحوالي ٢٢ مترا وبذلك لا تهددها الفيضانات . وحيث ان موقعها بجانب النهر فتربتها خصبة صالحة للزراعة .

وكان بذلك موقعها منيعا مأمونا بعيدا عن الاخطار فتحدها الصحراء من الغرب ويحدها نهر الفرات من الشرق حيث يمكن قطع الطرق على الأعداء القادمين من النهر وعرقلة تقدمهم . يضاف الى هذا كله وفرة المياه في نهر الفرات ووجود الأرض الخصبة الصالحة للزراعة والسكن وهذا كله مما جعل المدينة تنشأ وتتنمو بسرعة وكان من الممكن استغلال الأراضي البعيدة عن النهر في حالة توسع المدينة وانتشار العمران وامتداده وذلك لأن المياه الجوفية ليست بعيدة عن سطح الأرض مما يسهل حفر الآبار واستغلال المياه للشرب أو الزراعة .

فالكوفة بذلك تقع في مكان حيوي يتوسط العراق ويمكن منها فرض السيطرة على طول منطقة نهر الفرات من الناحية الحربية ويجعلها ممراما في طريق القوافل التجارية ومحطة في طريق الحج الى مكة ويساعد موقعها هذا على ان تكون مركزا للتجارة وسوقا نشطة للتبادل التجاري . وما يزيد من اهمية موقع الكوفة أنها منذ انشائها كانت ملتقى عدة طرق رئيسية وهامة وذلك لوقوعها على نهر الفرات من ناحية ومن ناحية اخرى توسطها للعراق . وكانت هذه الطرق تلتقى جميعا في مركز المدينة وتتفرع من المدينة الى جهات اخرى .

ومن ناحية تخطيط مدينة الكوفة وبنائها فقد كانت على غرار مدينة البصرة التي سبقتها في التخطيط بعامين أو ثلاثة وكان المسجد الجامع ودار الامارة أول ابنتها .

وقد التزم المشرفون على تخطيط مدينة الكوفة ببيان عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » الذي أرسله لسعد بن أبي وقاص لما يبنى ان تكون عليه سكك الكوفة وطرقها وأزقتها حينما شرع سعد في تخطيط مدينة الكوفة فأمر عمر بن الخطاب أن تكون كل قطعة أربعين ذراعا وبين كل قطعتين طريق عرضه عشرون ذراعا .

واما الأزقة فقد أمر عمر ان يكون كل منها سبعة أذرع . وبعد ان تم ذلك نزلت كل قبيلة في الموضع الذي خصص لها فنجد مثلا أن أهل اليمن نزلوا في الجانب الشرقى من المسجد وقد كان الجانب الشرقى هذا خير الموضع في مدينة الكوفة لأنه يقع بين نهر الفرات والمسجد ولأن أهل اليمن كانوا أكثر تعدادا من أى قبيلة أخرى فقد كان هذا الموضع ملائما ومنطقيا لنزولهم .

وخصص المشرفون على تخطيط المدينة قطائع فرعية دون القطائع الرئيسية في المساحة ولكنها تلاقها من أطراف مختلفة وقد خطت وراء صحن المسجد وذلك لنزول المحاربين والقواد حين عودتهم من الفتوح .

وأما بالنسبة لسكك مدينة الكوفة فقد راعى المشرفون في تخطيطها وتنظيمها أن يكون عرض السكة الواحدة خمسين ذراعا من أذرع اليد وكانت تتخلل هذه السكك بعض الأزقة والدروب وكان بعض هذه السكك تنار أثناء الليل بالمشاعل .

بعد ظهور الاسلام وانتشاره بدأ المسلمون في بناء المدن في زمن مبكر اذ ماكادوا يفتحون العراق ومصر ويصلون الى تونس من زمن عمر بن الخطاب حتى وضعوا اسسا لأربع مدن واستمروا في بناء المدن حتى العهد الاسلامي المتأخرة .

وقد كان الهدف والدافع الأول لبناء المدن الاسلامية هو الغاية الحربية في الدرجة الأولى وذلك لاقامة الجند وانزال الجاليات العربية المشتركة في الفتح . ولما استقر الحكم الاسلامي أصبحت المدينة اما حاضرة أو مركزا للتجارة . وقد احتفظ العرب حتى بعد نزولهم في المدن وبما رستهم الحياة المدنية بالتنظيم القبلي وظلوا ينتسبون الى القبيلة لا الى المدينة ولهذا كانت المدن تقسم عند تخطيطها الى أحياء خاصة تسمى الخطط أو القطائع ينزل في كل خطة أو قطعة قبيلة من القبائل . وستعرض فيما يلي لبعض المدن العربية الاسلامية الأولى .

الكوفة :

الكوفة هي المدينة الاسلامية الثانية بعد البصرة التي أسست في العراق بعد الفتح العربي ، وقد أسسها القائد سعد بن ابى وقاص « رضى الله عنه » عام ١٧ هجرية بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » وهي تقع في الجانب الغربى من نهر الفرات وكان السبب الرئيسى لتأسيسها أن تكون قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق لتكون دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن . وكانت الكوفة منذ انشائها موطن المجاهدين العرب ومركز القوة الاسلامية كما رسم لها حين انشائها ثم تمت بعد ذلك وكثر فيها العمران وازدهرت ازدهارا كبيرا ووصلت الى أوج عظمتها في العصر الأموى . وأخذت الكوفة دورها الكبير في الحياة الاسلامية مما أدى الى ازدهارها وتناولتها أحداث الحياة المتلاحقة واحدة تلو الأخرى في بداية نشأتها . ثم تضاءلت وتحولت الى قرية بسيطة بعد ان كثر الوافدون عليها فأصبحت مركزا للدسائس والمؤامرات الثورية الى نهاية العصر الأموى ويبدو انه حين انتصرت الدعوة العباسية اتخذها العباسيون قاعدة للحكم وان لم يقيموا فيها ومن المحتمل انهم احسوا انها مركز العلويين مما جر عليها الخراب .

وتعتبر الكوفة بصورة عامة ثغرا من ثغور البادية ومحلا لتبادل التجارة بين الفرس من جهة والبدو من جهة اخرى كما كانت جسرا للاتصال بين الجماعات والقبائل العربية المنتشرة في البادية وأهل المدن والقرى التي تجاورها .

وقد بدىء بتخطيط الكوفة وتأسيسها بعد الفتح العربى للعراق وحاجة المسلمين الى الاستقرار . وكان قد استقر رأيهم في بادىء الامر على المدائن عاصمة الدولة الساسانية لكن العرب قد فطروا على حب الصحراء ذات الفضاء الواسع والهواء النقى . وكانت المدائن محاطة بالمياه والمستنقعات مما يجعلها عرضة لأخطار الفيضانات وانتشار الحشرات ثم ان المدائن قريبة من الحدود الفارسية وبعيدة عن مركز الخلافة مما يهدد أمن المسلمين وسلامتهم . ثم ان احتلال هذا المكان المتوسط للعراق يضمن للمسلمين

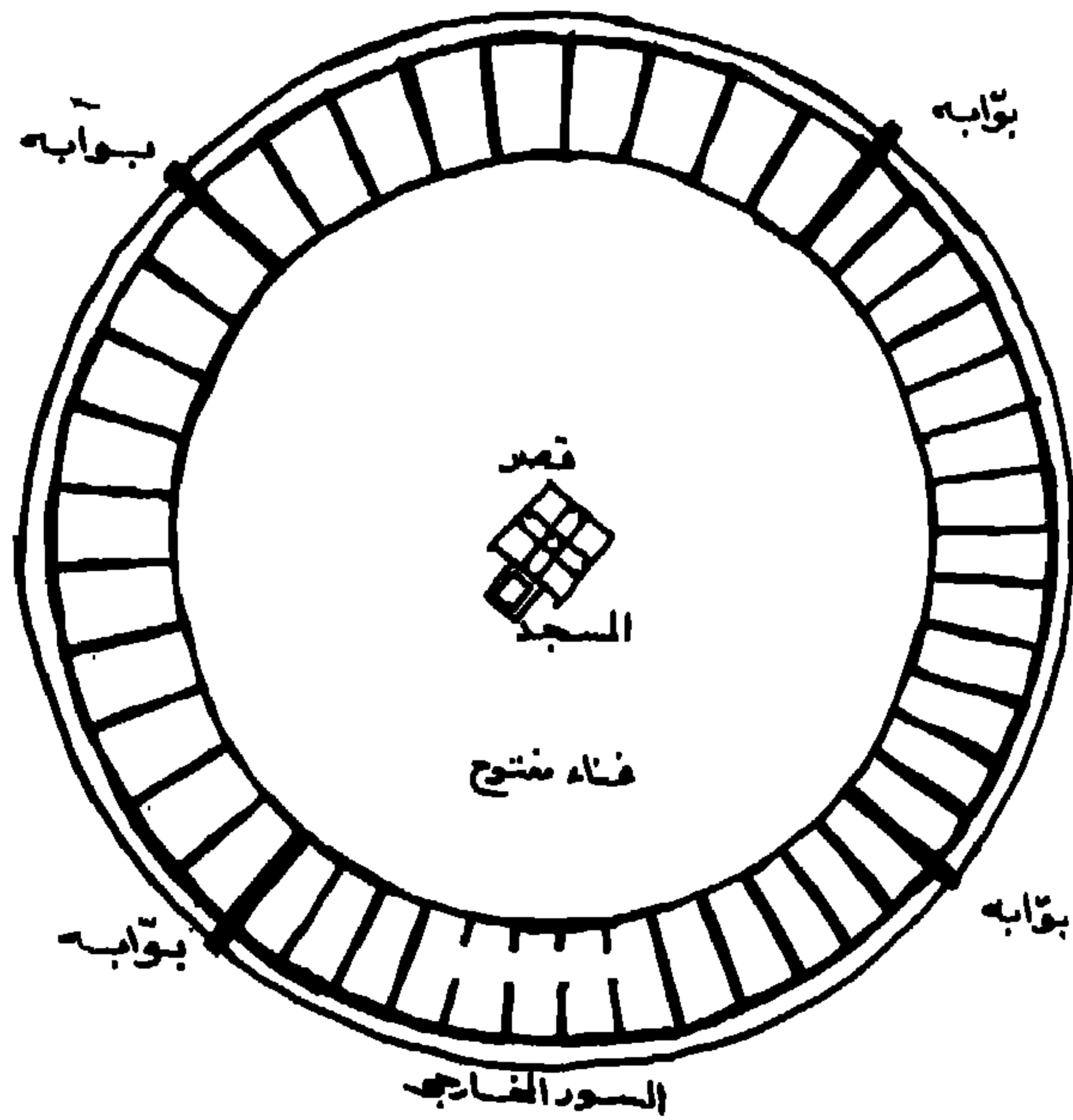
وقد بدىء في بناء المدينة المدورة عام ١٤٥ هـ وهو أصح التواريخ التي أوردتها لنا المراجع التاريخية . وللمدينة عدة أقسام ومعالم :

- الخندق : كانت له سدتان وظيفتهما حماية السور وجدران المدينة من تسرب مياه الخندق إليها . ويحاذى السدة من الخارج السور الخارجي . وكان هذا السور أقل سمكا وارتفاعا من السور الثاني الذي يليه وله أربعة أبواب . وحسب رواية يعقوبى ان المسافة بين كل باب والباب الذي يليه هي خمسة آلاف ذراع . ومن هذه الرواية يمكننا أن نحدد مساحة المدينة ، لأنه لما كانت المسافة بين جميع الأبواب الأربعة متساوية فان محيط المدينة المدورة يكون عشرين ألف ذراع وهو طول السور الخارجي ولما كان الذراع حوالى نصف متر فيكون محيط المدينة المدورة عشرة آلاف متر وهو طول السور الخارجي وبذلك تكون مساحة المدينة المدورة (٧٩٤٥٤٥٧) مترا مربعا أى أن مساحتها حوالى ثمانية كيلومترات مربعة - وهناك روايات كثيرة عن مساحة المدينة .

أما أبواب المدينة المدورة فسموها المنصور : باب الكوفة ، باب البصرة ، باب خراسان ، باب الشام .

ولهذه الأبواب ظاهرة معمارية فريدة هي ازورار مداخلها وهذا الطراز من الداخل يخفى وراءه أسلوبا عسكريا يلاحظ فيه ان الغزاة بعد اقتحامهم البوابة يضطرون الى الانحراف الى اليسار للعبور من مدخل ثان وبذلك يتعرضون للسهم الموجهة اليهم ونستطيع القول أن المدخل المزور المستعمل في أبواب مدينة بغداد هو أقدم مثال للمدخل المزور .

وكان السور الخارجي والسور الذى يليه (السور الاعظم) يفصلهما مسافة خالية تسمى (الفصيل) وفائدة هذه المسافة تنحصر في الدفاع عن المدينة - وقد منع المنصور السكن في هذا الفصيل .



بغداد (العرب الثامن الميلاذ) .
اقتباس من العمارة الإسلامية (تكرزوبل) .
مخطط بغداد ٥٦

وفى الواقع فان تخطيط مدينة الكوفة لم يقتصر على المسجد الجامع وحده بل خطت مساجد اخرى صغيرة للقبائل حسب مواضعها من التخطيط وذلك لتيسير العبادة على المصلين ولإجتماع المسلمين فى صلاة الجمعة فى المسجد الجامع وبذلك أصبحت كل خطة من خطط المدينة تشتمل على مسجد - وقد تهدمت جميع هذه المساجد القبلية ولم يبق الا مسجد السهلة الذى مازال قائما الى اليوم .

هذا وقد اشتملت بعض الأحياء القبلية بعد تخطيطها على بيع وأديرة لأهل الذمة الذين كانوا يعيشون فى كنف الدولة الإسلامية وذلك لتمكينهم من أداء شعائرهم الدينية تحت كفالة الدولة .

كما كانت تتخلل هذه الخطط أيضا بعض الحمامات التى كان يقصدها الناس .

ذلك ما كان من أمر تخطيط مدينة الكوفة تخطيطا شاملا لاهنتها وقطائعها وسككها وأسواقها ومساجدها ومقابرها واديرتها وحماماتها ولتنقل الى مدينة اخرى من المدن الإسلامية :

مدينة بغداد - أو المدينة المدورة :

فى العهود الإسلامية المبكرة كان للعاصمة أهمية عظيمة من الناحيتين الادارية والتنظيمية وذلك مما منح العواصم الإسلامية التى أصبحت بعد ذلك مراكز حضارية وعسكرية فى آن واحد القوة والسيطرة وقد كانت هذه العواصم ذات ارتباطات وثيقة الصلة بالاسر الحاكمة التى تابعت فى حكم الدولة الإسلامية وذلك امر بديهي بالنسبة لطبيعة الاسر العربية المسلمة الحاكمة كما يتعلق بالظروف السياسية التى جاءت فيها هذه الاسر الى الحكم .

وحينما تم النصر للعباسيين كان موضع اختيار عاصمة جديدة لهم من الامور المهمة التى شغلت بال ابى العباس السفاح فى أو عهد الدولة العباسية وقد تنقل ابو العباس السفاح بين عدة مراكز ولكنه كثيرا ماغير هذه المراكز لعدة أسباب وكان لقصر مدة خلافته الاثر الكبير فى عدم حسم هذه القضية حسمنا ناجزا . ولما أستخلف ابو جعفر المنصور انتقل أول الامر الى منطقة الكوفة وبنى هناك مدينة الهاشمية ولكنه بعد اكثر من ثمانى سنوات شرع فى بناء مدينة بغداد المدورة - وابو جعفر المنصور هو الذى اوجد المدينة المدورة كفكرة فى أول الامر ثم نفذها فأصبحت حقيقة واقعة تشهد بعظمة الدولة العباسية .

والسبب الذى حدا بالمنصور الى ايجاد بغداد هو ثورة الرواندية التى خشى المنصور من أن تتطور وتتضاعف وربما توقد ثورة كبيرة تذهب استقرار دولته وأمنها وتودى بحياته وخلافته .

وتروى لنا المصادر التاريخية ان المنصور قد قسم مدينته عند بدء تخطيطها الى أربعة أقسام أناط المنصور الاشراف على كل قسم منها الى ثلاثة من رجاله أولهم قائد وثانيهم مولى وثالثهم مهندس وهكذا يتبين أن أربعة من المهندسين اشتركوا فى بناء مدينة بغداد .

- السور الأعظم : هناك أختلاف في المصادر العربية لتحديد أبعاد هذا السور ولكن بناء المدينة حرصوا على جعل هذا السور بناء قويا وضخما حتى يستوفى بذلك شروط الدفاع والاستحكام وقد جعلوا له أبراجا عظيمة وكان عند مدخل هذا السور دهليز عليه بابان من الحديد وكان فوق البوابة الرئيسية في هذا السور قبة عظيمة عالية ومذهبة وكانت مداخل هذا السور أبواب حديد عددها ثمانية أبواب يوجد بابان منها في كل مدخل من المداخل .

- الفصيل الداخلي : ينتهي الداخل بعد دهليز السور الأعظم الى رحبة مربعة - ويوجد طريقان واحد عن يمينها والثاني على يسارها . وهذا الفصيل مار بجميع الأبواب وعرضه حوالي (٢٥) ذراعا ويؤدي بعد ذلك من الرحبة المربعة الى الطاقات وعدد الطاقات ثلاث وخمسون طاقة وهي غير طاقات المدخل . وفي رواية للخطيب يذكر فيها عرض الطاقات بخمسة عشر ذراعا وطولها من أول الرحبة الى الطاقات الصغرى مائة ذراع . وتمتد المنطقة السكنية خلف الطاقات من جهتي اليمين واليسار . والمنطقة السكنية تتضمن السكك والشوارع والدور وتنقسم المنطقة السكنية الى أربعة أقسام كل قسم منها يؤلف ربع دائرة وهي المنطقة السكنية الوحيدة للناس في المدينة وتقع هذه المنطقة السكنية بين الجدار الضخم للسور الأعظم والجدار المحيط بالمنطقة المركزية وكانت سكك المدينة تعرف بقواد المنصور ومواليه ويسكان كل سكة - وكانت الطاقات الموجودة بالمدينة بمثابة الاسواق لبغداد حتى عام ١٥٧ هـ حينما انتقلت الاسواق الى خارج المدينة .

- الرحبة العظمى : يؤدي الدهليز العظيم الموجود عليه بابان من الحديد الى الرحبة العظمى . وتقع هذه الرحبة في وسط المدينة ويمكن لنا أن نسميها قلب المدينة وكان في هذه الرحبة قصر المنصور والمسجد الجامع ودار للحرس وسقيفتان احدهما لصاحب الشرطة والأخرى لصاحب الحرس وكذلك توجد بها منازل أولاد المنصور الصغار والدواوين . ومن الجدير بالذكر أن المنصور كان لايسمح لأحد من أتباعه أو حاشيته بالدخول الى الرحبة العظمى وهو راكب .

- قصر المنصور (قصر باب الذهب) : كان المسلمون قبل بناء بغداد اذا اختلطوا مدينة بدأوا بالمسجد الجامع أولا ، أما في بغداد فان المنصور جعل قصره في وسطها وقصر باب الذهب عبارة عن مربع طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة أربعمائة ذراع وفي صدر القصر ايوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون و فوق هذا الايوان مجلس آخر له نفس الأبعاد وفوق المجلس القبة الخضراء . وكان على رأس القبة الخضراء صورة فارس في يده رمح .

- مسجد المنصور : يعتبر مسجد المنصور أول مسجد شيد على أرض بغداد ويعد تخطيطه نموذجا لتخطيط الجوامع التي بنيت بعد ذلك في بغداد ومن المؤسف ان معالم هذا المسجد قد زالت منذ سنين كثيرة . وقد بنى المسجد ملاصقا للجدار الشمالي الشرقى من قصر باب الذهب ، وتم تنفيذ بناء المسجد على يد الخليفة المنصور عام ١٤٥ هـ وكان عبارة عن مربع متساوي الأضلاع طول كل ضلع من أضلاعه حوالي مائتى ذراع وقد بنى المسجد باللبن والطين وكانت أعمدته من

الخشب أما قبلته فاحتاجت الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا ونشأ هذا الانحراف نتيجة لبناء المسجد ملاصقا للقصر الذى كان غير مستقيم على القبلة .

هذا ما يمكن قوله عن مدينة بغداد المدورة وعن تخطيطها وأقسامها الهامة المختلفة والتي بناها أبو جعفر المنصور لتكون عاصمة للعباسيين وحاضرة لهم .

القاهرة (قاهرة المعز) :

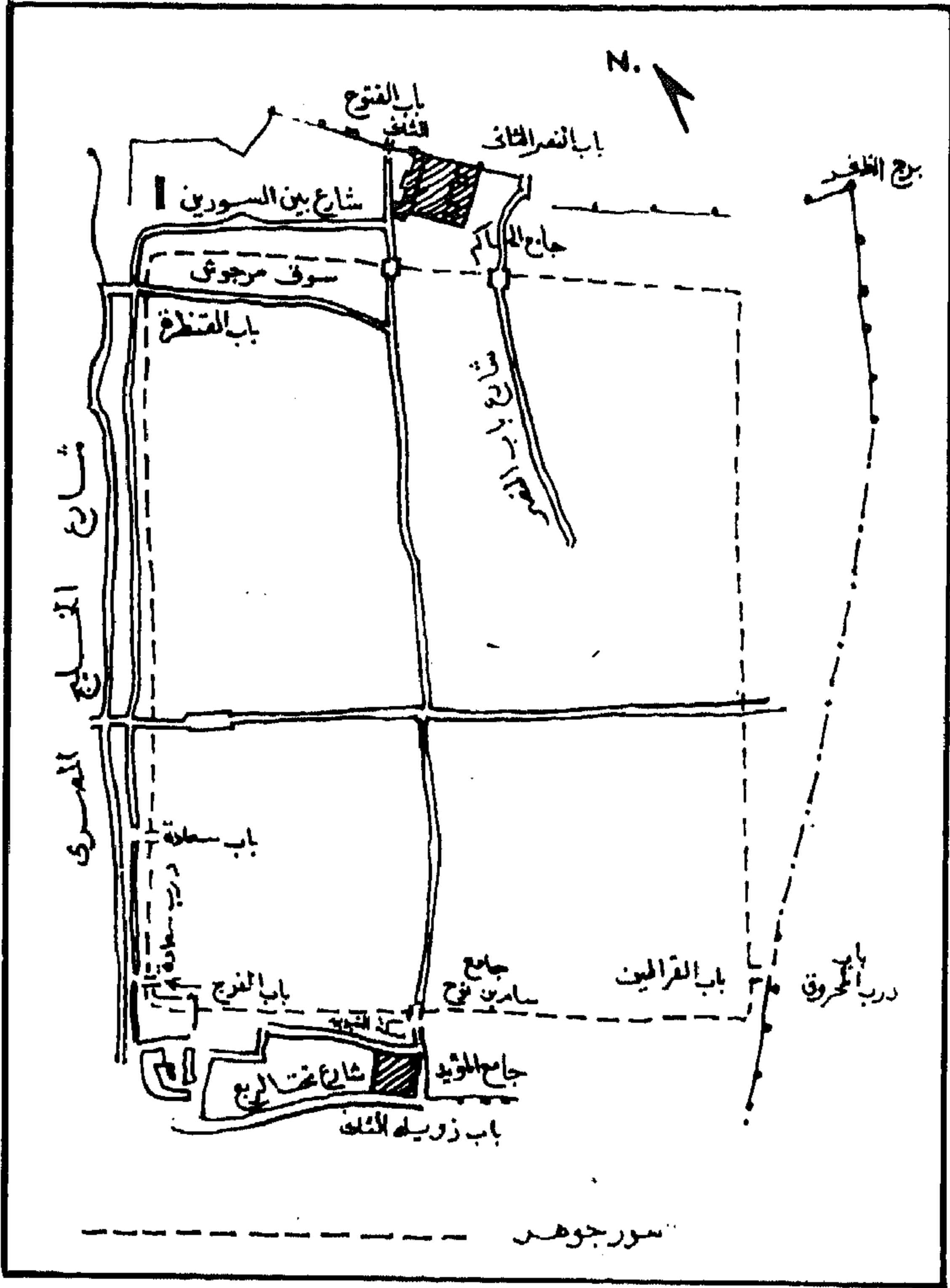
ويرجع تاريخ قاهرة المعز الى ثلاث مراحل متتابعة أولها الشكل العسكرى في زمن عمرو بن العاص (الفسطاط) ثم العسكر في عهد الاخشيديين ثم احتلال الفاطميين لها بقيادة جوهر الصقلى في زمن المعز لدين الله الفاطمى . ومنذ ذلك العهد بقيت بتسميتها قاهرة المعز أو القاهرة . والفسطاط مدينة الفتح العربى الاسلامى التي أنشأها عمرو بن العاص بعد أن فتح مصر - وأنشئت الفسطاط خارج مصر في الجهة الشرقية للنيل وقد اختط عمرو بن العاص الفسطاط عام ٢١ هـ وبنى مسجدها الجامع ودار الامارة المعروفة بدار الرمل وجعل الاسواق محيطة بالمسجد وقسم أرضها كالكوفة والبصرة خططا للقبائل .

ويذكر المقرئى ان الذين تولوا تخطيط الفسطاط ثلاثة من العرب يرأسهم معاوية ابن حديج وكانت خطط الفسطاط كثيرة منها خطة أهل الراية وخطة لحم ومذحج وبنى وائل وبنى سبأ وغيرهم وسميت كل خطة بأسماء من نزلها من القبائل .

وقد شذت الفسطاط في تخطيطها عن البصرة والكوفة من ناحية بناء دار خاصة للامارة فليس صحيحا ما ذكره اليعقوبى من أن عمرو بن العاص كان قد بنى دارا خصصها للامارة بل أن عمرو بن العاص بنى لنفسه دارا اتخذها مقرا لحكمه وقد ذكر الدكتور احمد فكرى في مؤلفه « مساجد القاهرة ومدارسها » ما مفاده أن ولاية مصر في أول الامر لم يكن لهم مقر رسمى ولا دار للامارة واتخذ عمرو بن العاص الدار التي اقامها لسكنه بالقرب من المسجد الجامع مقرا للحكم وصار الامر هكذا بعده فكل وال من بعده كان يتخذ الدار التي يسكنها مقرا للامارة واستمر الحال كذلك الى نهاية العصر الأموى .

وأخذت الفسطاط شكلا منظما شيئا فشيئا والتف العمران في شكل نصف دائرى حول مسجد عمرو بن العاص . وبعد استتباب الأمر وانتظام العمران والتفافه حول مركز العمران السياسى والقيادى الا وهو المسجد ومع هذا الانتصار جاءت حرية اختيار الموقع الأنسب استراتيجيا والتمشى مع معطيات البيئة ولذلك جاءت العسكر والفسطاط بالقرب من مجرى النيل وعلى امتداد هذا الجرى وفي شكل دائرى متكامل .

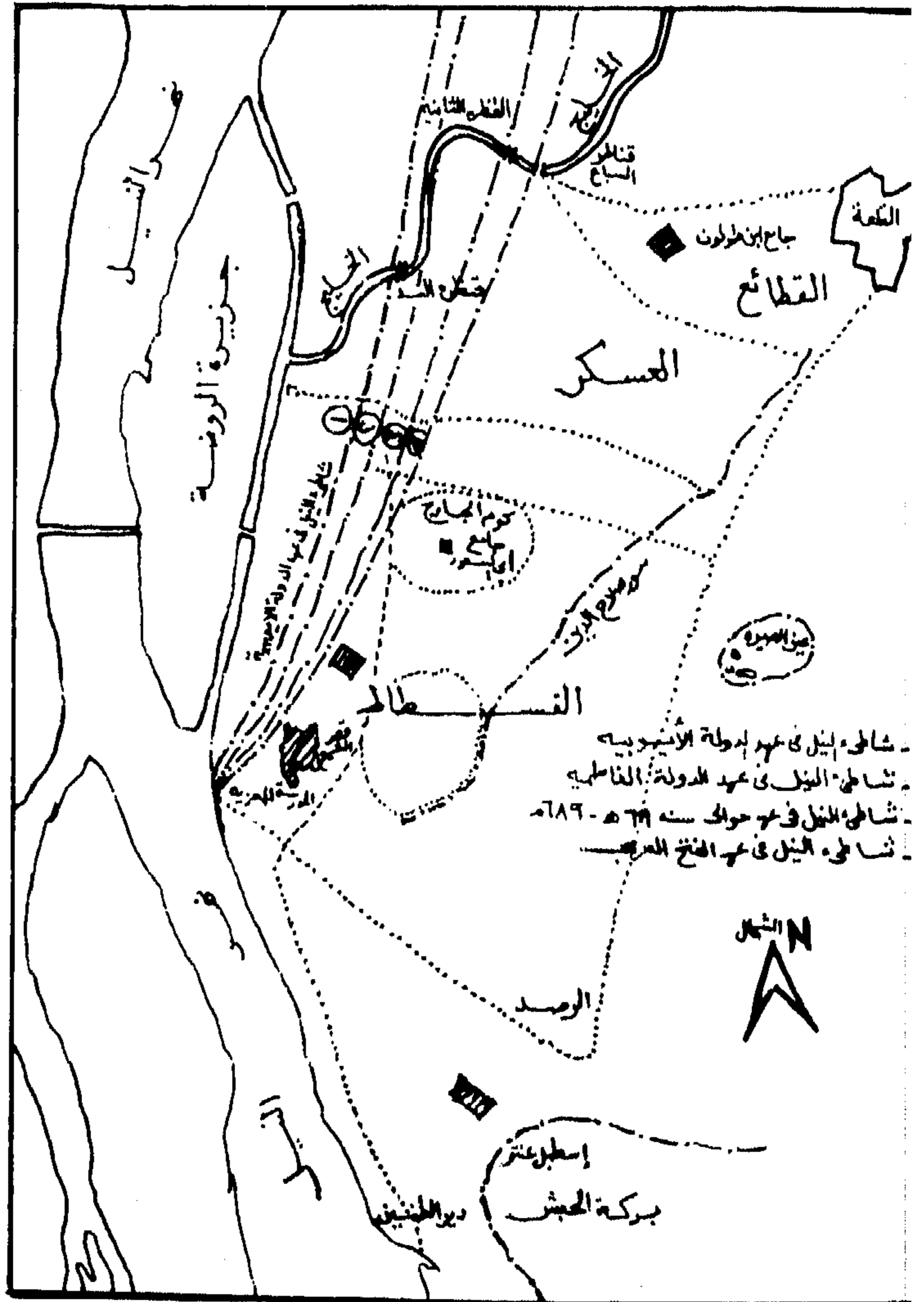
والجدير بالذكر أن قطاع احمد بن طولون والمسجد المشهور الذى يحمل اسمه التفت في زمن تلا عصر أوج الفسطاط في شكل نسيج عمراى محدود ومنفصل عن الفسطاط وان كانت تعتبر حيا من أحياء الفسطاط الا أنه مهد لشكل القصر الحصين الذى ظهر واضحا في الفترات التي تلت ذلك .



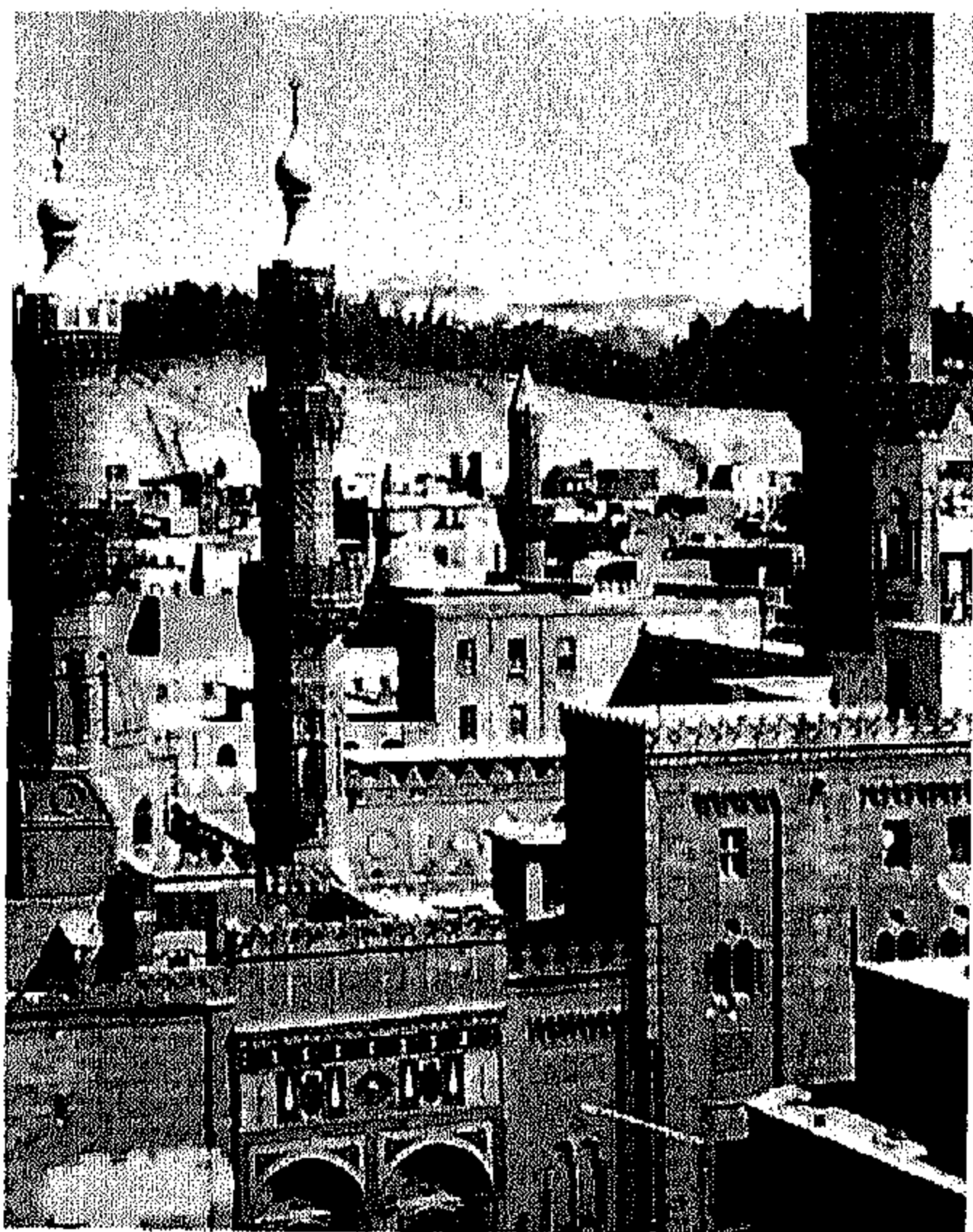
القاهرة الفاطمية ٥٧

لتسمية القاهرة تفسيرات عديدة من أهمها انها سميت نسبة لكونها حصنا يحصن القيادة السياسية وقتها والعبارة في اختيار ذلك الحصن هي احترام قيمة التضاريس والأهمية الاستراتيجية للموقع من حيث انها أشرفت على الفسطاط والعسكر والقطائع والأودية الملاصقة للحصن .

ونستطيع القول أن القاهرة اسم لحصن وليست مدينة عمرانية النسيج وبذلك فإن عاصمة مصر منذ الفتح العربي الاسلامي تكونت بشكل عمراني فريد إذ أنها عبارة عن مدن وحصون لقصور حكامها متلاصقة - وكان أساس هذا التسلسل في انشاء تلك المدن هو اختيار الموقع المناسب عمرانيا شيئا فشيئا . يبدأ بالمستوى ثم المتدرج ثم الشاهق ، وكلما ارتفع موقع العمران ظهرت الحاجة الى ضخ مياه الشرب من النيل ومن الآبار وظهرت دراسات تحمل اسماء عديدة في هذا الموضوع منها مقياس النيل وعدة أماكن أظهرت تطور علم تخطيط المدن والبحث العلمي لتوفير مياه الشرب لسكان تلك العصور .



خريطة الفسطاط والعسكر والقطائع



جامع الأزهر - القاهرة ٥٩

من كل ماتقدم يمكننا ملاحظة ان تخطيط المدن في العصور الاسلامية كان يختلف من مكان لآخر تبعا للظروف والملابسات التي مر بها تاريخ البلاد التي اختطت بها هذه المدن ولايتسع المجال لدراسة تخطيط كل مدينة على حدة وبالتفصيل ، ولكن هذه المدن عند تخطيطها تبدأ على أى حال بتخطيط المسجد الجامع ودار الامارة ولم يشذ عن ذلك سوى الفسطاط حيث لم يكن بها دار للامارة بل كانت دار الولى تقوم بهذه المهمة وهذا من أهم اجزاء النسيج العمرانى الاسلامى الأول ويليه بعد ذلك السوق والمسكن والطرق والسكك .

ومما تقدم نجد ان هذا التشابه والتطابق بين المدن العربية والاسلامية الأولى مبرراته بسيطة وسهلة الاستنتاج والاستنباط . انها كلمة واحدة .. هي الاسلام . نعم الاسلام دين ودولة وشريعة ومنهاج وقاعدة وحكم وعلى الرغم من اختلاف المناخ من بلد لآخر واختلاف ألوان الشعوب ولغاتها الا انها كانت تستقى من ماء واحد هو القرآن الكريم . تطبقه في حياتها وعملها فأخذت دورها القيادى للبشرية في الحضارة فكانت نهضتها الفكرية والعلمية وكان للمسلمين دور حضارى رائد في تشييد المدن وبناء الدور والمساجد والمكتبات على ضفاف دجلة والنيل وفي أقصى المغرب والاندلس حيث كانت أوج القوة والازدهار وما من ريب في ان التقدم العمرانى في مختلف ارجاء العالم الاسلامى اذ ذاك الا مظهر قوى لوعى الامة الاسلامية وتطورها وتقدمها .

اما مدينة القيروان فقد اختطها القائد عقبة بن نافع في تونس بشمال افريقية عام ٥٠ هـ وكان أول ما اختط فيها هو دار الامارة والمسجد الجامع ولم يحدث فيه بناء وكان يصلى فيه وهو كذلك وبعد تحديد محراب المسجد اقتدى به الناس وبعد بناء المساجد والمسكن شد الناس اليها المطايا من كل بلد وعظم قدرها وكانت دار الامارة لها في قبلة المسجد وذلك قبل ان يخربها ابراهيم ابن الأغلب . وكانت القيروان في وسط الصحراء بعيدة عن العمران وكانت بذلك آمنة من هجوم الاعداء ولم يمنعها انزاعها هذا من ان تنمو وتكبر . واذا كان عقبة بن نافع قد عزل عنها فترة من الزمن الا أنها استعادت عظمتها بعودته عام ٦١ هـ وظلت مايقرب من أربعمائة عام على رأس مدن افريقية والمغرب وكان لها سور له أربعة عشر بابا . وكانت سوقها متصلة بالمسجد من جهة القبلة وممتدة الى باب يعرف بأسم باب الربيع وذكر البكري انه كان لهذه السوق سطح متصلة به جميع المتاجر والصناعات وان هذا السطح قد تعرض لبعض التهدم . وامر هشام بن عبدالمملك بترميمه عام ١٠٥ هـ .

وتختلف القيروان ايضا عن المدن العربية في ان كل قبيلة نزلت بها لم تكن تحتص بمكان معين من المدينة ربما لأن فتحها جاء متأخرا وربما لعدم حرص القبائل التي اشتركت في فتحها على ان تظل بمعزل عن القبائل الأخرى في سكنها كما حدث في المدن السابقة .



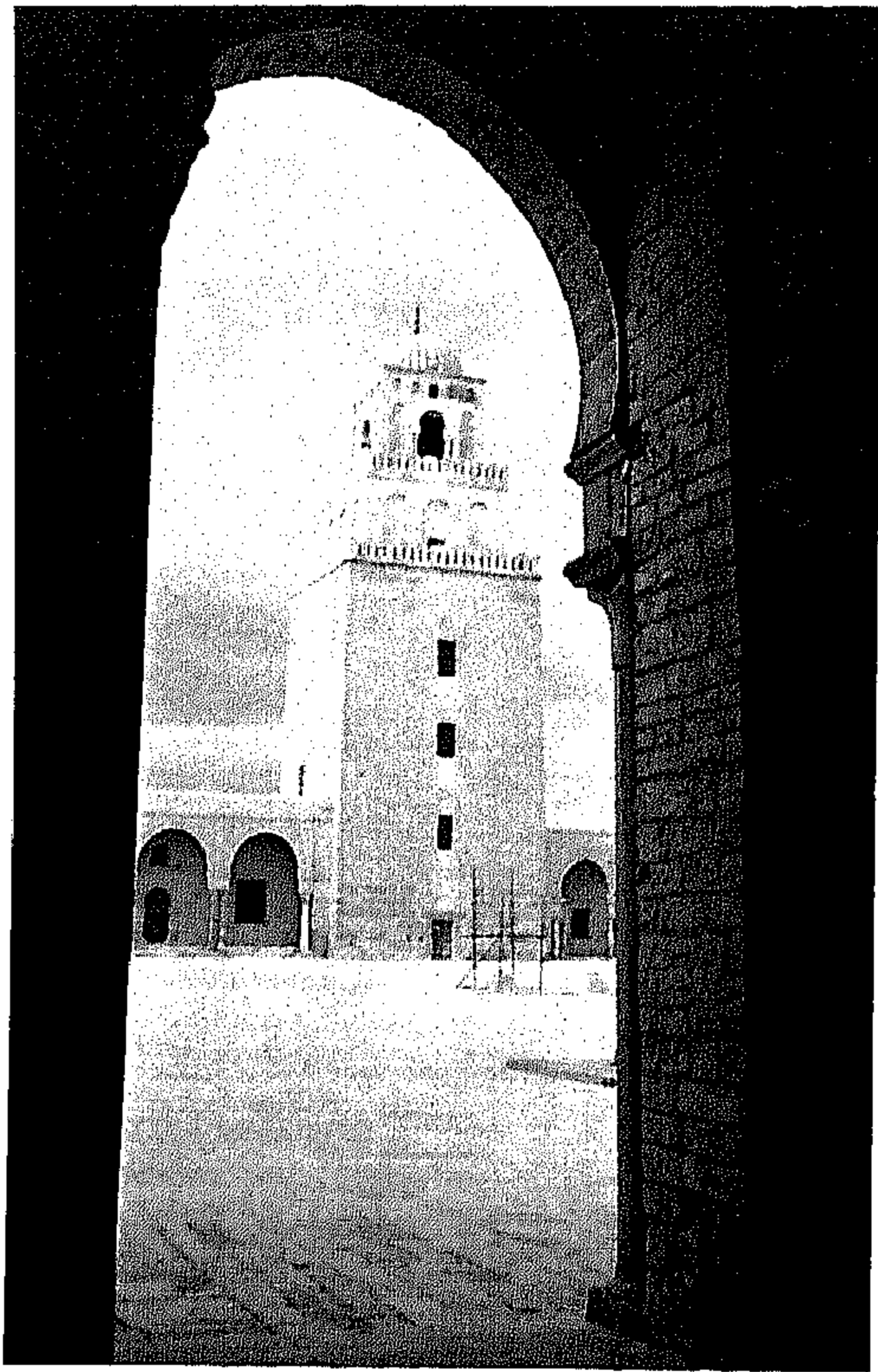
القيروان ٦٢



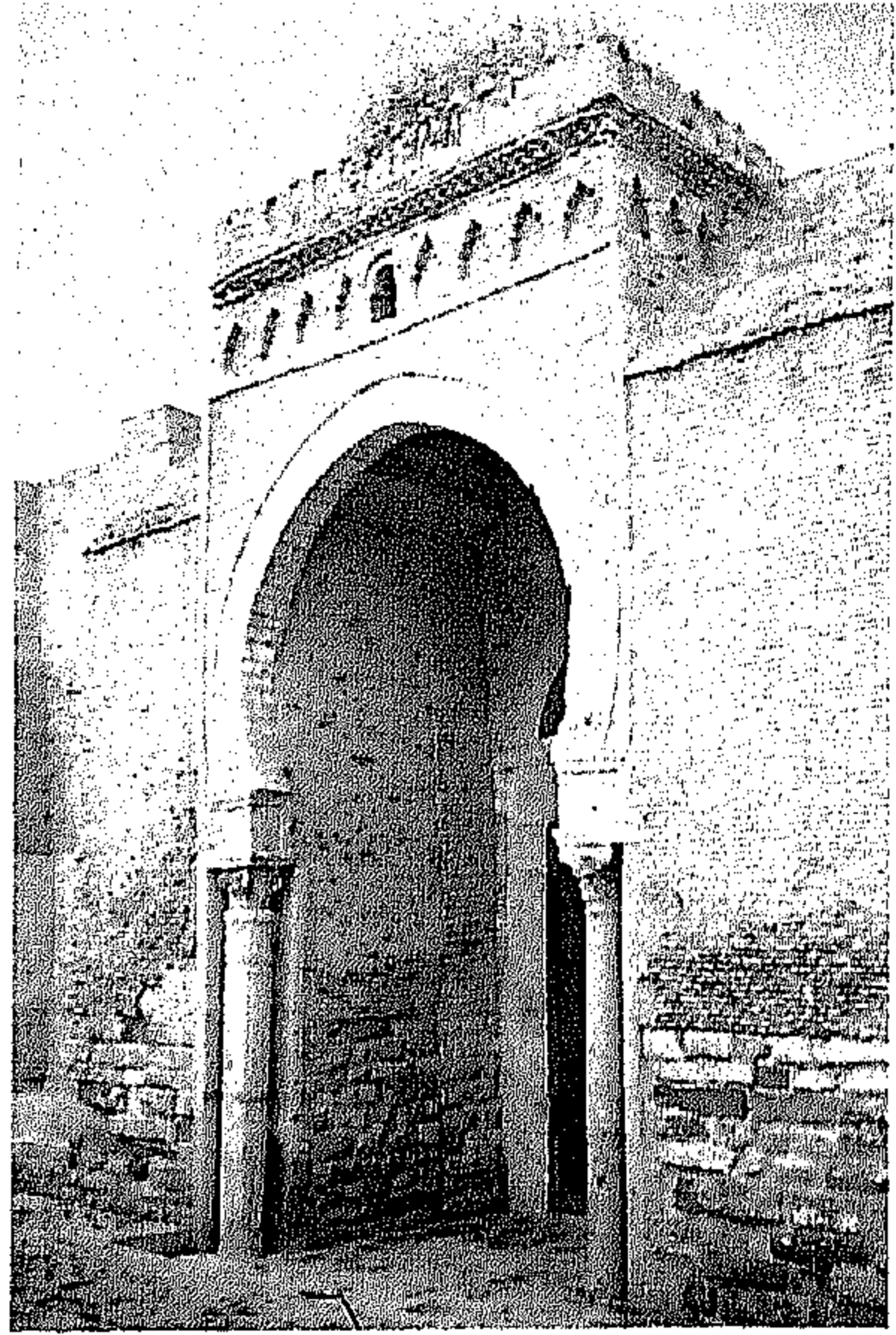
القيروان ٦٠



القيروان ٦١



القيروان ٦٤



٣٥٥

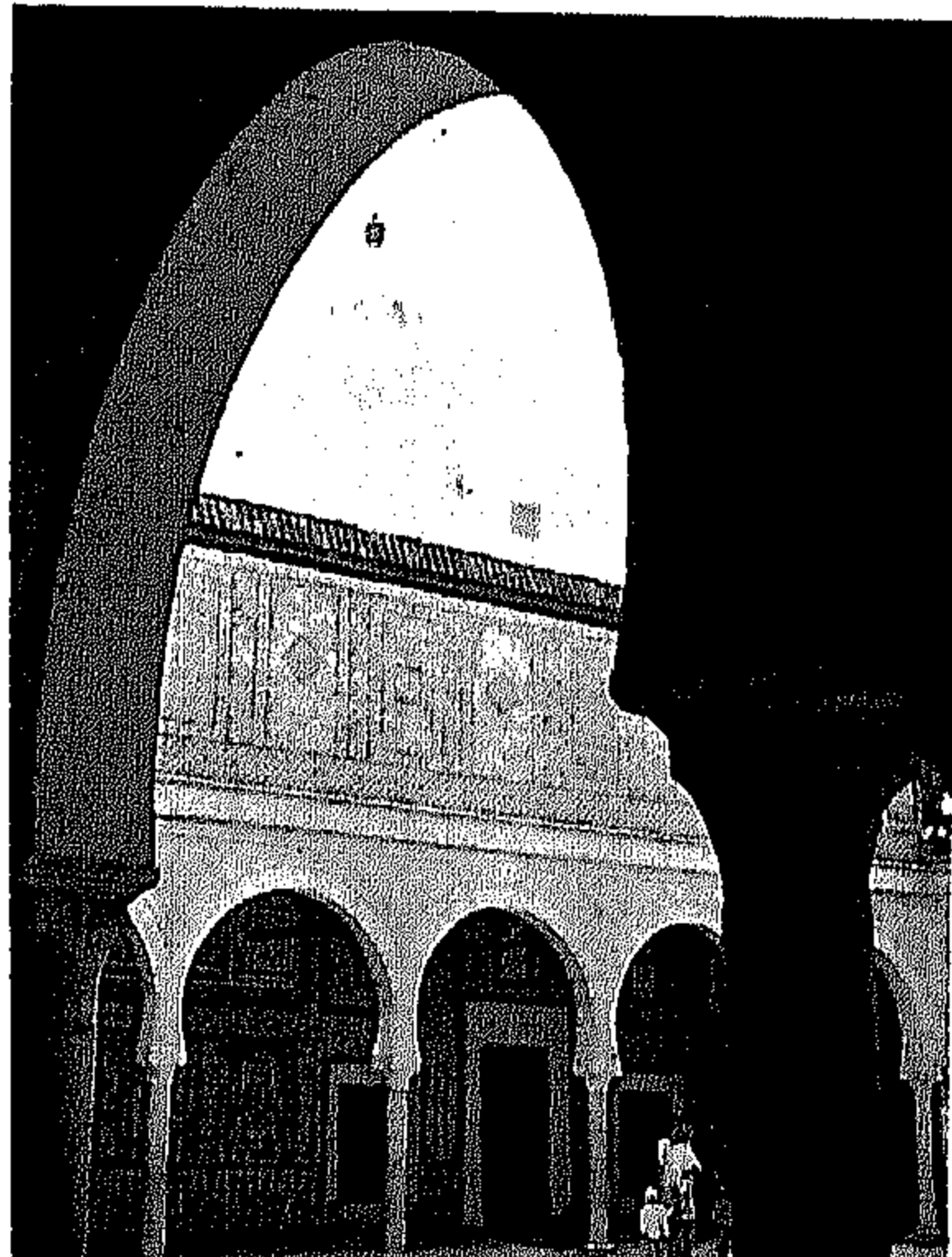
القيروان ٦٣



القيروان ٦٦



القيروان ٦٥



القيروان ٦٧

٤٥

القسم الرابع حول حماية التراث

من المخاوف التي تساور الجميع أن حركة التوسع العمراني ستقضي على التراث العمراني والمعماري للمدن العربية الإسلامية . ويحتوي هذا القسم على أربع وجهات نظر حول هذه القضية :

أولا : سعيد ذو الفقار يتحدث (بصورة ملخصة) عن أزمة التراث العمراني الإسلامي في العالم العربي ، ويدعو إلى الاستفادة من تجربة الغرب الذي شنت تراثه العمراني جريا وراء ماحسبه من مستلزمات التقدم .

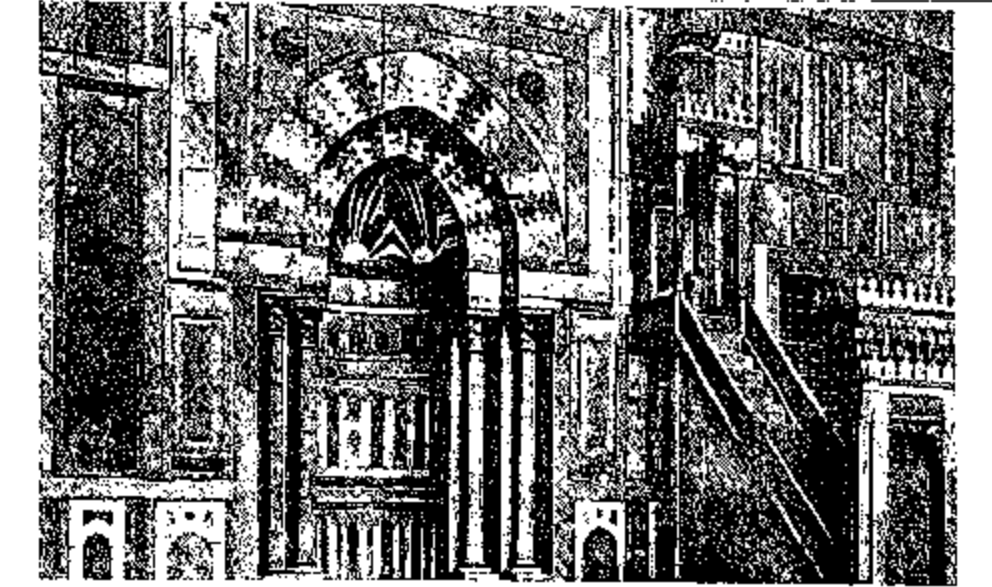
ثانيا : عبدالعزيز الدولاني الذي يطرح السؤال لماذا وكيف نصون المدينة العربية التقليدية ؟ ويبيح مجموعة من المبادئ والتوصيات .

ثالثا : عبدالقادر الرجواي يتحدث حول حماية التراث العمراني في المدن العربية المراكز التاريخية وطرق صيانتها وتطويرها ، حيث يقدم مبادئ عامة وأساليب محددة للتنفيذ .

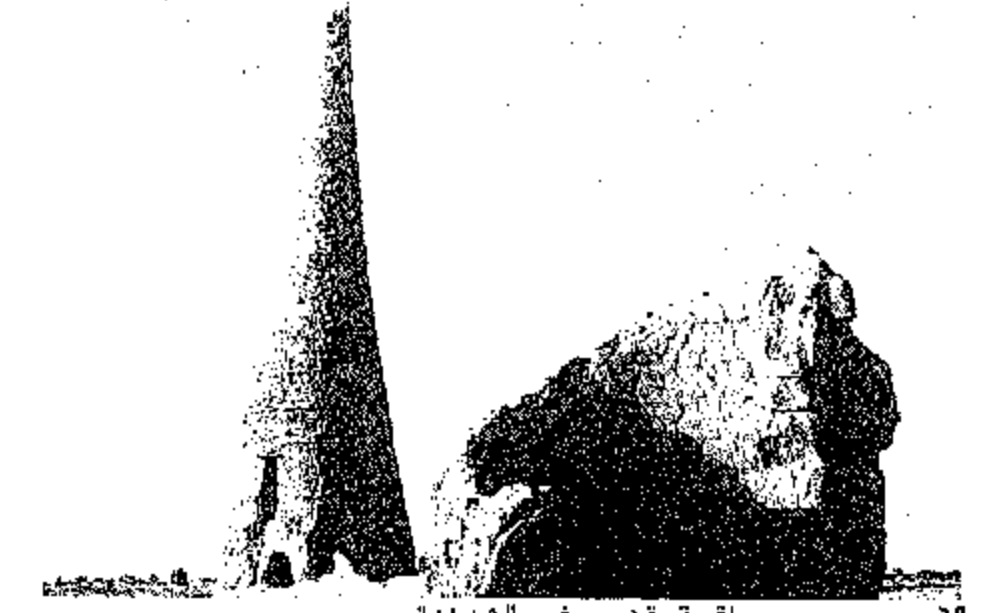
رابعا : عيسى محمد ، يقدم تصورا عاما للقضية يكمله بسرد لدرس من الواقع حول حماية التراث في مكناس بالمغرب .



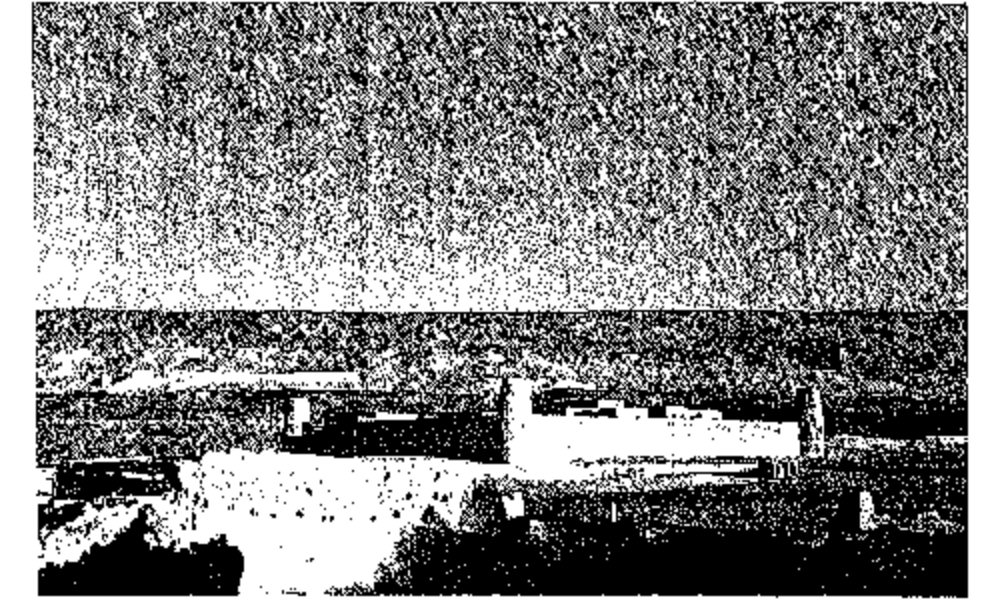
٧١ دمشق



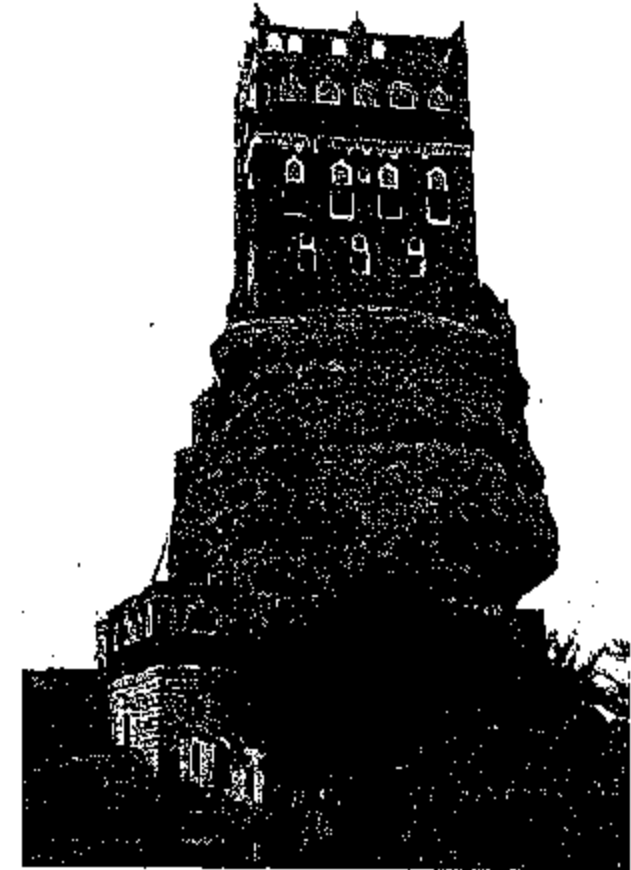
٦٨ محراب جامع السلطان حسن - القاهرة



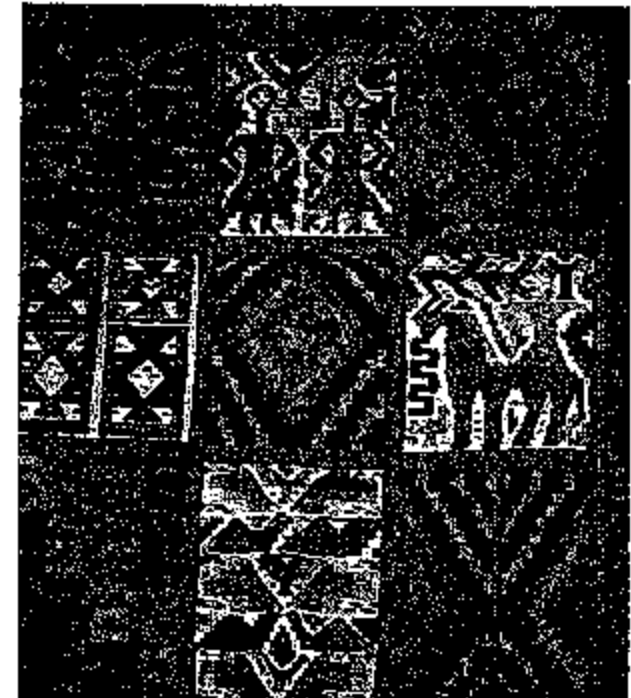
٦٩ برج من اقية قديم في الشنافة



٧٠ قلعة الرولا بالكاف بالمملكة العربية السعودية



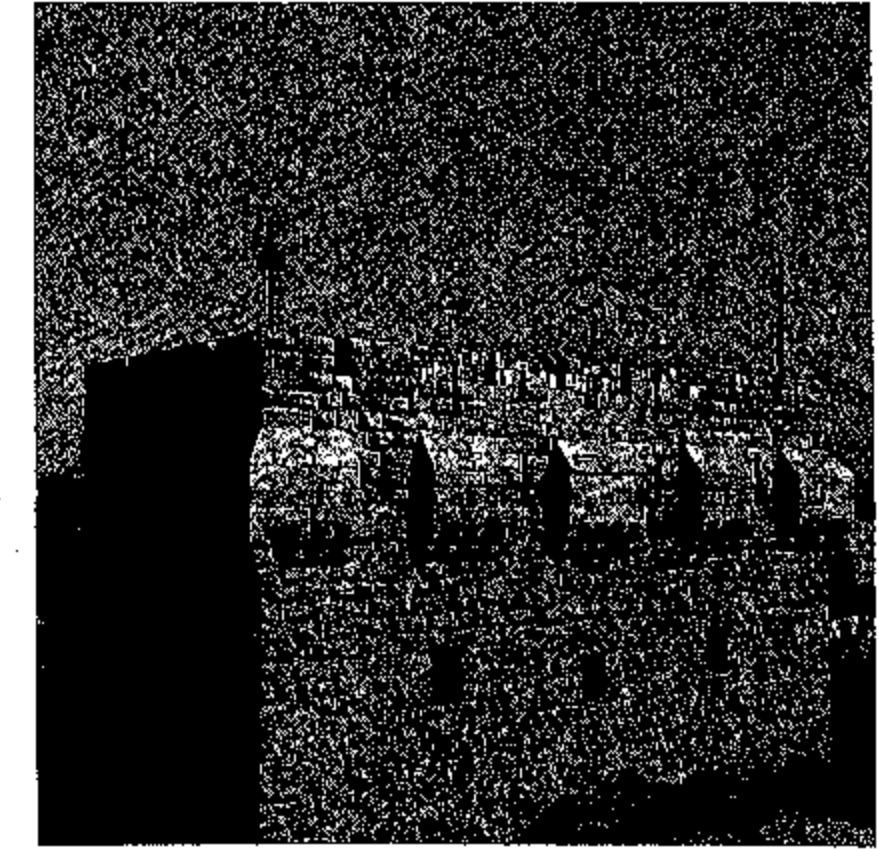
٧٤ دار الحجر - بالقرب من صنعاء



٧٦ زخرف على النسيج - تونس



٧٣ عالم المخطوطات - فاس



٧٧ دمشق

٧٥ فاس

أزمة التراث العمراني الاسلامي في العالم العربي

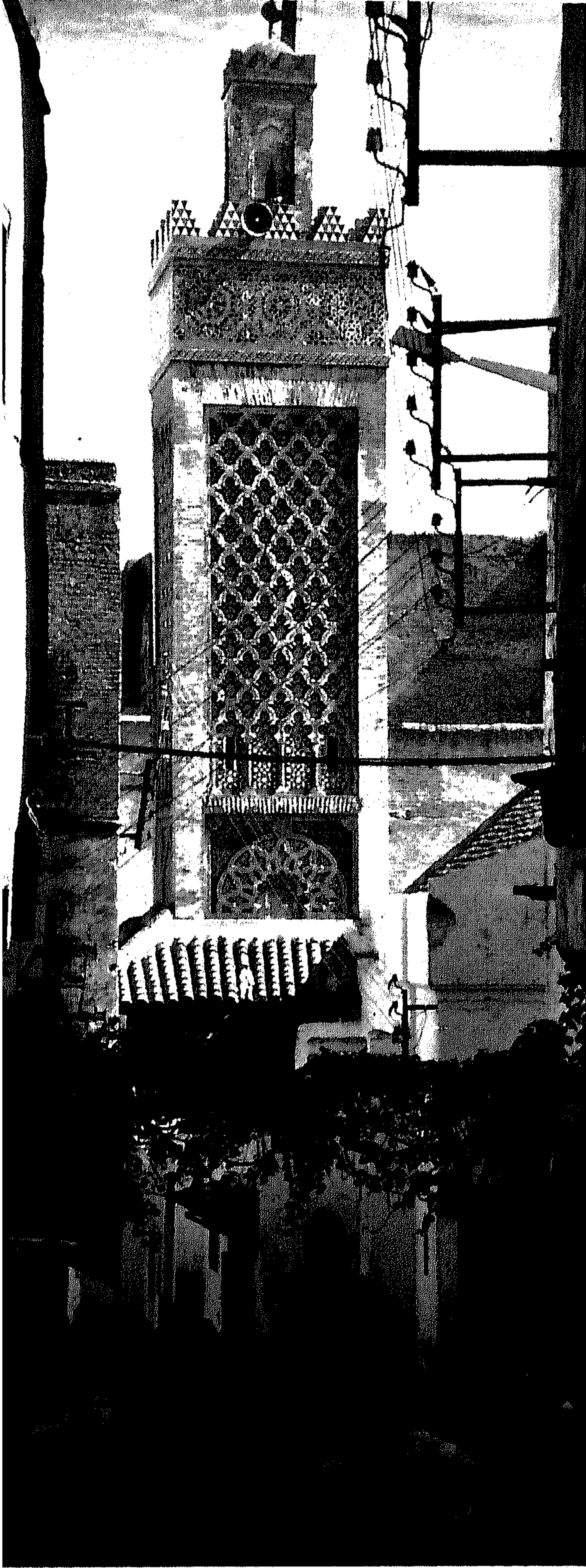
سعيد ذو الفقار

يمر العالم العربي والاسلامي بمحنة هائلة ، باتت تهدد بقاء التراث الحضاري الاسلامي المتمثل في البنيان العمراني للمدينة العربية بمبانيها التاريخية وميادينها وواقعها العمراني المتميز . أن هذه المحنة الحضارية التي تهدد بتشويه مدننا تنم عن عوامل متعددة بعضها نفسي وبعضها اقتصادي .

فلا يخفى علينا ان الهيمنة الثقافية الغربية هي من أهم العوامل النفسية التي أسهمت في اضمحلال الاستمرارية الحضارية للمدن العربية ، تلك الاستمرارية التي تتجسد في التعبير المعماري والعمراني الأصيل . كما أن النمو الاقتصادي السريع والرخاء الذي عم الكثير من الاقطار العربية ، أدى الى إتساع حركة البناء من جهة ، وإلى المضاربة في أسعار الأراضي من جهة أخرى ، وإلى انفجار حقيقي في عدد السيارات التي تجتاح شوارع المدن العربية ذهابا وإيابا . وتضافرت هذه العوامل مع التغير الملحوظ في انماط الحياة الشخصية والعائلية ، لتفتت التماسك العضوي الذي اتسمت به المدن العربية التقليدية والكيان العمراني للمدن الاسلامية بصفة عامة .

ولم ينج المخططون والمعماريون من تأثير العوامل النفسية والاقتصادية بل كثيرا ما كانوا هم أداة التخریب في مدننا العربية . مما أدى في الكثير من الاحيان الى القضاء شبه الكلي على الاحياء القديمة في قلب مدننا ، تلك الاحياء التي كانت تمثل نماذج رائعة من فن التخطيط والمعمار العربي الاسلامي .

ولكن هناك تطورات صحية داعية للتفاؤل منها هذه الندوة ، ومنها انتفاض العديد من المؤسسات العربية والاسلامية والدولية داعية لحماية هذا التراث العالمي الفريد من الضياع . وربما كان لنا أن نتعلم درسا من الغرب نفسه ، الذي شنت تراثه العمراني جريا وراء ما حاسبه من مستلزمات التقدم ، وبات يحاول جاهدا ان ينقذ الفتات الباقية من هذا التراث وهو يتمنى لو تراثه وقدر الامور بقدرها الحقيقي . أفليس لنا أن نتفادى اخطاء هذه التجربة الغربية ، وان نعي من الآن أهمية الحفاظ على تراثنا ، بتأصيل عمارتنا وعمراننا وتجديدهما في اطار استمرارية حضارية واضحة ، حتى نورث الاجيال القادمة مدنا عربية اسلامية القلب والقالب .



٧٧ ماذنة - فاس

لماذا وكيف نصون المدينة العربية التقليدية ؟

عبدالعزیز الدولاتی

لكن فكرة المحافظة على محيطنا العمراني التاريخي لم تفرض نفسها في عالمنا العربي بنفس السرعة التي استقبلنا بها المستحدثات الحضرية العصرية بل أنها أحيانا لاتزال اليوم محل شك وتشكيك وموضع أخذ ورد في حين أنها فرضت نفسها في أوروبا فأصبحت لا يجادل في شأنها .

فيالنسبة لبعض البلدان العربية التي قاست من ويل الاستعمار لم تكن الفكرة الأولى بعد الحصول على استقلالها نداء لصيانة التراث باعتباره من المقومات الأساسية لحضارة الغد . بل بالعكس أمست المدن التاريخية والرواسب الحضارية الاصلية تعد من العقبات والعوائق التي يخاف منها أن تعطل حركة التقدم السريع للالتحاق بركب الحضارة مهما كان الثمن باهظا وحتى على حساب القيم الاجتماعية العريقة التي تعرضت هي الاخرى الى التشكيك والمراجعة . حتى أنه سري الاقتناع مع مرور الوقت أن فكرة لانتقاس من الغرب تبقى محدودة التأثير ولايرجى منها أى مفعول ايجابي على تطور الشعوب وتقدمها الاجتماعي والثقافي .

هكذا هجر سكان المدينة العتيقة منازلهم التقليدية تاركينها الى سكان جاعوا من الرفق أفواجا باحثين عن مواطن رزق تغدق عليهم المال وترقهم الى صف الحضرة . وذهب أهل الحضرة الى المدينة الأوروبية حيث نزلوا في منازل مستعمرهم السابقين متطفلين عليهم نمط حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم البعيدة كل البعد عن القيم الاجتماعية والأخلاقية الاسلامية ، فكانت الخسارة جسيمة : خسارة في القيم الروحية وخسارة في المخلقات التراثية . تحت تأثير تلك العوامل الاجتماعية من جهة والعمليات الجراحية من جهة أخرى ، اضمحل الكثير من مدننا العربية ذات السمعة العالمية وتدهورت أوضاع الأخرى . وهذه المعاملة السيئة أن صحّ التعبير يمكن تفسيرها أيضا بدوافع مالية كالمضاربات العقارية أو بأسباب سياسية أو أمنية . ألا أنها تختلف حدة من بلد لآخر حسب مقدار الثروة القومية وحسب تقدم الشعوب اجتماعيا وثقافيا وحسب تطور المؤسسات القومية الكفيلة بالدفاع عن التراث وصيانتته .

هذا لايعنى بالطبع أن البلدان الأكثر ثروة هي التي حافظت أكثر من غيرها على تراثها المعماري بل ربما العكس هو الأصح بحيث نجد البلدان الأقل حظا اقتصاديا قد اعتنت عناية خاصة بمدنها القديمة ولاشك أن للضرورة احكام .

لماذا اذن نريد اليوم صيانة المدينة العربية العتيقة ؟ هل تقليدا حتى نساير مرة أخرى ماتفعله أوروبا التي تبقى بالنسبة لنا المثال الذي يجب دوما أن يحتذى ؟ لعل هذا صحيح لأن أوروبا سبقتنا في هذا الميدان حيث سجلت

المدن العربية التقليدية اليوم هي عبارة عن أحياء هامشية ملاصقة للمدن العصرية التي تشد عليها الخناق . وهي بذلك تشابه الأحياء الفوضوية العفوية التي كثيرا ماتحيط بالمدن الحديثة ، ولكنها تختلف عنها بقيمتها التاريخية وقيمها الحضارية ومعالمها الأثرية وصناعتها التقليدية .

وعلاوة عن ذلك فهي تأوى العدد الوافر من السكان الذين يصعب نقلهم جماعيا أو التخييف من كثافتهم .

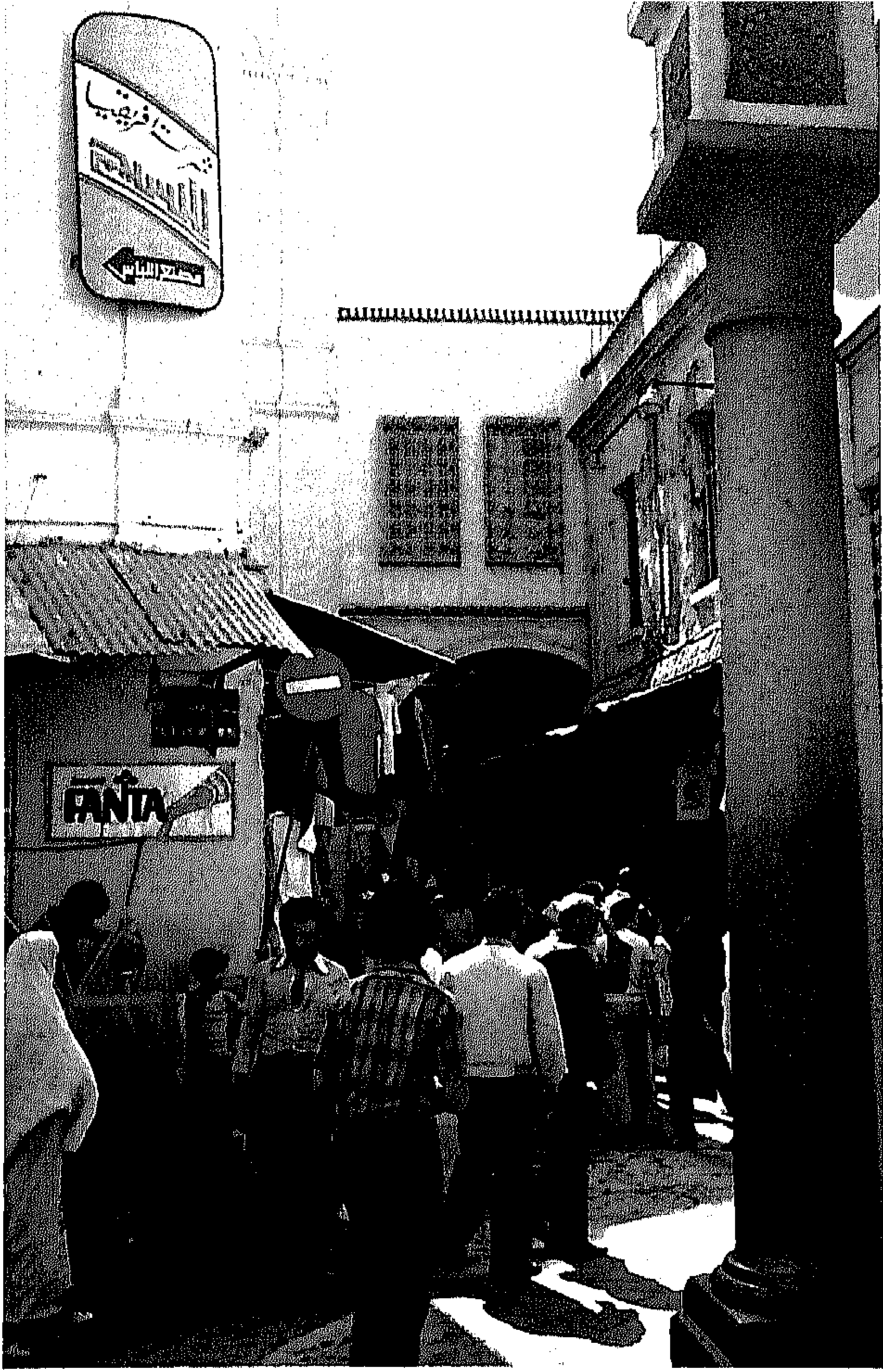
ما العمل اذن ونحن نواجه انفجارا ديمغرافيا ونموا عمرانيا لا مثيل لهما في تاريخنا ؟ ما العمل والمدينة الآلية لاتعرف حدودا بل تمتد على شكل اخطبوطي مبتلعة شيئا فشيئا الأرياف ومحكمة الحصار على المدينة العتيقة المنغلقة على نفسها داخل الاسوار ؟

هل نتأدى في استعمال الحلول الجراحية التي سادت الى اليوم فنهدم الأسوار ونفتح الشوارع لربط المدينة القديمة بالمدينة العصرية ؟

ونحن نعلم مدى خطورة هذه الحلول اليائسة التي تؤول في آخر الأمر الى تهديم المدينة التقليدية بعد تدهور أوضاع نسيجها خاصة تلك الأحياء المجاورة للمناطق المجددة فتتلاحق عمليات الهدم والتجديد حتى تبيد المدينة فلا تترك منها إلا القليل النادر من المعالم التاريخية الفاتكة الأهمية .

هكذا كان الامر بالنسبة للعديد من المدن الأوروبية ولم تفق أوروبا من غفلتها الا مؤخرا عندما اتضح لها أن دية المعاصرة والحدائة كانت ثقيلة جدا على التراث المعماري ، عندئذ بدأت تتجه نحو فكرة الصيانة وهي فكرة قديمة لكنّها لم تنطبق الا على المعالم الاثرية الكبيرة الشأن . وهذه الاستفاقة هي في الحقيقة حديثة نسبيا اذ هي لاتتجاوز العقدين أو الثلاثة عقود الماضية ، وقد تبلورت الفكرة وتمهدت بفضل التوصيات والملاحظات والمؤتمرات العلمية التي نظمها الأوروبيون منذ سنة ١٩٥٧ حيث عقدوا أول ندوة بميلانو حول موضوع نمو المدينة العصرية ومشاكل المحافظة على مركزها التاريخي .

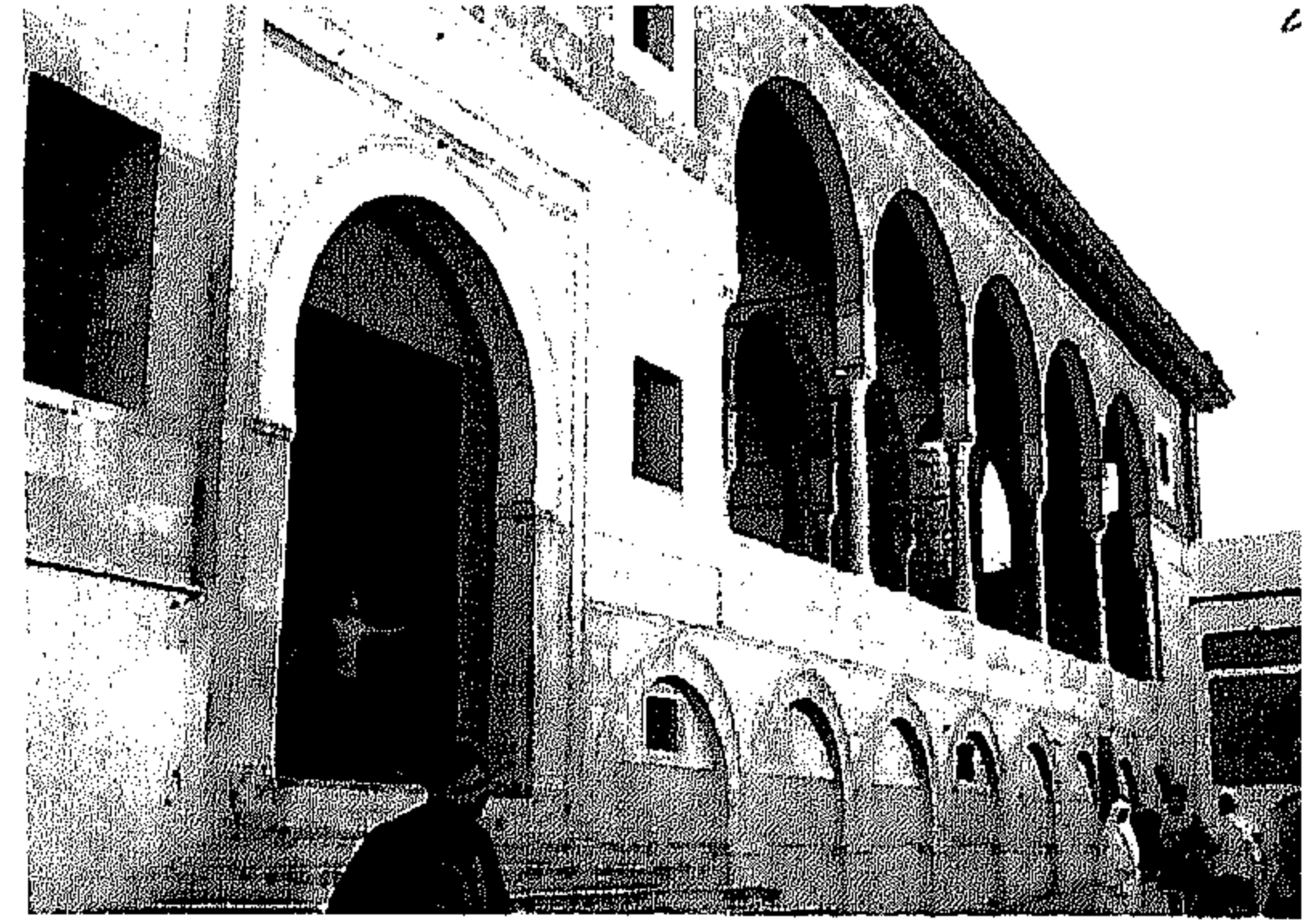
أما العالم العربي الذي يدخل اليوم بكل قوة وعزيمة ميدان التصنع والتكنولوجيا فماذا فعل لصيانة مدنه التاريخية ؟ هل اتعظ بالتجربة الأوروبية ؟ خاصة وان الخطر الذي يهدد هذه المدن متضاعف لأن سرعة التطور في عصرنا هذا تبدو مذهلة بالنسبة للقرن الأخير أو حتى للنصف الأول من القرن العشرين ، فعجلة الزمان تدور عندنا دورانا مهولا وهي قادرة على نرف كل الرواسب التاريخية في أعوام معدودة بحيث أصبحنا مهيدين في كل لحظة بضياح آلاف القصور والجوامع والعديد من معالم حضارتنا العربية الاسلامية .



٧٩ شارع في المدينة القديمة - تونس



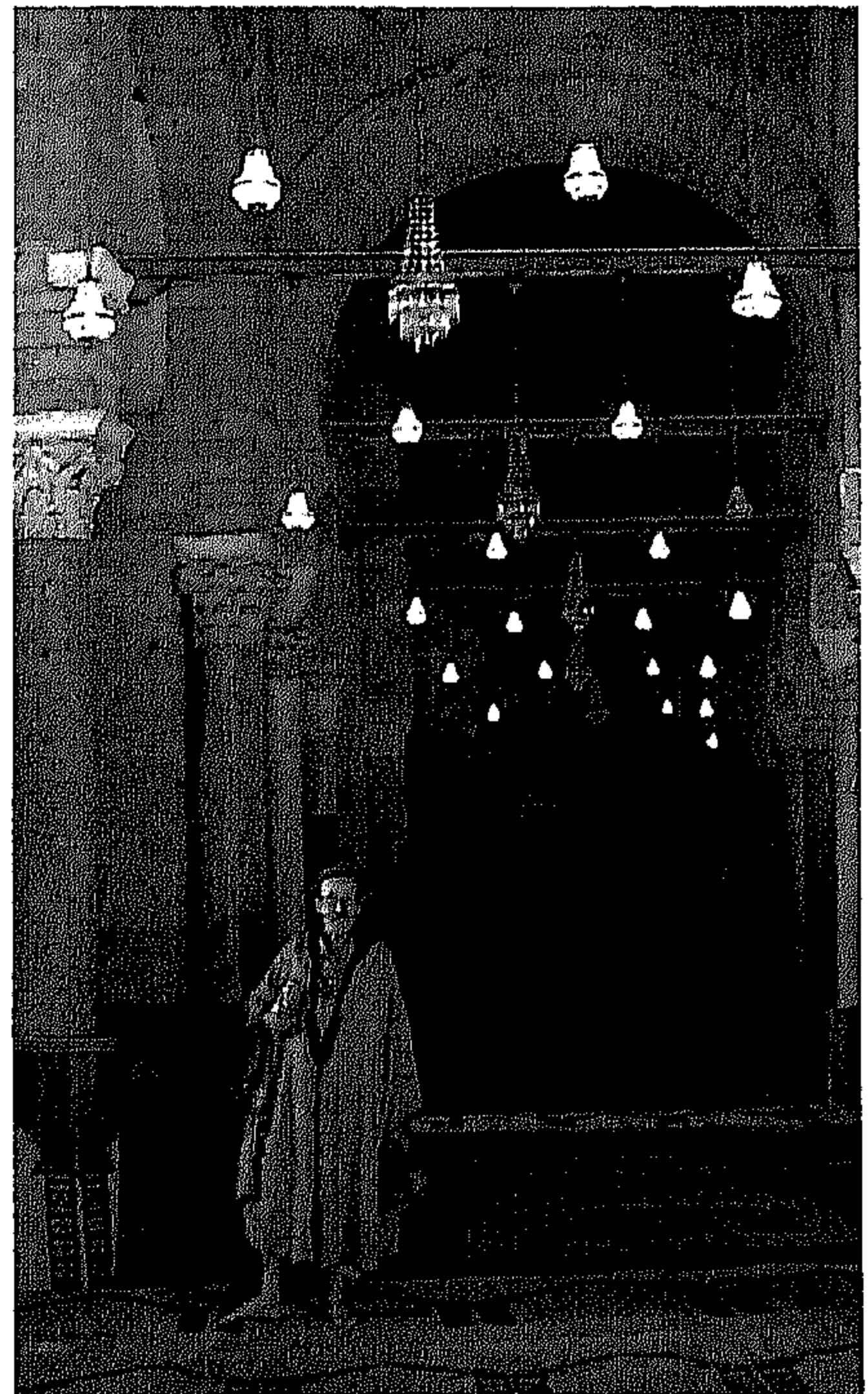
٧٨ الشارع الرئيسي في تونس



٨٠ جامع الزيتونه في تونس



٨١ شارع في تونس



٨٢ داخل المسجد - تونس

أشواطاً كبيرة في مجالات الدراسات والانجازات وكذلك لأن فكرة صيانة المدن شعت على العالم بواسطة المؤسسات الثقافية الدولية التي تبنيتها كاليونسكو والمجلس الدولي للمعالم والمواقع الاثرية والمركز الدولي لصيانة الممتلكات الثقافية .

فكانت نتيجة جهودات تلك المنظمات الدولية أن أنارت السبيل أمام المسؤولين العرب الذين شعروا بقيمة التراث العربي الاسلامي وبمكائنه البارزة ضمن التراث العالمي . لكن الفضل الكبير يعود الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي أدرجت ضمن برامجها مسألة تحسيس الرأي العام العربي بموضوع صيانة المدن باعتبار المدينة العربية مرآة صادقة للحضارة الاسلامية . فأضافت لمفهوم التراث العالمي فكرة التراث العربي الذي يكون اللبنة الأساسية في صرح بناء الوحدة الثقافية العربية .

واليوم حيث بدأ شيء من الاجماع حول فكرة صيانة المدينة فاننا نبارك هذا التطور ونبارك بالخصوص تبنى منظمة المدن العربية مواضيع التراث المعماري والعمراني كما نبارك هذا الملتقى الذي تحضنه أول مدينة اسلامية ونشكر المنظمين له . اليوم لم نتساءل لماذا يجب أن نصون المدينة بل كيف سنقوم بأعمال الصيانة والتهديب والتجديد وهل نملك الطرق النظرية والعملية الملائمة لخصوصيات المعمار العربي الاسلامي ؟ ذلك أن علم صيانة المدن لا يزال في طور التكوين بحيث لم تتبلور بعد المناهج والاساليب التي لابد من أن ترضخ للظروف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بكل بلد ، كما أنه لابد من توعية السلطة التي بيدها القرار في خصوص برامج التخطيط العمراني فتعتبر الوضعيات الخاصة بالمدن العتيقة ، ولابد ايضاً من حملة شاملة لتوعية المواطنين ولحثهم على المساهمة في عمليات الاحياء .

واعتماداً على الأبحاث والدراسات التي أجريت في مدينة تونس حول أسباب ومظاهر تدهور أوضاع النسيج المعماري التقليدي أمكن استخلاص بعض المبادئ الأساسية التي يجب الاعتماد عليها لضبط سياسة عملية ومجدية قصد احياء المركز المعماري التقليدي .

وأول المبادئ التي لا يمكن الاستغناء عنها هو كون المدينة مجموعة متماسكة ومتلاحقة لا يمكن تجزئتها أو تقسيمها بواسطة شوارع عريضة دون الاخلال بنظامها الأساسي ودون ان نلحق بها أضراراً فادحة .

ولابد من الملاحظ في هذا الصدد أننا لو تركنا هذه المجموعة تتطور بطبيعتها لآل بها الأمر الى التراجع والانهيار تحت ضغط عوامل التجديد . لأن التجديد يعني في الحقيقة تعويض النسيج التقليدي بنسيج آخر لا يحترم المساحات والاحجام والوظائف الأصلية ، على عكس عملية المحافظة التي تهدف الى تجميد المعلم أو الحي أو المدينة الى الأبد دون أي تنازل من حيث الجملة أو التفصيل . أما عملية التهديب أو إعادة الاعتبار كما يقال بالفرنسية (Réhabilitation) فتجنب هذين الموقفين المتطرفين باتخاذ أكثر مرونة في التعامل مع المساحات والوظائف بحيث تمكن من صيانة المجموعة وفي نفس الوقت تطعمها بالتجهيزات والمعدات العصرية الضرورية ، وهذه الصفة يمكن تجاوز الجدلية القائمة بين القديم والجديد بفضل اعانة القديم على الاندماج ضمن المجموعة السكنية المعاصرة .

لذلك يجب على المختصين بالصيانة أن يعدوا للمدن التاريخية مانسميه بالبرامج المندجة حيث تلتقى عمليات المحافظة والتطوير ، فنقوم بعمليات التطهير أولاً ثم ندعمها بأشغال الاحياء ثانياً ، وعلى هذا الأساس نحافظ

على اطار الحياة دون أن نشوه هياكله الأساسية مع ضمان نوعية الحياة أو شيء من تلك النوعية على الأقل .

هكذا نقدر أن نوّفر لاطار الحياة ظروف البقاء . وربما نساهم ببقائه في ابلاغ الرسالة الحضارية التي يحتضنها ، تلك الرسالة التي تبرز مدى ملاءمة الاطار مع المحتوى أي الشكل مع المضمون . وهذه في الحقيقة أهم الشروط التي تُقاسُ بها نجاعة الانظمة العمرانية وفعاليتها وخصالها ، كما نوّفر للمهندس المعماري والمخطط العمراني وثائق حية يستطيع أن يستغلها وان يعتبر بها في مشاريعه العمرانية والمعمارية الجديدة .

لذلك فلا بد من معاملة المدينة العتيقة معاملة خاصة بل بمنازة فلا نبخل عليها لا من حيث الامكانيات أو التضحيات ولا من حيث مستوى الدراسات والأبحاث . فنتمهل قبل اتخاذ القرار في شأنها لأن التدنخلات في النسيج التقليدي صعبة للغاية نظراً للانعكاسات التي يمكن ان تنجر على كلّ عملية تتخذ بدون دراسات مسبقة .

فلا يجب مثلاً ان تغرينا عظمة معلم تاريخي فننزلق في مناهات عمليات الاحياء المتمثلة خاصة في فتح طريق فسيح أمامه حتى يشاهد من بعيد لأن معالمنا الاسلامية ليست مجعولة لكي تشاهد عن بعد بل هي تباغتنا صدفة داخل الأنهج والأزقة . كما هي لا تملك عادة واجهات فخمة مثل ما هو الحال بالنسبة للمعالم الأوروبية بحيث يمكن وضعها في رؤية بعيدة .

ولا يجب أيضاً أن نغتر بضرورة ادخال السيارة في الأنهج والأزقة لأن هذا التبرير واه اذ نشاهد اليوم المدن الأوروبية نفسها التي تُخلقت من أجلها السيارة تُبعدها عن مراكزها وتنشأ الممرات والشوارع المخصصة للمتجولين ، وقد يغطى هذا النوع من الشوارع مناطق شاسعة تفادياً لكثرة الازدحام ولتتعفن هواء مراكز المدن بالغازات المتأتية من السيارات . وكَم من مرّة نتذكر ونحن نجوب تلك الشوارع الأوروبية الخالية من السيارات والمكتظة بالمتجولين نظام أسواق مدننا العربية الأصيلة .

كما أن استغلال المدينة سياحياً لا يجب ان يحجب عن أبصارنا بعض المخاطر ، ومهما يكن من أمر فلا يجوز أن تكون السياحة هي الهدف الرئيسي من عمليات الصيانة حتى لا نجعل من المدينة العتيقة عبارة عن متحف أو « زُوو بشري » (Zoo Humain) ، بل لابد من دعوة الساكن للمشاركة في عمليات التهديب والاحياء حتى يكون أول المنتفعين قبل الأجنبي عن المدينة سائحاً كان أو تاجراً عقارياً .

من كل هذه الأمثلة تبرز بكل وضوح ضرورة توخي منهجية واضحة الأهداف والمرامي معتمدة على معطيات وأرقام وتحليل علمية ، كما يتبين من خلال ما سبق وجوب اعداد برامج للتهيئة العمرانية يمكن تسميتها أمثلة الصيانة تكون بمثابة المراجع القانونية لكل التدنخلات العملية فندرجها ضمن برامج التهيئة العامة الشاملة لكل الاحياء السكنية العتيقة منها والحديثة ، لأن المدينة القديمة أصبحت في الحقيقة جزءاً لا يتجزأ من المدينة ككل بحيث لا يمكن فض مشاكلها بمفردها بل داخل اطار المدينة الكبيرة مع الاحتفاظ بخصوصياتها .

فمن المشاكل العويصة التي لا يمكن فضها الا في اطار المدينة الكبرى مشاكل الاكتظاظ السكني الذي يحتم علينا انتاج سياسة سكنية تسمح بتخفيف كثافة الاحياء القديمة وذلك بنقل قسط من سكانها الى الاحياء الجديدة . وبدون هذه السياسة لا يرجى أن نفض مشاكل السكن والصحة

والأمن في المدن القديمة .

كما يجب أن تدرس المسائل الاقتصادية كإحياء الصناعات التقليدية مثلا في نطاق اقتصادي واسع لتفاعل التيارات بين كل أحياء المدينة وربما أيضا في نطاق أشمل هو نطاق التنمية الريفية حتى نصدّ الريفيين عن الهجرة ونمكنهم من مواطن الرزق في مناطقهم .

كل هذا يعنى في الحقيقة وهي النتيجة التي أردت الوصول اليها في هذه الندوة التي تضم عددا لا بأس من المسعولين البلديين ان المدن القديمة تستحق أكثر من البكاء على أطلالها فهي في حاجة ملحة الى عناية خاصة أى الى مكاتب دراسات علمية مختصة يسيروا اطارات فنية أكفأ وهي محتاجة أيضا الى تمويلات كبيرة تُرصد لها عن طريق صناديق للتهيئة العمرانية والاحياء أو عن طريق هبات من الدولة والمجموعات المحلية أو عن طريق اعفاءات من الاداءات البلدية أو غيرها . كما هي في حاجة الى

قوانين جديدة لاتوجد في التشريعات المتعامل بها في المناطق السكنية العادية بحيث تستجيب للظروف العقارية المتشعبة وتسمح بالتدخل الفوري والانتزاع المستعجل ويضبط معايير تلائم أوضاع التهذيب والتحسين ، وهي كذلك محتاجة الى المؤسسات التي ستُعهد لها أشغال الترميم والتطهير والتنوير والتوظيف والاستغلال والمراقبة والتعهد وهي مؤسسات قلما تتوفر في بلداننا العربية وان توافرت فلا تفي بكل الحاجيات .

وخلاصة القول أن المدن العربية في حاجة الى سياسة واضحة لاغبار عليها تعتمد على اختيارات مضبوطة وأهداف مرسومة في المخططات الانمائية والبرامج السكنية والميزانيات الوطنية لا الى شعارات وخطب فياضة بالمشاعر والاحساسات الطيبة لأن الشعارات والاحساسات لاثوقف عملة الزمان ولاتحمد من وطأة النمو الخلاق الهدام ولاتمنع القصور والمساجد من أن تصير أطلالا سنبكى عليها غدا لأننا لم نصنها اليوم .

حول حماية التراث العمراني في المدن العربية : المراكز التاريخية وطرق صيانتها وتطويرها

عبد القادر الريحاوي

مقدمة :

انها سجل تاريخي عامر بألوان الثقافات والتقاليد والمؤسسات الروحية والمادية ، نحس ونحن نتجول في انحاء هذه المراكز التاريخية برائحة التاريخ ، وذكريات الاحداث ، وما تحدثت به مراجع التاريخ والمغازي ، وما قدمته كتب الرحلات من وصف للمواقع والمعالم والآثار .

النواحي السلبية :

وهي تبدو جلية بمشاهد الفقر والاهمال وعدم النظافة وضعف الخدمات . واذا حللنا هذا الوضع الراهن نراه يرجع الى الاسباب الآتية :

- اضرار متراكمة سببها الطبيعة والانسان كالألزال والسيول والحروب والحرائق .

- أدى اهمال وتدني الخدمات الى هجرة السكان الأصليين باتجاه المناطق المستحدثة ، فحلت محلهم في مساكنهم الجميلة اسر نازحة ، أو مهاجرة من الأرياف ، وبكثافة تزيد عن الكثافة التي يتحملها المسكن في الاصل . ومن الملاحظ أن هذه الأسر لا تخونها امكاناتها المادية وحالتها الاجتماعية بذل الجهد للعناية بالمسكن القديم ، بل زاده سويما ما أقامته هذه الأسر من منشآت طفيلية ومن أعمال التغيير والتبديل باستعمال مواد رخيصة غريبة عن المادة الاصلية للبناء ، شوهت مظهره العام .

- أحياء أخرى تحولت مبانيها ومساكنها الى مستودعات ومصانع الحقت بها الخراب والتشويه .

- أدى الاسراف في زيادة الفعاليات الاقتصادية من صناعة وتجارة داخل المراكز التاريخية الى تضخم حركة النقل ، وتوغل وسائل النقل الآلي في السكك والأزقة التي لم تخلق لمثل هذه الوسائط . واثار ذلك مشكلات مستعصية ، كان حلها مع الأسف في بعض المدن كارثة حلت بالمركز التاريخي ، فلقد اضطر المسؤولون في البلديات الى شق الطرق الواسعة على حساب نسيج المدينة التقليدية ومبانيها التاريخية ، واستتبع ذلك استمرار عملية الهدم والتجديد وبذلك تقطعت أوصال المركز التاريخي ، وزالت منه قطاعات بكاملها وحلت محلها جيوب غريبة بتخطيطها وعمرائها ، وحدث التنافر وعدم الانسجام ، وظلت المشكلة مع ذلك قائمة ، بل ازدادت تعقيدا ، في اكثر مدننا العربية كالقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة وجدة ، ولم ينبج منه سوى القليل ، امثال فاس وتونس والقروان والقدس .

كان طبيعيا أن تتغير معالم المدن القديمة كما تغيرت المفاهيم والأفكار واختلط فيها القديم والحديث . وأصبحنا نجد في كل مدينة مدينتين ، قديمة هي مستودع التاريخ والتراث ، وحديثة تطبق احداث أساليب التنظيم العمراني ، وتنشئ العمارات والمباني بفنونها المعمارية المستوردة والمقتبسة من خير ما وصلت اليه الأمم المتقدمة في مجال العلم والفن والتكنولوجيا .

وأصبحنا نلاحظ في هاتين المدينتين المتصلتين والمنفصلتين ، نسبا مختلفة ، واشكالا من الانسجام والتقارب ، أو التنافر والتباعد .

ولذا فقد واجه المسؤولون عن المدن العربية في البدء معضلة من أهم معضلات التنظيم العمراني وأشدها تعقيدا ، فهم قد ورثوا تركة مثقلة بالاعباء الى جانب العبء الكبير الذي يحملونه من اجل حل ازمات السكن ، وتحقيق التطور السريع ، وتحديث المدن وتوسيعها . وقد حققوا ذلك بنجاح وازدادت المدن العربية بقطاعات واسعة من التنظيم العمراني الحديث ، والمنشآت الضخمة الراقية ، من طرق وجسور ، ومحطات ومطارات ، وأحياء سكنية حديثة ، وحدائق وملاعب .

واصبح المسؤولون عن المدن اليوم يحملون عن قناعة مسؤولة ثقافية ووجدانية تجاه المدن القديمة ، أو المراكز التاريخية كما اطلق عليها المختصون في أوروبا ، لا لأنها تراث قومي فحسب ، بل تراث يهم الانسانية جمعاء .

وسأتناول في هذا البحث المختصر الحديث عن أهمية تراث المدن العربية أولا ثم عن طرق ومبادئ صيانتها ، وأخيرا عن خطة عملية لانقاذ المراكز التاريخية وتطويرها ، تتضمن اسلوبا اداريا ومسلكيا ، وحلولا فنية وتنفيذية .

تقييم وضع تراث المدن العربية

النواحي الايجابية :

بما لاشك فيه أن المراكز التاريخية في كل مدينة عربية غنية بالكثير من عناصر التراث المعماري والعمراني العريق ، الذي يظهر الوجه الاصيل للحياة العربية ، والمجتمع الاسلامي ، ومراحل تطوره عبر العصور . ويتجسد هذا في الخطط والأزقة والسكك ، وفي الأسواق والحانات ، وفي الاسوار والبوابات ، وفي العمارات والمنشآت ، الدينية والمدنية ، من مساجد ومدارس وبيمارستانات ، ومن حمامات وأفنية وسقايات . وما في هذه العمارات من فنون متنوعة ، وبصمات من كل عصر وآوان .

طرق الحماية والتطوير :

المبادئ العامة :

هناك مبادئ أساسية يجب الأخذ بها عند وضع خطة العمل لإصلاح وتطوير المركز التاريخي أود أن أخصها فيما يلي :

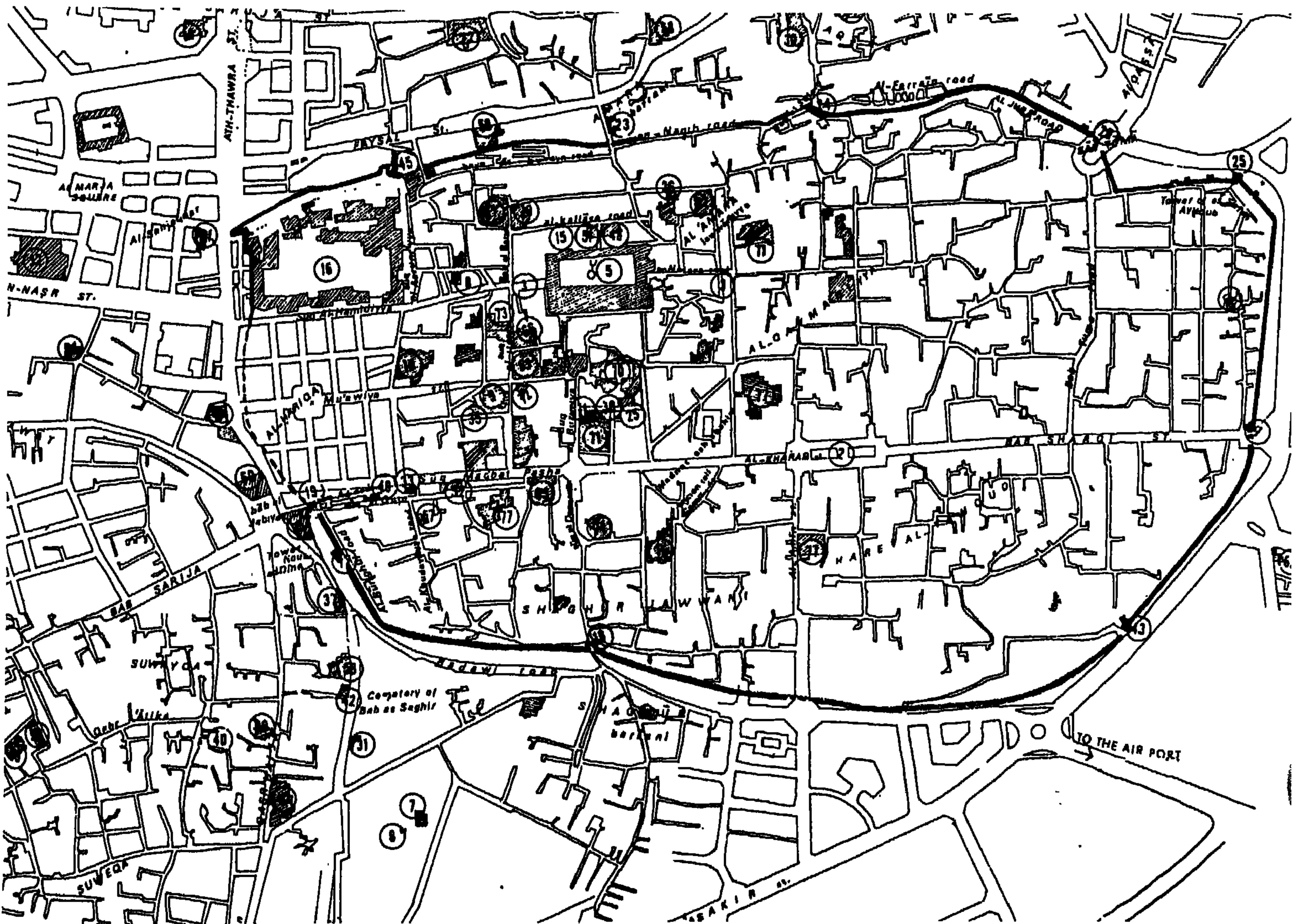
- ان يهدف المشروع الى تخليص المركز من مظاهر الازدحام والعزلة ، والى توفير الخدمات الضرورية ، ضمن حدود الحفاظ على البنية الأصلية والطابع التاريخي وما في المنطقة من آثار العمران والعمارة الأصلية .

- ان لا يكون من أهداف المشروع تحويل المركز التاريخي الى قطاع متحفى غرضه تحقيق اغراض السياحة فحسب ، بل يجب أن يكون الهدف الأساسي احياء المنطقة التاريخية وجعلها تعيش حياة العصر ، وممارسة وظائفها التقليدية ، السكنية والاقتصادية والادارية . وان مثل هذا الدور يكفل للمنطقة التاريخية سبل البقاء ويوفر لها اسباب العناية .

- عدم زيادة النشاط الاقتصادي زيادة لم يألفها المركز التاريخي أو تفوق امكاناته ، لئلا يسبب له هذا التضخم في النشاط التفرق والتفجر ، كما حدث لمدينة دمشق القديمة مثلا .

- الوظيفة السكنية يجب أن تكون من أهم وظائف المركز على أن تتناسب مع الحدود التقليدية ويكفى أن يحقق المشروع توفير المسكن اللائق المزود بالخدمات والمنافع ، ضمن الوحدة السكنية التي هي ايضا قد زودت بالخدمات والمنافع التي تفرضها حياة العصر ، اضافة الى ما يتوفر في الاصل فيها من جو الحرية والراحة النفسية والهدوء .

- لا بد من الافادة من المباني العامة كالحمامات العامة والحانات والمدارس والبيمارستانات وغيرها ، باستثمارها في وظائفها الأصلية ، أو في خلق وظائف جديدة لها ذات اغراض سياحية وثقافية ، أو كمؤسسات حكومية وأسواق للصناعات التقليدية والمعارض الفنية وغيرها .



خريطة دمشق القديمة

الخطة العملية :

.. تعيين مايجب هدمه وازالته من المنشآت الطفيلية أو المتهدمة التي لا تتوفر فيها قيم فنية أو تاريخية أو معمارية ، والافادة منها في افساح اماكن للحدائق والساحات العامة ، وما يحتاجه المركز التاريخي من المؤسسات والخدمات العامة ، كالمدارس والمستشفيات والادارات الحكومية الاخرى .

.. تعيين المباني المسموح بتجديدها والشرايط المعمارية ، والوجائب المناسبة لها .

.. الكشف عن اماكن المواقع والمباني التاريخية ، وابرار معالمها .

.. يجب ان يلحظ المخطط الاحتفاظ بالنشاط الاقتصادي المناسب والاسواق التقليدية ، على أن يبعد كل ما يمكن أن يلحق الضرر بالمركز التاريخي من الفعاليات التي تفيض عن طاقته والمصانع والمهن التي تسبب الحرائق أو الأضرار بصحة السكان .

– التهيئة الادارية : يجب أن تسبق تنفيذ المشروع اقامة الجهاز المناسب القادر على تولى اعمال التنفيذ ، المزود بكافة الامكانيات والخبرات والصلاحيات .

كان المسئولون في المدن العربية يعالجون قضايا المدن القديمة أو المراكز التاريخية بأساليب مختلفة لم تكن فعالة بسبب الروتين الاداري الذي تسير عليه ، أو بسبب عدم الايمان بالفكرة أو بسبب قلة الاعتمادات أو لاعتبار مثل هذه المهمة عملاً ثانوياً يوضع على هامش المشاريع البلدية العديدة ، ويخطط الاسكان والتوسع العاجلة ، فيضيع أو ينسى في زحمة هذه الاعباء .

وقد أوحى الى التجربة والممارسة بأن الطريقة الناجحة هي في احداث هيئة أو مؤسسة مستقلة ادارياً ومالياً ، أي بلدية خاصة متفرعة لشئون المركز التاريخي تضم الاجهزة الادارية والفنية ، والخبراء والمختصين ، ومزودة بموازنة مستقلة واعتمادات كافية للانفاق على المشاريع .

ومن الطبيعي أن يتم احداث هذه الهيئة بتشريع لاحق للتشريع الخاص بنظام الحماية الذي يعين حدود المركز التاريخي ويوجب حمايته والحفاظ عليه وصيانته . ولابد ان يتضمن نظام الهيئة المشار اليها منحها صلاحيات واسعة في المركز التاريخي ، تشمل اعمال الهدم والانشاء والترميم ، والاستملاك والاستثمار ، ومراقبة وقمع المخالفات التي تسيء الى أهداف الحماية .

– خطة العمل : بعد احداث الهيئة المقترحة وتزويدها بالامكانيات والصلاحيات التي تقدم الاشارة اليها ، تبدأ بتحقيق الخطة المؤلفة من المراحل الثلاثة : الدراسات – المشروع العمراني الجديد – تنفيذ الأعمال .

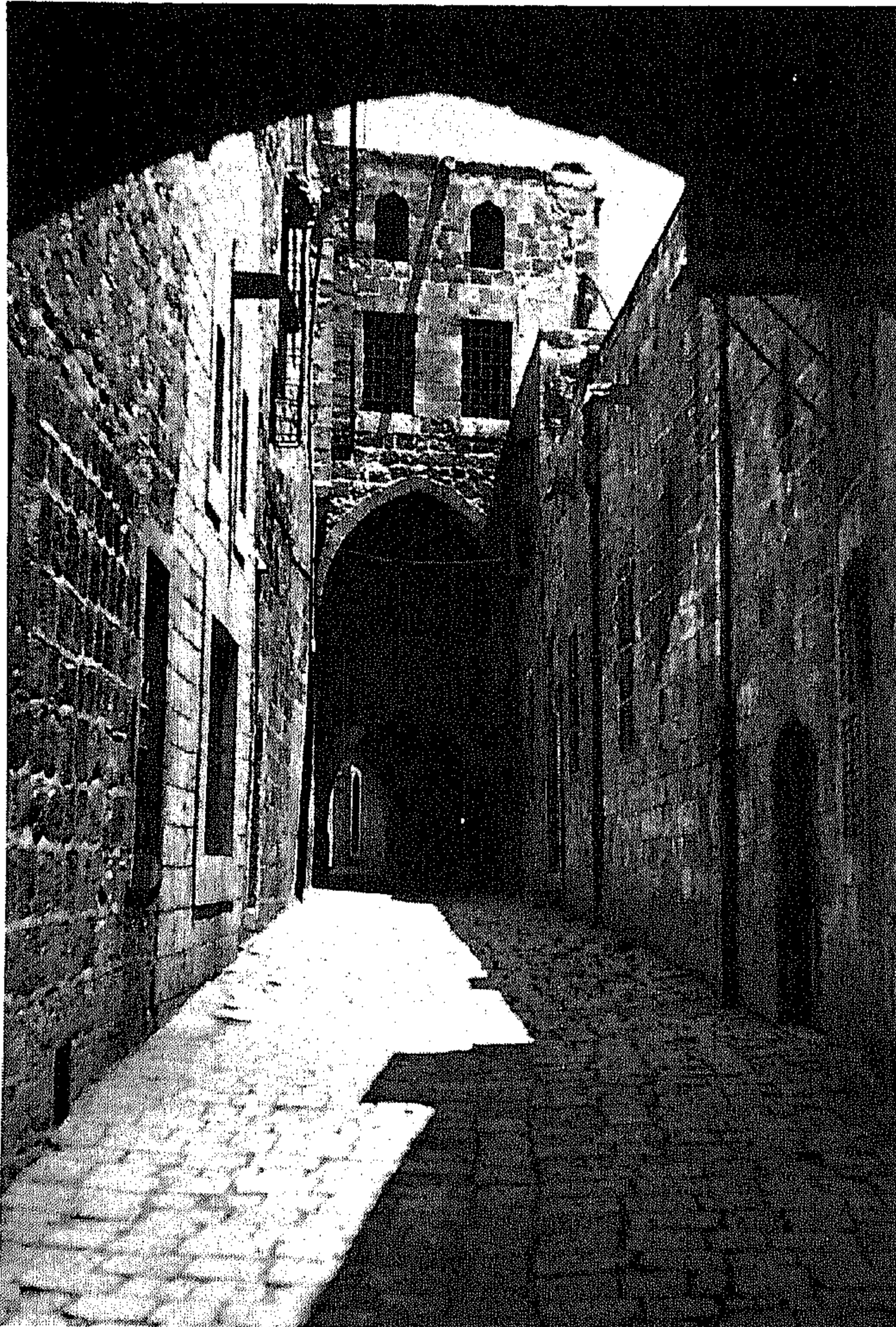
– مرحلة الدراسات : يتعاون في تهيئة الدراسات جهاز مؤلف من اخصائيين في الشئون السكانية والعمرانية والعمارة والتاريخ والآثار والاجتماع والاقتصاد والاحصاء .. الخ .

تتناول الدراسة جمع المعلومات النظرية والميدانية ووضع الخرائط التفصيلية والتحليلية عن أوضاع المدينة القديمة ، وتميز بين الوضع الاصيل عن الوضع الطارئ الطفيلي .

وتتناول كذلك مسحاً عقارياً وسكانياً ، مستنداً الى استمارات خاصة بكل عقار أو بناء ، تجمع فيها المعلومات المختلفة المتعلقة باقسامه وعناصره ، وتقويمها من الناحية الفنية والانشائية . ومعلومات عن وظيفته الاصلية واستخدامه الحالي ، وعن عدد سكانه ووضعهم الاجتماعي ، الى غير ذلك من المعلومات التي تفيد في تكوين صورة حقيقية عن المركز التاريخي ، وتساعد في تهيئة مخطط الاصلاح والتطوير .

– المخطط العمراني الجديد : يجب أن يلحظ المخطط العمراني الجديد النواحي التالية :

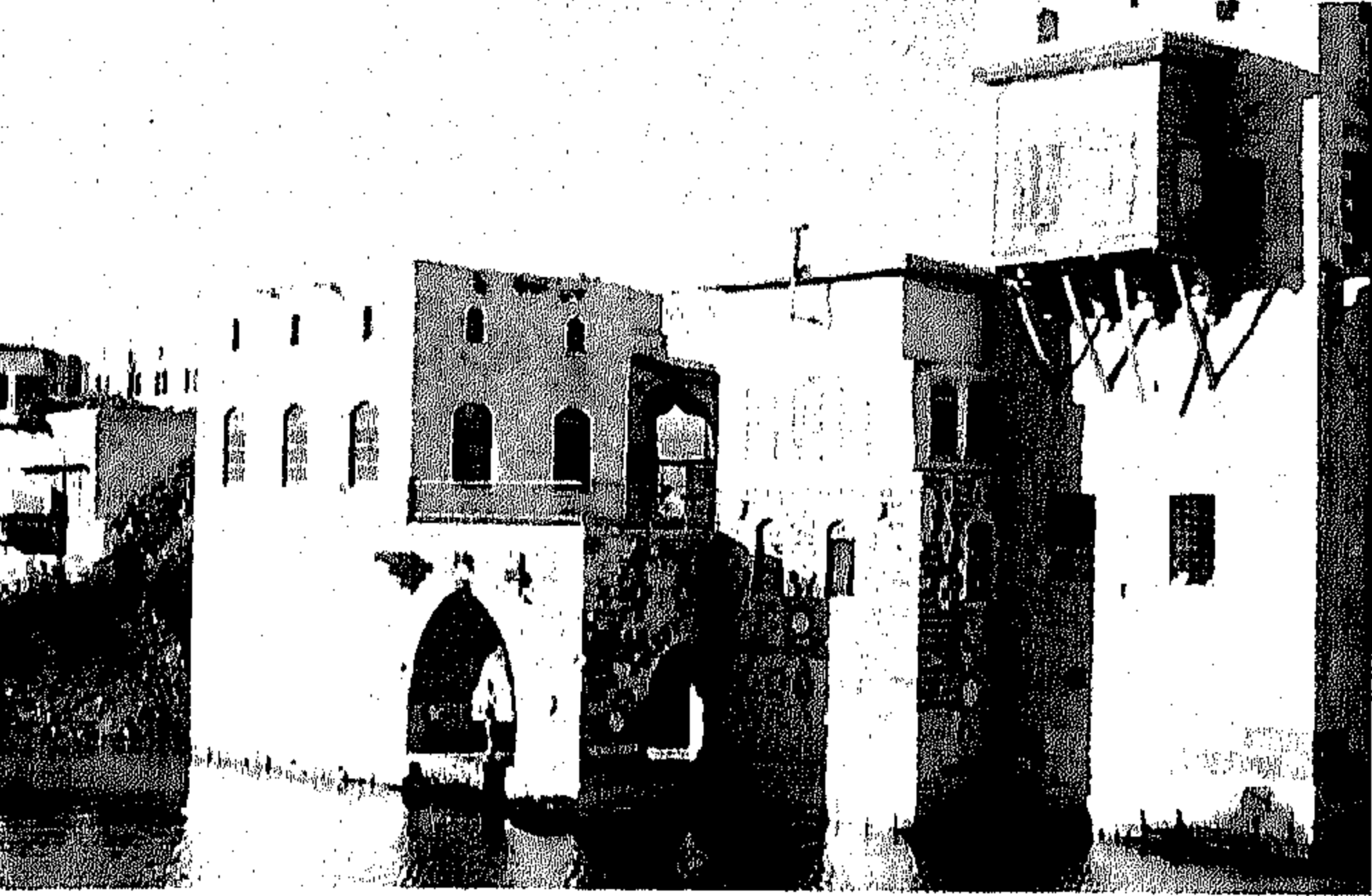
.. التنظيم الجديد للطرق والسكك ، سواء ما أمكن اعادته منها الى وضعه الاصيل أو ما أمكن تعديله على ضوء الدراسات الجديدة .



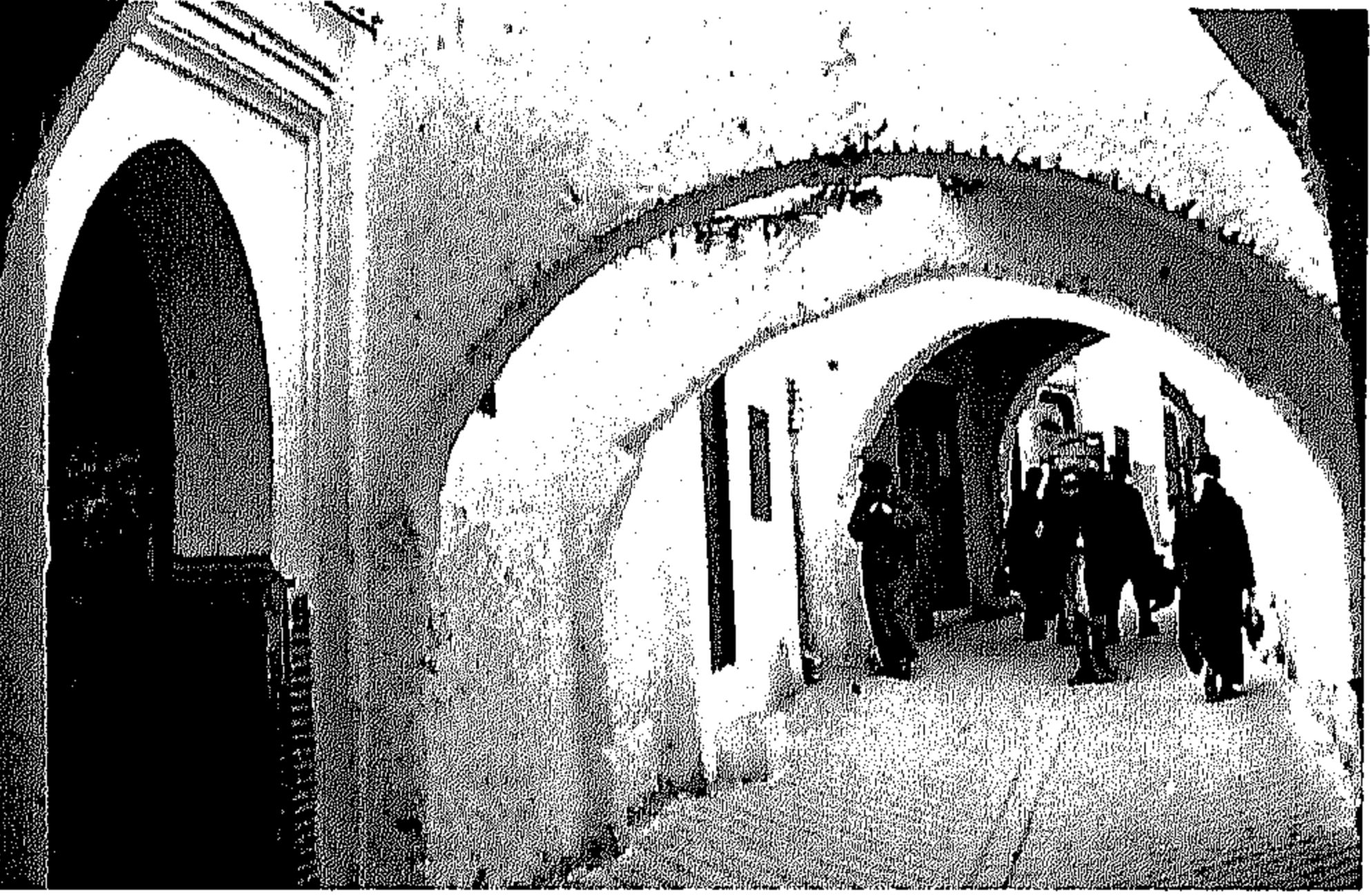
حلب القديمة - سوريا



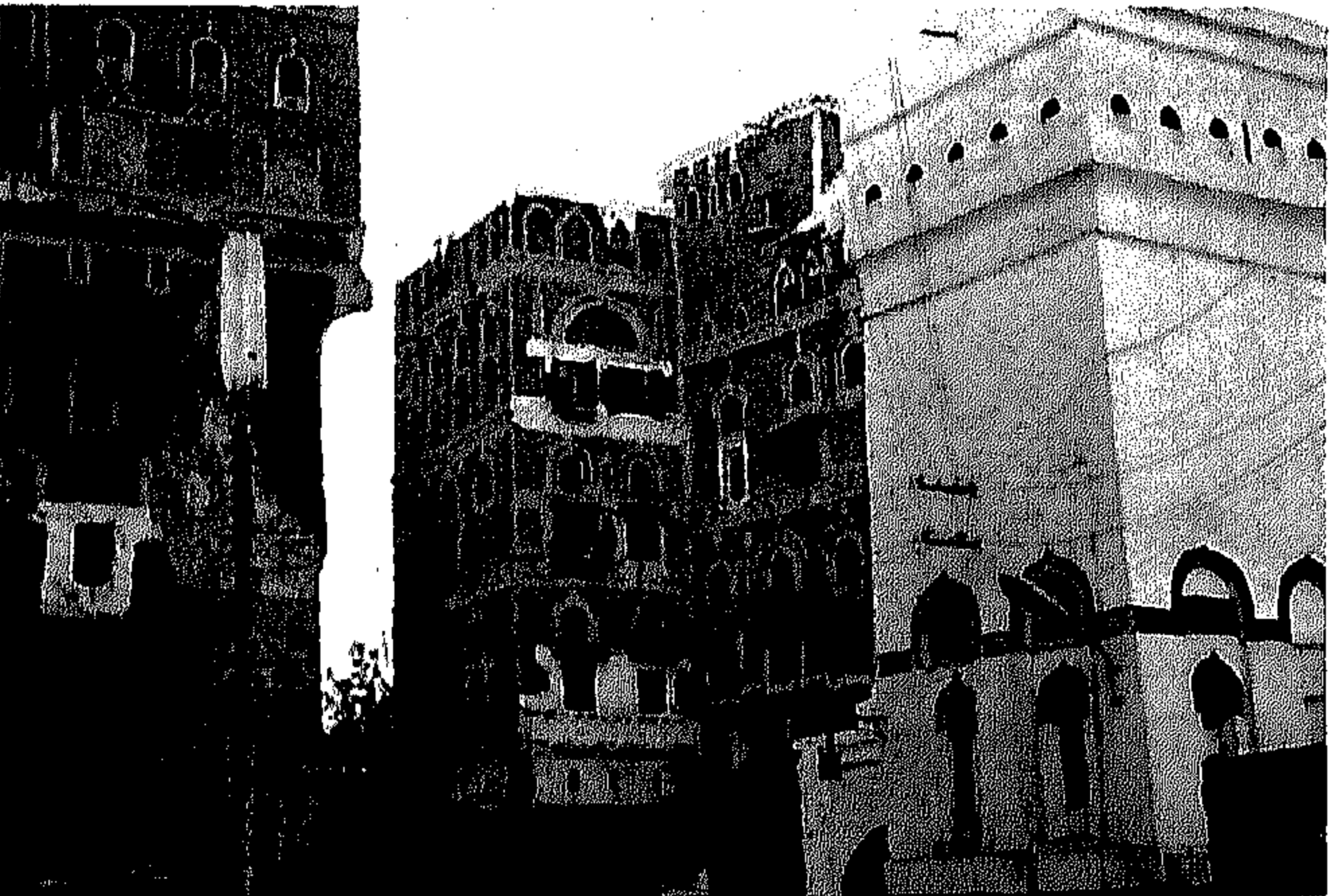
٨٥ حلب - سوريا



٨٦ حماه - سوريا



٨٧ تطوان - المغرب



٨٨ صعاء

.. وتأتى اخيرا مشكلة المواصلات ، وتنظيم شئون السير في المخطط الجديد ، وهى مشكلة تحتاج الى مزيد من الدراسات الدقيقة والحلول المبنية على الخبرة والتجربة .

- مرحلة التنفيذ : بعد اقرار المخطط العمرانى الجديد ووضعه موضع التنفيذ ، من المستحسن اتباع الاسلوب المرحلى ، وتقديم الاهم على المهم ، فى تنفيذ اعمال الاصلاح والتطوير ، وفى ترميم القطاعات التى يتكون منها المركز التاريخى . ويمكن ان نحدد أهم اعمال هذه المرحلة وشروط تنفيذها فيما يلى :

.. هدم ماتقرر هدمه وازالته من المنشآت الطفيلية والمهترئة .
.. القيام باعمال الحفريات وشق الطرق والمجارى وتمديدات خطوط الكهرباء والهاتف والمياه .

.. المباشرة بأعمال الترميم العقارى ، الجماعى والافرادى . ونقصد بالجماعى ، الترميمات التى تشمل السوق أو الحى بكامله ، من سوق وجدران وبلاط وأرصفة . أما الاصلاحات الافرادية فهى التى تخص ما يحتاجه كل مبنى على حدة من اعمال داخلية تشمل اعادة المبنى الى وضعه الاصيل بازالة العناصر الطفيلية وتقوية واصلاح العناصر الاخرى واحداث الخدمات والمنافع التى تفتقدها المساكن القديمة ، كالحمامات والمطابخ ووسائل التدفئة ، وكل ما يرفع مستوى العيش فى هذه المساكن ، دون الاساءة الى طابعها التاريخى .

توصيات عامة :

واخيرا فالى اورد أن اختتم بحثى بتوصيات عامة أؤكد على ضرورة الاخذ بها عند تطبيق خطة حماية المراكز التاريخية وانقاذها .

أولها : السخاء فى وضع الاعتمادات ، والسرعة فى العمل . لأن هذه المراكز اصبحت كالرجل المريض ، ولم تعد تقوى على الانتظار ، وهى فى كل يوم تزداد سوءا .

ثانيها : تجنيد الأيدى الخيرة لتتولى التقويم الفنى للتراث العمرانى والمعمارى ، وتقدير مايجب هدمه ومايجب الحفاظ عليه ، وتطبيق الاسلوب العلمى المعتمد عالميا فى ترميم المباني التاريخية ، وكذلك من أجل وضع هندسة العمائر الجديدة ورسم عناصرها .

ثالثها : المراقبة الحازمة لمنع الافراد من القيام بما يسىء الى المركز التاريخى ويشوهه كالهدم والتجديد والتغيير والتبديل .

حول حماية التراث في مكناس

عضيمى محمد

مقدمة :

أصالة المدينة العربية

ليست أصالة المدينة العربية دعوة طارئة ، بل هي هوية لا بد ان تلازم العمل الفنى والادبى المبدع ، فاذا كتب للدول العربية أن تكون خاضعة للنفوذ السياسى والثقافى الأوروبى وأن تتبنى منجزات الغرب لاقامة نهضتها ، فإن عمليات التحرر قد فتحت الابواب على مصراعها لمواصلة عماد البناء الحضرى . وهكذا فإن مسألة الاصاله وجدت مكانها الصحيح على الأرض العربية ليس فقط بفضل ظروف الوجود السياسى المتحرر ، بل كأساس لتحديد شخصية منفردة للثقافة الجديدة فى البلاد العربية .

والاصالة هي شرط اساسى لمشروعية العمل الفنى والادبى المرتبط بروح حضارة أمة من الامم فى المجتمعات الموحدة ، والقوميات المتعددة ، فالذين يرفعون الراية باسم التجديد والتخلى عن النهضة العربية الاسلامية ، والتي هي خليط من عدة تجارب ناجحة ، فانهم يريدون أن يجعلوا من عملهم هذا هدم ما بنته الامة العربية منذ آلاف السنين . ونحن نتفق فكرة المعاصرة التي تتضمن حقيقتها التقليد والمحاكاة ، واستيراد الاساليب الغربية التي كانت السبب فى التخلى عن الشخصية الفنية الاصيله للالتحاق بالشخصية الفنية العربية . أما المعاصرة بمعناها العام فهي معايشة الظروف الراهنة والتطلعات المستقبلية .

مدينة مكناس كنموذج :

مكناس مدينة أصيلة ، فضلها الله تعالى ورعاها ، يتوسط مدينة مكناس سهل فسيح تبلغ مساحته ٤٠٠٠ هكتار وتعلو فى وسطه تلة جميلة ، وتظلها مئات الآلاف من أشجار الزيتون المغروسة فيها والتي تزيدها حسنا وجمالا دون أن تخفى أسرارها ، فجاءت فائقة الحسن ، كما أنها جمعت بين الطريف والتليد والقديم والجديد وهي احدى حواضر المغرب بعد سجلماسة مركز بنى مدرار ، وفاس كرسى الادارسة ومن اقتفاهم ، ومراكش دار المرابطين ومن بعدهم ، وقد مرت عليها أيام كسبت فيها نضارة الحضارة وظللها جلال الملك والامارة أيام السلطان المنعم المولى اسماعيل نور الله ضريحه ، وكانت مأوى الوزراء والكتاب والشعراء وأرباب العلوم والصنائع والفنون ، وقد توالى عناية مختلف ملوك الدولة العلوية الشريفة بهذه المدينة .

نشأ فن العمارة الاسلامية فى بناء المساجد والجموع فكانت أبنية بسيطة للصلاة والوعظ والاجتماعات العامة ليست فيها نزوع الى اتقان فن العمارة والزخرفة ، وفى مثل هذه المباني البسيطة لم تكن هناك حاجة لمثل هذه الاساليب ، وقد ظهرت الجموع والمساجد بالرغم من التغيرات التي طرأت على بنائها بيتا للعبادة ورمزا للوحدة الدينية والدينية ، انتقل العرب بعد ذلك من القناعات بالضرورة بالضرورة الى الطموح فى اقامة الابنية الضخمة انتقالاتا سريعا ، فلم يمض على وفاة النبي الكريم ﷺ عشرون عاما ، حتى أعيد بناء مسجده بالمدينة المنورة ، وبعد سنين قليلة أدخلت المقصورة فى عمارة المساجد ، ثم ظهرت المآذن والمحارب وأنواع أخرى من الاشكال الهندسية المتنوعة التي عمت أفق البلاد الاسلامية ، وهكذا نرى عمارة المساجد والجموع تتطور فى زمن أصبحت تشمل جميع المظاهر الرئيسية العامة فى البناء ، فالطرز الاموى الذى هو اقدم الطرز الاسلامية لم يكن فى مطلع أمره بسيطا كما يخيل لنا ، لان العرب بدأوا باقتباس أساليب الفنون المعمارية المسيحية البيزنطية التي وجدوها فى سوريا والشرق الاذنى ، ومن هذا الامتزاج ظهر طراز أموى بديع نقله قواده الى سائر الاقاليم الاسلامية على يد صناعات كانوا يستقدمونهم من الشام ومصر ، وقد بقى هذا الطراز سائدا فى المغرب واسبانيا حتى دالت دولتهم وآلت الخلافة الى العباسيين حيث ظهر ثانية طراز جديد لا أحد ينكر تأثيره بالاساليب التقنية الموروثة عن البابليين والاشوريين .

لقد بلغ الطراز العباسى أوج عظيمته فى سمرقند . واستطاعوا فرض أساليب عمارتهم على الامبراطورية الاسلامية كلها وكان عصرهم عصر ثورة ملموسة لا فى العمارة فحسب بل فى مختلف الفنون الاخرى حيث مالوا الى حياة الترف وبناء القصور بالاثاث النفيس وأسباب الراحة ، كما بنوا المدارس والاضرحة وكلها كانت بفن رفيع يدل على ذوق ومهارة عالية ونفس الشىء فعله العرب عندما حلوا بالاندلس حيث الاثار العمرانية بادية للعيان ، وقد ظلت شائعة تبرهن على مقدار ما بلغه الفن المعمارى العربى من رفعة وعظمة الى اليوم ، وفى المغرب كذلك لدينا من البيانات ما يثبت أن البنائين فى أيام ملوك البربر كانوا من العرب وقد روى أن اميرى المرابطين والموحدين يوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور الموحدى احضرا من الاندلس مهندسين لانشاء المباني التي أقاموها فى مراكش والرباط وفاس .

المتلاصقة والتي لاتستعمل فيها النوافذ المطللة على الشارع الا نادرا ، الشى الذى يعكس المظهر الخارجى عما بداخل الدار من جمال وفتنة وهى تختلف عن سائر المدن المغربية بالمتانة ، فيعد باب المنصور الفخم فيها آية فى الفن والزخرفة والاتقان ويمكن ابراز خصائص معالم الجمال بالمدينة فيمايلي :

- الزخرفة بأشكالها المختلفة النباتية والهندسية .
- الخط العرى المستخدم فى تزيين الواجهات والجدران وأعلى المداخل الرئيسية .
- الاعمدة الخشبية ذات التيجان المربعة فى الغالب تكون معززة بأشكال الزخرفة .

يضاف الى كل هذا مواد البناء المختلفة من الأجر والطين والخشب والجبس ، والزجاج ، والمعادن وغيرها ، وعلى ذكر مادة الطين بالرغم من دورها الثانوى بمقارنتها مع الأجر الا أن الملاحظ أن الابنية السكنية الهامة كانت تبنى من الطين ، ولا أدل على ذلك من وجود قصور وقلاع كثيرة غنية معماريا بنيت من الطين ، وهى قصر مولاي اسماعيل ، وسور المدينة الاسماعيلية العظيم ، حيث يحتوى على مساحات ، يهر العقول بالكيفية التى شيد بها ، وهو لايزال قائما يطاوع الزمن اسوة بأخواتها حلب والقدس والقيروان وغيرها ، كل هذه المدن تشكل أمثلة حية على قدرة العطاء لهذه المدينة .

وتوجد مدينة مكناس على علو ٥٠٠ م من سطح البحر ، وتبعد عن الرباط العاصمة الادارية للملكة ب ١٤٠ كم ، وعن فاس العاصمة العلمية ب ٦٠ كم ، وعن الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية ب ٢٣٠ كم ، وعن طنجة عروس الشمال ب ٢٩٠ كم ، وعن ايفران الساحرة ب ٧٠ كم ، وعن مولاي ادريس زرهون مهد دولة الادارسة ب ٢٦ كم ، وبهذا تكون مدينتنا فى موقع استراتيجى مهم يجعلها تربط بين شمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه .

لقد روعيت فى بناء مدينة مكناس الظروف المناخية باعتبار معظم أيام السنة مشمسة ذات شعاع ساطع ، فتم تضييق الطرق وجعل شبائيك الدور الخارجية رفيعة الفتحات ، يتقارب بعضها مع البعض الاخر ، مع جعل الدور والفسحات المكشوفة متجهة لوسط الدار ، فتوافر لذلك جو مظلل مستور قدر الامكان مراعاة للظروف الاجتماعية السائدة حينذاك ، وقسمت الدار الى أقسام خصص كل منها لموسم من مواسم السنة ، أو لاستخدام اجتماعى معين منه للضيوف وآخر للنساء ، وهكذا جعلت الدار مكونة من طابقين تسهيلا للمهمة ، وأكثر من استخدام الخشب للحد من تقلبات درجة الحرارة فى داخل الدار واستعمال الزجاج المتعدد الالوان لتلطيف الأشعة عند مرورها الى داخل الغرف .

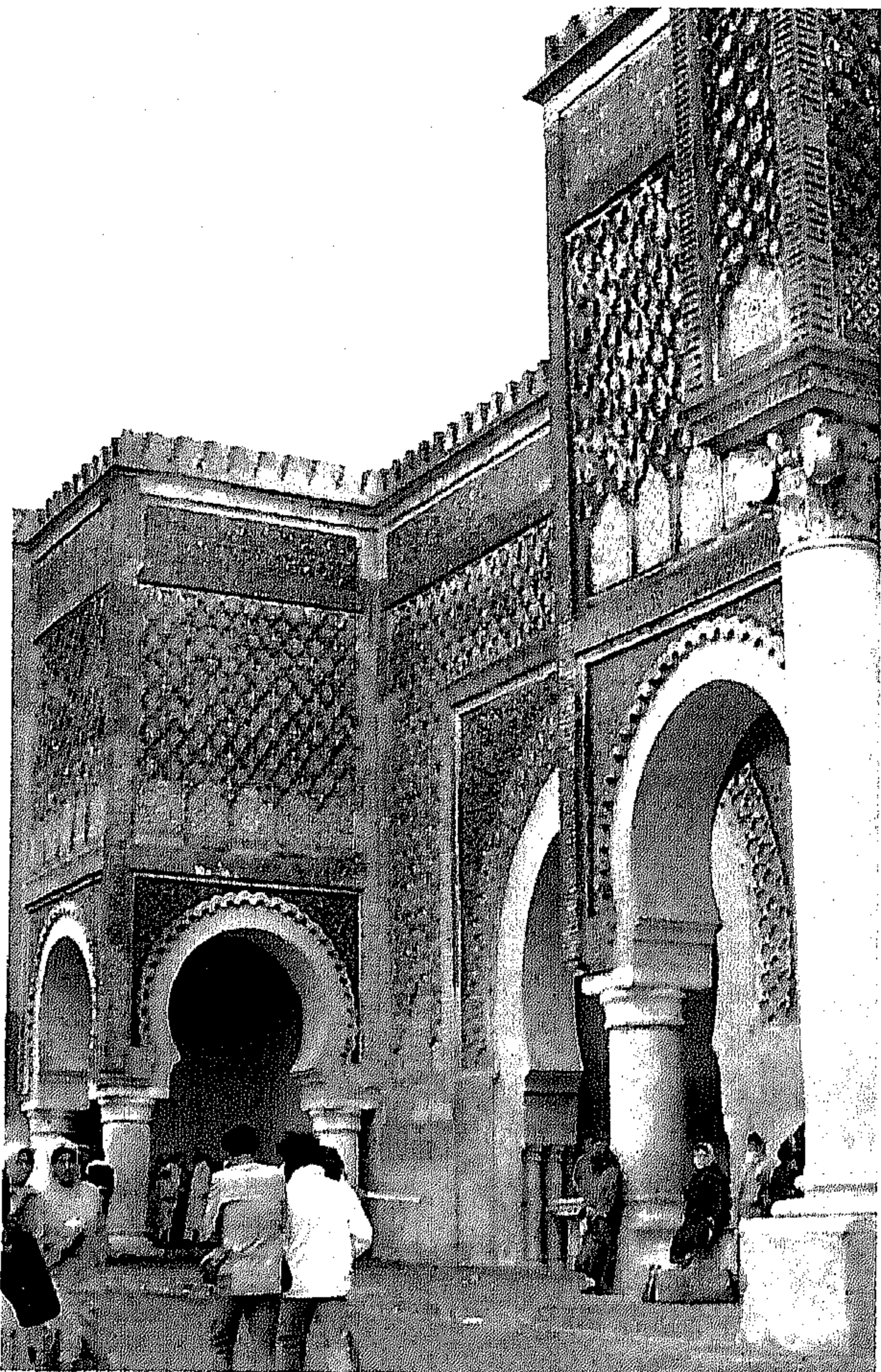
أن الطابع الغالب على أكثر هذه المدينة هو الطابع الاندلسى ، ويرجع السبب فى هذا الى أن مدينة مكناس كانت ملجأ المهاجرين الاندلسيين ، ولهذا نرى طراز البناء فيها قد اقترب الى الفنون الاندلسية ، فأبنيتها



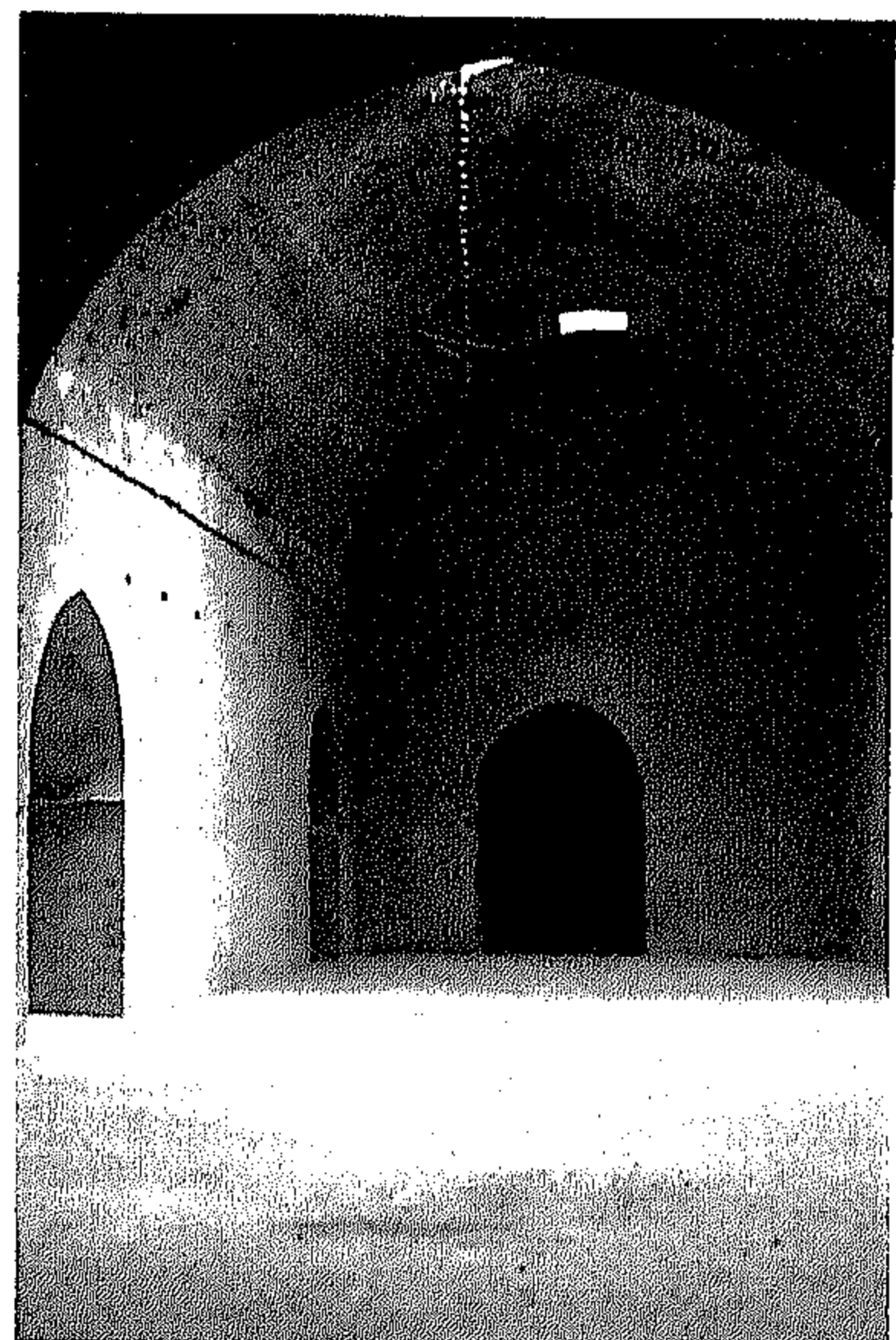
منظر من مكناس - المغرب



٩٠ منظر من مكناس - المغرب



٩٢ منظر من مكناس - المغرب



٩١ منظر من مكناس - المغرب

سبل الحفاظ على طابع المدينة العربية وشخصيتها

ان سبل الحفاظ على طابع المدينة العربية وعلى تراثها يشكل حصيللة عدة عطاءات حضرية لمجتمع معين عبر المراحل التاريخية يمكن تمييزه من خلال مظهرين أساسيين :

- المظهر المادى : ويتضمن المناهج والقيم الفكرية والفلسفية وما أشبه ذلك ، والتي تشكل بمجملها الجوهر الروحي لهوية تجمع أو حضارة معينة ، وهو الإطار الذى يشكل المحرك الرئيسى لتقريب الصيغ المادية وذلك بالتفاعل مع الظروف التى تطرأ مرحليا .

- المظهر المعنوى : وهو الإطار المجسم للعطاء ، ويشمل الممتلكات المتعلقة بالتاريخ الناتجة عن الحفريات الأثرية التاريخية والفنية والمواد ذات الأهمية والقيمة التشكيلية والمخطوطات .

ومن خلال التكامل بين المظهر المادى والمظهر المعنوى للتراث يصبح مسألة احياء التراث على صعيد الحياة الاجتماعية والتكوين العمارى والفنى أساسا علميا وعمليا رهينا .

أن هدف احياء التراث والحفاظ عليه لا يقتصر على صيانة مبنى أو حى معين وجعله مرفقا سياحيا فحسب كما هو الحال فى الآثار ، بينما يتجاوز ذلك الى العناية بإيجاد المستلزمات التى تساعد على استمرار النمط والطابع الانتاجى للفنون والحرف التقليدية ذات الصلة الوثيقة بالماضى ، خاصة اذا علمنا بأن المرحلة التاريخية الاخيرة للشعب هى أشد المراحل تأثيرا فيه وفى مستقبله ، وأن دراستها واستيحاء عناصر القوة والإبداع فيها يساعد على المحافظة على الهوية القومية للمجتمع ضمن إطار المعاصرة .

وحماية التراث ظاهرة جديدة لم يعهدها العالم العربى من قبل ، وقد بدأ التحرى الجديد منذ بضعة سنوات فقط ، وقد لوحظ أن هناك فارقا بين مستوى التطلعات والقرارات والتوجيهات ، وبين مستوى تنفيذ الواقع .

وقبل أن آت على ختامى لهذا العرض أود أن أقترح للحفاظ على المدينة العربية ما يلى :

- القيام بحملة واسعة اعلامية للتعريف بالمدينة العربية ودورها الطلائعى على الصعيد الوطنى والعربى والاسلامى .

- دراسة دقيقة وشاملة لكل جميع مواقف الحياة بالمدينة العربية لترابط ماضيها بحاضرها .

- اصلاح وتوسيع شبكة المياه الصالحة للشرب والكهرباء والوادى الحار والطرق وغيرها والحفاظ على المآثر التاريخية واقامة اماكن مخضرة بداخل المدينة ، بالإضافة الى الحرف اليدوية التقليدية .

- تخصيص غلاف مالى مهم تشارك فيه كل الدول الاعضاء فى المنظمة العربية للمدن .

- مطالبة المنظمة بتبنى توصيات اللجان الوطنية العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ومنظمة اليونسكو الخاصة بالحفاظ وانقاذ المدينة العربية .

ولم يكن النشاط الاقتصادى أقل أهمية من الجانب الثقافى ، حيث كانت تشكل محورا رئيسيا للمبادلات التجارية القائمة آنذاك لصناعاتها التقليدية المزدهرة ، ومهارة حرفها . وان ذروة مدينة مكناس كانت فى المكانة التى وصلت اليها ، ويتجلى هذا فى الاستعمال الدقيق لصرف الحياة وتوزيعها على مجموع احياء هذا المدينة ، وعلى مختلف النشاطات العمومية من استعمال منزلى ، وصناعى ، وكذا سقى الحدائق والجنان .

وفى التنظيم العمارى للمدينة على شكل احياء مستقلة نسبيا تتوافر على مراكز ثانوية تضم جميع المرافق الضرورية كالمساجد والجوامع والافران ومن مميزات هذا النظام ، وجود مركز رئيسى بوسط المدينة لجمع باقى الوظائف الدينية والثقافية . والتجارية ، وكذا الاندماج بين الفئات الاجتماعية على مستوى احياء ، دون تميز بين سكنى فئة عن أخرى من حيث موقعها فى الحى وهندستها المعمارية ، ثم الإبداع العمارى الذى يتجلى فى فن الزخرفة والنقش الذى تزخر به الجوامع والفنادق والمدارس والقصور والمنازل ، وعلى سبيل المثال ، فان الجامع الكبير يمثل أحسن نموذج لفن العمارة الاسلامية الاصيلة ، وتميزها بطابع خاص ، بالإضافة الى مساهمته فى الميدان الثقافى وتكوين نخبة من المواطنين الذين ساهموا فى التحرير الوطنى ونشر الوعى فى المجتمع المغربى خلال مراحل زمنية متلاحقة .

ان التطور العمارى الذى عرفته مدينة مكناس منذ نشأتها على يد المولى اسماعيل ، كان تطورا يواكب حاجيات السكان فى النجاح التام مع بيئة المدينة وخاصياتها الطبوغرافية والمناخية ومع محيطها الطبيعى .

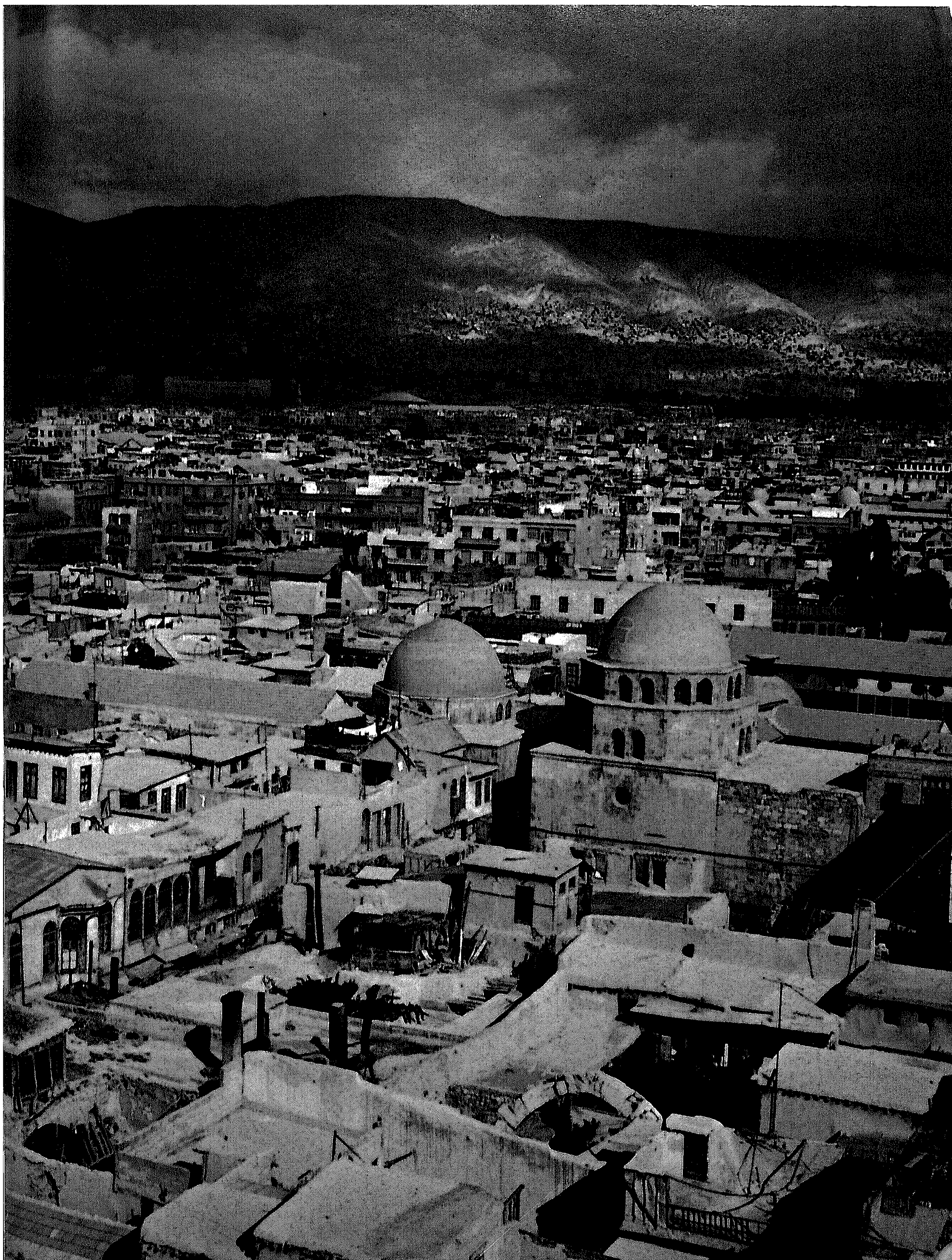
لقد بقى هذا التطور مسترسلا حتى بداية القرن ٢٠ الذى عرف تغيرات وتقنيات اجتماعية واقتصادية وثقافية وديمقراطية أدت الى اختلال فى التوازنات المعمارية التى كانت تطبع المدينة ، فأصبح إطار الحياة الحضرية بفعل ضغوط شتى يعانى من عدة مشاكل نذكر منها على الخصوص :
التقهقر الذى عرفته الوحدات السكنية بالمدينة العتيقة نتيجة النمو الديموغرافى الطبيعى ، وكذا ظاهرة الهجرة من البادية الى المدينة .

لقد أدى هذا الاكتظاظ الى فقدان المدينة لكثير من مساحتها المخضرة التى كانت تساهم فى التوازن ما بين المجال العمارى والمجال الانسانى ، كما أدى الى طرح مشكل التجهيزات الاجتماعية والثقافية التى لم تعد قادرة على سد حاجيات السكان المتزايدة داخل المدينة .

ان عدد سكان المدينة العتيقة داخل الاسوار التى أقيمت على عدة هكتارات لاتتسع لتلبية كافة الحاجيات من سكن وغيرها ، وعليه فان عملية الحفاظ ستبدأ بالتخفيف من الاكتظاظ السكانى بداخل المدينة فى إطار تخطيطات التنمية الاجتماعية للسنوات القادمة والمقبلة ، وتدهور شبكة المياه بالمدينة التى لم تعد تلبى حاجيات السكان ، والتى أصبحت تشكل خطرا بالنسبة لمجموع نباتات المدينة وتهدد قاعدتها البنيوية بالانهيار ، والمشاكل التى تعترض نمو قطاع الصناعة التقليدية التى كانت تشكل القاعدة الاقتصادية للمدينة والتى أصبح دورها الانتاجى يتقلص .

ان مختلف هذه المشاكل وصل الى درجة كبيرة من الصعوبة أصبح معها كيان المدينة مهددا بالانحلال ، وبالتالي أصبح من الضرورى الوعى بهذه الوضعية المتدهورة والعمل على انقاذها حسب خطة محكمة تراعى حاجياتها وأهميتها لتراث اسلامى عربى يشكل جزءا مهما من تراث الانسانية جمعاء .





الفصل الثاني

المدينة العربية المعاصرة بين الحاضر والمستقبل

وقد اُضيف الى ذلك على الدين هلال دسوقي* مؤكداً على تأثير النمو العمراني السريع بالعالم العربي أثناء العقدين الأخيرين ، بينما يؤكد فرج ستنبولي** على الازدواجية الفكرية الضالة الضارة التي نمت أثناء هذه الفترة والتي ربطت خطأً بين الدخيل والتقدم من جهة وبين التراث القديم والتخلف من جهة أخرى .

وكل من هؤلاء العلماء الثلاثة يعضد التيار الفكري السائد الذي تمخض عن الأبحاث المقدمة في الندوة ، وذلك الذي ينادى بأهمية تأصيل الجديد وتطوير التراث الحضاري كمدخل أساسي لمعالجة مشاكل المدينة العربية المعاصرة .

ومن ثم جاءت الأبحاث المطروحة في هذا الفصل مكتملة لما أتى في الفصل الأول حيث تطرقت الى أربعة موضوعات ، كل في قسم مستقل ، وهي :

أولاً : المقومات الاصلية للمدينة العربية :

ونقصد بذلك الفهم الواعي لدور الفضاءات العمرانية في تكوين البيئة العمرانية الاسلامية ، ولدور الفناء في المبنى ، ولدور الحديقة في البيئة المبنية ، وكيف تتفاعل هذه المقومات مع الطرق والمباني لتحديد مقومات الأحياء السكنية وغيرها من الأحياء التجارية التي في مجملها ترسم صورة متميزة للبيئة العمرانية الاسلامية .

اذا انتقلنا من التراث والماضي الى المدينة العربية المعاصرة وجدنا أن تشكيلها وتركيبها الحالي هو نتيجة مباشرة لتطورات أتت في القرن الماضي والحالي . وقد تحدث سعد الدين ابراهيم* عن هذه التطورات وقسمها الى أربع « موجات » من التغيير . ترتبط الموجة الأولى بالتدخل الاستعماري في العالم العربي في القرن التاسع عشر الميلادي . أما الموجة الثانية فهي نتيجة لادخال التكنولوجيا الصناعية الغربية في الحياة الاقتصادية وما واكب ذلك من تغييرات ادارية ونظامية وتقنية مرتبطة بالتصنيع والمجتمع الصناعي المعاصر . أما الموجة الثالثة فهي تلك الهجرة الواسعة من الريف الى المدينة خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية . أما الموجة الرابعة والأخيرة فهي التي نمت من التحركات الدولية الواسعة للعمالة العربية خصوصاً بعد الطفرة التنموية الكبرى في دول النفط في السبعينات .

وبما لاشك فيه ان النتائج الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لهذه التغييرات فجرت التناقضات الكامنة بين قوى التأصيل المحافظ وقوى التجديد المستغرب ، خالقة بذلك أزمة حضارية للمدينة العربية الاسلامية ، لاحت لها سوى الاعتراف بأن الاصلية والتجديد هما وجهان لنفس العملة ، وان المخرج الحضاري للازمة يكمن في مقدرة المثقفين العرب على إيجاد الصيغة العملية لتحقيق ذلك التحرك الحضاري المرموق .

* راجع على الدين هلال دسوقي « النمو العمراني السريع بالعالم العربي وتأثيره على المؤسسات والافراد » في ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٢٦) سينشر مستقلاً فيما بعد

** راجع فرج ستنبولي « مستقبل المدينة العربية في المغرب » في ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٢٩) وسينشر مستقلاً فيما بعد .

* راجع سعد الدين ابراهيم : « أزمة المدينة العربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة » في ملخصات أبحاث الندوة (صفحة ٣) وسينشر مستقلاً فيما بعد .

ثانيا : أسس المنهج العلمي للتخطيط :

حيث أن العالم في تطور مستمر ، ولاجمود مع الحياة ، وجب على التخطيط السليم أن ينطلق من هذه المقومات الأصيلة للمدينة العربية ، ويهذبها ويطورها بما يواكب المتطلبات المتغيرة للحياة المعاصرة ، مستخدما في ذلك أحدث الوسائل مثل تكنولوجيا الكمبيوتر والتقييس لترشيد استخدام أحدث المواد الجديدة جنبا الى جنب مع أقدم الوسائل في اطار متناسب خلاق . وليس ذلك رومانسية في معالجة الأمور ، بل هو المنهج العلمي السليم ، الذي منه تنبثق القواعد التنظيمية لتخطيط المدن العربية المعاصرة .

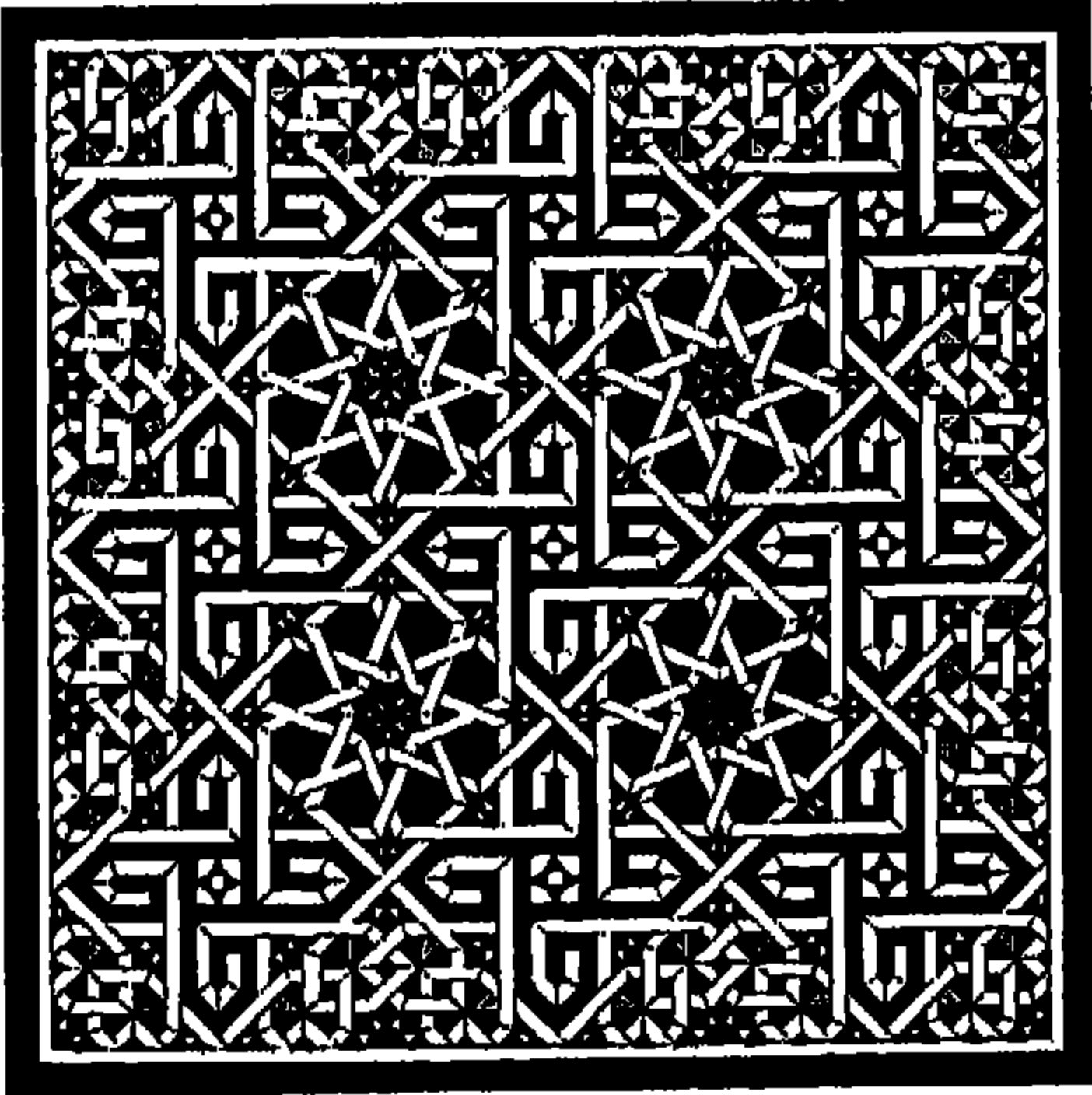
ثالثا : التجارب والمدن الجديدة :

كيف تطبق هذه النظريات في المشروعات الحالية والتي تحت الدراسة بمدننا العربية اليوم ؟ ولانقصد هنا دراسات حالات معينة لقضايا التراث والتجديد في المدن العربية الأصيلة مثل المدينة المنورة أو القاهرة أو فاس أو دمشق ولكننا نقصد المشروعات والمخصصات الحديثة التي نفذ بعضها ومازال البعض الآخر في طور التصميم ، لنلمس الى أي حد التقت المقومات الأصيلة للعمارة العربية الاسلامي بالأسس العلمية للتخطيط الحديث ، لتنتج البيئة العمرانية المعاصرة المتميزة التي يستهدفها المجتمعون بالندوة من خلال دراساتهم وتوصياتهم .

رابعا : أساس التحرك مستقبلا :

لايمكن الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل بدون التطرق الى كيفية تأسيس المناخ الفكري المناسب وكيفية اعداد الأجيال القادمة من المسؤولين الذي سيتحملون عبء معالجة مشكلات المدن العربية خلال القرن الخامس عشر الهجري .

وفي هذه الموضوعات المتضاربة العديد من الخيوط التي تربط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل ، ولكنها أيضا تفتح العديد من النوافذ على العالم غير العربي عامة ، ومكذبة بذلك القائلين بأن هذا الاهتمام بالتراث والتأصيل يؤدي بالضرورة الى الانغلاق ، مبينة أن العكس ، هو الأساس العلمي الوحيد الكفيل بالتحرك والتقدم والحياة مع الحفاظ على الذاتية وتلافى التخبط والضياع .



٩٥ رسم هندسي من الفن العربي



القسم الأول المقومات الأصيلة للمدينة العربية

ثالثا : صفى الدين حامد الذى يتطرق لموضوع الحديقة الاسلامية ودور مصمم المواقع فى تطوير المدينة العربية .

رابعا : على بسبوى الذى يذكر باختصار الفناء كحصر هام فى المدينة العربية مستندا الى رأى المعمارى الكبير لوكوربوزيه ذاته فى هذا الموضوع .

خامسا : فرحات خورشيد طاشكندى الذى يرسم معالم الطريق نحو بيئة عمرانية اسلامية متميزة (وهو موضوع بحث مطول سوف ينشر مستقلا فيما بعد) .

يتصدر أبحاث هذا القسم ملخص لأراء أعرب عنها حسن فتحى عن العمارة الاسلامية والتعبير الحضارى الأصيل فى المدينة العربية المعاصرة ، يؤكد فيها على حقيقتين : أولا : أنه لايجوز النقل الأعمى من حضارة الى أخرى ولايجوز الخلط بين النقل والاستفادة التى بلا شك فيها انشاء وتنمية ، وثانيا : أن أدوات العلم الحديث تصلح أن تكون هى الفيصل لتقويم صلاحية الحلول المعمارية التقليدية والمستحدثة وملاءمتها للبيئة والمجتمع .

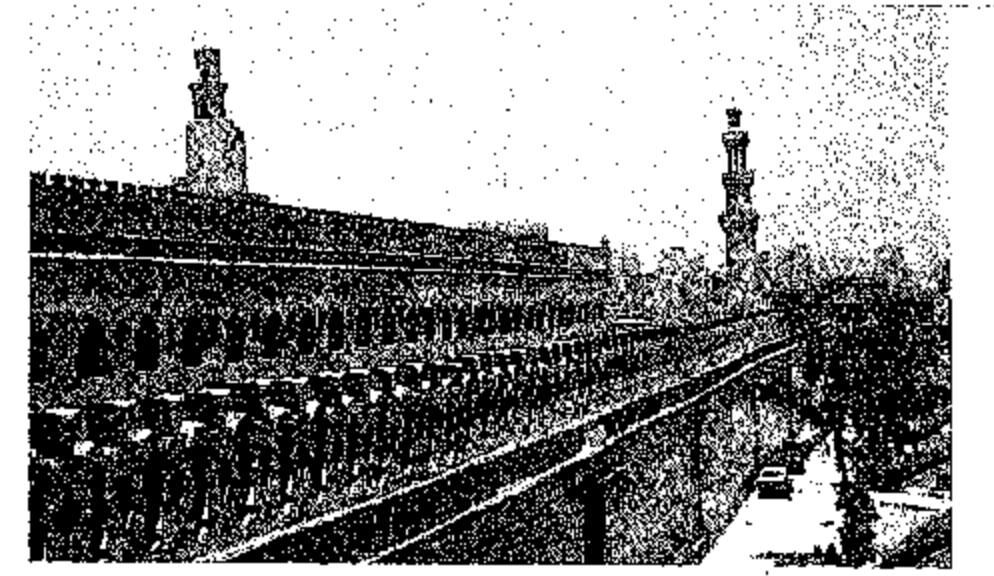
وتأتى باقى الأبحاث فى هذا القسم مكمله لهذه الرؤية ، مدعمة لهذه الأراء وتكون فى مجموعها صورة واضحة لبعض المقومات الأساسية للمدينة العربية ، وهى :

أولا : دهر الياور الذى يبحث فى دور الفضاءات العمرانية فى المدينة الاسلامية ، ويفتح على تطورها وأفاقها المستقبلية مع اشارة خاصة الى الكويت .

ثانيا : أهمهان صوفان التى تناقش الحى السكنى فى المدينة العربية المعاصرة باعتباره أساس التكوين العمرانى لأى مدينة .



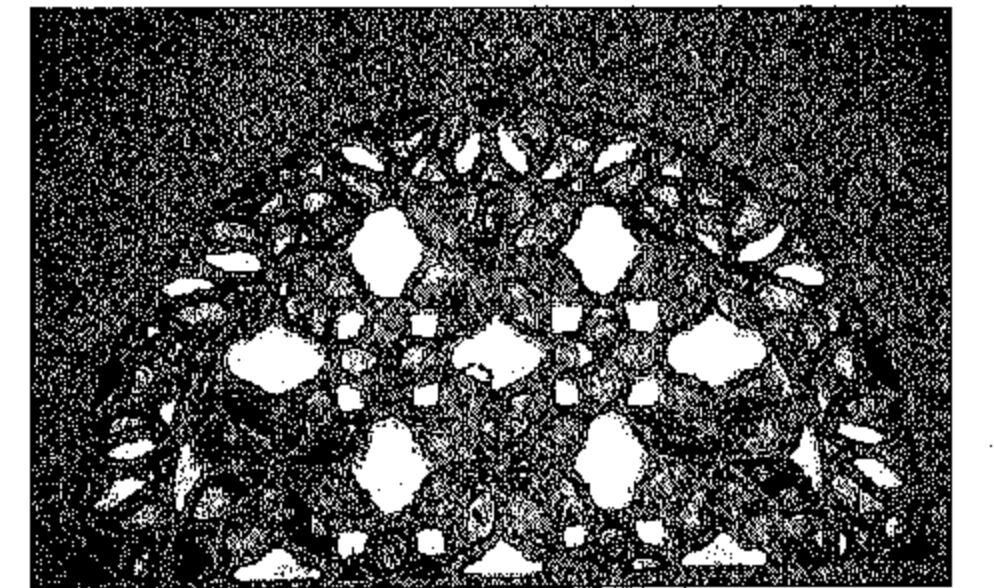
١٠٠ مكة المكرمة من الجو



٩٧ جامع ابن طولون - القاهرة



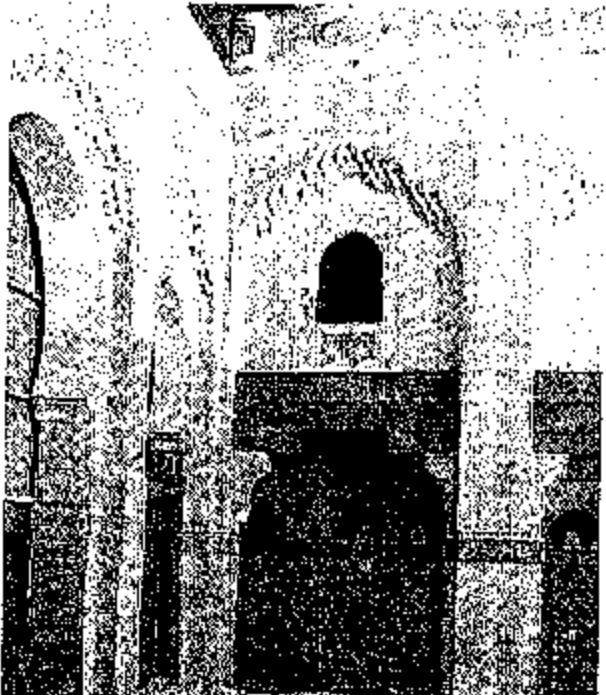
٩٨ الساحل بالقرب من تونس



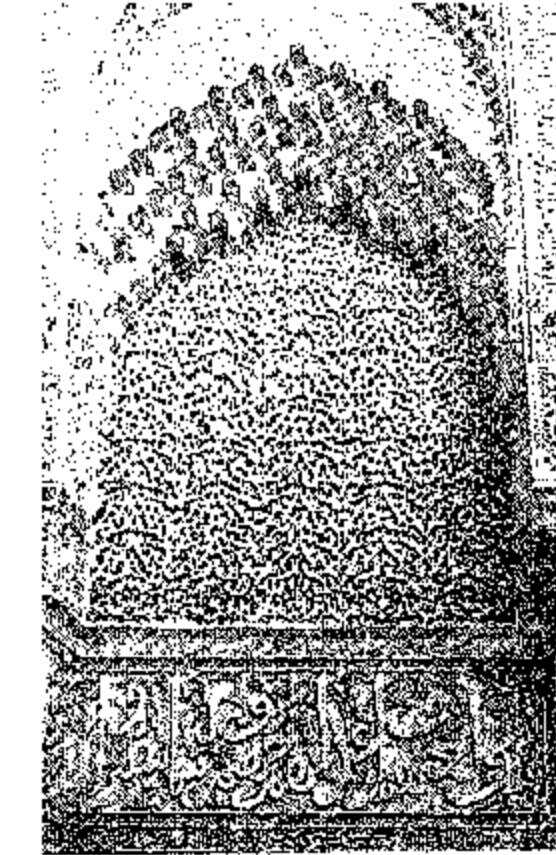
٩٩ الزجاج الملون - صنعاء



١٠٤ سيدي بو سعيد - تونس



١٠٥ فاس



١٠٢ تفاصيل معمارية - فاس



١٠١ صعدة - اليمن

١٠٣ شارع السوق - فاس

العمارة الاسلامية والتعبير الحضارى الاصيل فى المدينة العربية المعاصرة

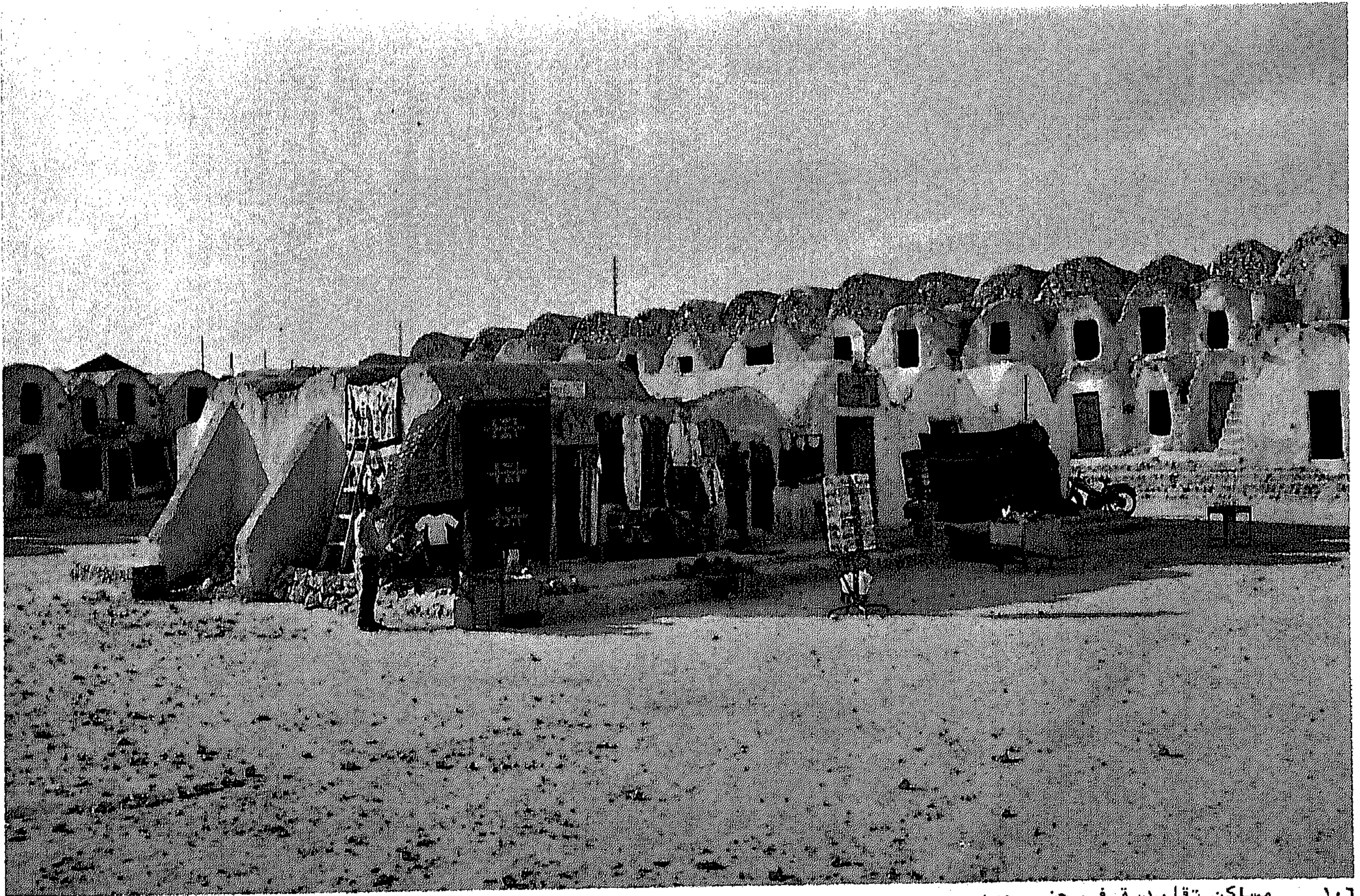
حسن فتحى

الدخيل ، فليس كل جديد بمفيد وليس كل قديم بيبال . وهنا لنا ملاحظتان : الأولى أن الحضارات والثقافات غير قابلة للتبديل ، ولا يجوز النقل الأعمى من واحدة الى اخرى ولا يجوز الخلط بين النقل وبين الاستفادة من الحضارات والتجارب الاخرى ، فهذا فيه اثناء وتنمية .

اما الملاحظة الثانية ، فهى أن أدوات العلم الحديث تصلح أن تكون هى الفيصل لتقويم صلاحية الحلول المعمارية وملاءمتها للبيئة وللمجتمع ، فلنا أن نقيس الحرارة والرطوبة والصلابة وقوة العزل وملاءمة كل مادة أو عنصر لاحتياجات المحيط بها . واننا اذا طبقنا ذلك ، لوجدنا ان الكثير من الموروث ذو قيمة عظيمة فما ارتضته الاجيال المتتالية من المسلمين فى بلادنا العربية جدير بالدراسة والتطبيق اليوم ، فليست الاصاله شئ يشترى باضافة الزخرف على الدخيل ، وليس التجديد موقوفا على النقل من الغرب .

يتكون التراث المعمارى والعمراى لأى مجتمع من المجتمعات من اعداد كبيرة من الاعمال الفردية والجماعية ، يخلف كل منها جزءا من ذلك الصرح الجماعى الذى يخلفه الأولون للتابعين فى صورة البيئة العمرانية التى تشمل فى تعبيراتها الحضارية والجمالية المكونات الجزئية من الزخارف وأعمال الحرفيين الى المباني والمكونات الجماعية من ميادين وشوارع وما جرى العرف على تسميته النسيج العمرانى . ذلك كله فى علاقات متناسقة تنم عن تعبير حضارى صادق . وفى عالمنا العربى كان ولا ريب النصيب الأوفر من تراثنا العمرانى الاصيل هو من افرازات والهام الحضارة الاسلامية عامة والعمارة الاسلامية بصفة خاصة .

الا ان المدن العربية تعرضت فى الآونة الاخيرة من عمرها الى هجوم حضارى شارك فيه ابناءؤها مع الوافدين عليها من الحضارات الاخرى . وأصبح من الضرورى تأجيل التجديد . ومن ثم وجب علينا وضع معايير موضوعية محددة لتقويم الجديد ، حتى يتسنى لنا قبول المناسب منه ورفض



١٠٦ مساكن تقليدية فى جنوب تونس

الفضاءات العمرانية في المدينة الإسلامية

دريد الياور

مقدمة :

كمجتمع متأسس موحد لا يعرف الطبقة . فان الطبقة سواء بمعناها الاقتصادي في الغرب أو معناها الاجتماعي في الشرق لم توجد في الواقع ابدا في الكويت . وحتى يحمي الكويتيون انفسهم من الصحراء ، ويؤمنوا مصدر مياه الآبار العذبة ، وطريقا جيدة للوصول الى البحر ، فقد بنوا مدينتهم على شبه جزيرة في جنوب الكويت . وأقاموا من ناحية البر سورا حجرياً على هيئة قوس ، تخترقها أربع بوابات للحماية من هجمات الغزاة ومن العواصف الترابية اللافتحة ، كما جعلوا من ناحية البحر ميناء لمراكب اليوم ومزلق لبناء السفن . وكانت الطرق تسير في خطوط منحنية مؤدية من البوابات الى موقع السوق الرئيسية (ساحة الصفاة) . ويتصل الميناء بساحة الصفاة بمجموعة طويلة من الشوارع تحوى (السوق) وهي المستودع والمحطة التي يلتقى عندها تجار القوافل القادمين من الصحراء العربية مع التجارة البحرية القادمة من المشرق .

لقد تطور الشكل المعماري عضويا من مقتضيات الظروف الجوية القاسية ، وكان عليه ان يستجيب لكل من العادات الاجتماعية ، والظروف المناخية ، والتقنية المتاحة ومواد البناء المتوافرة . وكانت المباني تقام متقاربة جدا لتحمي بعضها البعض من أشعة الشمس والعواصف الترابية . وكانت تبنى عموما من حول فناء فسيح بحيث أصبحت كيانا تدور حوله الحياة الاجتماعية للعائلة الكويتية ، وكانت تتميز ببساطتها وسمك حوائطها واستخدام الجذوع الخشبية للسقوف ، وصغر مساحة فتحات النوافذ ، وقلة الزخارف في الأبواب والنوافذ .

ومع نمو المدينة وازدياد قوتها ، أصبحت تعبيراً واضحاً للميراث الثقافي لمجتمع قديم يتفاعل فيه القادمون من الصحراء مع رجال البحر ، وتحكمه القوة الدافعة للإسلام .

أثر التقنية الحديثة والقيم الغربية :

منذ الخمسينات ، حدث التحول في الهيكل العمراني للكويت نتيجة لعاملين : التقنية الحديثة ، وتدفق الوافدين من مختلف الثقافات كتطور مباشر للزيادة الكبيرة في عائدات النفط التي تحصل عليها دولة الكويت . هناك مظهران هامان من مظاهر التقنية الحديثة أسهما في تحويل الشكل العمراني للكويت وهما : السيارة . . وتكييف الهواء ، إذ أدى هذان الاختراعات التقنيان الى تخليص المواطن مباشرة من قيود الحركة والمناخ ، وهذه هي القيود الرئيسية التي تحدد شكل المدينة التقليدية . ومن الآثار

في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، تفق الهندسة العمرانية عند مفترق الطرق . لقد انطمس الكثير من شكل العمران التقليدي ، ورغم ان عددا هائلا من مراكز المدن ظل مصنونا لم يمّس ، إلا ان الكثير منها مهدّد الآن .

من هذا المنطلق ، فاننا استهدفنا بهذا البحث دراسة عناصر الفضاءات العمرانية في المدينة الإسلامية التقليدية لتقصي كيفية تطورها ، وابعاض الاساليب التي يمكن أن تستخدم فيها الاشكال التقليدية لاضفاء الطابع الخاص والشخصية الذاتية على المدينة الحديثة .

تشریح المدينة الإسلامية :

من المعروف أن نمو المساحات العمرانية في البيئة الإسلامية جاء استجابة مباشرة لاحتياجات امكانات وتطلعات سكانها ، كانت احتياجاتهم أساسية ، وامكاناتهم محدودة وتطلعاتهم محافظة . أما الحركة فكانت مقيدة بمقدرة حيوانات الجر على الأداء ، والشكل المعماري مقيد بتقنياتهم البسيطة ومواد البناء المتوافرة . كان هناك بالتالي تكافل بين الانسان وما يحيط به ، نبتت منه بيئة عمرانية هي بكل المقاييس انسانية أساسا .

الشكل المعماري الإسلامي التقليدي عبارة عن مصفوفات خلوية ضيقة ، تضمها الحوائط والاسوار ، تقام في بيئة اقليمية قاحلة . فيما وراء الاسوار تقع مناطق الزراعة ومرعى الحيوانات . ويكون الدخول الى المدينة عن طريق نظام من البوابات القوية ، تنصب من حولها خيام تجار القوافل القادمين من الصحراء والرعاة مع قطعانهم انتظارا لعبور البوابات الى المدينة . داخل الاسوار يوجد نظام معقد من المساحات يبدأ بفناء داخلي يعتبر ملاذا للراحة والسكون بالمنزل ، الى شبكة من الأزقة والشوارع والأسواق الى الساحة الرئيسية التي تعتبر منطقة للحياة العامة بما تحويه من مبان هامة كالمسجد الجامع وقصر الحكم .

ان الناس الذين استقروا فيما يعرف حاليا بالكويت هم خليط من أبناء الصحراء والبحارة والغواصين في البحار العميقة والتجار . هذه المجموعة من الانماط المعيشية كانت في ذات الوقت تميّز ما بين الأفراد وتتكامل بينهم . وقد تعيّن على هؤلاء المواطنين أن يكسبوا عيشهم في ظروف طبيعية غاية في القسوة ، وان يتحملوا عوامل الحرارة والبحر والعواصف الترابية وشحة المياه فصليا . وقد أدى ذلك لاجياد « روح الجماعة » بشكل محدد تغذيه المحنة المشتركة . لذا فانه خلافا لمعظم المجتمعات العربية ، تطورت الكويت



١٠٧ مدينة الكويت وأسوارها

الحاصمة التي تمخضت عن هذين العاملين :

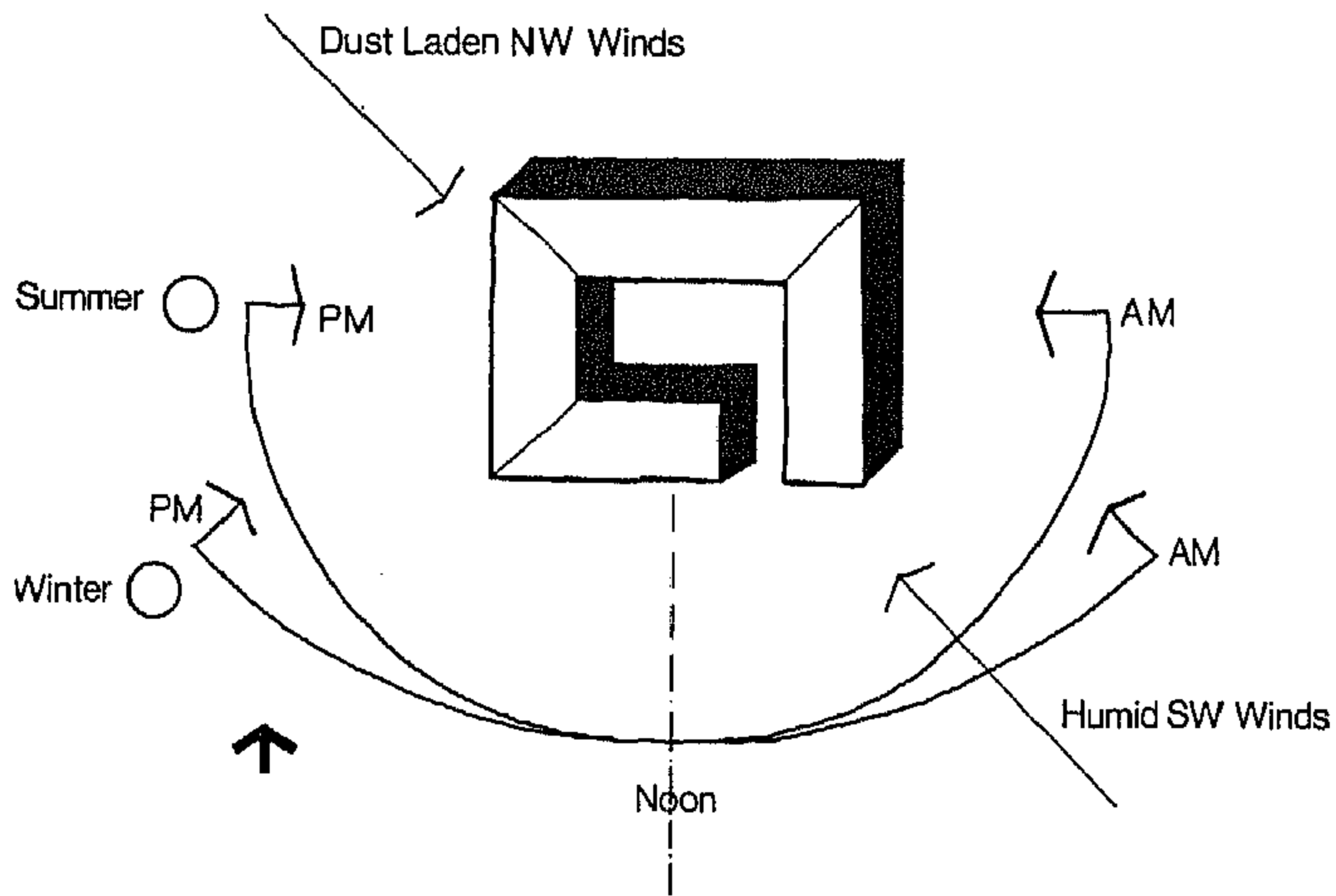
- خشونة التركيب العمرالى مع ادخال مسارات ثنائية للمركبات وتقاطعات كبيرة للطرق ومساحات واسعة للمواقف السطحية للسيارات
- زيادة ارتفاع وكتلة الشكل المبنى من جراء استخدام تكييف الهواء المركزى والمواد الرقيقة السطحية العازلة من الأشعة الشمسية .

وبعد هدم السور القديم ، اتسعت المدينة باستخدام شبكة مكونة من ستة طرق دائرية تتصل ببعضها بطرق نصف قطرية . وتفصل طرق الاتصال التي تشغل في الغالب مسارات بعرض ٨٠ مترا ما بين الأحياء السكنية التي جرى تصميمها على مبدأ المجاورة . ونظرا لبعده المسافات والقيود التي تفرضها الظروف المناخية ، فقد بدأ الأهالى يعتمدون في انتقالاتهم على السيارات الخاصة بشكل كلى تقريبا . وتدل الاحصاءات على أن معدل امتلاك السيارات قد زاد خمسة أضعافه من ١٩٦٤ - ١٩٧٦ . وفى داخل المدينة ، تم توسيع وزيادة استقامة الشوارع لخدمة الحركة المتزايدة عليها ، كما بدأ استغلال جميع المساحات المتاحة لاقامة مواقف للسيارات .

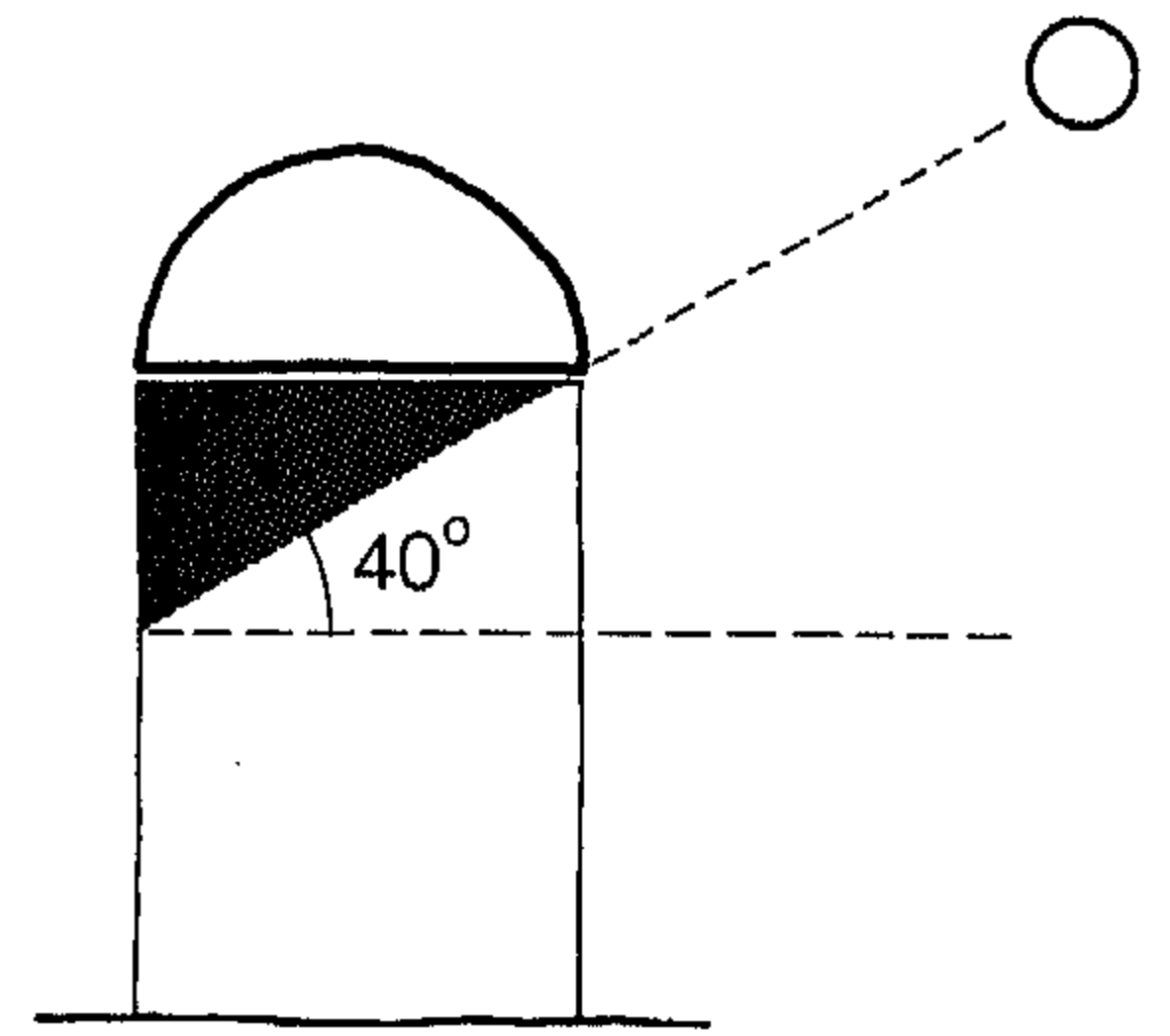
لقد فتح استغلال أراضى البناء بصورتها الجديدة فى مدينة الكويت أمام الاستخدامات التجارية والمدنية حيث هدمت مناطق كبيرة من المدينة ، وخاصة بمنطقة الشرق ، لتقام عليها المباني التجارية والمشاريع الحكومية الكبرى . أن عدد السكان القاطنين بمدينة الكويت انخفض من ٨٠٤٠٥ عام ١٩٧٠ الى ٦٠٣٦٥ نسمة عام ١٩٨٠ . وأدى الطلب على المساحات للأغراض المكتبية والتجارية الى زيادة نسب مساحة الأرضية المسموح بها الى ٦٢٪ و ٦٧٪ فى المناطق الرئيسية ، وكذا زيادة ارتفاع المباني الى ٢٠

طابقا . فاذا تم استغلال نسب مساحة الأرضية السائدة حاليا بالكامل ، فان مساحة الأرضية المخصصة للأغراض المكتبية والتجارية (للقطاعين الحكومى والخاص) وتبلغ حاليا ٣٠٩٣١٠٠ متر مربع ، سوف تزداد الى ٣٩٠٠١٠٠ متر مربع خلال عشر سنوات ، وتزيد العمالة من ١٥١٢٠٠ الى ١٨٣٢٨٠٠ . لحسن الحظ ، فان بلدية الكويت وهى تدرك تماما أن تركيز النشاط الاقتصادى فى مدينة الكويت لابد أن تترتب عليه مشاكل البيئة والازدحام الشديد فى حركة المرور ، تسعى جاهدة لاقامة مزيد من الوجود الحكومى والتجارى فى مراكز النمو التى تقام فى اجزاء اخرى من منطقة الكويت العاصمة .

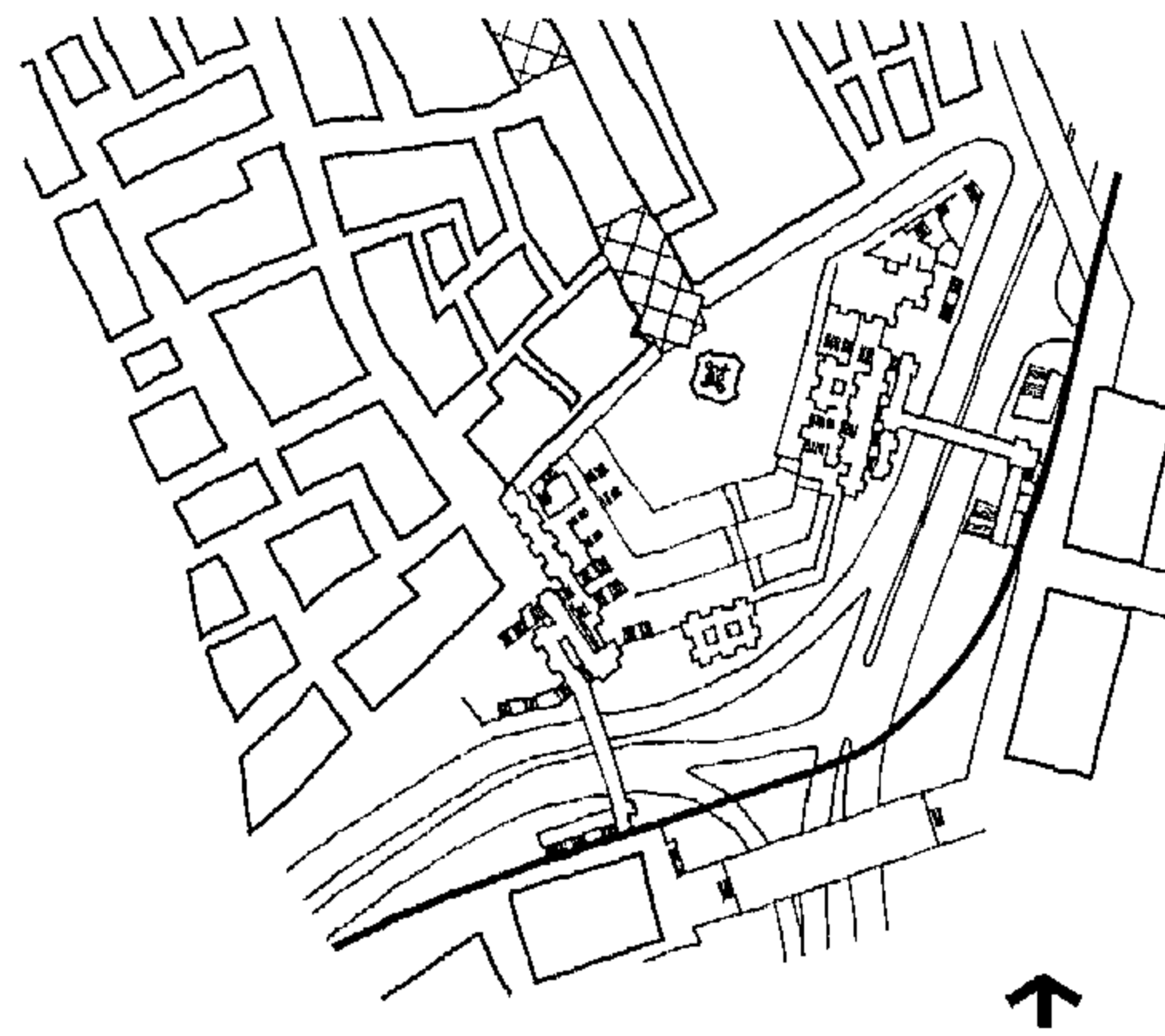
تسبب تدفق الوافدين من البلاد العربية وأوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا فى تحويل الكويت من مجتمع قديم موحد البنية الى مجتمع متعدد الاصول العرقية . وحيثما كان التمييز بين المجموعات الاجتماعية الاقتصادية شديد الصعوبة من قبل ، ولترك التمييز من الناحية المساحية جانبا ، فان الكويت تطورت الآن الى مدينة منعزلة اجتماعية . فالمواطنون الكويتيون الفقراء والىرانيون وفقراء الوافدين العرب يعيشون فى مناطق سكنية داخل سور المدينة القديمة . بينما المواطنون الكويتيون الأكثر ثراء يعيشون فى فيلات بالمناطق المجاورة التى تقع غالبا فيها بين الطريق الدائرى الأول الى الرابع . أما الأجانب الآخرون ، ومعظمهم من بيئات تعرف المعيشة فى المباني المرتفعة ، فانهم يسكنون شققا فى بنايات تقام فى الأحياء السكنية المحيطة ، وقد تغير معدل الكثافة فى منطقة الكويت العاصمة ، اذ أن مدينة الكويت لم تعد المنطقة الأشد كثافة سكانيا كما كانت من قبل . فى سنة ١٩٧٥ بلغت الكثافة السكانية فى مدينة الكويت ١٢٧٨ فردا بالكيلومتر المربع ،



CLIMATIC FACTORS INFLUENCING KUWAIT'S URBAN FORM
المؤثرات المناخية على العمران الكويتي ١٠٩

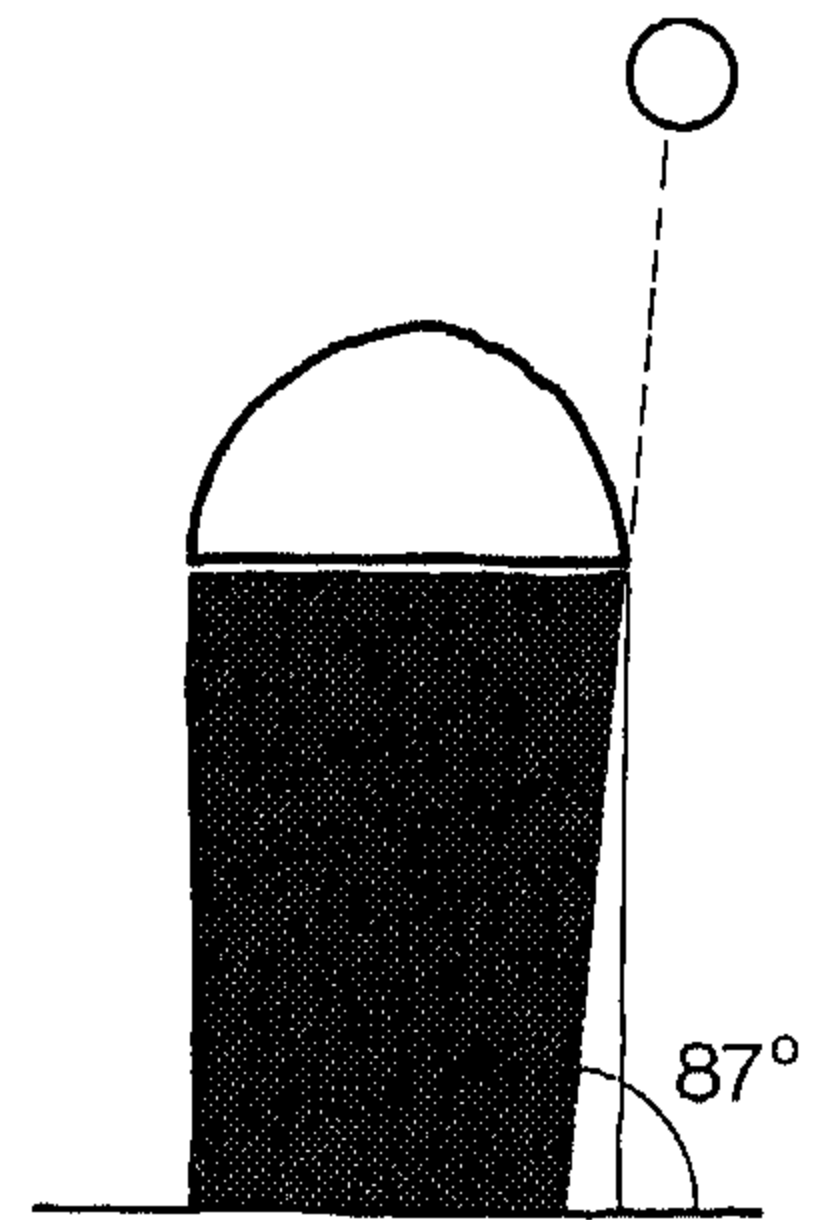


Jan
المؤثرات المناخية على العمران الكويتي ١٠٨

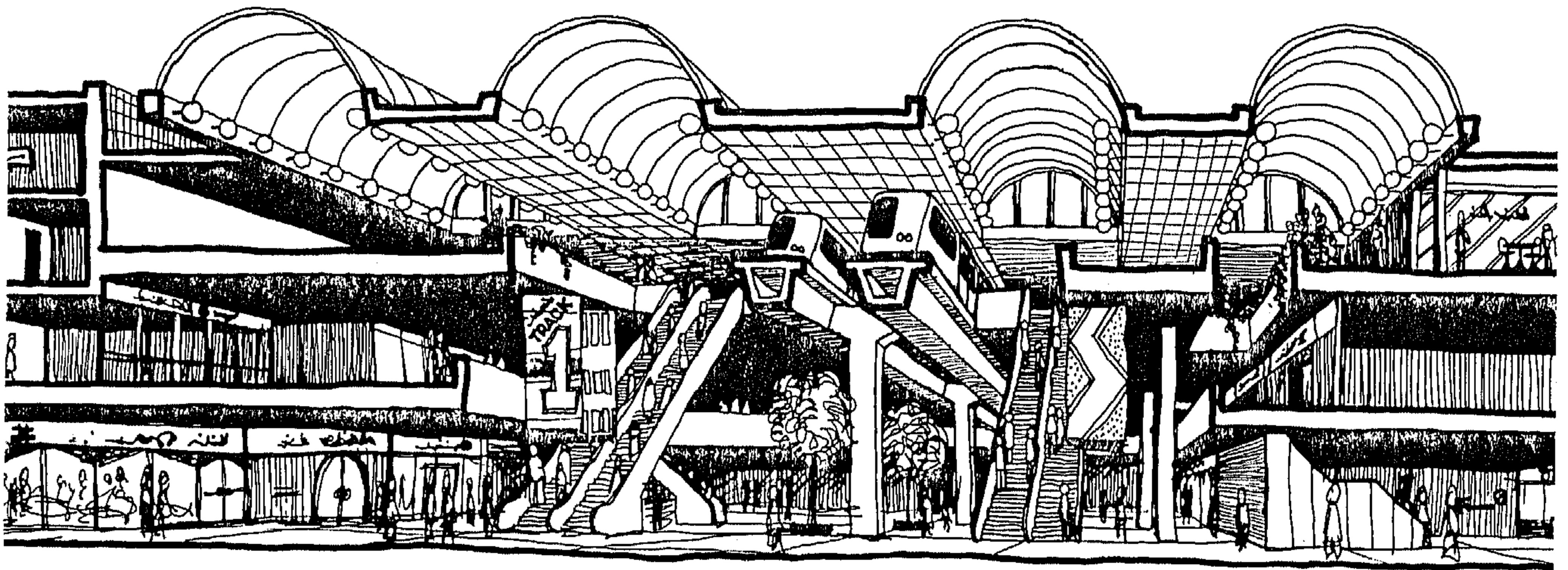


PROPOSAL FOR SAFAT SQUARE

١١١



July
المؤثرات المناخية على العمران الكويتي ١١٠



AUTOMATED TRANSIT INTEGRATED WITH THE URBAN FORM

المواصلات الآلية وتداخلها بالنسيج العمراني ١١٢

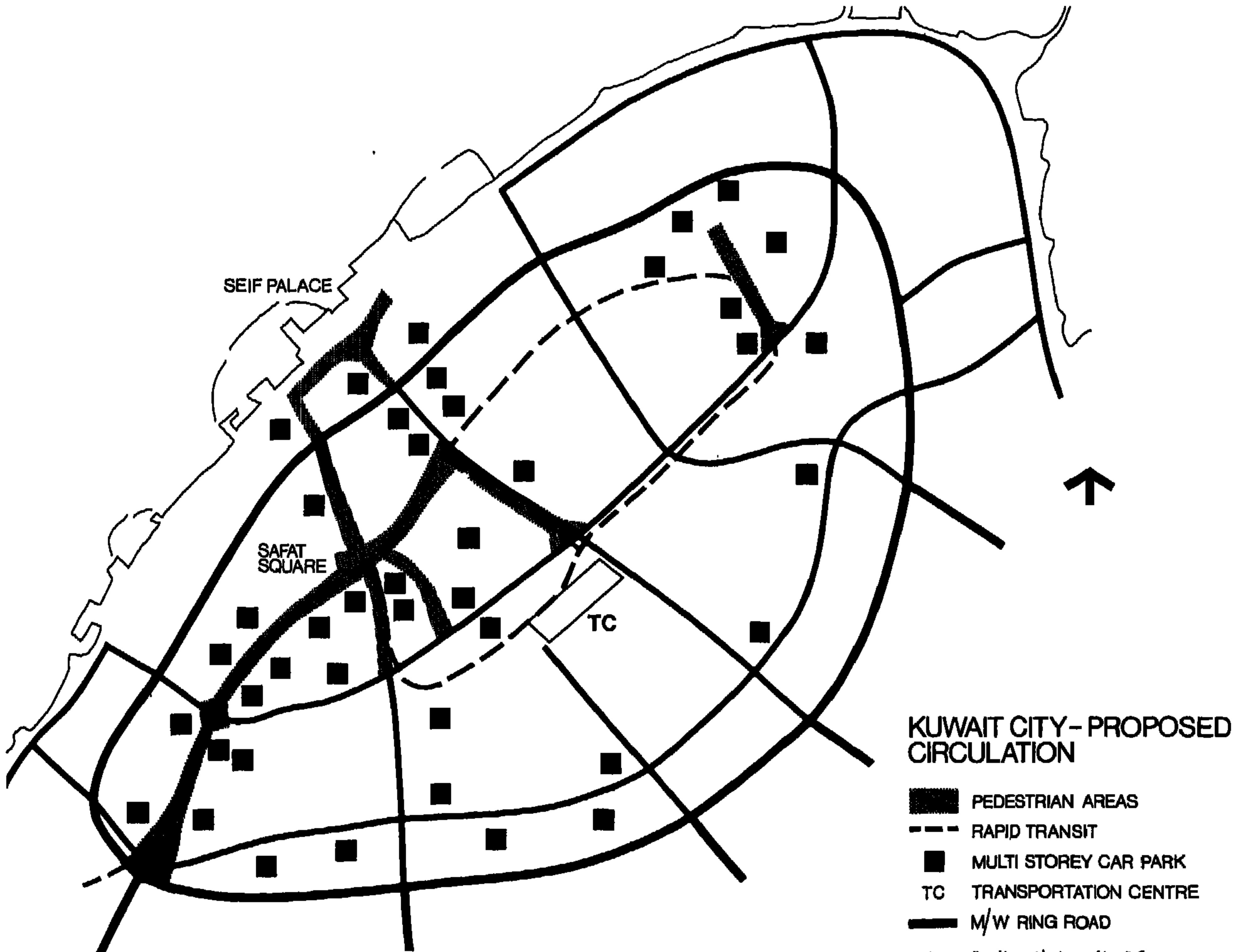
مداخل للمستقبل :

أنا نعيش في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، وعلينا القبول بحقيقة أن وظيفة المدينة العربية قد تغيرت ، فالكويت قد تغيرت من مجرد مدينة لا يواء التجار والحرفيين والبحارة وغواصي اللؤلؤ ، الى الدولة المدنية التي تخدم نظاما كاملا من الأنشطة التجارية والمهام المدنية التي تعرفها أية عاصمة حديثة . لذا كان لابد أن تنشأ بالمدينة المباني والبنية العمرانية التي تستوعب المهام الجديدة . المشكلة هي كيف نحافظ في الاشكال الجديدة على جوهر المدينة الاسلامية التقليدية ، ونعطي للمدينة بذلك شخصيتها الذاتية الدينية والاقليمية . ان الجواب لا يكمن في مجرد حفر وتركيب النقوش الاسلامية على مبان ضخمة مصممة في الاصل للوفاء بمتطلبات العصر الحاضر . يوجد كثير من الأمثلة السيئة لذلك في الكويت حيث انتخب المصممون عناصر فارسية أو مغربية مثلا ووضعوها على مبان كبيرة ، فبدت النقوش غريبة تماما عن الأشكال المحلية البسيطة في

بيننا بلغت في (منطقة حولي) الواقعة بين الطريق الدائري الثالث والرابع والتي يسكنها الفلسطينيون أساسا ٢٠٤٠١ فرد لكلومتر المربع .

بناء عليه فان تطورات التقنية والتطورات الاجتماعية احدثت تغيرا في حجم وتوزيع وأنماط استخدام الفضاءات العمرانية . وأدت الى ايجاد مساحات واسعة مفتوحة فيما بين المباني التجارية العالية في الحى التجارى المركزى ، وعند تقاطعات الطرق ، وبين المباني المرتفعة في الاحياء السكنية . كان التفكير الغالب أن كل مساحة مفتوحة لابد أن تكون خضرا ، يزرع فيها العشب وتغرس فيها الاشجار والشجيرات . ألا أن حجم وخطى التطور فاقت بكثير عمليات التزويد بالمياه والمواد الزراعية اللازمة ، فلم يكتمل تنفيذ مشروع التخضير أبدا .

كذلك أدى التنوع الاجتماعى الاقتصادى والعرقى للسكان الى امتداد استخدام المساحة المفتوحة للتسليه في أيام الجمعة ليشمل الأيام الأخرى من الأسبوع ، وخلق بذلك نوعا من الاستقطاب المساحى للاستخدام بواسطة المجموعات العرقية المختلفة .



١١٣ شبكة المواصلات المقترحة - الكويت

وشارع الهلالى ، وفي منطقة قصر السيف / مسجد الدولة . والمأمول أنه بهذه الوسيلة يمكن المحافظة على حركة المرور والخدمة المناسبة مع إعادة تكوين مناطق على مستوى المشاة في قلب المدينة . وزيادة في تدعيم هذه العملية توجد خطة جديدة لايجاد نظام للنقل السريع في المنطقة المركزية يصل أماكن تبديل وسائل النقل ومواقف السيارات بتجمعات ومراكز العمل الرئيسية .

مثل هذا النظام ، اذا تم تنفيذه باستخدام قطار المونوريل المرتفع عن الأرض ذى الوحدات الصغيرة مثلاً ، فانه يمكن أن يوفر الحركة اللازمة للناس ، ويحفز المتعة البصرية والنشاط في مناطق المشاة . ولا يخفى ما لمثل هذه الخطط من أثر على التصميم العمرانى في الكويت ، حيث تتحول المدينة لسوء الحظ وفقاً لنمط المدينة الأمريكية .

في السنوات الخمس الاخيرة ، جرى التركيز على تصميم الاسواق الكبيرة المغطاة . وهى مزودة عادة بمواقف للسيارات تحت الأرض وفي المستويات الاعلى . هذه الاسواق (التى انجز منها تسع في مدينة الكويت) توفر للمشاة ممرات وأماكن للنزهة مكيفة الهواء مركزياً . وقد أرسى (مجمع الصالحية) الذى انجز مؤخراً مستويات جديدة كجودة ونوعية تشطيب المسطحات ولوازم الخدمات العامة والتركيبات .

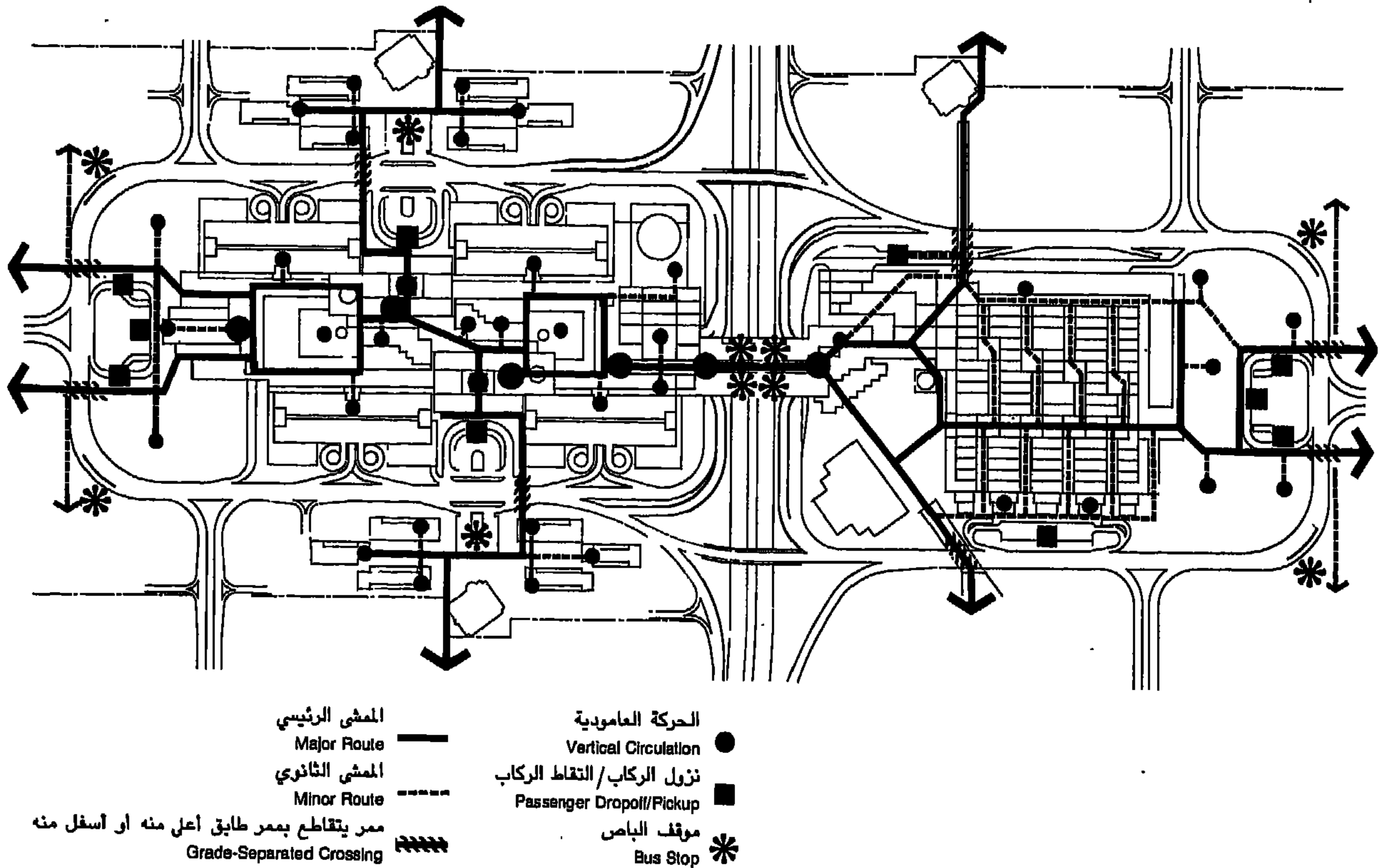
اضافة الى مناطق المشاة المغطاة ، هناك اهتمام باستغلال فرص للمشاة تحت سطح الأرض والمرافق مع التصميمات الجديدة لساحة الصفاة ودرروزة عبدالرزاق .

الكويت . بدلا من ذلك ، يجب أن تنعكس روح المدينة الاسلامية التقليدية في ايجاد مساحات للمشاة في المدينة بالحجم والكثافة المعروفة في المدن الاسلامية التقليدية بحيث تتوافق تماما مع الظروف المناخية السائدة .

من المتصور أن ذلك انما يمكن تحقيقه عن طريق تقييد دخول المركبات الى مناطق العمران الرئيسية بالاضافة الى توفير شبكة الطرق المناسبة للانتشار خارجها ، وطرق للوصول اليها ، ومواقف متعددة الأدوار للسيارات ، ووسائل متنوعة للنقل السريع .

ويمكن أن نعطي مناطق المشاة التى تنشأ بهذا الشكل ابعاداً وأحاسيس انسانية بالنشاط عن طريق بناء مساكن غير مرتفعة لكنها عالية الكثافة ، ويجاد مظلات وقباب واقية من الشمس ، والتشجير ، وتبليط أغلب المسطحات الأرضية ، وتوفير مجموعة جيدة التصميم من لوازم الخدمات العامة .

لقد باشرت بلدية الكويت بالفعل تصميم الطريق السريع بين الطريق الدائرى والمدينة الذى سيم بناؤه وفقاً لمواصفات طرق السيارات مع مراعاة خفضه وتغطيته في الأماكن الأكثر حساسية . بالاضافة لذلك وضعت خطة لبناء محطة رئيسية لتبديل وسائل النقل في منطقة المرقاب ومجموعة من ٤٣ موقفاً متعددة الأدوار لوقوف السيارات . كما وضعت خطة للمساحات الرئيسية للمشاة بساحة الصفاة ، وهى من أكبر المساحات المفتوحة بالكويت ، في المنطقة المحيطة بشارع فهد السالم بين بوابة الجهراء



FINTAS CENTRE : PEDESTRIAN CIRCULATION

١١٤ مركز فنتاس - تحرك المشاه - الكويت

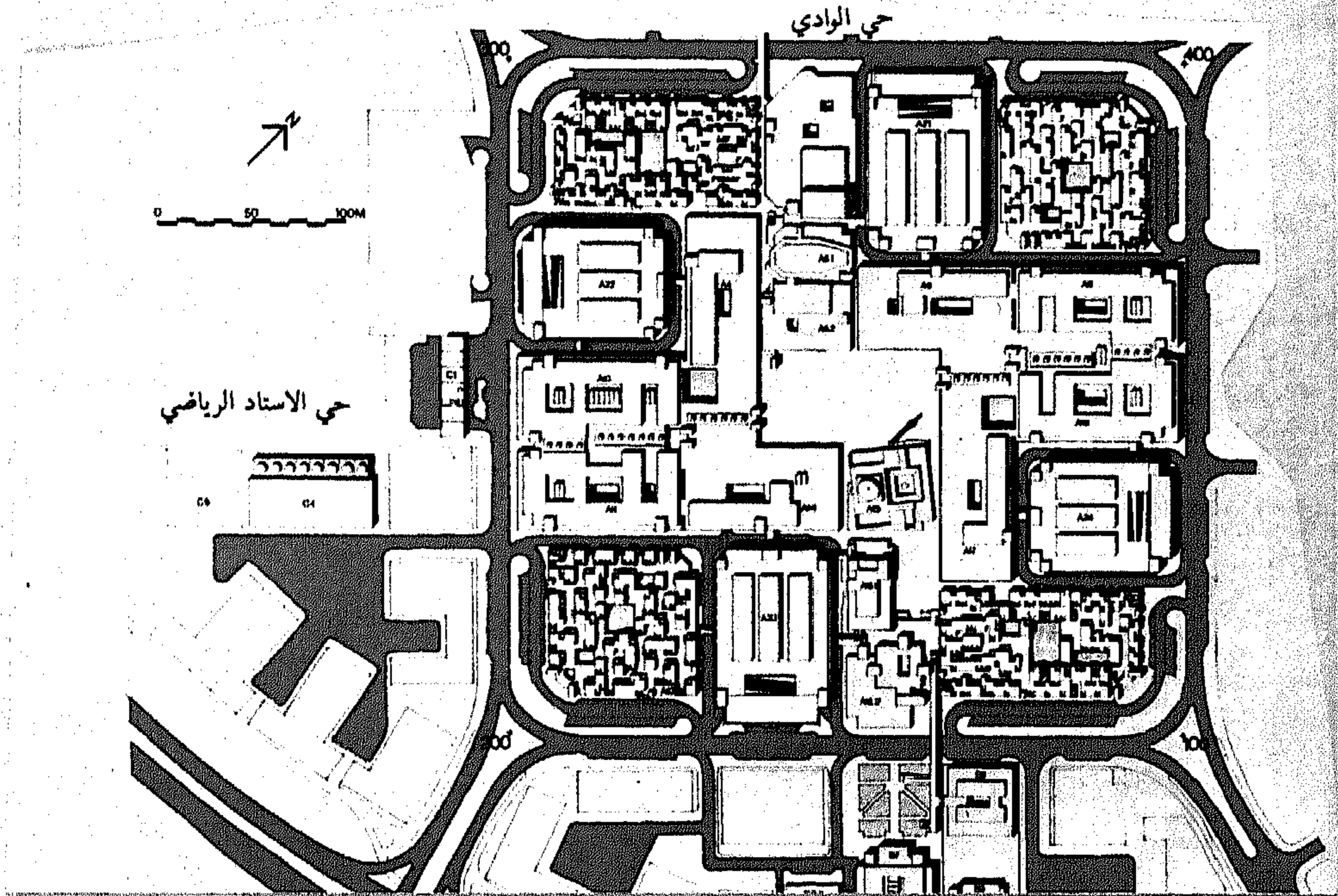
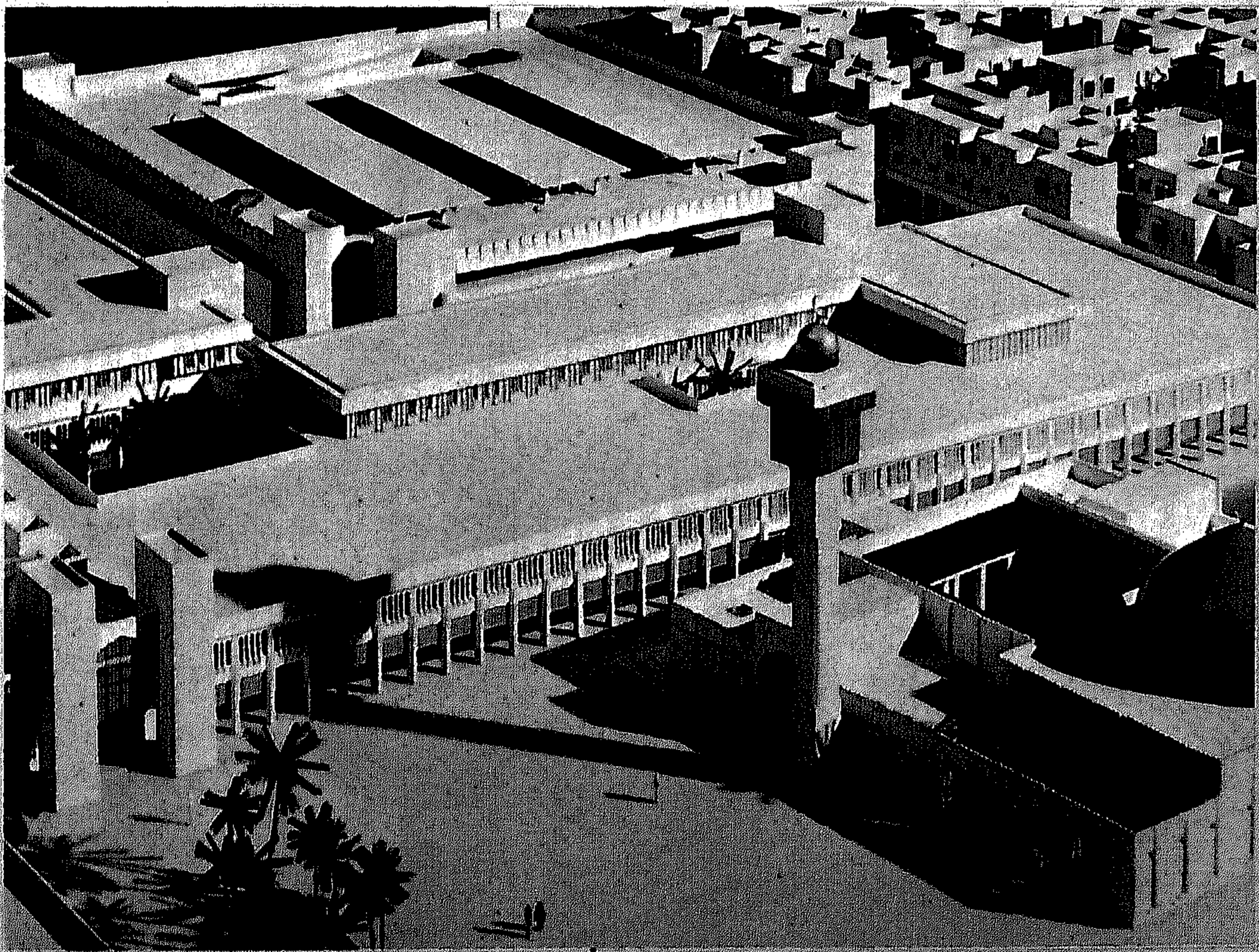


Figure 15
JAHRA DISTRICT CENTRE : STRUCTURE

Figure 16
JAHRA DISTRICT CENTRE : MAIN SQUARE





FINTAS: WESTERN RETAIL

خارج مدينة الكويت ، وضعت خطة لمركزين رئيسيين ، كلاهما يضع في حساباته الخدمة المتاحة للسيارة ، وكلاهما مصمم للوفاء بحاجة المشاة . يضم مركز الفنطاس - وهو الذى سيصبح بمثابة المركز التجارى والادارى الثانى بالكويت - قسمين رئيسيين : مركز تجارى (غربى) عصرى الى الغرب وسوق عريضة تقليدية الى الشرق . وتوجد طرق رئيسية للمشاة تنقلهم الى عدة مستويات من مواقف للسيارات ومحطات تبديل الباصات عبر سلسلة من الممرات وأماكن النزهة وحدائق النباتات ونافورات المياه الى المنطقة الرئيسية والمسجد . ويصل التصميم بصورة جيدة ما بين مجموعة المساحات المغطاة والمساحات الخارجية وموقف السيارات بالمنطقة .

أما مركز ضاحية الجهراء ، فان تخطيطه يعتبر ترجمة للمدينة الاسلامية المصغرة كما يراها المصمم الغربى . فان سلسلة من اماكن النزهة المغطاة ومساحات صغيرة مفتوحة تنتظم خلال المناطق التجارية حتى الساحة الرئيسية التى تحوى بناءين عامين هما المسجد وقاعة الاحتفالات . وتعمل المساحات والأشكال المعقدة فى المناطق السكنية بالزوايا الأربع من المركز على ابراز المباني الضخمة لمواقف السيارات والمناطق التجارية . ويعتبر مركز الفنطاس جيدا فى تصاميم البناء الشامل مع بعض التنازلات التى يقدمها لموضوعات اسلامية تقليدية على مستوى المشاة فى التفاصيل الخاصة بنافورات المياه وتصميم الحدائق النباتية ولوازم الخدمات . بينما مركز ضاحية الجهراء ، نظرا لأنه يخدم منطقة تقليدية للبدو ، فانه يدمج الموضوعات الاسلامية فى كتلته وبنيته الكلية ، وفى نظام المساحات المغلقة والمفتوحة وحتى فى تفاصيل تعريشة وفتحات النوافذ بالمبنى كما يتصورها المعمارى البريطانى .

خاتمة :

نتيجة لذلك يمكننا القول بأنه مازال بأيدينا ان نحافظ بالروح الاسلامية التقليدية التى عرفناها فى المدن الاسلامية السابقة . ألا أن ذلك يمكن فى رأينا أن يتحقق بشكل أفضل عن طريق إعادة ايجاد نطاق أكبر للمشاة فى مدننا ، لنخلق بذلك واحات خالية من المركبات نستطيع ان نركز فيها على تعزيز روح المدينة لدى الانسان . فاذا اقيمت مثل هذه النظم ، فان المهارة الحرفية الاسلامية التقليدية سيتم استغلالها الى أبعد الحدود فى تصميم النوافذ والشرفات والأكشاك وأماكن الجلوس واستخدام نقوش من البيئة ، بدلا من أن تظل قوة معطلة .

الحى السكنى فى المدينة العربية المعاصرة

أسهان صوفان

مقدمة :

ثانيا : تكييف الهواء : لقد اجريت فى بريطانيا فى الفترة الواقعة بين الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن تجارب كان الغرض منها حصر كافة العوامل المختلفة التى تحدد المناخ المريح للانسان فى عامل مناخى محدد .. وبعد وضع مجموعة من الرسوم البيانية لتوضيح العلاقة ما بين درجة الحرارة والرطوبة وسرعة حركة الرياح والهواء . امكن التوصل الى تعبير واحد عن كل ذلك هو درجة الحرارة الفعالة ، وهى عبارة عن عامل اجمالى يبين تأثير التقلبات المناخية التى يتحملها جسم الانسان . أما مدى درجات الحرارة الفعالة التى لايشعر الانسان فيها بحر شديد أو برد قارس فقد سميت (بمنطقة الراحة) .

ومنطقة الراحة غير ثابتة تختلف باختلاف المناطق والمواقع الجغرافية فمثلا : نجد منطقة الراحة فى بريطانيا تقع فى حدود درجتى ١٥ - ٢١ مئوية . وفى الولايات المتحدة تقع فى حدود درجتى ١٥ - ٢٧ مئوية . اما المناطق الحارة ما بين ٢٥ - ٣٠ مئوية .

ومن المعروف ان درجات الحرارة فى كل هذه المناطق تزيد وتنقص بكثير عن هذه الدرجات فى اوقات كثيرة من السنة . وهنا يصبح المناخ عبئا على الانسان مما يتسبب عنه انخفاض فى الانتاج ، واعتلال فى الصحة بصفة عامة .

وهنا تدخل اجهزة تكييف الهواء كعنصر تكنولوجى حديث لضبط مناطق الراحة فى البلاد المختلفة سواء بالتسخين أو التبريد . ولكن .. للأسف .. أسوء استعمال مكيفات الهواء واصبحت تستعمل فى الأيام التى يمكن الاستغناء عنها ، رغم ان هذه الاجهزة تستهلك كميات كبيرة من الطاقة التى يجب توفيرها لعمليات الانتاج الصناعى للدولة .

فمن الحقائق ان بلدا كالكويت تستهلك ٧٠٪ من الطاقة الكهربائية المتوفرة لديها فى عمليات التكييف ، مما دعا معهد البحوث العلمى بالكويت ان يهتم بهذا الموضوع ، فيقوم مجموعة من الباحثين فيه باجراء دراسات تكنولوجية لاستنباط طرق واساليب وخامات عازلة للحرارة تستخدم فى البناء ، لتقليل امتصاص الابنية المختلفة للحرارة ، وبالتالي التقليل من استخدام المكيفات ومعنى هذا انه .. (يستعان بالتكنولوجيا الحديثة لمعالجة اخطاء التكنولوجيا الحديثة ولكن .. فى اعتقادى انه لو اتبع الاسلوب العربى فى تخطيط الاحياء السكنية بمدينة الكويت لامكن توفير استخدام المكيفات الى حد كبير) .

كان لاستخدام التكنولوجيا الغربية الحديثة - دون وعى - فى بناء مدننا العربية الحديثة ، اكبر الاثر فى افتقادنا شخصيتها المميزة ، وفيما يلى ابين عنصرين من عناصر التكنولوجيا ومدى تأثيرهما على المدينة الحديثة ، وعرضى على سبيل المثال لا الحصر .

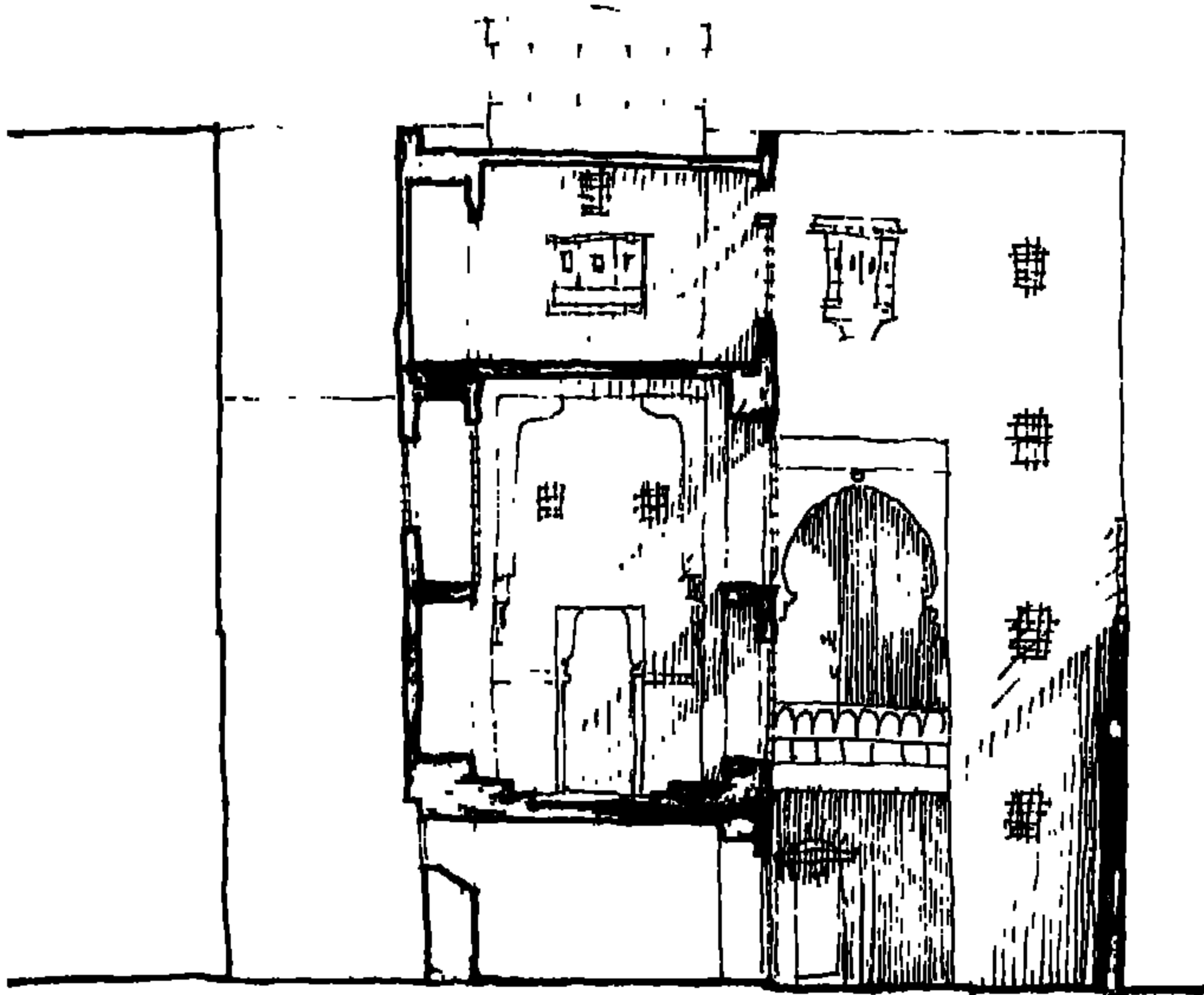
أولا : وسائل النقل : وتشمل السيارات الخاصة والعامة وسيارات النقل والمصاعد بأنواعها ، ولا يمكننا ان نخفف من شأن ما تسببه ، اذا استعملت دون ضوابط محسوبة ، وخاصة فى تخطيط المناطق السكنية ، وما يعكسه على الانسان العربى من سلبيات بصفة عامة لقد جرت عادة مهندسينا ان يحققوا حتمية وصول المواطن الى باب منزله باحدى وسائل النقل ، وهذا مانبع عنه حتمية اتساع الشوارع .. وكان ذلك اول عامل من هدم شخصية المدينة العربية ، التى اتصفت عبر التاريخ بضيق الشوارع ، وكثرة الانحناءات نتيجة اتباع الحل المتضام للدور والمباني ، حيث نتج عنه تظليل الممرات ، والاقلال من حركة الرياح ، والاحتفاظ بالهواء البارد لفترات طويلة خلال النهار .

والآن نجد الشوارع تنسب الى السيارات والناقلات ، ليس الى الانسان الذى يفترض أنه المالك الحقيقى لهذه الشوارع ، وبالتالي فانه يفقد قيمته وشخصيته ، وكأنه كائن اخر ضئيل الحجم ، تافه الكيان ، وهذا ما يذكركنا بنسبة الانسان المصرى القديم ، أو اليونانى أو الرومانى ، الى جانب ماشيد فى تلك العصور من معابد ، بينما نجد نسبة الانسان والشارع فى المدينة العربية القديمة ، وعلاقتها علاقة انسانية ومنطقية ، تشعره بكيانه ، فهو يسيطر عليها سيطرة كاملة ، خلاف ما نجده فى شوارع المدينة ، حيث تسيطر على الانسان وحركته .

وكانت نتيجة ذلك ان انعدمت حركة الانسان المعاصر ، وفقد ابسط انواع الرياضة ، وهى المشى مما نتج عنه كثرة امراض العصر من ضغط الدم ومرض السكر وامراض العمود الفقرى وخلاف ذلك .

ويجب أن لانسى ما سببه اتساع الشوارع من زيادة كمية الاشعاعات الشمسية الواقعة على الابنية مما يزيد فى درجة حرارتها اضافة الى البلاء العظيم الناتج من استعمال مواد البناء الحديثة (والذى يحتاج الى بحث كامل) .

وبالرغم من عمليات التشجير فى الشوارع فان هذه الاشجار تعطى النظرة الجمالية والتزيينية اكثر بكثير من كونها حاجيات للشمس .



قطاع ٢-٢
قطاع في مسكن عربي ١١٨

وقد استنبطت (لندن) كمدينة كبيرة اسلوبا تتحكم به في تشغيل وتقليل الطاقة ، وذلك بوضع منظم للحرارة (ترموستات) خارج المباني يتحكم في تشغيل اجهزة التدفئة ، فلا يتم تشغيلها الا اذا انخفضت درجة الحرارة عن ١٥° وهي الحد الأدنى لدرجة الحرارة الفعالة في انكلترا .

وجدير بنا هنا ايضا ان نذكر الابحاث الاخيرة التي اكتشفت تجمع انواع مختلفة من البكتريا والفيروسات داخل مرشحات اجهزة التكييف ، فاذا مر بها الهواء لغرض تدفئته واعادته الى المكان المراد تكييفه فانه (أى الهواء) يخرج وهو يحمل بتلك الفيروسات التي تؤذى صحة الانسان وهذا مادعا الى استعمال انواع من المطهرات في تلك المرشحات ، والله اعلم مدى ما تخفيه لنا هذه المطهرات من اثار جانبية !

اذن .. لا يمكن الاعتماد على اجهزة التكييف في حل مشكلة المناخ داخل الابنية عامة وخاصة ، وانما .. يجب البحث عن طرق واساليب للبناء توفر مناخا صحيا ملائما .. لأطول فترة ممكنة من السنة .

كيف يتم بناء السكن العربي ؟

اذا نظرنا نظرة سريعة الى نمط الابنية التي شيدها اجدادنا فسنجد ان هناك مجموعة من الخصائص يتميز بها السكن العربي القديم ، تلك الخصائص هي عبارة عن مجموعة من الحلول المعمارية والجمالية .. والتفهم لمشاكل البنية والمناخ . وفيما يلي اهم هذه الخصائص :

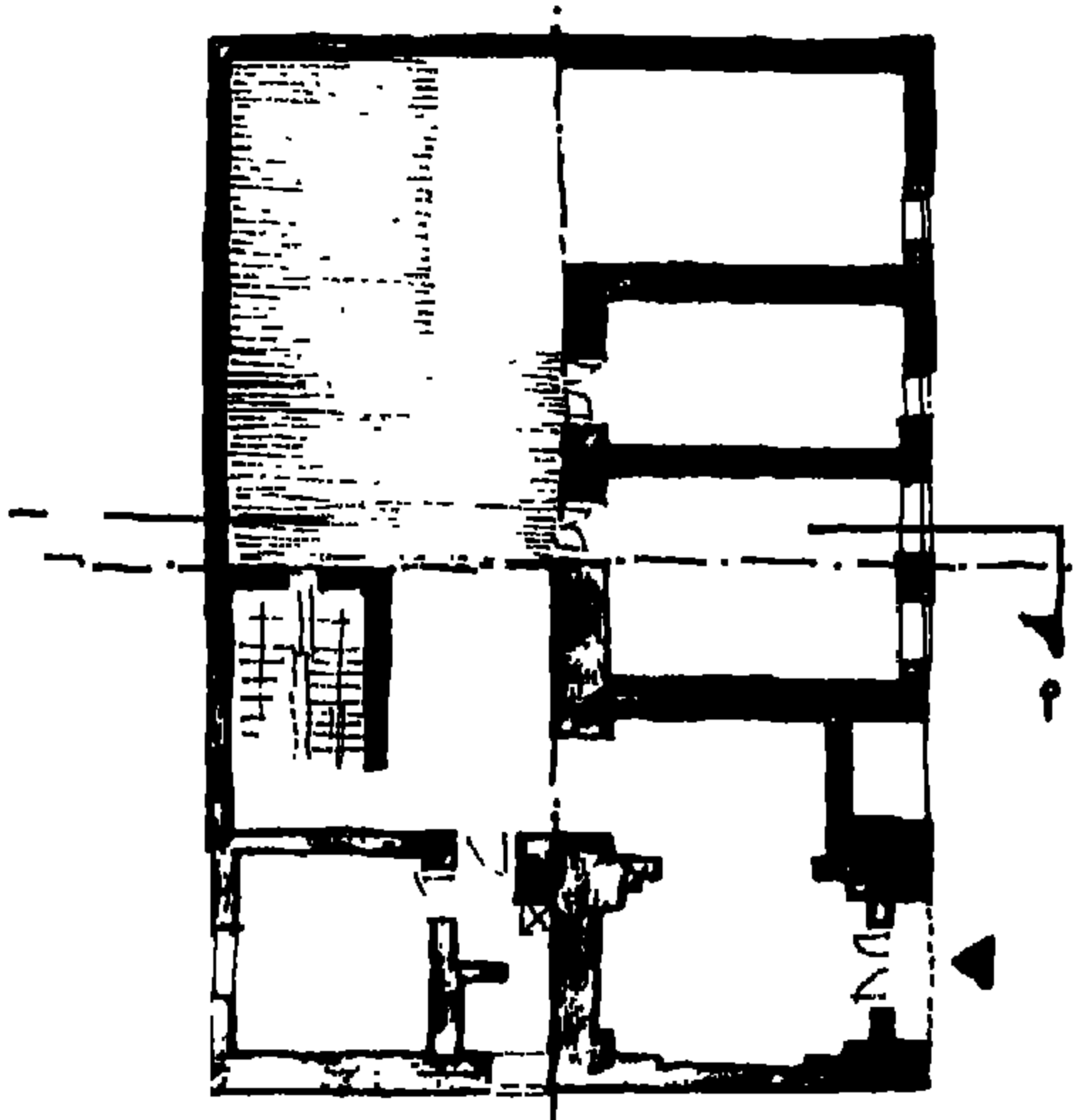
- الفناء الداخلي : يعتبر منظما حراريا حيث يجتمع فيه الهواء البارد اثناء الليل ، واذا جاء النهار تتوزع هذه البرودة في اجزاء المسكن المختلفة بالرغم من مرور تيار الهواء الساخن الذي يمر فوق الفناء متجها بمساره الخفي دون الهبوط الى اعماق الفناء .

ويهمنا ان نذكر ان كثيرا من المماريين المعاصرين ، استخدموا الفناء الداخلي في تصاميمهم لمسكن معاصرة .. كتوع من (الموضة) دون فهم دقيق لوظيفته وفائدته .. بينما اتبع في بناء المساكن قديما الانفتاح بجميع عناصره على الداخل - حول الفناء الداخلي بوجود المقعد والايوان لقضاء الامسيات الجميلة والاستمتاع بالاشجار والورود ونافورات المياه .

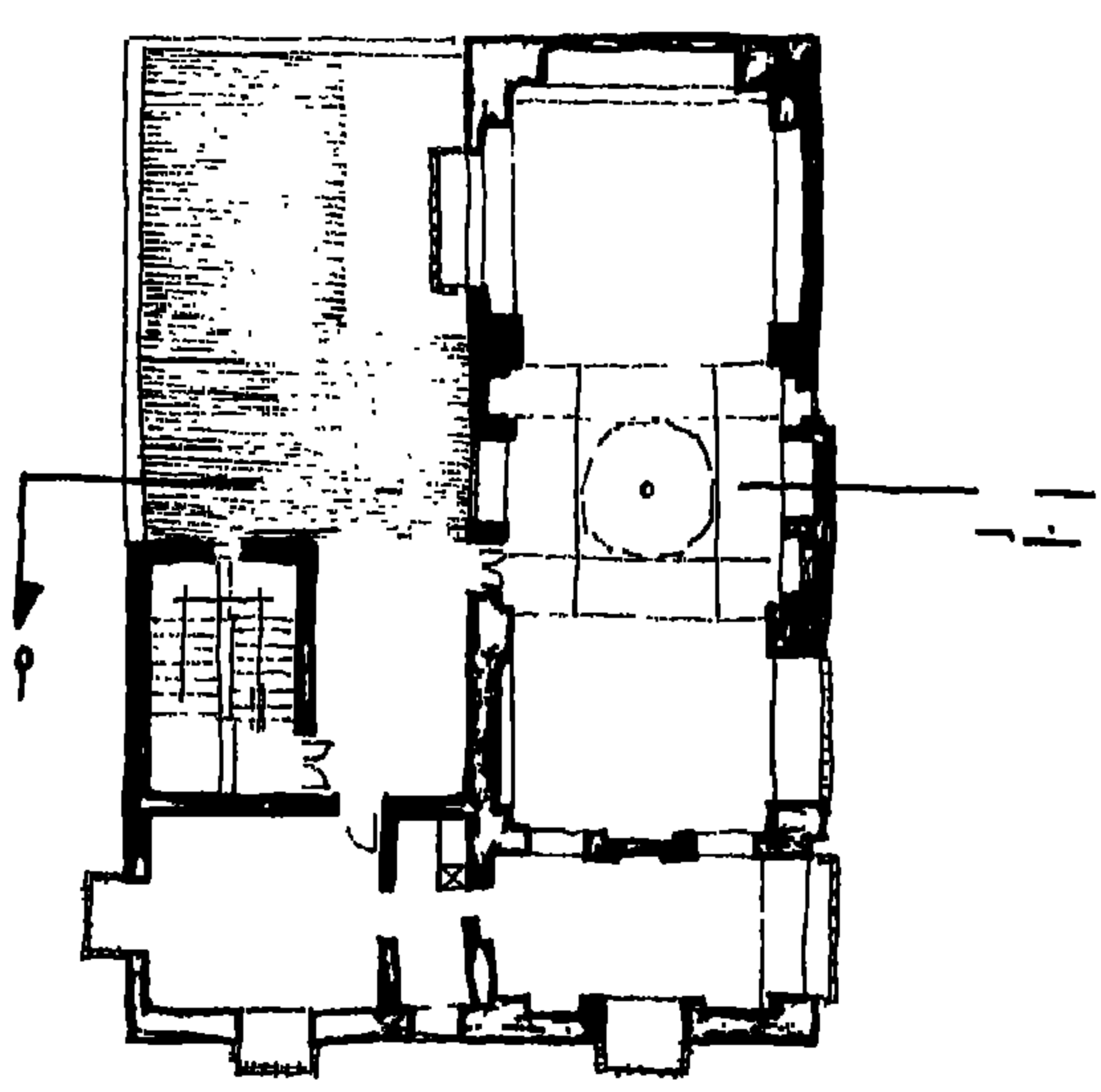
ولا يمكن للمرء أن ينسى ما لوجود الفناء في المسكن القديم من علاقة جمالية ووظيفية ، بين التصميم الداخلي للغرف والتصميم الخارجي للمسكن ، وما يتبعها من ذوق الفرد المعيش لتلك البيئة .

- القباب : كان لاستخدام القباب في الكثير من المباني العربية القديمة ، الفضل الكبير في الاقلال من اشعة الشمس المتجهة نحوها ، حيث تختلف زاوية سقوط الاشعاع الواقع على القبة ، من مركزها الى محيطها ، فمن المعروف انه كلما انخفضت زاوية الاشعة على سطح ما ، قلت معها كمية الحرارة الواقعة على السطح .

- المشربيات : وهي من اهم العناصر المعمارية ، التي تميز المباني العربية القديمة ، وتعمل على انتشار كثير من الاشعاعات الشمسية الداخلة الى المباني .



الدور الأرضي
مسقط مسكن عربي ١١٩



الدور الأول
مسقط مسكن عربي ١٢٠

اتجاهان متباينان للتخطيط السكنى :

لاشك في انه لا يمكن التوصل الى تخطيط حضارى للمناطق السكنية ، الا اذا كانت الخلية الاساسية الاولى في هذا التخطيط واضحة الرؤية ، ولاشك في انه لا بد من اتباع الاسس التى قام عليها بناء المساكن العربية القديمة ، مع الاخذ بعين الاعتبار امكانية الاستفادة من مواد البناء الحديثة العازلة للحرارة والبرودة أو في امكانية وتطوير ودراسة مواد البناء المحلية لتتناسب وتكنولوجيا العصر ، ان تحديد المناطق السكنية يحدده اتجاهان متعارضان هما :

- **الاتجاه الأول :** ذو الكتل المعمارية المنفصلة بعضها عن بعض بواسطة ما يحتمه التخطيط ، من ترك الفراغات حول الابنية ، فاذا اتصلت هذه الفراغات بفراغات الشوارع ، تكونت مساحات كبيرة من الفراغات التى توفر كمية كبيرة من الضوء ، والحرارة لكل من فى المنطقة . وهذا الاتجاه يكاد يكون سائدا في معظم التجمعات السكنية ، فى أنحاء العالم وخصوصا فى الدول الغربية التى كانت سباقة فى اتباع هذا الاتجاه ، وتبعها باقى دول العالم ، ومن بينها الدول العربية ، التى لم تحاول مناقشة صلاحية هذا الاتجاه لطبيعة بلادها .

وبالاضافة الى ان هذا الاتجاه ، يوجه حياة اهل المدينة الى خارج مساكنهم ، فى حين ان الانسان المعاصر احوج مايكون ، بعد ان يقضى وقتا طويلا خارج المسكن سعيا وراء الرزق منعزلا بالكامل عن العالم الخارجى ليعيش بعالمه الخاص ، ويرمى وراء ظهره كل المنغصات الخارجية .

- **الاتجاه الثانى :** ويمكن تسميته بالاتجاه الأصيل فى التخطيط حيث يعتمد على ارتباط الكتل المعمارية بعضها ببعض ، دون فراغات تفصل بينها وانما الفراغات الوحيدة بالاضافة الى فراغات الشوارع هى الافنية الداخلية لهذه المساكن ، كالمسافات الصغيرة (نافورات) المتبعة فى المدن العربية القديمة .

وذلك لان اغلب المشربيات ، تكون على شكل كروي ، تساعد اشعة الشمس على السقوط بزوايا مختلفة ، مثلها فى تلك ، مثل القباب السابقة الذكر وقد حاول بعض معمارى الغرب استخدام ما يدعى « الكوليسترا » ذات الاسطح المستوية ، التى تجعل زاوية سقوط الشمس زاوية حادة ...

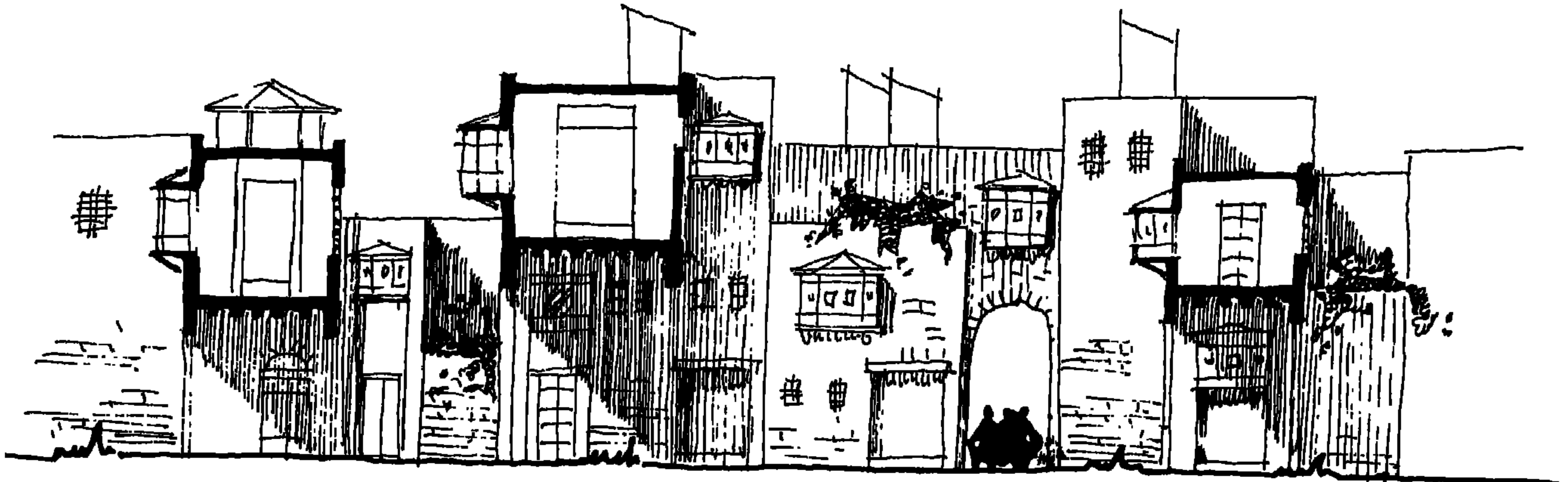
- **ملاقف الهواء :** من المعروف انه عند اصطدام الرياح بمجاز ما ، تنشأ امامه منطقة ضغط جوى مرتفع ، أى منطقة باردة ، وقد استفاد العرب من هذه القاعدة لادخال الهواء البارد الى مساكنهم ، وذلك بعمل ملاقف للهواء .

فالهواء يصطدم بالحائط الداخلى للملقف ، مكونا منطقة ضغط مرتفع ، يبرد فيها الهواء ، وحيث ان الهواء البارد ، ذو كثافة عالية ، فانه يهبط الى الصالة . حتى اذا سخن فيخرج من الفتحات العليا .

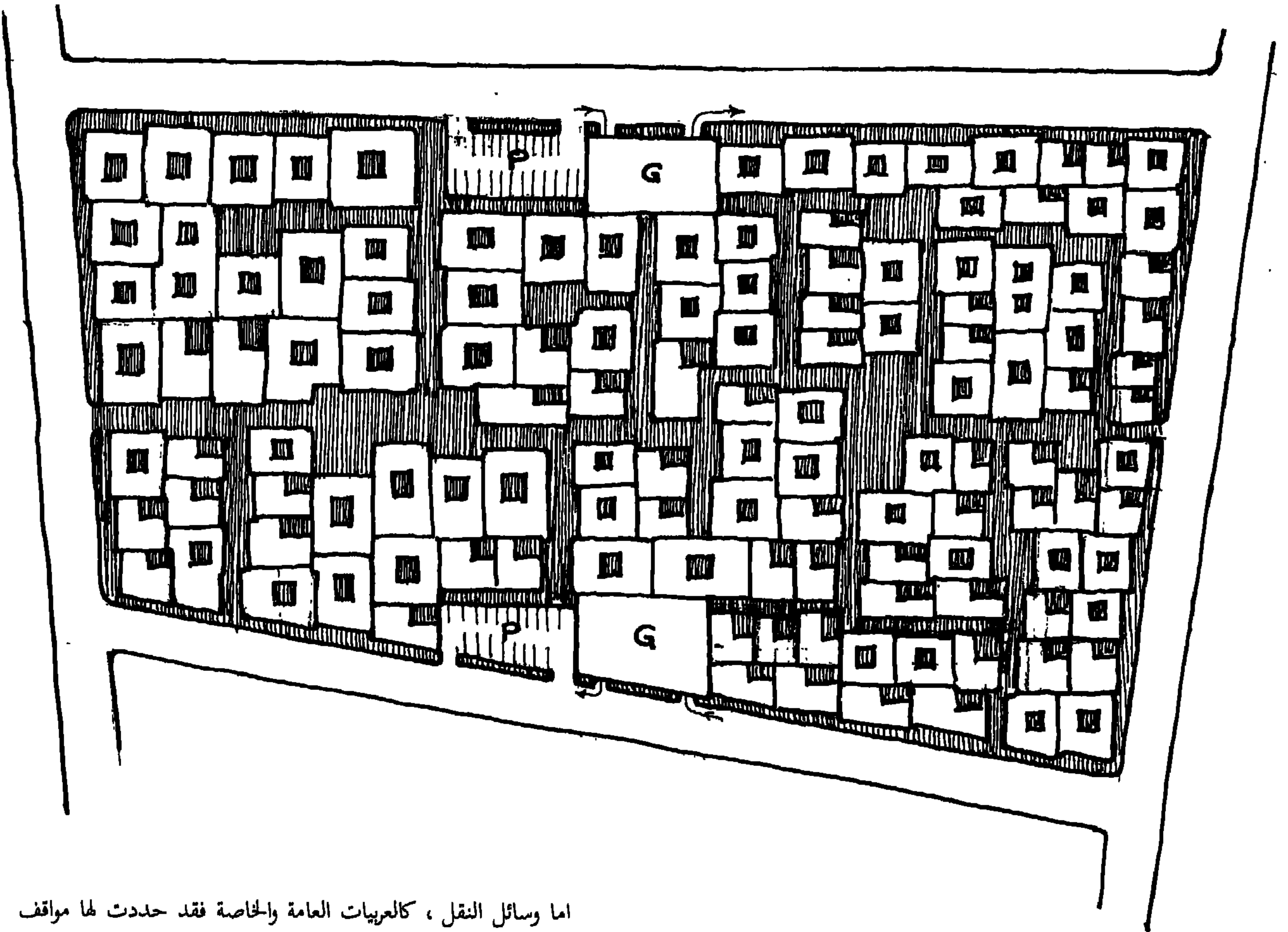
ومن الملاحظ انه استعمل فى دول الخليج نوع من الملاقف تدعى (البادكير) اذ ينقسم الملقف فى الاتجاه الرأسى بحائط متصلب ، وذلك لامكانية التحكم بمرور الهواء باتجاهات مختلفة ، بواسطة أبواب سفلية ، تستطيع رفع الرياح غير المستحبة ، كالرياح الرملية ، وادخال الرياح المرغوب فيها .

اضافة الى ذلك ، هناك انواع اخرى من الملاقف الموجودة فى جنوب مصر ، وهى عبارة عن فراغ رأسى بالحائط الخارجى ، يرتفع فوق مستوى السقف العلوى للمبنى ، وتكون فتحته العلوية فى اتجاه مضاد لاتجاه الريح ، وذلك لجذب موجات الهواء ، ونقلها الى داخل السرداب .

ومن المعروف ايضا ان فتحات المسكن ، تطل غالبا على الفناء الداخلى ، وهذا لا ينفى وجود فتحات ثانوية الى الأزقة والممرات الضيقة ، اذ كانت احيانا ، تغطى فى بعض اجزائها بواسطة الشحام بيتين متقابلين فى الادوار العليا .



١٢١ قطاع فى حي سكنى



١٢٢ مسقط أفقي لحي سكني

أما وسائل النقل ، كالعربات العامة والخاصة فقد حددت لها مواقف خاصة تقع في أطراف الأحياء السكنية ، وهذا ما يوفر الحد الأدنى للسكان من مزاولة رياضة المشي .

أما وسائل النقل الاضطرارية كالاسعاف والاطفاء وبعض عربات الخدمات فباستطاعتها الوصول الى - افضل المواقع ، لتحقيق مهمتها بعد دراسة مستفيضة من المخطط .

- عدم الرقابة : ان حزية المسقط الأفقى ، تعكس بدورها ، عدم الرقابة فيه ، وفي المساقط الرأسية للشوارع ، فالسائر بين الشوارع ، لا يشعر بالملل ، لانه باستمرار يشعر بالتغير في الشارع والساحة فتارة يسير بممرات ضيقة ، تتسع رويدا رويدا ، لتضيق ، ثم تفتح على ساحة جميلة ، أو نافورات تجدد النشاط الى جانب رؤية السماء بين الحين والآخر .. ثم ان تلاحم بعض الأبنية ، يخلق الكثير من التشكيلات الجميلة الرائعة .

- عدم المبالغة في الرؤية المنظورية : نظرا لعدم امتداد الشوارع الى مسافات طويلة ، من اجل تسهيل حركة المرور فانه يتيسر للمخطط انهاء الشوارع أو انعطافها ، وبذلك فان الانسان يحدد رؤيته المنظورية داخل اطار انساني معقول وجميل . وهذا بخلاف الرؤية المنظورية اللانهائية في المدن الحديثة .

- الامان : لاشك بأن تصميم هذه الشوارع باشكالها المختلفة يوفر الامان للاطفال وكبار السن والمقعدين ، ويؤمن لهم حرية الحركة ، بينما هم في المدينة الحديثة المفتوحة نحو الخارج ، سجناء في مساكنهم ، لا يستطيعون التجول ، خوفا من حوادث قد تقع نتيجة لجنون حركة المرور .

كما انه استعمل حديثا على نطاق محدود في بعض مدن المناطق الحارة كهافانا والهند هذا النوع من التخطيط ، نجده اكثر اقتصادا في استغلال الأرض فهو يعطى اكثر سطح مبنى ، مع توفير اكبر كمية من الظلال ، ويقفل الى حد كبير الضوء والحرارة . علما ان هذا الاتجاه ، يوجه حياة السكان الى داخل مساكنهم ، فتعيش كل أسرة وعائلة حياة مستقلة ، كما لو كانت وحدة قائمة بذاتها ، متمتعة بأسلوب معيشي سليم من الناحية الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية .

وبهذا يحقق هذا الاتجاه عدة اغراض وظيفية وجمالية لساكنيه ، فمثلا عندما يمر الانسان بالشوارع الضيقة ، ليصل الى مسكنه الواسع الرحب يشعر بعالمه الخاص الشعور يختلف ، عندما يمر الانسان في المدينة الحديثة ذات الشوارع العريضة ، ثم يدخل الى حيز ضيق ، لا يتعدى (٨٠ م مربع) ليحس بضيق تنفس .

مميزات الاتجاه الأصيل في التخطيط :

- حرية المسقط الأفقى : فالخطط هنا له الحرية الكاملة في عملية الإبداع الفنى ، من ناحية أطر الشوارع وعرضها ، والمساحات الصغيرة المتفرعة منها والها ، وبالتشكيل الجمالى ، الذى لا يحكمه الا الحس الفنى الخلاق . كما يحقق له حرية تحديد مساحات الأرض المخصصة للبناء حسب المتطلبات المختلفة للناس .

حرية اختيار خامات الشوارع والساحات : ان عدم وجود حركة مرور آلى بين الشوارع السكنية ، تعطى حرية كاملة فى اختيار الخامات والمواد الأولية ، التى تغطى بها الشوارع والساحات ، بما يتلاءم مع الخامات المستعملة فى واجهات المساكن ، ويجعل الكتل المعمارية مع الشوارع تشكل وحدة جمالية متناسقة بعيدة عن استعمال الاسفلت كمادة مفروضة .

الساحات ودورها الاجتماعى : لاشك ان الامان الذى توفره الساحات الصغيرة ، الموزعة بين الاحياء السكنية ، وخاصة اذا ما عولجت لتكون اشبه بمتزهات صغيرة ، لها اكبر الاثر فى خلق حياة اجتماعية وثقافية بين سكان المنطقة السكنية ، وخاصة بين كبار السن ، الذين يملون الوحدة فى غرفتهم ،

ان ما يوفره هذا التخطيط لهؤلاء الناس ، من حياة اجتماعية ، قد تعجز الحكومات المسئولة ، عن توفير الراحة لكبار السن ، مع الاخذ بعين الاعتبار الى عدم وجود دور للعجزة فى بلادنا .. فيصبحون ضيفا ثقيلًا على اسرهم ومجتمعهم نظر لقلة حركتهم .

الانتقال المنطقى بين الشارع والمسكن : عندما يجتاز الانسان المعاصر الشارع العريض ، ليصل الى مسكنه ، الذى لا يتعدى (٨٠ مترا مربعا) يشعر بضيق فى النفس لعالمه الصغير بينما لو سار الانسان فى المدينة القديمة ، وشوارعها الضيقة ، ليصل الى مسكنه الرحب الواسع فكأنه يملك العالم بأسره .

وبهذا ، نجد انه لو عولج تخطيط الأحياء ، والمناطق السكنية فى المدينة العربية الحديثة بأسلوب مدرّوس : على اساس انفتاحها نحو الداخل ، امر لا تكتنفه أى مصاعب أو عوائق ، اللهم اقتناع المسئولين عن التخطيط بهذا الاتجاه ، وتنفيذه فى المناطق الحديثة والمدن العربية ، التى تزداد اتساعا مذهلا ، نظرا لازدياد هجرة السكان ، وما يتبعها من تجمع سكانى كبير فى المدن المكتظة .

وكم كنت اتمنى ان ارى مثلا اثناء توسع مدينة الكويت ، وبنائها المناطق السكنية (ذور الدخل المحدود) ان تتجه فى هذا الاتجاه ، وتوفر الكثير من الراحة النفسية لابنائها .

خاتمة :

واذا كان لى كلمة اخيرة فى هذا البحث ، فهى ان تتخذ منظمة المدن العربية توصية واضحة بان يتم تخطيط المناطق السكنية الحديثة فى المدن العربية بحيث تفتح نحو الداخل ، وان تسعى البلديات باتخاذ الجديد من الانظمة والقوانين ، المتمشية مع هذا الاتجاه .

ولكن المشكلة الحقيقية تقع فى محاولة اصلاح ما تم تخطيطه وتنفيذه ، من احياء سكنية تفتح نحو الخارج ، الى الاتجاه الآخر .. ولو ان نجاح هذه المحاولة سيكون بنسب مختلفة من منطقة الى اخرى إلا أنه لا بد من المحاولة الجادة الهامة لتطوير مدننا وأحيائنا السكنية لاستعادة جذور التصميم المعماري وتخطيط المدن من وحي تراثنا الحضارى الأصيل .

الحديقة الإسلامية ، ودور مصمم المواقع في تطوير المدينة العربية

صفي الدين حامد

مقدمة :

ولعلنا لاحظنا حاليا في أوروبا وأمريكا وكافة بلاد العالم المتقدمة ان مصمم المواقع (Landscape Architect) يقف في موقف الصدارة ومواقع القيادة للحفاظ على البيئة الطبيعية والدفاع عنها أمام القرارات العفوية التي دمرت في الماضي القريب الاتزان الموجود في الخلق الالهي . ومما يدعو حقا للدهشة ان هذا التدمير للبيئة مازال يتم - وحتى الآن - في البلاد النامية تحت ستار شعارات براقة كاللتنمى التكنولوجى أو التنمية العمرانية حتى تلوثت أنهارنا وبحارنا وتعرضت شواطئ سواحلنا للتآكل وأوديتنا للسيول وأراضينا الخصبى للانقراض .

.. نشأت فكرة هذا البحث من اقتناع قوى لدى بثلاث نقاط أساسية :
اولا : ان الفهم المتعاطف لتاريخ تصميم المواقع عامة ودراسة الحديقة الإسلامية خاصة سوف يعودان على الانسان العربى المعاصر ومدينته بثناء فكرى ورؤية واضحة ، لتراثه الروحى وفى تقديرى وتقدير الكثيرين أن هذا التراث الروحى الذى نبحت اليوم فى ماهيته وكيفية احياائه هو ضرورة أساسية وعطاء جوهرى فى سبيل بناء الشخصية السوية المتكاملة للانسان العربى المعاصر . ولا تخطيء النظرة العابرة ملاحظة ظاهرة عامة بشأن أغلب المدن العربية المعاصرة فى شتى أنحاء الوطن العربى وفحواها افتقاد الطابع القومى الذى كان فيما مضى يميز القصور والمباني والبيوت والمدارس والاسواق والطرق والميادين والحدايق . ونحن نرى أثر ما كان فيما مضى من وحدة اللغة والفكر والثقافة والعقيدة فى الوطن العربى وانعكاس هذا على وحدة فنية شملت شتى عناصر المدينة وتمثلت فى الطراز العربى الإسلامى بأساليبه المتعددة . ويتفق الدارسون لهذا الموضوع على أن المدينة العربية بدأت تفقد جوهر شخصيتها الفنية منذ استسلمت - وبغير مراجعة - أمام زحف الطرز والأساليب المستوردة من الغرب وخاصة خلال عهود الاستعمار .



١٢٣ منظر من مدينة فاس

ثانيا : ان العالم بأسره الآن يسير نحو نهضة فكرية جديدة ومن خلالها يتكشف له تدريجيا أن تصميم وتخطيط المواقع (Landscape Architecture) قد يكون فعلا أكثر الفنون شمولا فى تاريخ البشرية . وقد تبلورت هذه النهضة فى قرارات المؤتمر الدولى للأمم المتحدة الذى عقد فى استكهولم عاصمة السويد فى صيف عام ١٩٧٢ ، وقد سمى حينذاك بمؤتمر البيئة البشرية حيث تدارس ممثلو مائة دولة مشاكل البيئات الانسانية سواء كانت عمرانية أو ريفية أو صحراوية . وقد كان هذا المؤتمر بداية لسلسلة من اللقاءات الدولية التى عاجلت بجدية وعمق مشاكل التجمعات البشرية والاسكان والزحف العمرانى وموارد مياه الشرب وزحف الصحراء والتلوث البيئى وغيرها . ومن الأقوال الماثورة الآن فى العالم العربى : « ان الأرض هى السلعة الوحيدة التى لا تنتج الآن » ، والقول واضح فى مفهومه اننا اذا لم نستخدم هذه الأرض أحسن استخدام وبأكفأ انتفاع فيما يقام عليها وما يستخرج منها ومن باطنها نكون قد أجرنا جرما بشعا فى حق أنفسنا وحق الاجيال المقبلة .



١٢٤ البيئة الطبيعية والبيئة العمرانية

تأثير الدين الاسلامي :

.. يذكر القرآن الكريم في أكثر من سورة تصويرا رائعا للحدائق المثالية فهي من وجهة نظر الاسلام هي العطاء والمأوى ونهاية المطاف للمؤمنين في الحياة الآخرة ورغم أن تصويرات القرآن تعطي فقط لمحات ومضات عن مشاهد هذه الجنة الموعودة الا أنها كانت في الماضي مصدرا أساسيا للإلهام الفني لغالبية مصممي الحدائق الاسلامية في عصور الازدهار .

فالقرآن الكريم واحاديث الرسول ﷺ المصادر الأساسية لتصوير جنات اليوم الآخر ، ومن هذا التراث ايضا نبعث أكثر أفكار تصميم الحدائق الاسلامية للحياة الدنيا .

تأثير الحضارات القديمة بالمنطقة :

كان الشرق دائما مهدا للحضارات الأولى والامبراطوريات القديمة . وبعد أن دخلت الجيوش الاسلامية شتى بلاد الشرق العربي وفارس وشمال أفريقيا تأثر الاهالي بطبيعة الدين الاسلامي السمحاء ودخل الكثيرون من أبناء وقواد هذه البلاد في الدين الجديد . واحتوت الدولة الاسلامية تحت لوائها كل هذه الحضارات . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن بعض هذه الاقاليم كان ذاباع في حقل الحدائق مثل دولة بابل وفارس ، أوله علم ودراية بشئون الري وزراعة الأرض مثل حضارات مصر والعراق ، أوله خبرة طويلة في تطوير الواحات الخضراء في قلب البيئة الصحراوية كما هو الحال في اقليم شمال أفريقيا وحضارة قبائل البربر . وبمرور الوقت انصهرت تدريجيا كل هذه الخبرات الفنية والهندسية لتقدم للانسانية جمعاء حضارة متكاملة رفيعة ذات شخصية متميزة قائمة على أصالة تاريخية وفكر عميق ملتزم بروحانيات وأخلاق الاسلام الحنيف .

ثالثا : ان معظم البلاد العربية تتميز بمناخ حار جاف صيفا ، ومعتدل ممطر شتاء ، ولهذا فان طبيعة الحياة اليومية للانسان العربي ترتبط ارتباطا وثيقا بالاستعمالات الخارجية وعناصرها المختلفة مثل الشرفة ، والصحن والفناء ، والسطح ، والحديقة ، والسوق ، والشارع ، والميدان العام ، وخلافه . وبناء عليه فان عناصر الفراغات الخارجية : نوعيتها ، مساحتها ، مواقعها ، براجمها ، تصميمها ، وتطويرها أصبح ضرورة هامة في تنمية المدينة العربية . ونحن نرى الآن أن تصميم وتخطيط هذه العناصر يتولاها في غالب الامر اما المكاتب الاستشارية الاجنبية أو غير الاختصاصيين من العرب ولا يدعوا ذلك للدهشة حيث أن عنصر الخبراء المتخصصين غير متوفر حاليا بين أبناء هذه الامة ولكنه مما يدعو للدهشة فعلا أن تفتقر جامعاتنا العربية - من المحيط الى الخليج - الى قسم خاص لتعليم واعداد مصمم المواقع الخبير (ذلك باستثناء واحد وهو جامعة الملك عبدالعزيز حيث أفتتح قسم خاص لدراسة (Landscape Architecture) في عام ١٩٧٧) . ومما هو جدير بالذكر أن انكارنا لقيمة حقل تصميم المواقع قد أدى الى عجز الكثير من الفراغات الخارجية في المدينة العربية المعاصرة عن الاتساق مع اعتبارات المناخ صيفا وشتاء ، وعجزها كذلك عن أن تكون ملائمة لاحتياجات وقيم وفضائل حياتنا بالرغم من أن التراث العربي الاسلامي قد قدم دروسا للبشرية في وحدة العقيدة وعشق البيئة الطبيعية والتحكم والبراعة في مزج الاشجار والماء وتضاريس الأرض مع المباني والطرق والمنشآت .

ماهية الحديقة الاسلامية :

ولعل من الهام - باديء ذي بديء - أن نؤكد على أنه من الحكمة بل ومن الضرورة أن نعالج موضوع الحديقة الاسلامية على مستوى شمولى للعالم الاسلامي كله وليس على نطاق ضيق لمنطقة جغرافية محدودة أو حضارة قومية بذاتها . واذا اتبعنا هذا القول سنجد أن مهمتنا في تعريف الحديقة الاسلامية أصبحت مهمة ضخمة في حجمها لأنها ستمتد لثلاث قارات وهي آسيا وأفريقيا وأوروبا . واذا نحن ألقينا النظر على الامثلة الباقية حتى يومنا هذا من الحدائق الاسلامية التاريخية فنسجد أنها تشمل حقبة زمنية واسعة جدا .

وقد ساد الاعتقاد في الاوساط العلمية دائما ان الحديقة الاسلامية التقليدية تشمل فقط حدائق الدولة الاموية في أسبانيا والمسماء خطأ بال Moorish Empire) وحدائق مدن فارس أمثال اصفهان وشيراز واشرف ، وحدائق دول المغول الاسلامية (Mughul Empire) في القارة الهندية . وقد حان الوقت لتصحيح هذا التصور الناقص عن طريق القيام بدراسات متكاملة في شتى انحاء العالم الاسلامي لبيان الامثلة العديدة في الجزائر والمغرب وتونس ومصر وتركيا وصقلية والعراق والجزيرة العربية وأفغانستان والقارة الهندية وبلاد الصين وسمرقند . وقد يتساءل البعض في دهشة : كيف تميزت هذه الحدائق الاسلامية في تصميمها بطابع وشخصية فريدة رغم تباعد المسافات بينها وبين بعضها ورغم اختلاف قوميات مصمميها ومنشئها ، بل وأيضا تفاوت أوقات انشائها والرد على هذا يمكن تفسيره من خلال اعتبارات ثلاثة هي الدين الاسلامي والحضارات القديمة والبيئة الطبيعية .

تأثير البيئة الطبيعية :

- أما استعمال المياه خلال نافورات فقد كان أيضا مفيدا لعدة أغراض منها اضافة حركة مشوقة في وسط فراغات قد يسودها الصمت والكآبة اذا تركت خاوية بدون معالجة ذكية وجذابة كالذى نراه في قصور الحمراء بغرناطة مثلا .

- أما الشلالات الصغيرة والماء المتدفق من مستويات مختلفة فقد أستعمل صوت خريره كقناع للضوضاء الصادرة من الطرق العامة المحيطة .

.. ومن جهة اخرى يعتقد الكثير من الباحثين أن أهم خصائص المدينة العربية في عصور الإسلام المزدهرة هي انشاء شبكة من الحدائق تخللت الحياءها ، وعن هذا المجال ، مجال ادخال المناطق الخضراء في النسيج العمراني للمدينة العربية كتب (Garrett Eckbo) المؤلف المشهور ، وأستاذ علم تصميم المواقع بجامعة كاليفورنيا في أحد كتبه :

« نستطيع مشاهدة أمثلة ممتازة من الحدائق في أواسط آسيا وشمال الهند حتى ايران وجزيرة العرب وشمال افريقيا وأسبانيا وكل هذه الحدائق كانت حدائق مغلقة محاطة ومعزولة بأسوار أو مبان ضد رمال الصحراء وخشونة الجو ، ويعتبر خلط الطبيعة بالبيئة العمرانية هو أحد مميزات المدينة العربية القديمة وشمل عناصر مختلفة مثل الجبال والانهار والغابات والتلال .

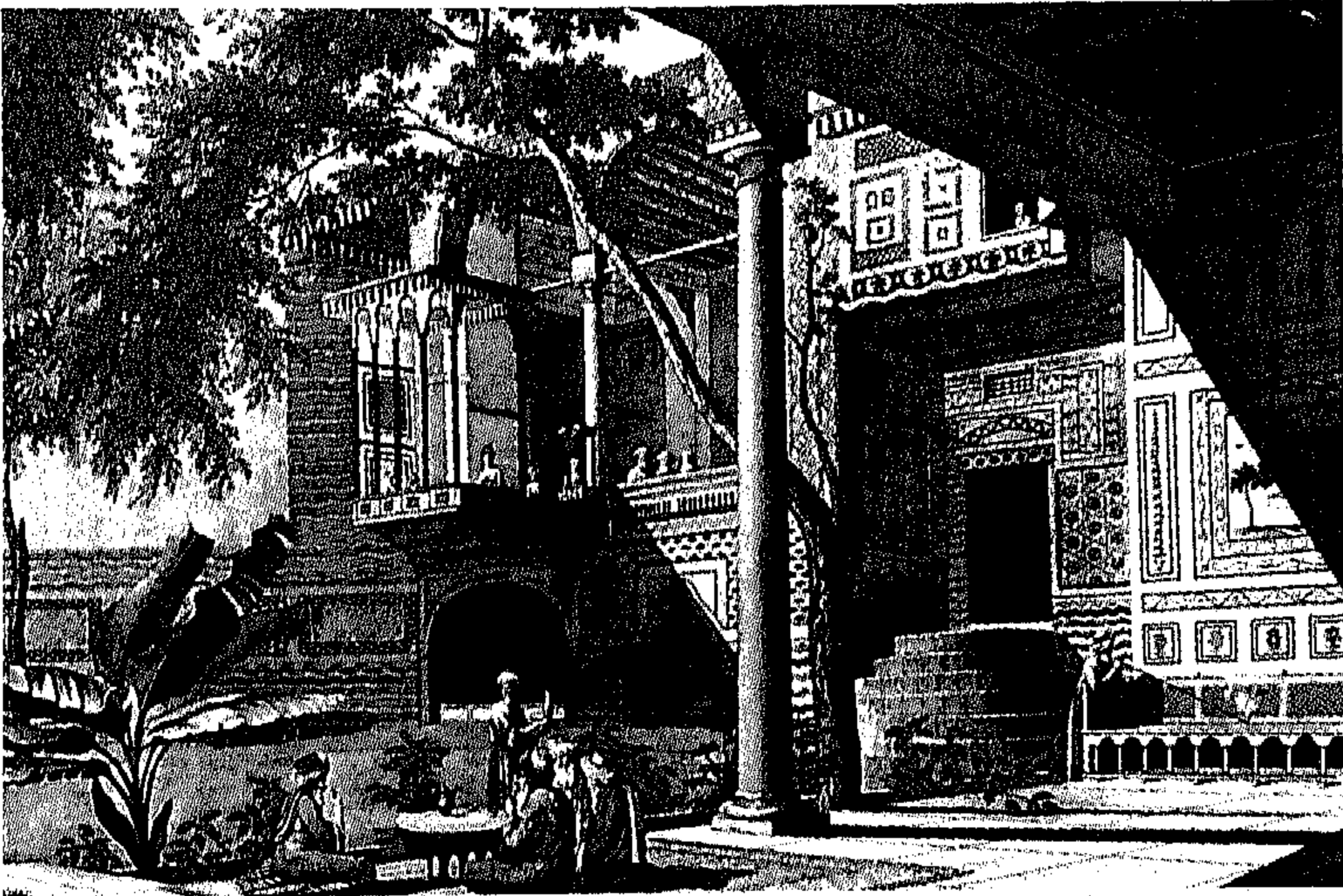
.. ولعله من النادر فعلا أن نجد وعيا متكاملًا بالفوائد الانتفاعية للنباتات المستعملة في تصميم الحدائق كما وجدناه في تصميم الحديقة الاسلامية القديمة . فأما من ناحية معالجة المناخ المحلي فقد أستعمل مصمم الموقع صفاً من اشجار السرو (Cypress tree) حول حدود الحديقة كدرع واق ضد العواصف الرملية طوال العام ونظرا لجفاف الهواء المتسرب من خلال هذا الصف الأول من النباتات أضاف المصمم صفاً آخرًا من أشجار الحور الأبيض (poplar tree) لترطيب الموقع وبواسطة هذين الصنفين المحيطين بالحديقة واللذين يبلغان حوالي ٣٠ قدما في الارتفاع تمتع الموقع في أغلب ساعات النهار بظل وحماية من أشعة الشمس الحارقة والتي تسبب مشاكل جمّة للانسان والنباتات على السواء .

على عكس دول أوروبا وأمريكا نجد أن العالم العربي الاسلامي امتد غالبا في بلاد يقع معظمها في بيئة صحراوية أو شبه صحراوية . وقد كان الرد المنطقي لتهديب ومعالجة هذه البيئة الرتيبة الخشنة هو محاولة تقليد الطبيعة التي أعطت الواحات الخضراء في وسط القفار الصحراوية الممتدة . وهكذا بدأ مصمم الحدائق الاسلامية في انشاء أمثلة مصغرة لهذه الواحات الخضراء في شكل حدائق خاصة ملحقة بالبيوت أو رياض ملحقة بالقصور وحدائق عامة تابعة للمساجد والمدارس والمباني العامة والميادين الشعبية الموجودة في كل مدينة عربية .

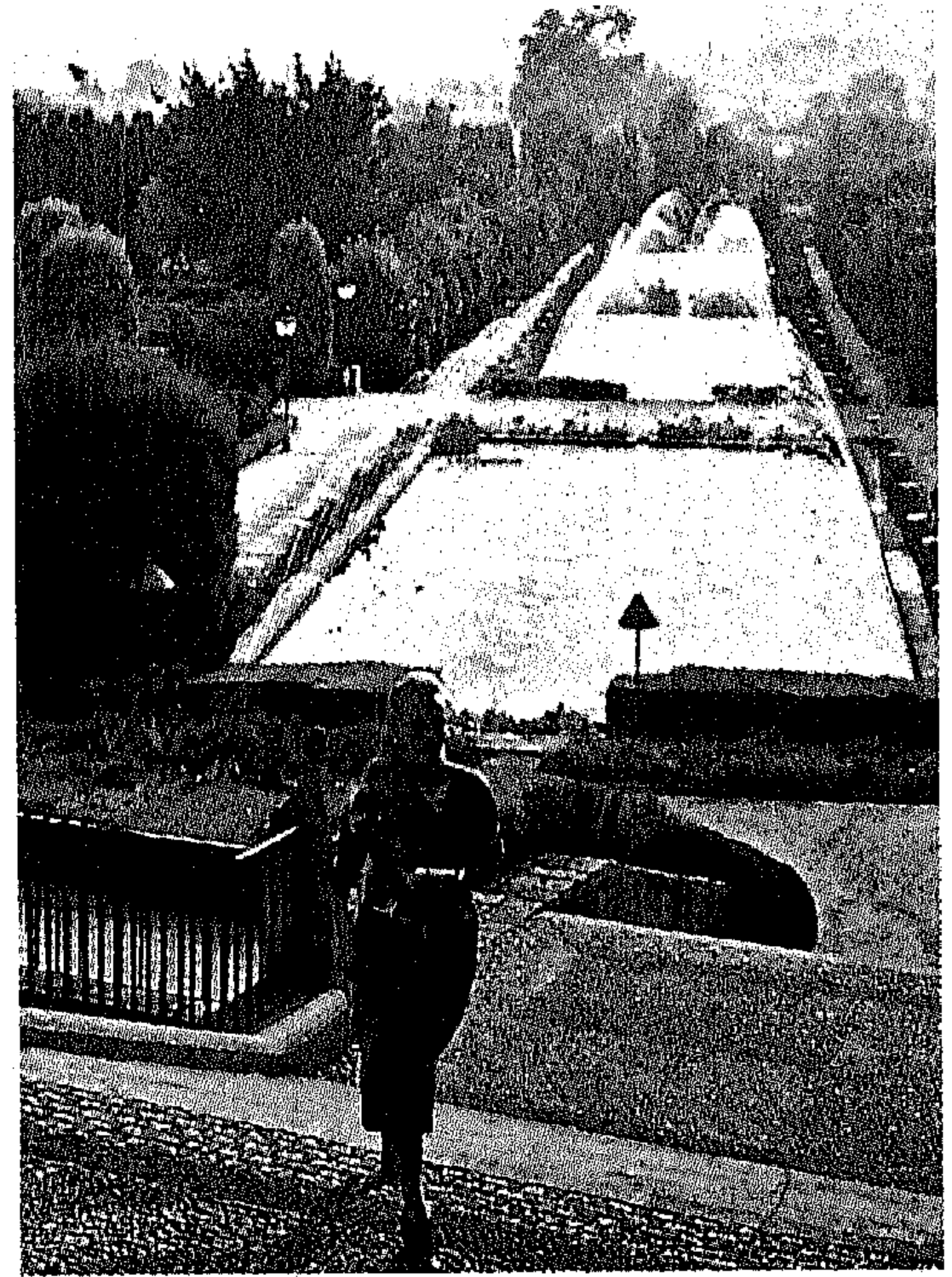
العناصر التقليدية للحديقة الاسلامية :

لم تكن بيئة الصحراء عقبة أمام الاستخدام المثالي للفراغات المفتوحة أو عقبة في تحقيق تنمية زراعية واسعة سواء كمصدر للغذاء أو لتوفير أماكن الترويح والاستجمام والترفيه . ولعل استخدام المياه كعنصر أساسي في تصميم الحدائق هو أحد مميزات الحديقة الاسلامية في الفترة المزدهرة من تاريخ المدينة العربية فعلى سبيل المثال :

- كان استخدام الماء في نافورات بصحن الدار وسيلة لترطيب الجو وتجميل المكان في نفس الوقت .
- وكان استخدامه في الميادين العامة والمساجد لأغراض انتفاعية كالشرب والوضوء وري الأشجار .
- وفي بعض الأمثلة أستخدمت المياه لأغراض جمالية تتعلق بتصميم الموقع مثل تأكيد بعض المباني الرئيسية وضخامتها بانعكاس واجهتها على سطح الماء .



١٢٦ الحديقة والحياة اليومية للعربي



١٢٥ حدائق قصر قرطبة

ونحن اليوم اذ ندعو الى احياء التراث الفنى والى التمسك بالشخصية العربية فى تصميم الحدائق وتخطيط المواقع ، فليس القصد أن نتمسك بحرفية الطراز الاسلامى التاريخى وتفصيلاته ، وبالتالى نطلب ايقاف حركة الابداع والتجديد . ليس هذا هو القصد بأى حال من الأحوال ، ذلك أن احياء التراث الحضارى الاسلامى يعنى ببساطة التجديد الواعى والحكيم على أساس أستيعاب مميزات الاصاله القومية وأبتكارات العصر ، كما يعنى أن يصبح تصميم مواقع الحدائق والشوارع والميادين والمساجد والمباني العامة فى المدينة العربية - ذا شخصية واضحة - وليست تقليدا حرفيا للآخرين - وفى نفس الوقت ملائما لظروفنا المعاصرة وتراثنا الروحى ومناخ بيئتنا الصحراوية .

ومن ناحية اخرى فان تكن المدينة العربية قد فقدت هذا العنصر الحيوى الذى ميزها عبر التاريخ .. عنصر العلاقة المتناسقة بين البيئه العمرانية بمبانيها ومنشآتها وبين بيئتها الطبيعية بعناصرها المختلفة ، فلانزال أمامنا فرصة لاعادة تغليب هذا التراث الحضارى الاسلامى (بعد تطويره بما يتلاءم مع العصر) وتطبيقه فى المدن العربية الجديدة والاحياء السكنية التى تتجه النوايا الى تطويرها وتجديدها فى شتى أنحاء العالم العربى .

دور مصمم المواقع فى تطوير المدينة العربية :

رغم أن مهنة تصميم المواقع (Landscape Architecture) بتعريفها وأبعادها الحالية لايزيد عمرها على قرن من الزمان إلا انها كفن شعبى قديمة قدم التاريخ نفسه . والمصطلح المستعمل حاليا لهذا الحقل فى اللغة الانجليزية هو

ويستطيع الباحث المدقق أن يجد كثيرا من المعلومات عن النباتات المستعملة فى زمان انشاء الحدائق الاسلامية الشهيرة من خلال تراجم معاصريها . فمثلا نجد فى مذكرات بابور (Babur) أول أباطرة الدولة المغولية الاسلامية فى بداية القرن السادس عشر ، ذكراً مفصلا عن الحدائق التى أنشأها فى عهده بكشمير وأجرا وفى مذكراته أيضا نجد رسوما توضيحية لانواع الاشجار والزهور والاعشاب المستعملة . ويبدو واضحا انه اعتنى عناية خاصة بأشجار الفواكه كالبرتقال وكروم العنب لفوائدها الغذائية ولانها تضيف روائح عطرة للهواء المحيط بالدور والقصور والضياع الملحقة بها هذا الى جانب أنها تجلب وتجذب أنواعا معينة من الطيور التى تضيف بأصواتها أنغاما يسعد بها أهل الدار وجيرانهم والعاثرون على السواء .

مستقبل الحديقة الاسلامية

.. لم يتبق فى المدن العربية اليوم حدائق تحمل الطابع الاسلامى الاصيل سوى بقايا البيوت والقصور الاثرية .. ولولا أننا مازلنا نحصر - فى الاغلب - على الطابع الفنى الاسلامى للمساجد وتخطيطها لاندثر تماما أى اثر يدل على شخصيتنا الفنية فى تصميم المواقع .

ولقد يقال أن العصر وأبتكاراته فرض هذا الاتجاه وانه يمثل تيارا جارفا لايمكن الوقوف فى وجهه . ولقد يقال كذلك أن خامات العصر الحالى ومواد البناء الجديدة تفرض علينا أساليب مستحدثة وتؤثر على كيفية تصميم المواقع . وبالطبع فان هذه الاقوال التبريرية وغيرها لايمكن قبولها كذريعة لاهمال الطابع الفنى القومى .



١٢٧ قصر الجماعي - فاس

(Landscape architecture) أو كما اخترنا أن نترجمه بالعربية بتصميم المواقع . ولقد أتفقت الأوساط العلمية مؤخرا على التعريف الآتي : « هو فن تصميم وتخطيط أو ادارة الأراضي وتنسيق عناصر البيئة العمرانية مع عناصر البيئة الطبيعية على أن يتم ذلك بواسطة تطبيق المعرفة العلمية والتراث الحضارى بهدف الحفاظ على المصادر والطاقات ولأجل توفير بيئة نافعة وسعيدة » .

للأسف مازالت الفكرة العالقة في أذهان الغالبية العظمى من الناس أن تصميم المواقع لايزيد على مجرد تنسيق لأشجار الزينة وتجميل الحدائق بالزهور والحشائش . ومن أجل تنفيذ هذا التصور الخاطيء يجب الإشارة الى عدة نقاط هامة :

أولا : طبقا للنظرة الشمولية في تعريف حقل تصميم المواقع فان مجالها حاليا يتناول تصميم البيئة الانسانية الكلية ، ولاشك في أن النباتات هي أحد عناصر هذه البيئة وتعتبر إحدى مكوناتها الهامة ، ولهذا فانه يبدو منطقيا بل يتحتم على مصمم المواقع أن يكون خبيرا بالنباتات ليس فقط من وجهة نظر خواصها الايكولوجية ولكن أيضا كعنصر من عناصر التصميم له خواص فنية وهندسية ومناخية . وليس هذا فحسب ، بل يجب التأكيد على أن أبرز دور تلعبه النباتات في عملية تصميم الموقع هو تكوين الفراغات والتحكم في أشكالها ونوعياتها ذلك لأن الهدف الامثل والرئيسي لكل حقول تصميم البيئة هو خلق الفراغات النافعة لاستعمالات الانسان .

ثانيا : ان مهنة تصميم المواقع قد اصبحت لها حاليا بعدان رئيسيان يختلف الواحد عن الآخر في حجم واهداف المشروعات التي قد يتناولها ، وهي تخطيط المواقع (Landscape Planning) وتصميم المواقع (Landscape Design) واولهما لم يكن معروفا على الاطلاق في العصور القديمة وقد تطور تطورا مذهلا في السنوات العشر الاخيرة نظرا لفيضانات المعلومات الناتج عن استعمال الأقمار الصناعية في المسح الجغرافي للموارد الطبيعية للكورة الارضية بعد النجاح الذي حققته محاولات غزو الفضاء وهذا الحقل الجديد .. حقل تخطيط المواقع يهدف اساسا الى تقويم كفاءة الأرض

(land capability assessment) وحساب قدرتها على استيعاب استعمال معين بدون التضحية بنوعية البيئة المحيطة بها ، ذلك الحساب الذي يجب أن يكون عنصرا اساسيا في صنع قرارات التنمية العمرانية والاقتصادية الحكيمة والناجحة .

ثالثا : أن دور التعليم الجامعي في مجال اعداد الطاقات البشرية هو دور هام وأساسى ، ذلك لأن احتياج المدينة العربية سوف يتعدى في المستقبل مجرد مصمم المواقع العادى ، فالمجتمع المتقدم يحتاج الى جانب ذلك الى المنفذ والمشرف على الانشاء والصيانة ومصمم المواقع الذى سيقوم بالتدريس في الجامعات وكتابة المؤلفات الجديدة ومصمم المواقع يساهم بنقد المشروعات ونشرها في المجلات العلمية والتحكيم في المسابقات المحلية والدولية .

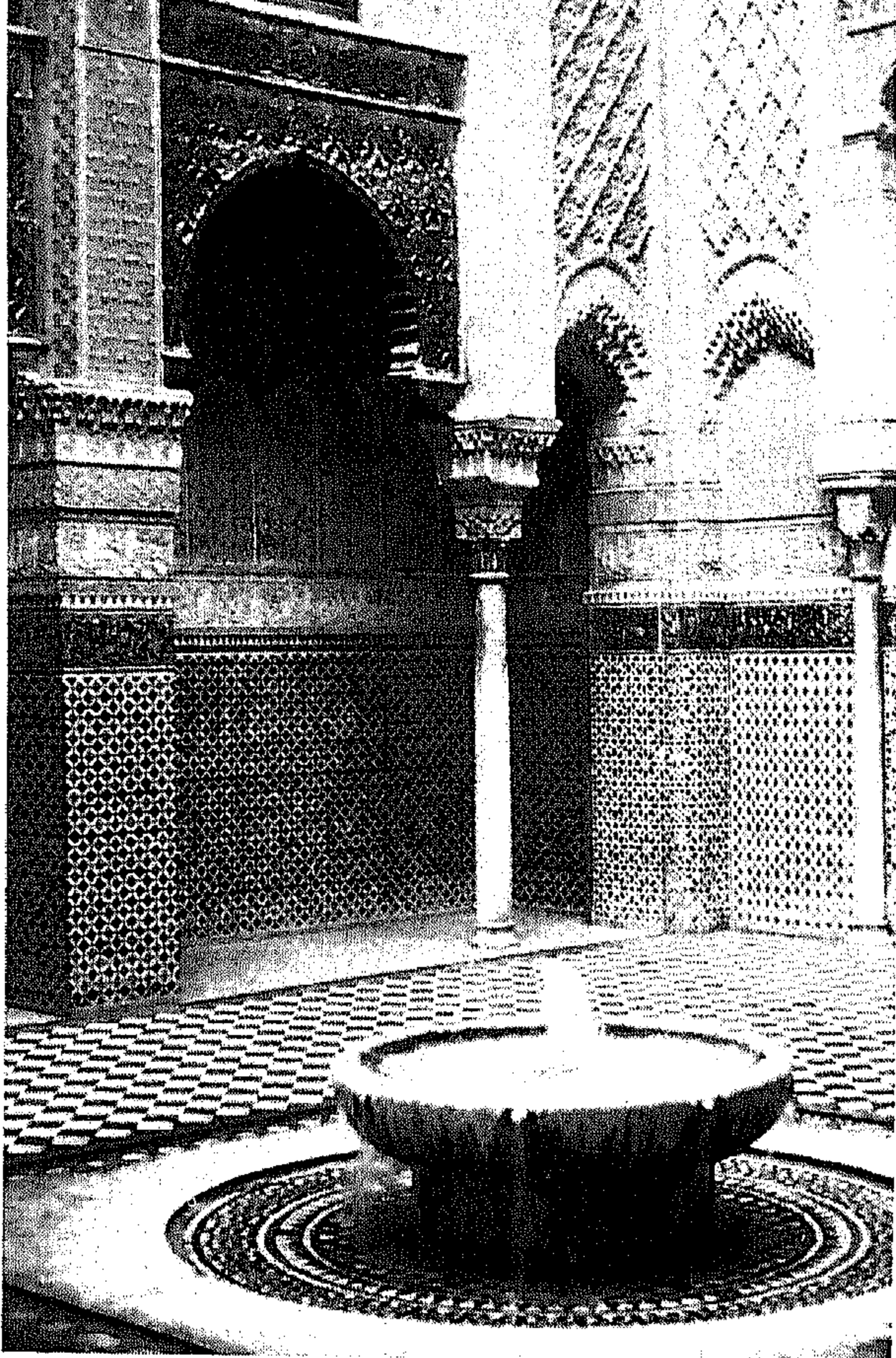
رابعا : مامن شك في أن مسئولية حقل تصميم المواقع أصبحت أكثر حساسية من الماضى لأنه تطور وأصبح فنا اجتماعيا ملتزما ومرتبطا باحتياجات المجتمع كوحدة ولانه يواجه التحدى الصعب في خلق الانسجام بين البيئة العمرانية المتزايدة يوما بعد يوم والبيئة الطبيعية التى تتلاشى تدريجيا اذا لم يحسن التخطيط لها .

خامسا : يعتقد الكثيرون في أنه قد يكون من الصعب الاعتماد على الجامعات وحدها ، لاعداد بعض الشباب العرعى لمزاولة مهنة تصميم المواقع بدون تمهيد أو خلفية سابقة . والمفروض أن يبدأ تلقين مبادئ احترام الطبيعة وفهم ظواهر البيئة الطبيعية وأساسيات تصميم المواقع في المراحل السابقة للتعليم الجامعي (الابتدائية - الاعدادية - الثانوية) فهذا الحقل من المعرفة ماهو الا فن بشرى يعتمد على البدييات وعمل تراث حضارى مرتبط بالوطن العرعى ولاشك أنه من الممكن تبسيط قواعد هذا العلم مثلما حدث الآن مع علوم الرياضة والفضاء والذرة بحيث يكتسب أطفالنا وشبابنا تدريجيا ملكات التفكير المتأنى . وثمار النظرة الموضوعية الشاملة وبذلك ترتفع ثقافتهم العامة وسلوكهم الاجتماعى الملتزم نحو البيئة الطبيعية المحيطة بهم .

الفناء كعنصر هام في المدينة العربية

على بسيوني

مقدمة :



١٢٨ فناء داخلي - فاس

تعتبر اسبانيا وشمال افريقيا من اهم البلاد التي يمكن مشاهدة الآثار الاسلامية التي تركها العرب ايام حكمهم هناك والمشاهد لهذه الآثار يسعد ان يرى معظم هذه الآثار في حالة جيدة نتيجة المحافظة المستمرة عليها .

والمدهش حقا انه يمكن مشاهدة احياء كاملة في مدينة قرطبة تبين ماكانت عليه الحضارة العربية في هذه العصور من تقدم كما توضح الاسس التي خططت عليها هذه المدن وقد اشاد المهندس العالمي لكوربوزنيه في كتابه (طريقة التفكير في التخطيط) بالتخطيط العربي وقارنه بالتخطيط المعاصر للمدن في الغرب وانتهى الى أن الأول ممتاز والثاني سيء .

ويعتمد التخطيط العربي اساسا على الفناء الداخلي الذي يمثل محور النشاط الرئيسي في المساكن والمباني العربية اما الشارع فقد اقتصر دوره على أنه وسيلة للاتصال فقط . وبالطبع مثل هذا التخطيط يمثل اتجاها مخالفا تماما للمدن المعاصرة التي يكون الشارع فيها هو المصدر الرئيسي للانارة والتهوية كما انه في نفس الوقت اصبح العامل الأول في وصول الضوضاء والتلوث اهم اعداء الانسان في الوقت الحاضر . والفناء في المبنى العربي كما هو واضح من التخطيط للمدن القديمة يضمن ميزات عديدة منها خلق مناخ موضعي (Micro Climate) يحقق : انخفاض في درجة الحرارة وتهوية جيدة بدون تلوث كما أنه يضمن الانارة السليمة والهدوء والخصوصية والعلاقة الجيدة بين الداخل والخارج عن طريق الفناء ومايمكن ادخاله من مزروعات ومياه (نافورات) ونحت ودراسة بالالوان للأرضيات .

المناخ الموضعي

للحصول على خفض في درجة الحرارة داخل الفناء فان ذلك يتأتى نتيجة الظلال الناتجة عن تقابل اضلاع الفناء ووجود المسطحات المائية التي ينتج عنها تبخير يقابله خفض في الحرارة وانعكاس جزء من الاشعة مما يقلل الامتصاص للاشعة الحرارية وكذلك وجود المزروعات وهي عامل رئيسي في تطهير الجو .

وقد وجد بالتجربة ان درجة الحرارة داخل الفناء بها انخفاض يصل الى درجتين عن درجة الحرارة السائدة في المنطقة .

ولاحداث تهوية جيدة بدون تلوث نجد ان الفناء بدرجة حرارته المنخفضة سوف يكون منطقة ضغط وان الخارج (الشارع) سيكون منطقة تفرغ (ضغط منخفضة) وتبعاً لذلك سيكون هناك تيار هواء مستمر من الفناء الى الشارع وبالطبع ستكون التهوية بدون أي تلوث علاوة على تطهيرها للجو الداخلي وذلك يكون بعد عمل الفتحات المناسبة التي تضمن التهوية السليمة لاجزاء المبنى .

الانارة السليمة :

تعتمد الانارة الداخلية لاي جزء من المبنى على اتجاه الفتحات وسطحها والاشعة المباشرة والاشعة المنعكسة من الاسطح القريبة . والانارة السليمة في مكان ما هي ان تكون درجة الانارة مناسبة وموزعة توزيعاً عادلاً على مسطح المكان بدون وجود مناطق مظلمة في الاركان البعيدة . ويتضح أنه يمكن التحكم في الانارة في حالة الفناء الداخلي بحيث يمكن الاستفادة من الاشعة المنعكسة حتى نحصل على التوزيع المناسب للغرض المطلوب .

المهدوء :

لاشك ان معدل الضوضاء في المدن الحالية اصبح يهدد الصحة النفسية للسكان - والمصدر الرئيسي للضوضاء هو الشارع لكثرة مرور السيارات وال عربات باختلاف انواعها واستعمال آلات التنبيه المرعجة . وحتى في البلاد التي امكن منع استعمال آلات التنبيه بها فان عددا كبيرا من المحركات وخصوصا الذي يعتمد في تبريده على الهواء اصبح وحده مسئولا عن الازعاج في كثير من الاحيان . وفي بعض الاحيان يكون وجود بعض الحرفيين سببا في زيادة الازعاج - وتنتقل ٧٠٪ من الضوضاء الى داخل المباني عن طريق الفتحات المباشرة على الشارع وبالطبع في حالة المباني ذات الفناء ستكون الفتحات اقل مايمكن على الشارع وبالتالي فإن انتقال الضوضاء سوف يكون بشكل محدود لايقارن بأى حال بالمباني المطللة على الشارع والتي تعتمد عليها في الانارة والتهوية .

الخصوصية :

من اهم الامور التي تميز السكن هي تمتعه بالخصوصية وهي من التقاليد العربية الاصيلة التي يجب المحافظة عليها .

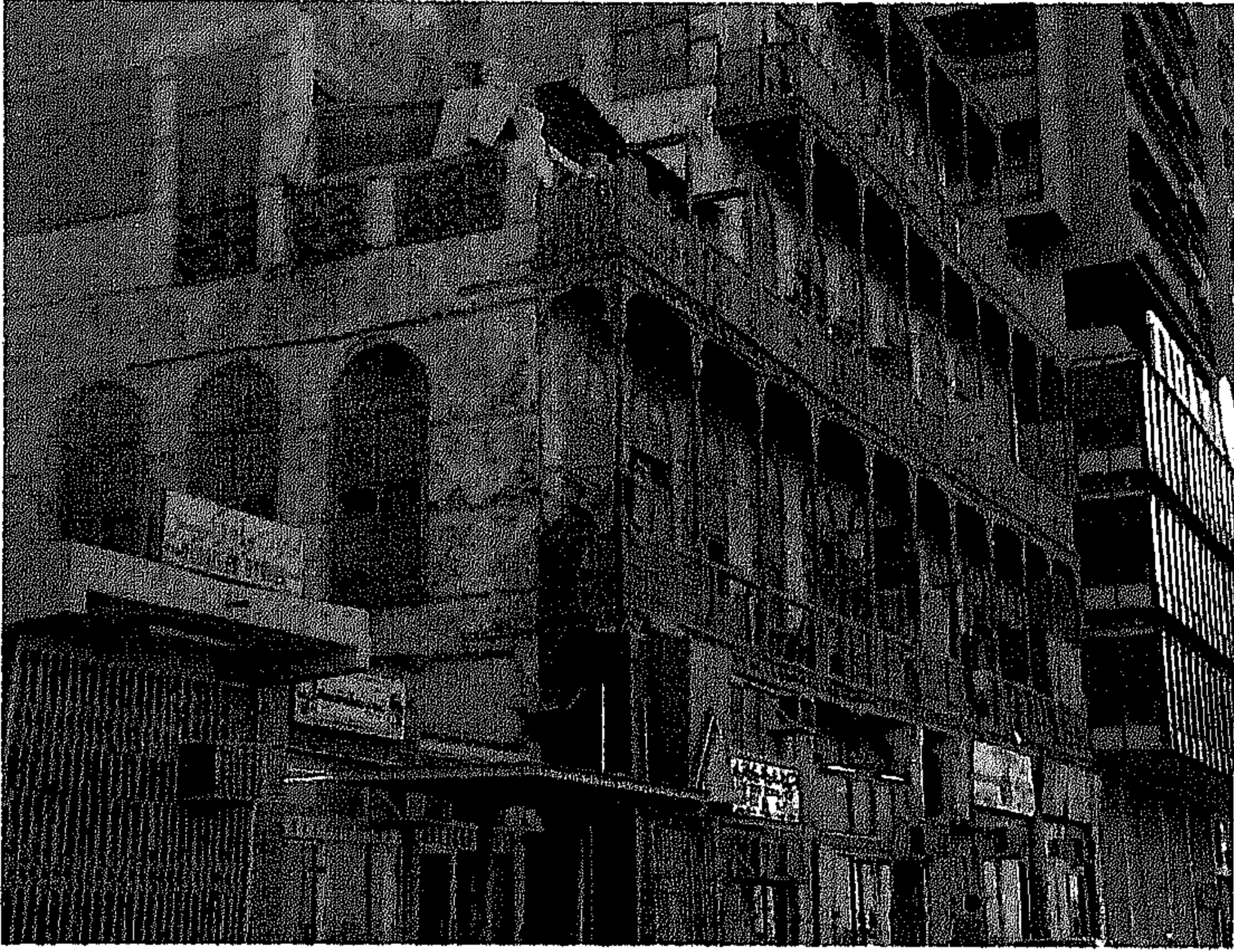
ولاشك انها كانت من العوامل الرئيسية الموجهة في اختيار الفناء كأساس للتخطيط للمدينة العربية القديمة . والمتعمق في دراسة النواحي الاجتماعية المترتبة على هذا التخطيط يجد ان الفناء يلعب دورا هاما كمركز للنشاط الاجتماعي للعائلة (أو للعائلات في حالة وجود اكثر من عائلة حول فناء واحد) فهو يربط بين أفراد الأسرة ويكون المكان المناسب للانشطة الاجتماعية المختلفة مع الاحتفاظ بالخصوصية كاملة في جميع الاحوال .

العلاقة الجيدة بين الخارج والداخل :

في التخطيط الغربي للمدينة المعاصرة نجد أن تكديس المباني على جانبي الشارع جعل اغلب الفتحات بدون الفائدة التي صممت من اجلها فالفتحة علاوة على كونها مصدرا للإنارة والتهوية للفراغ الا انه من اهم فوائدها هي ان تربط الداخل بالخارج . وهذه العلاقة هامة جدا من الناحية النفسية للانسان اذ انها هي التي تربطه بالطبيعة وقد أدى انفصال الانسان عن الطبيعة خصوصا في الفترة الاخيرة التي طغت فيها غابات الخرسانة المسلحة على جميع المناطق المحيطة به الى اصابته بكثير من الامراض النفسية اهمها الاكتئاب . وفي التخطيط العربي القديم نجد ان الفناء كان يمتاز بكثرة الخضرة والزهور والمياه الهادئة التي تمر في قنوات صغيرة تكون كلها صورة جميلة مصغرة للطبيعة . وقد أدى ذلك الى زيادة مسطح الفتحات المختلفة للفراغات المحيطة بالفناء مما أدى الى تداخل الخارج بالداخل .

نحو بيئة عمرانية اسلامية متميزة

فرحات خورشيد طاشكندى



١٢٩ جدة



١٣٠ جدة



١٣١ مشروع الاسكان العاجل
بالسعودية

يهدف هذا البحث الى الخوض في أهم خصائص المدن العربية الاسلامية ومناقشة مميزاتها واسباب وجودها وذلك من خلال استعراض حالة دراسية من الوضع الراهن لاحد احياء الرياض القديمة ، ثم بعد تطبيق هذه الخصائص على الوضع الراهن للاحياء الجديدة في المدن العربية وخاصة بالمملكة العربية السعودية لرى مدى انعكاس الشخصية المتميزة للمدن العربية الاسلامية في الاحياء الجديدة في مدن المملكة واسباب اختفاء هذه المعالم المتميزة باستعراض أمثلة من عدة مدن مختلفة بالمملكة العربية السعودية : الرياض ، جدة ، مكة ، الطائف ، أبها ، خميس مشيط ، الدمام ، الخبر ، عنيزة ، بريدة ، جيزان ، نجران ، البيشة ، العاط .

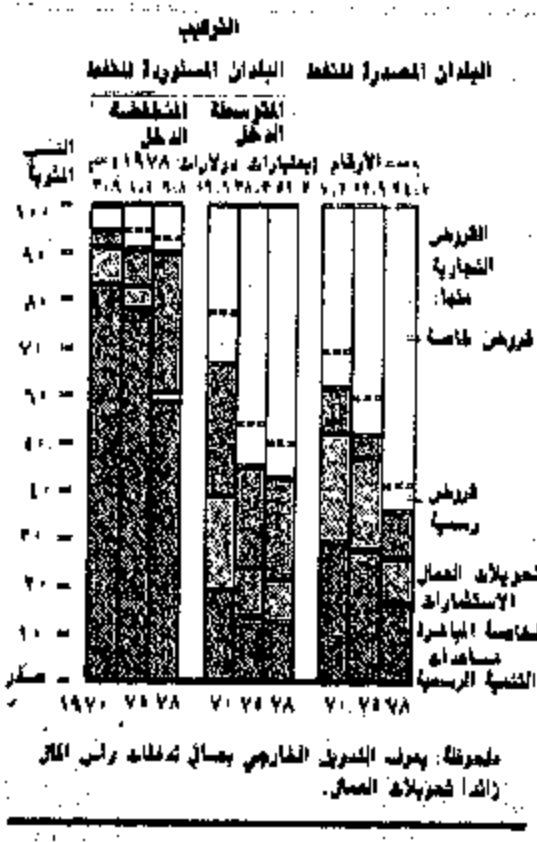
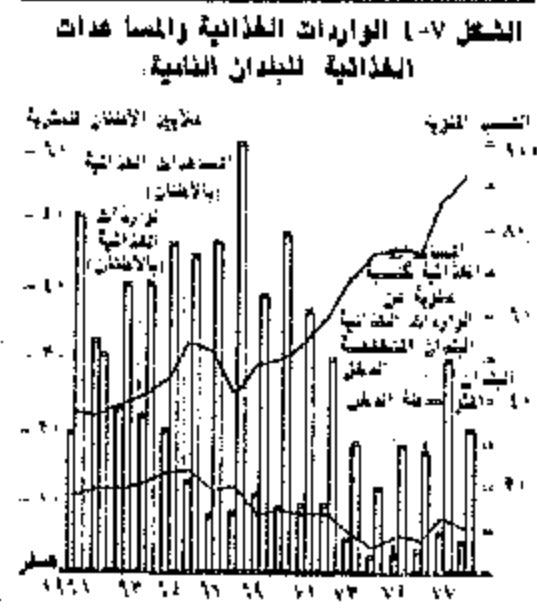
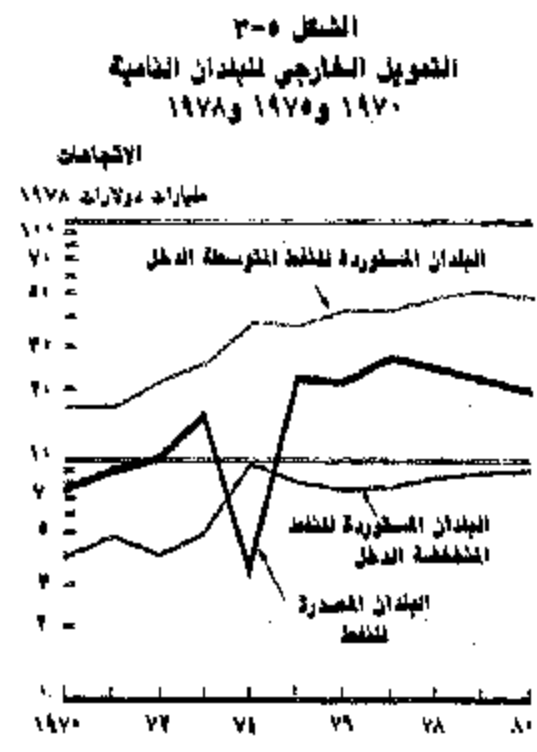
يقارن البحث ايضا بين نوعية البيئة التي كانت موجودة في المدينة القديمة وبين الاحياء الجديدة (المدن الجديدة) من تأثير القيم الاجتماعية على الشكل العام للمدينة وتوافر المتطلبات الخاصة بالعادات والتقاليد الاسلامية في كلتا الحالتين وكذلك وضع النساء والأطفال بصفة خاصة وملاءمة البيئة للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والبيئية ، وذلك عن طريق أربع حالات دراسية لأربع مستوطنات مختلفة هي كالتالى : (١) المنطقة القديمة (الرياض) . (٢) منطقة مخططة ، حديثة وتشمل : (أ) قطع أراضي بخدمات (السليمانية - الرياض) . (ب) وحدات سكنية في عمائر (الاسكان العاجل) . (٣) منطقة غير مخططة ، محتلة بوضع اليد (الارغل - خميس مشيط) وأخيرا (٤) منطقة مخططة روعى في تصميمها أحياء خصائص المدن العربية الاسلامية (اسكان الحى الدبلوماسى - الرياض) .

بعد ذلك يذكر البحث موجزا عن اهم الاسباب التي ساعدت على فقدان الخصائص المميزة لهذه المدن . بالإضافة الى التطرق ضمن البحث الى الاحتياجات الجديدة التي لم تكن موجودة في السابق ولها تأثير قوى في تغيير شكل البيئة وهي المركبات والبنى التحتية / التجهيزات الاساسية .

ولايجاد وعى معمارى وتخطيطى بما تعانيه مدننا فقد دعم البحث بالخرائط والرسومات والصور اللازمة من اجل الوصول الى بيئة سكنية متميزة المعالم مستقلة الشخصية توفر احتياجات المجتمع الاسلامى لتعكس بقوة صورة هذا المجتمع عن طريق القالب العمرانى لهذه المدن .

القسم الثاني

أسس المنهج العلمي للتخطيط



١٣٩ رسوم بيانية

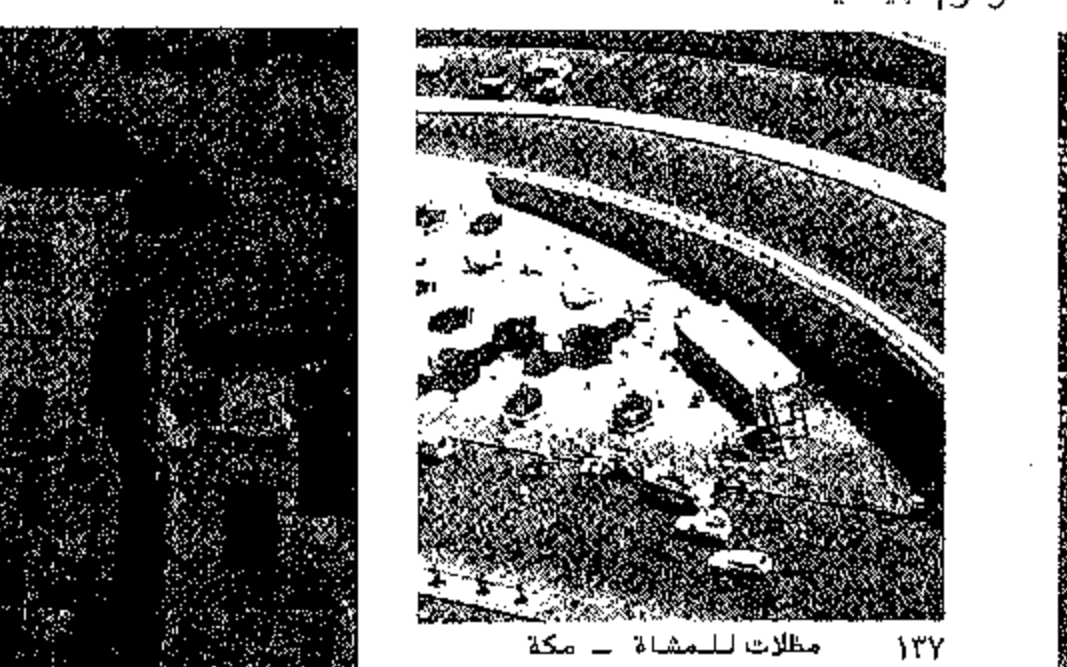
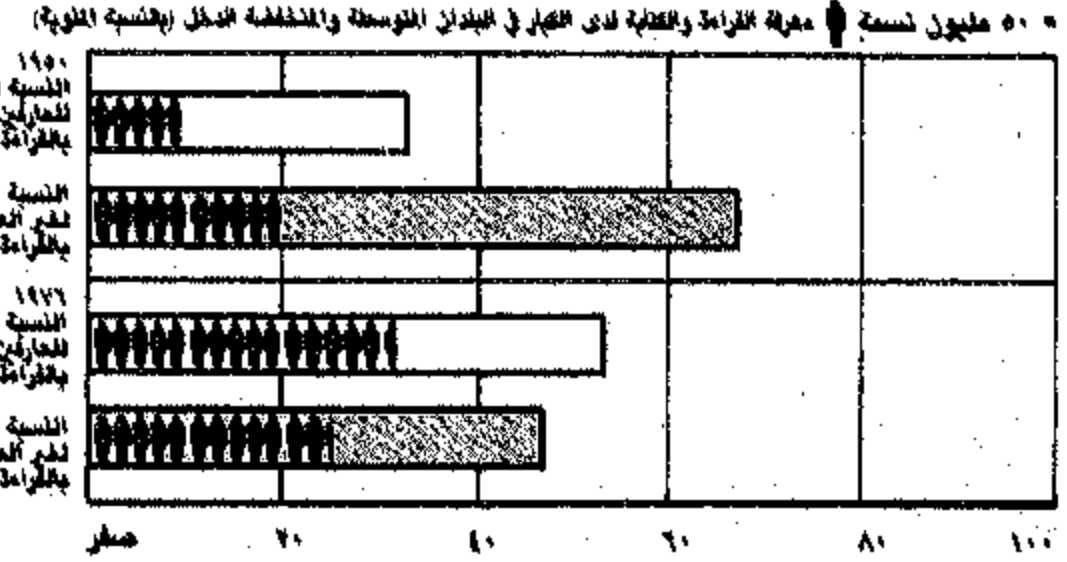
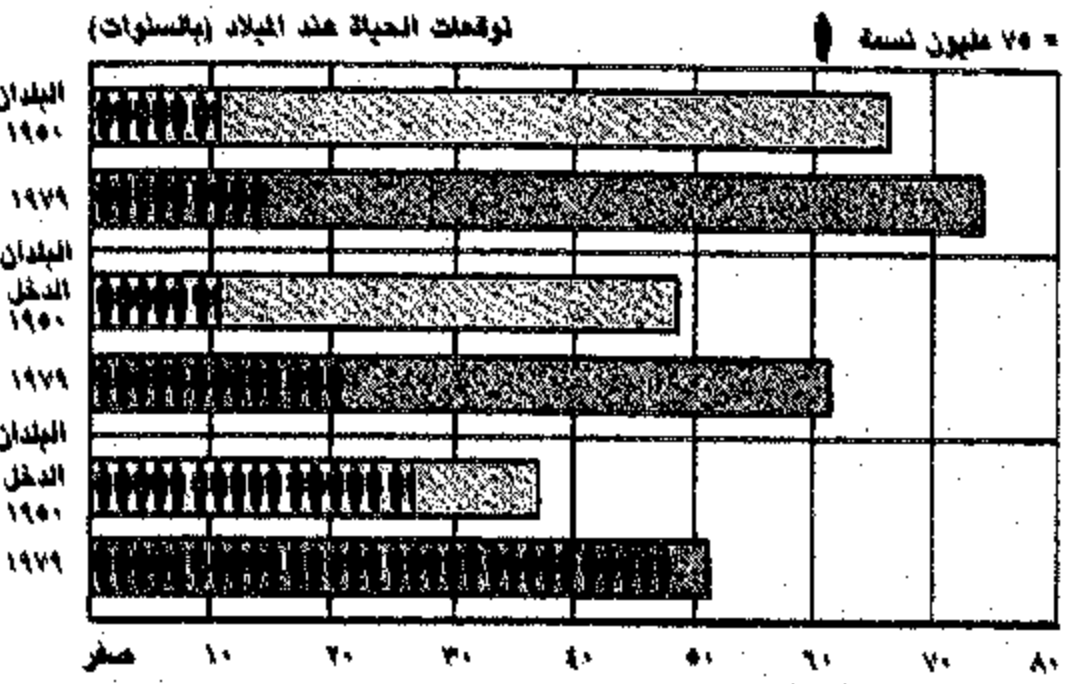
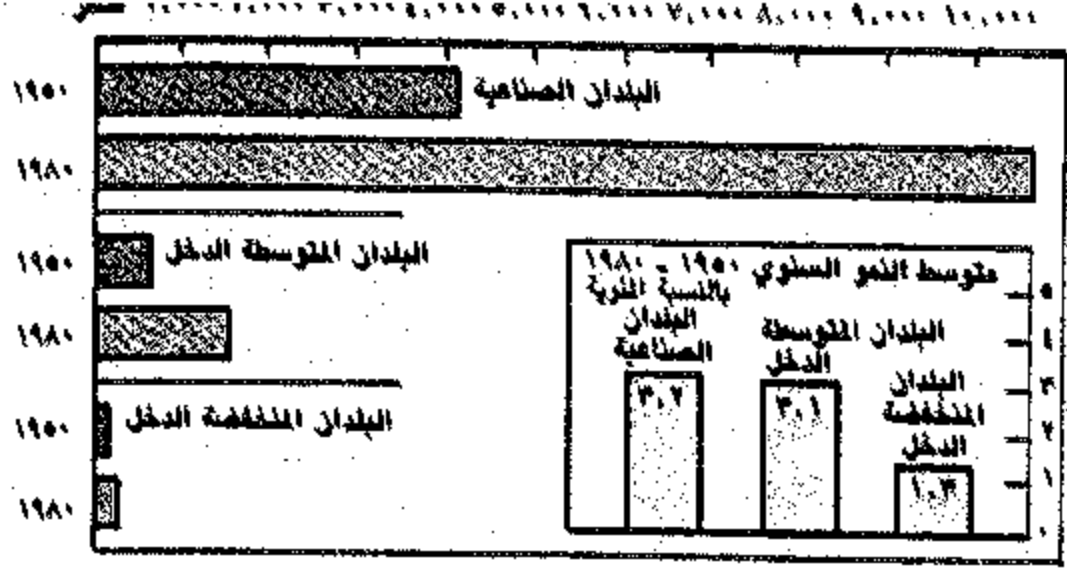
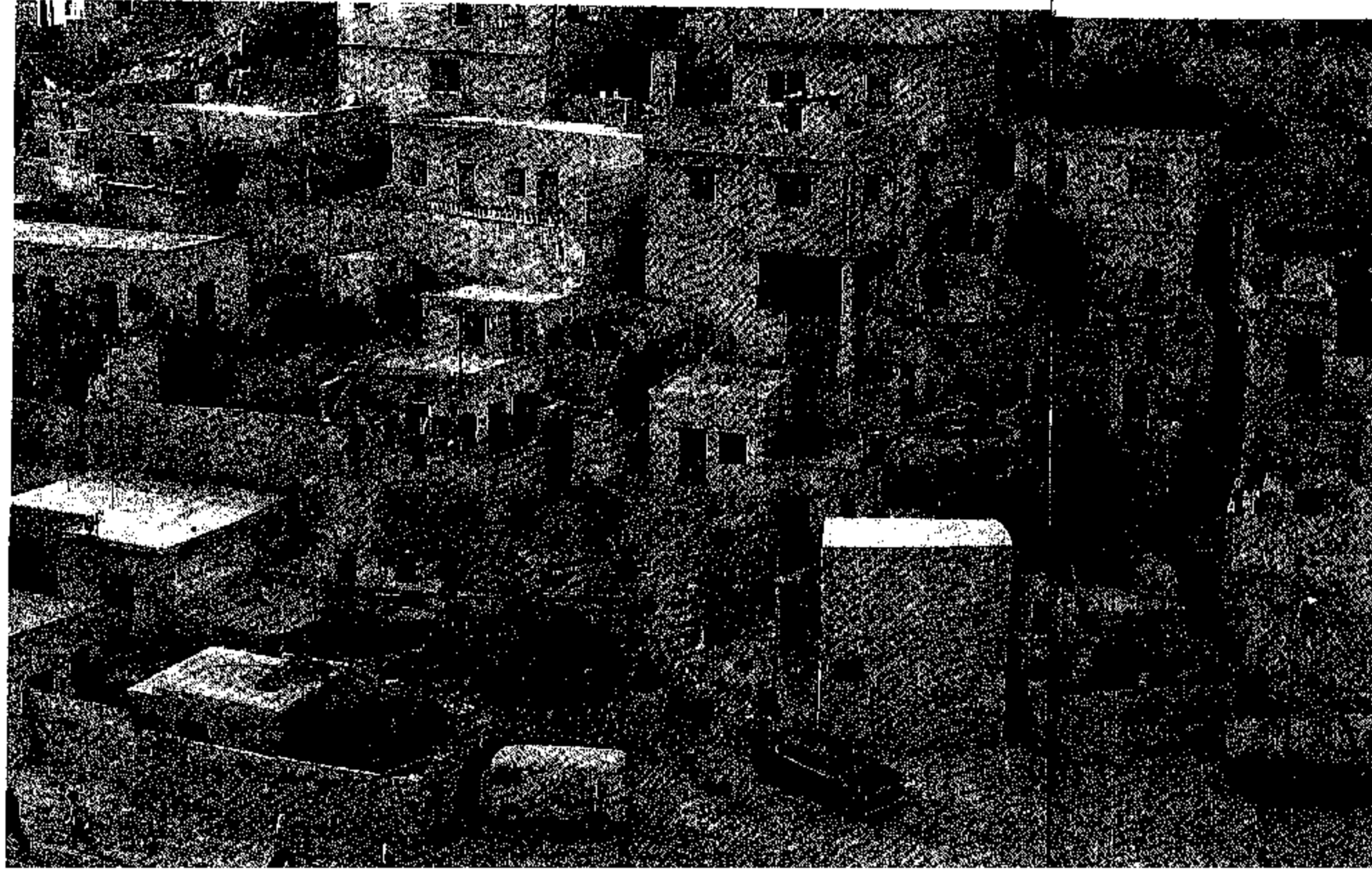
كما ذكر حسن فتحي في مطلع هذا الفصل ، فإن أدوات العلم الحديث تصلح لتكون الفيصل بين الحلول المعمارية والعمرانية المختلفة ، ولذلك تتصدى البحوث المقدمة في هذا القسم الى أمرين : أولا : وضع الأطار الفكري لمعالجة أمور المدينة العربية المعاصرة ، ثانيا : وصف بعض الوسائل والطرق العلمية الحديثة التي يمكن استخدامها في تخطيط علمي سليم . ويشتمل القسم على أربعة أبحاث :

أولا : عبد الباقي إبراهيم يتحدث عن القواعد التنظيمية في تخطيط المدن حيث قسمها الى خمس مجموعات لمعالجة مشكلات المناطق العمرانية المختلفة من حيث قيمتها الأثرية ومدى بنائها أو تخطيطها وتقسيمها .

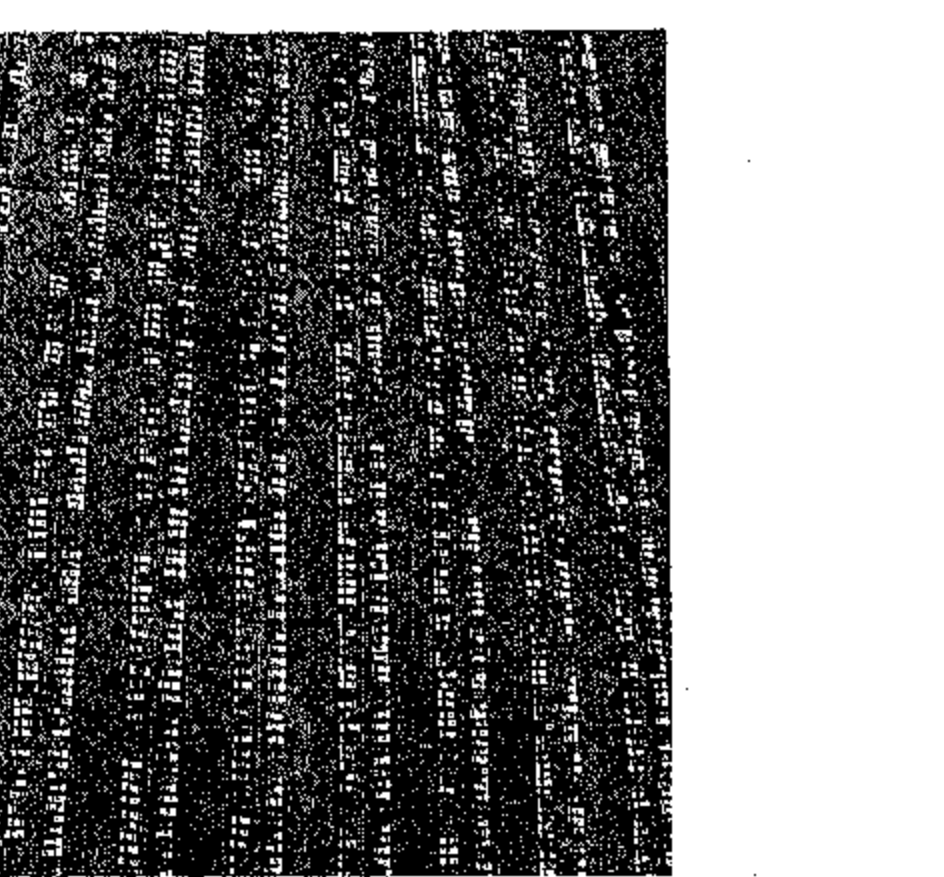
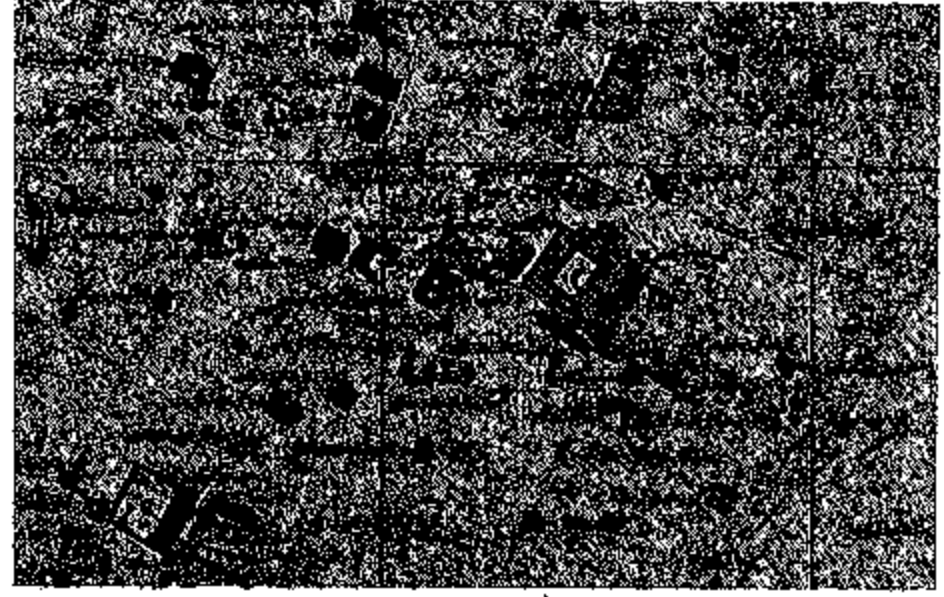
ثانيا : عمر شوقي كنعان الذي يستنبط أسس المعالجة العمرانية للمدن العربية من واقع المشاكل القائمة .

ثالثا : مختار محمد الشيباني الذي يتطرق الى موضوع التقييس وأهميته في الحفاظ على طابع وشخصية العمران ومواد البناء في المدينة العربية .

رابعا : سعيد يوسف أمين الذي يعالج دور تكنولوجيا الكمبيوتر في تخطيط المدن .



١٣٨ عمان



١٣٥ حجن السيارات بالحج

القواعد التنظيمية في تخطيط المدن الاسلامية

عبد الباقي ابراهيم

مقدمة :

والحضارية التي لا يدركها غير المسلم . ولنذكر هنا على سبيل المثال الدراسة التي قدمها خبراء اليونسكو من غير المسلمين لانقاذ القاهرة الاسلامية والدراسة التي قدمها الخبراء المسلمون لنفس الموضوع وكان الفارق جليا حيث ثبت ان الفريق المسلم قد فاق غير المسلمين في عمق الدراسة وواقعية التصور . وهنا لابد وان يقوم فريق من المسلمين بوضع النظريات التخطيطية والمعمارية النابعة من الواقع الاسلامي ليكون اكثر واقعية وارتباطا بالمجتمع وهذا الأمر مرهون لادراك المؤسسات والمنظمات العلمية لرعاية هذا البحث وتعميمه ليكون معدا للتطبيق على المجتمعات الاسلامية المختلفة في البيئات الجغرافية في العالم . وهذا هو بداية الطريق .

لقد تكررت الندوات والعقدات المؤتمرات وصدرت التوصيات النظرية والعملية ومع ذلك توقفت حركة العمل والمتابعة عن الاستمرار لتبدأ ندوات اخرى في اماكن اخرى ليصدر عنها توصيات اخرى لتدور الحركة في دائرة مفرغة في الوقت الذي يمتد فيه العمران في المدن الاسلامية بسرعة فائقة لانتوقف أو تنتظر مزيدا من التوصيات . والعمران في حركته السريعة يجرف كل القيم الاسلامية في العمارة والتخطيط ويزرع في المدينة الاسلامية عناصر غريبة عنها يصعب اقتلاعها . وتتفاقم المشكلة وتتحرك بسرعة أكبر عما يتحرك بها المخططون والمعماريون واصحاب القرارات التنقيذية أو المنفذون . وتهدف هذه الورقة الى وضع الاسلوب العملي لتنسيق العمل بين الجهات المعنية في سبيل هدف واحد هو تأكيد التراث الاسلامي للمدينة المعاصرة واسترجاع شخصيتها واسترداد مقوماتها .. ولتبدأ من حيث انتهت المقومات والنظريات والفلسفات ومن حيث انتهت التوصيات والقرارات .. لتدخل في مرحلة العمل التطبيقي في كافة المجالات وعلى مختلف المستويات .

وينقسم العمل التطبيقي هنا الى ثلاثة مستويات الأول مستوى التخطيط العام للمناطق الجديدة أو القديمة ثم مستوى مناطق العمل المختارة ذات الأهمية الحضارية ثم مستوى المباني الاثرية التي تعتبر اشعاعا معماريا يمتد ضوؤه من الماضي الى الحاضر والمستقبل مع كل المتغيرات العلمية والتكنولوجية وكل الثوابت الحضارية والثقافية .. وحيث تتفاعل المتغيرات والثوابت باستمرار متحركة توضح معالم المعاصرة في التخطيط والعمارة الاسلامية ومن هذا المنطلق تنبعث كل النظريات التخطيطية والمعمارية الاسلامية المعاصرة ، وفيما يلي القواعد التطبيقية لنقل هذه الأفكار إلى حيز الوجود .

في مستهل القرن الهجري الخامس عشر تتطلع الأمة الاسلامية للعودة الى تراثها ولاسترداد شخصيتها واعادة بناء مقوماتها الحضارية في كل المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية مستلهمة في كل ذلك تعاليم الدين الاسلامي الحنيف الذي يحدد اسلوب الحياة للفرد والجماعة في مقر عمله أو في محل سكنه .. في طريق تحركه أو في ساحة اجتماعية في هيكل العمران الذي يعيش فيه .. في المدينة الاسلامية .. واذا قلنا أن المدينة الفاضلة هي المدينة التي يحيا سكانها الحياة الاسلامية الصحيحة .. فان البناء العمراني لهذه المدينة سوف يعكس تلقائيا صفات المدينة الفاضلة في العمارة والتخطيط . فقد كانت المدن على مر العصور هي المرآة التي تنعكس على وجهها المعماري كل الخصائص الثقافية والاجتماعية والاقتصادية أو المقومات الحضارية لسكانها .. ويعنى ذلك ان ماتعانيه المدينة الاسلامية المعاصرة من تخلف حضاري هو نتيجة طبيعية لما يعانيه سكانها من تخلف عن الركب الاسلامي الصحيح .. فبناء المدن ليس فقط بالاحجار والاشباب والطرق وشبكات المرافق بقدر ما هو بالقيم والمبادئ .. من هنا فان بناء المدينة الاسلامية هو في الواقع بناء حضاري وعمراني متكامل ولا يمكن فصل هذين الشقين في أى بناء تخطيطي أو عمراني .. فبناء الهياكل الخرسانية والحديدية لابد وان يوازيه بناء الفرد والمجتمع . حتى يظهر التشكيل العام للمدينة الاسلامية تعبيرا عن روح العصر . وقيم الدين الحنيف .

واذا كانت الدعوة اليوم لاطهار القيم المعمارية والتخطيط في المدينة الاسلامية المعاصرة هي جانب من الدعوة الاسلامية الشاملة فانه يجب التأكيد كذلك على الجوانب الاخرى حتى تتكامل مع الجوانب العمرانية للدعوة . فقد فقدت المدينة الاسلامية طابعها عندما فقد سكانها القيم الاسلامية وتدخلت القيم الاجنبية تحاول ان تفرض نظرياتها المعمارية والتخطيطية على المدينة الاسلامية ففشلت .. واعترف بهذا اصحاب هذه النظريات انفسهم وبدأوا لا يبحثون عن نظريات اخرى تلائم الشخصية الاسلامية للمدينة المعاصرة . فكونوا الجمعيات واقاموا الندوات وحضروا المؤتمرات بحثا عن مداخل لهم في بناء المدينة الاسلامية المعاصرة في الوقت الذي يقف فيه المخطط المعماري المسلم مقيدا فكريا ببعض النظريات القديمة لا يستطيع أن يتطور بها في الاتجاه الاسلامي الصحيح . تاركا ذلك لغير المسلم . لقد ثبت من المحاولات التي يقوم بها المعماريون غير المسلمين انهم يأخذون الامور بظواهرها دون الوصول الى اعماقها الثقافية والاجتماعية

القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية :

تنقسم هذه القواعد الى خمس مجموعات بيانها كالتالى :-

- ١ - القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للمناطق التى لها قيمة تاريخية .
- ٢ - القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للمناطق القائمة ولم يتم تخطيطها .
- ٣ - القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للاحياء السكنية التى تم تخطيطها وتقسيمها وبدأ العمل فيها .
- ٤ - القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية فى المناطق التى تم تخطيطها أو تقسيمها ولم يتم العمل فيها .
- ٥ - القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية فى المناطق التى لم يتم تخطيطها أو تقسيمها .

ويلاحظ هنا الفرق بين الاجراءات سواء بالنسبة للتخطيط أو بالنسبة للتنمية العمرانية باعتبار ان التخطيط عملية متكاملة من كافة الجوانب يتم تنفيذها على مراحل متتالية بينا التنمية العمرانية عملية لمعالجة الاوضاع القائمة التى تتعارض مع القيم التخطيطية والمعمارية وهى فى اجراءاتها التنفيذية تحتاج الى اسلوب خاص فى التعامل مع المجتمع . وتظهر اهمية المجموعات السابقة بالترتيب الذى وضعت به .

القواعد التنظيمية للمنطقة الأولى :

ويمكن اجمال القواعد التنظيمية العمرانية للمناطق الاثرية ذات القيمة التاريخية أو الحضارية على الوجه التالى :-

- تحدد المنطقة الحضارية التى تحتوى على بعض المباني الاثرية أو ذات القيمة التاريخية الاطار العمرانى الذى تظهر فيه هذه المباني أو اجزاء منها . ويمكن تحديد المنطقة بحدود التأثير البصرى لمبانيها الاثرية .
- تصنيف المباني الاثرية وغير الاثرية الواقعة فى حدود التأثير البصرى للآثار وذلك تبعا لتاريخها وحالتها وارتفاعاتها واستعمالاتها والوانها ثم ترفع واجهاتها متجمعة فى حدود النطاق البصرى لتكون اساسا للتقويم والتطوير واتخاذ الاجراءات التنظيمية والخطوات التنفيذية لوضعها فى الاطار البصرى المطلوب حيث تتجانس الالوان والارتفاعات والعناصر المعمارية .

- ازالة الشوائب البيئية فى النطاق البصرى ويشمل ذلك الشوائب المعمارية والاضافات القبيحة من معلقات أو ملصقات بجانب الشوائب الاجتماعية التى تظهر فى استعمال المكان واستغلاله .. ويتضمن هذا البرنامج مشاركة متكاملة من المجتمع ممثلا فى الاجهزة المعنية من جانب واصحاب العقارات وشاغليها من جانب آخر سواء بالمساهمة المالية أو المادية مع الحوافز اللازمة أو مقابل الاعفاء من بعض الاعباء المالية .
- وضع خط البناء الافقى والرأسى وقواعد الملامح المعمارية التى تحكم بناء المواقع غير المبنية فى النطاق البصرى للمنطقة الأثرية .

- توجيه وسائل النقل السريع خارج النطاق البصرى للمنطقة الاثرية وتخصيص اكبر مسطح من المسطح الافقى لهذا النطاق للمشاة وذلك باستعمال مواد مناسبة للرصيف وعناصر مميزة لتنسيق المكان سواء فى احواض الزهور والنباتات المناسبة للمناخ أو فى المقاعد والمظلات المناسبة

مع البيئة المعمارية السائدة أو فى طريقة الاضاءة المناسبة أو المستمدة اشكالها من الوسائل والاشكال التقليدية .

- تنظيم النشاط الاقتصادى والاجتماعى السائد فى الاطار البنائى للمنطقة الاثرية وذلك لدراساتها وتوجيهها وتطويرها واعانتها لتؤدى اغراضها حتى تستمر الحياة المناسبة للمنطقة الاثرية واخراج الانشطة الضارة بالبيئة الحضارية للمنطقة . وهنا يدخل عامل الاعانات فى الحالة الأولى أو التعويضات فى الحالة الثانية وذلك على اساس قواعد للتقديرات المالية والتعاقدات القانونية .

- وضع أسس ونظم إدارة وصيانة المنطقة ، وذلك بتنظيم اوقات النظافة ووسائل جمع الفضلات بما لا يتنافى مع البيئة الحضارية للمنطقة ... ومتابعة الصيانة بالمرور والتفتيش . مع محاولة ربط القاطنين فى المنطقة بالمكان وتنظيم السلوك الاسلامى للفرد والجماعة فى المكان . وربط نشاطهم باوقات الصلاة وتعاليم الاسلام .

القواعد التنظيمية للمنطقة الثانية :

ويمكن اجمال القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للمناطق المبنية القائمة ولم يتم تخطيطها على الوجه التالى :-

- تصنيف الشوارع التى تضم أنشطة تجارية وادارية والشوارع المحلية التى تخدم المساكن وتحديد مواقع المساجد المحلية ومباني الخدمات العامة .

- رفع المباني بواجهاتها والوانها بالشوارع التجارية الادارية التى تمثل المحاور الرئيسية التى توصل الى المساجد الرئيسية فى كل حى وتحديد اسلوب تهذيب المباني المتناثرة وازالة الشوائب المعمارية على الواجهات والشوائب البيئية حول المباني .

- وضع برنامج تنفيذى لازالة الشوائب المعمارية والبيئية وتحديد دور الاجهزة الرسمية ودور اصحاب المباني وشاغليها فى تنفيذ الأعمال سواء بالازالة أو بالاضافة أو الترميم ، مع توفير الحوافز المالية والادبية التى تساعد على تنفيذ هذا البرنامج .

- وضع خطط البناء الافقى والرأسى وقواعد الملامح المعمارية التى تحكم بناء المواقع غير المبنية فى الشوارع الرئيسية كل على حده دون التقيد بالنظم التقليدية العامة .

- توجيه وسائل النقل السريع أو الخاص خارج الشوارع الرئيسية التى تتجه الى المساجد الكبيرة فى كل حى مع توسيع ارضيتها وتنسيقها بما يتناسب مع البيئة المحلية .

- وضع نظام للافتات الثابتة والمتحركة يضمن تحديد اماكنها على ارتفاعات مناسبة لا تخل بالمظهر العمرانى ووضع اللوائح لذلك .

- وضع نظام للاضاءة الخارجية للمحلات والمكاتب التجارية بحيث تنعكس على المحلات ولا تتعارض مع الاضاءة العامة للشوارع . مع زيادة قوة الاضاءة . عند مساحات المساجد .

- وضع تخطيط تنفيذى للحيز المحيط بالجامع الرئيسى فى كل حى بحيث يصبح الجامع مركزا لتجميع الانشطة العامة للحى . ولو استدعى الامر نزع بعض الملكيات للافساح لساحة عامة امام المسجد . يتم تنسيقها بما يتلاءم مع البيئة المحلية .

القواعد التنظيمية للمنطقة الثالثة :

كما يمكن اجمال القواعد التنظيمية للتنمية العمرانية للاحياء السكنية للاحياء السكنية التي يتم تخطيطها وتقسيمها وبدأ العمل على الوجه التالي :-

- حصر المباني التي تم تنفيذها ووضع بعض الاقتراحات الممكن تنفيذها لاضفاء جانب من ملامح العمارة الاسلامية المعاصرة ، وتحديد دور ومساهمة الاجهزة البلدية واصحاب المباني في هذه العملية وتحديد اسلوب تنفيذها . سواء اكان ذلك بالنسبة للاضافات أو تعديل الالوان . أو تطوير في الاسوار .

- حصر المباني التي تحت التنفيذ ومراجعة تصميماتها وادخال التعديلات السريعة على واجهاتها ليتمكن تنفيذها لتتضمن جانبا من الملامح المعمارية الاسلامية المعاصرة . وتحديد الالوان المناسبة للموقع .. وتطوير الاسوار وذلك دون المساس بالفكرة التصميمية للمباني .

- حصر القطع والمواقع التي لم يتم التنفيذ فيها ووضع خط البناء الافقى والرأسي وقواعد الملامح المعمارية التي تحكم بناءها . وذلك في حدود الكثافة البنائية المطبقة في المنطقة واحترام القواعد التنظيمية السائدة بالنسبة للجدار الذي تم بناؤه أو في مرحلة التنفيذ . وذلك بترك الفراغات بينهم . اما بالنسبة للجدار الذي لم يتم التنفيذ في موقعه فتراجع تصميماته حسب القواعد الجديدة والتي تسمح بتوجيه الفراغات الى الداخل بدلا من الخارج سواء الداخل المغلق أو المفتوح جزئيا الى الخارج .

- وضع مجموعة من العناصر المعمارية الخارجية يمكن الاختيار بينها أو الاقتباس منها في اعداد التصميمات المعمارية وخاصة بالنسبة للواجهات الرئيسية . والزام توضيح ذلك في الرسومات المقدمة لتراخيص البناء .

- تطوير المناطق المحيطة بالجوامع الرئيسية في التخطيط بحيث يرتبط الجامع تخطيطيا وعمرانيا مع الانشطة الثقافية والاجتماعية والتجارية في قلب الحي أو على طول الشرايين المحلية الموصلة اليه .

- تحديد الشوارع الرئيسية الموصلة الى المسجد كملتقى لانشطة الحي وتحويل المرور الخاص والسريع عنها أو توسيع ارضيتها وتنسيقها لتحويلها الى شرايين للحياة ، تصل منطقة المسجد بأطراف الحي .

- ازالة الشوائب البيئية ان وجدت من المباني المقامة أو في الشوارع والطرق بما في ذلك الشوائب المعمارية أو الاجتماعية التي تظهر في استعمال المكان واستغلاله .

القواعد التنظيمية للمنطقة الرابعة :

ويمكن اجمال القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية في المناطق التي تم تخطيطها أو تقسيمها ولم يتم العمل فيها على الوجه التالي :-

- يتم الاعلان عن توقف العمل لشروط البناء في المنطقة انتظارا لوضع شروط البناء الجديدة واعطاء اصحاب الاراضي أو القسام المهلة المناسبة للسحب للشروط الجديدة .

- توضع شروط البناء الجديدة على اساس الحجم البنائي الذي يطابق الحجم البنائي الذي توفره شروط البناء السابقة حفاظا على الكثافة

البنائية في المنطقة ويترك الحرية في التصميم في توجيه الفراغات بين المباني الى الداخل سواء على افنية مغلقة الجوانب أو مفتوحة من جانب واحد أو اكثر ويتم البناء في هذه الحالة على أي جزء من اجزاء الأرض مادام هناك التزام بنسبة مساحة البناء وحجمه .

- وضع مجموعات العناصر المعمارية الخارجية وتوزيعها على المماريين والمصممين للأخذ منها أو الاقتباس في حدودها مع اعطاء ارشادات بخصوص استعمال المواد الخارجية بالواجهات والوانها .

- تقدم التصميمات المعمارية الخاصة بتراخيص البناء في احجام موحدة بحيث يمكن متابعة الرسومات من خلال الملفات بالتتابع دون الرجوع الى احجام مختلفة من الرسومات ، كما تقدم في نظام موحد لمواقع الرسومات في اللوح المقدمة ومواقع الاسماء وارقام اللوحات وكذلك تتابع الرسومات المعمارية والانشائية والكهربائية والصحية والتقير الفني ، على ان تقدم الواجهات بالالوان المناسبة لاعتمادها .

- يتم تنظيم منطقة المسجد الرئيسي بالمخطط بحيث يكون مركزا تلقى عنده الانشطة الثقافية والاجتماعية والتجارية . مع تكثيف هذه الاستعمالات حوله أو على الطرق المؤدية اليه .

- تحديد الطرق الرئيسية الموصلة الى المسجد وتحويل المرور السريع عنها مع توسعة ارضيتها وتنسيقها لاستقطاب الانشطة على طول المحاور الرئيسية الموصلة الى المسجد .

- الاعلان عن نظام البناء الجديد على المكاتب المعمارية وذلك للاطلاع ومراجعة الاجهزة البلدية في كل هذه التفاصيل .

القواعد التنظيمية للمنطقة الخامسة

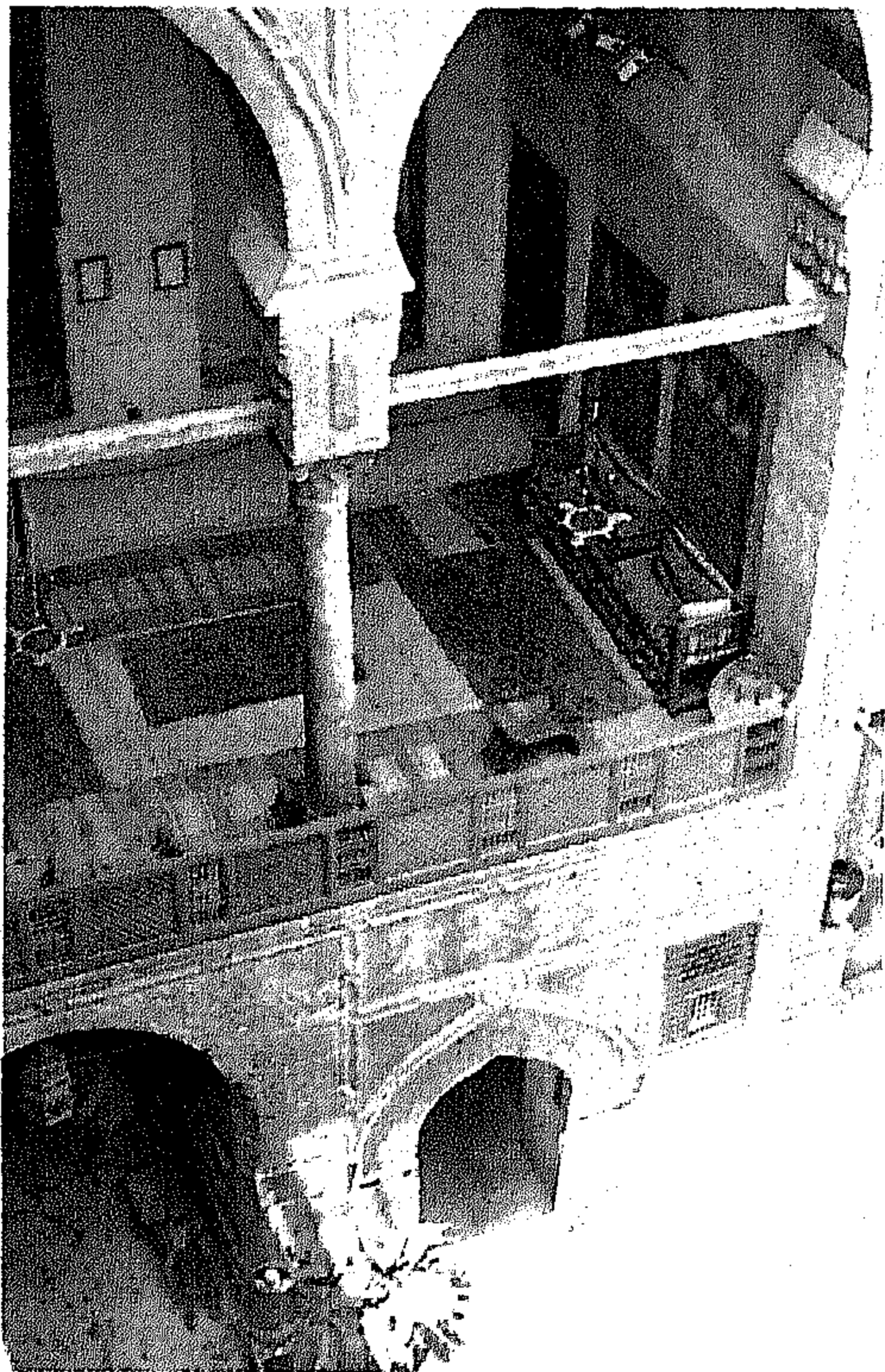
ويمكن اجمال القواعد التنظيمية لتخطيط الاحياء السكنية في المناطق التي لم يتم تخطيطها أو تقسيمها . وذلك على الوجه التالي :-

- تحديد قسبة الحي حيث يتركز على طول النشاط التجاري والاداري وعند منطقة ساحة المسجد ومايرتبط بالمسجد من أنشطة ثقافية واجتماعية بحيث يخضع بناء القسبة الى تشكيل معماري وحجم بنائي محدد ملزم لاصحاب الأراضي على جانبيه . أو قد تقوم به الهيئات العامة بحيث تكون نسبة الحجم البنائي على جانبي القسبة أعلى نسبة في الحي .

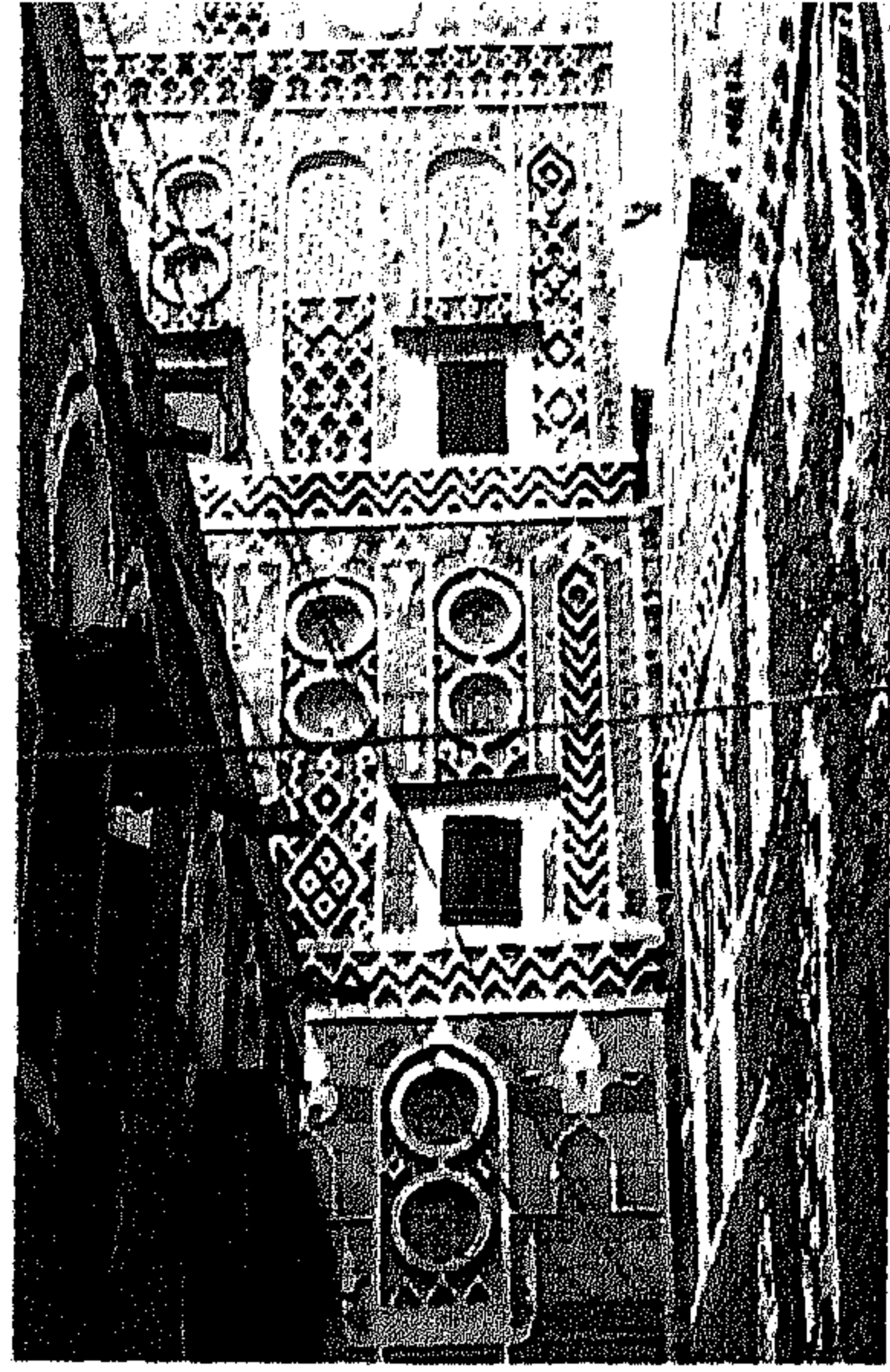
- تحدد على جانبي القسبة مجموعات سكنية كبيرة على افنية عامة بينهما يتحدد فيها حجمها البنائي وملاحمها المعمارية يلتزم بها أصحاب الأراضي لهذه المجموعات .

- تقسيم المناطق على جانبي المجموعات السكنية الكبيرة الى قطع تزيد مساحتها وتقل نسبة حجمها البنائي كلما اتجهت الى خارج المنطقة السكنية وتخضع الى نفس القواعد التنظيمية التي تهدف الى تجميع الفراغات الى الداخل وليس الى الخارج كفواصل فضاء من المباني . وتترك الحرية لاصحاب هذه القطع لاختيار مايناسب مستواهم الحضاري والثقافي من قيم معمارية مع تقديم الاسس الفنية للوصول بعمارة هذه القطع الى الحد المقبول سواء من ناحية التصميم أو اللون أو الارتفاع .

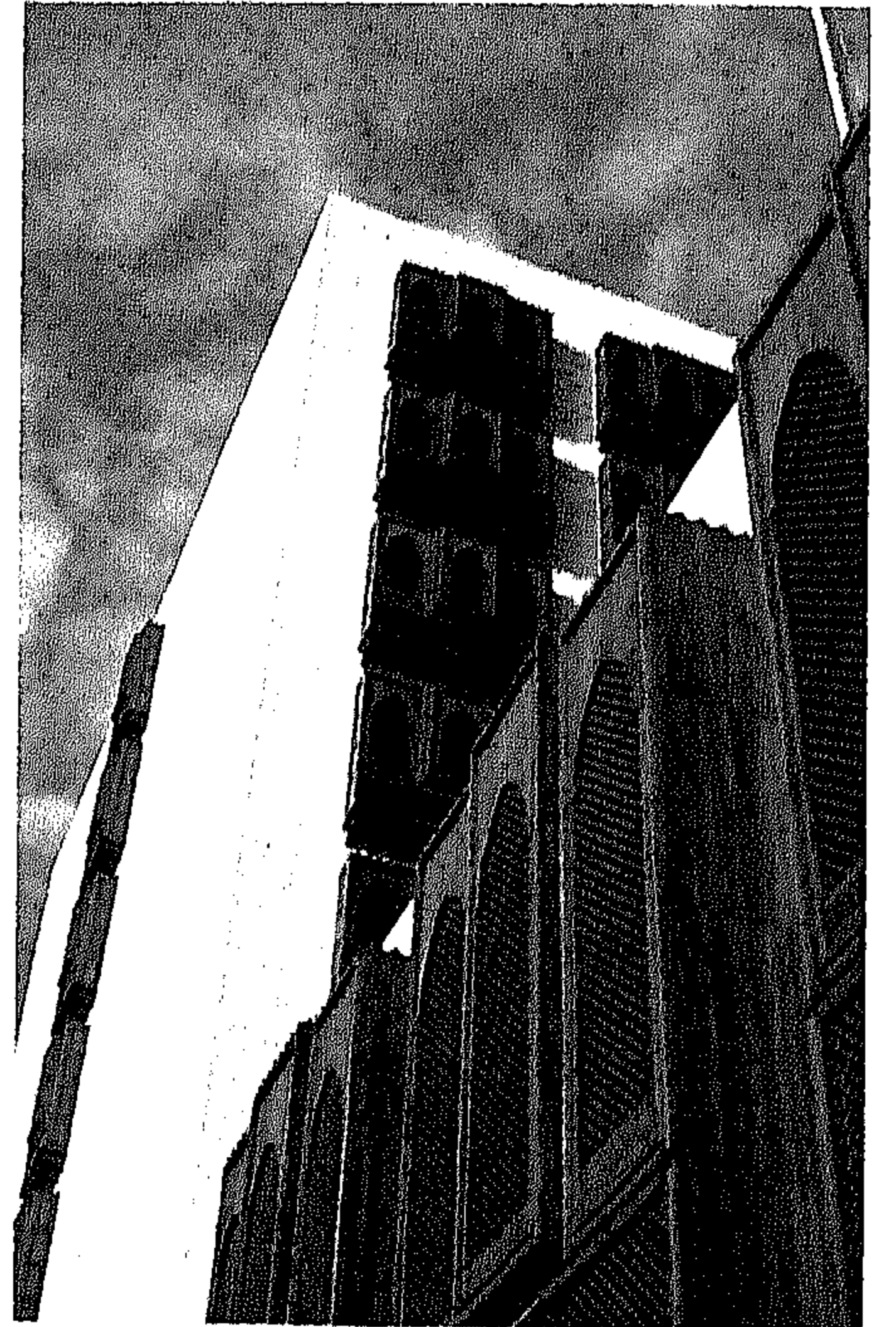
- وضع أسس تنسيق طريق المشاة على طول قسبة الحي أو على طول شرايين المشاة التي تصب فيه وتربط الاجزاء المختلفة من الحي .



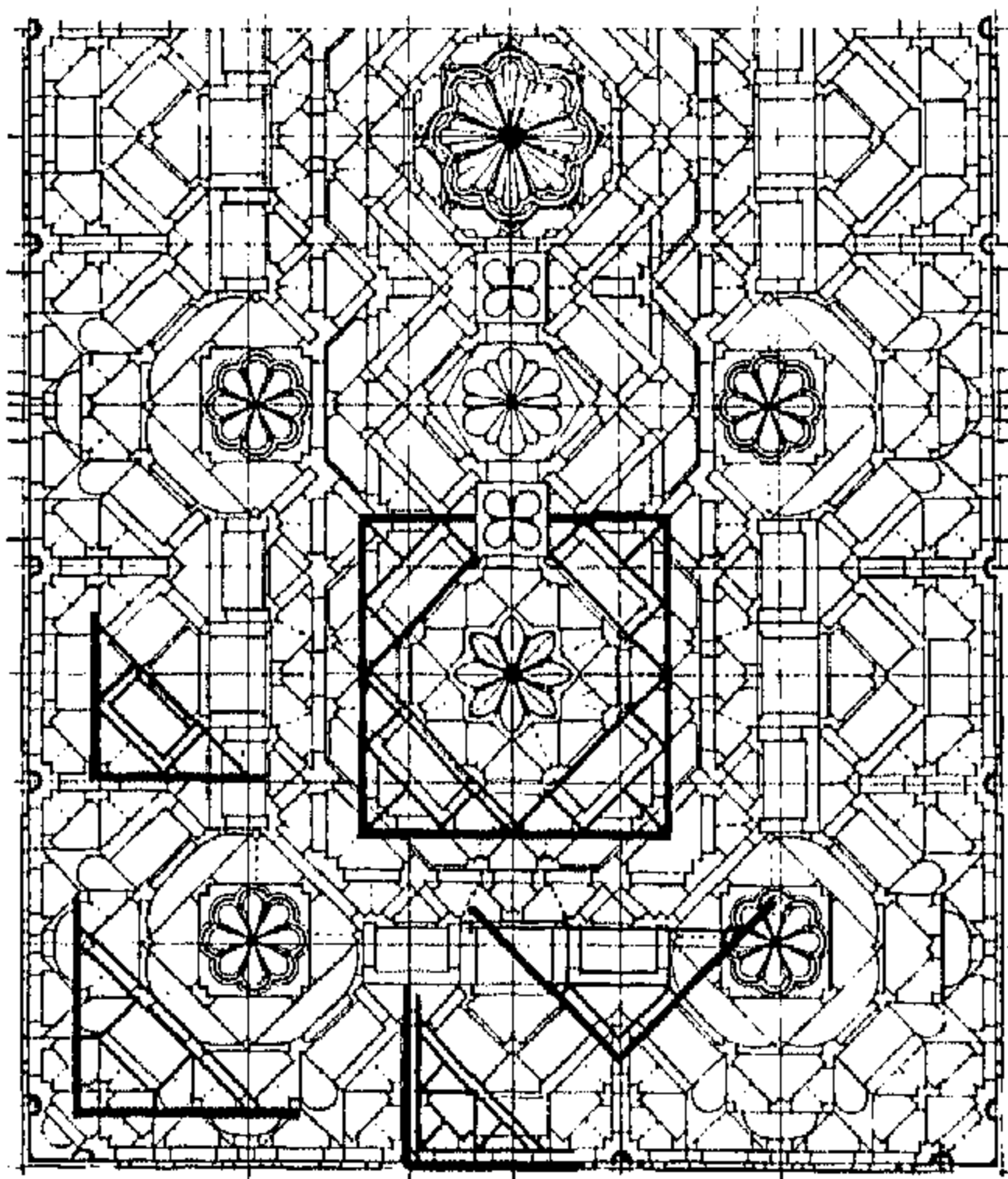
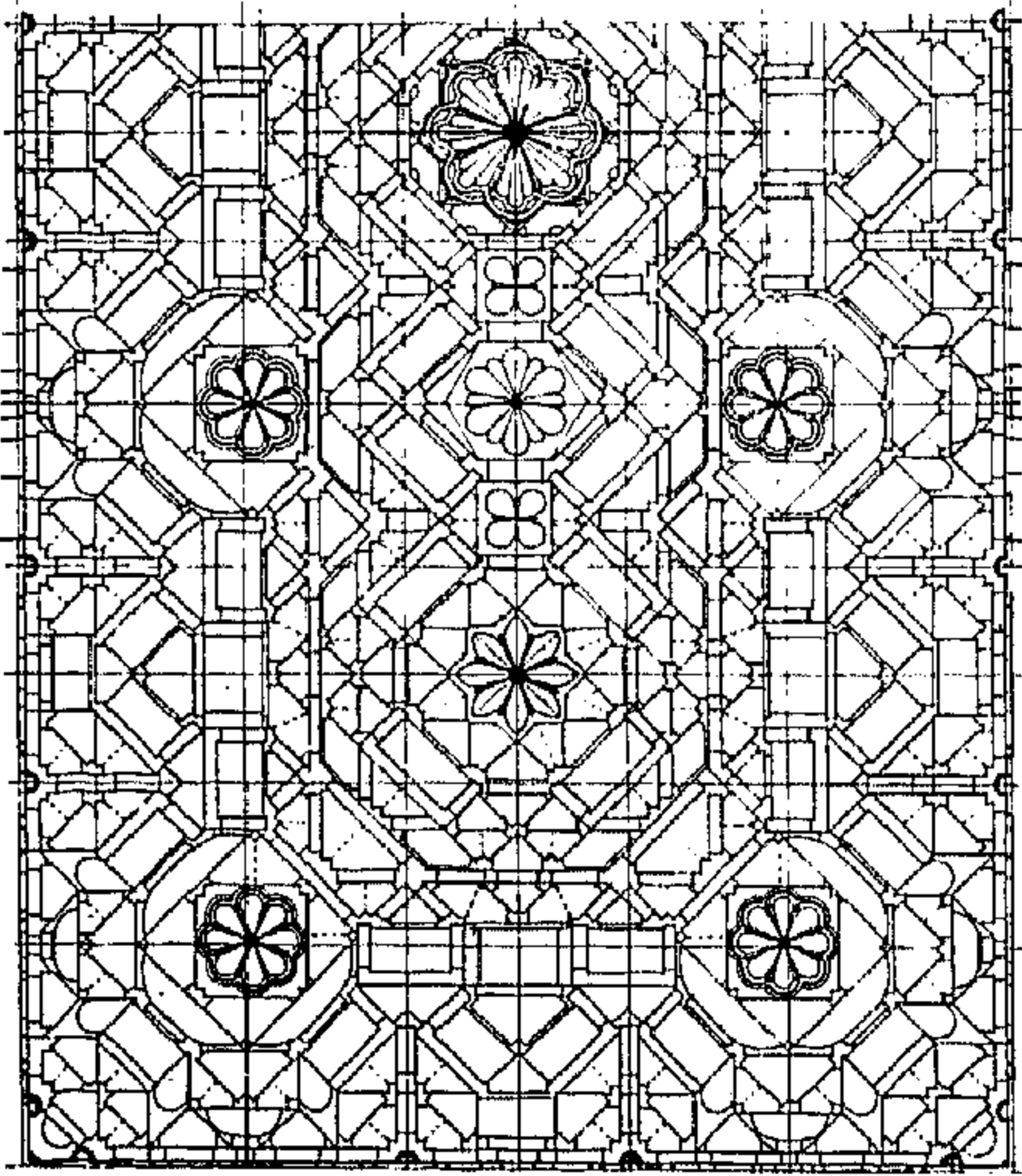
١٤٣ الفناء - بيت الكرتيلية - القاهرة



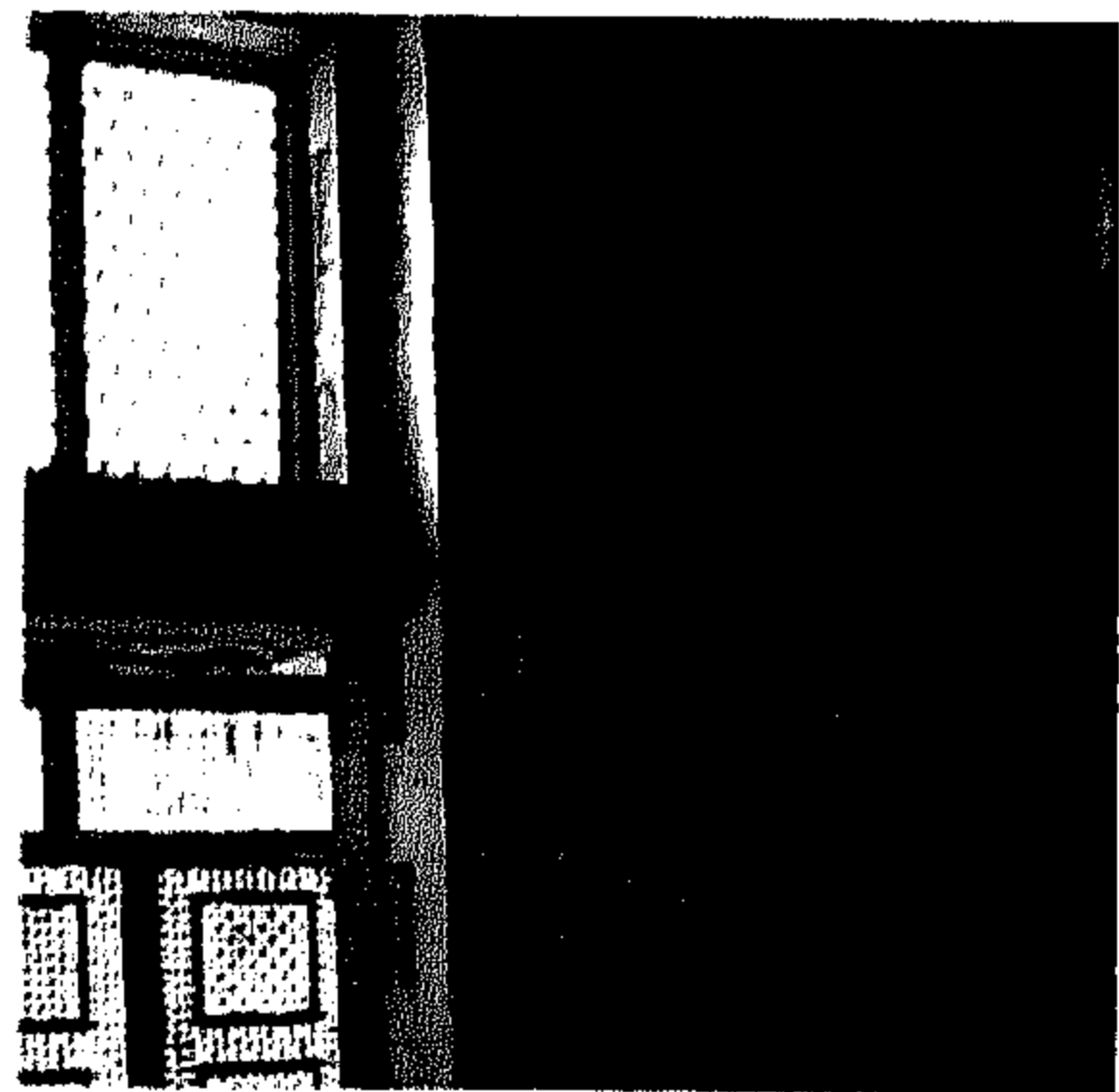
١٤٠ صنعاء



١٤١ رواشين حديثة - جدة



١٤٤ زخارف هندسية من القرويين



١٤٢ مشربية - بيت الكرتيلية
القاهرة

دور الأجهزة والهيئات في وضع التنظيمات التخطيطية والمعمارية :

من مقدمة هذا البحث يمكن تحديد الجهات المسئولة عن القيام بوضع التنظيمات التخطيطية والمعمارية للمدن العربية حتى تسترد شخصيتها الحضارية التي كادت تفقدتها واذا كان العمل في هذا المجال يحتاج الى التخصصات العالية المتمرسه فان التنسيق بين الجهات المعنية أمر لابد من أن تطلع به جهة محددة . وقد تكون المعهد العربي لانماء المدن - بالتعاون مع مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية الذي يصدر المجلة المتخصصة (عالم البناء) والملحق بها النشرة العلمية للمركز تحت اسم (الموثل) فمجال النشر والتوعية امر بالغ الاهمية حتى تصل الرسالة الحضارية الى كل الجهات وكل المسؤولين وكل المهتمين وكل المتخصصين في هذا المجال . وهذا مايفتقده العمل المنظم في مجال انماء المدن العربية والاسلامية على حد سواء .

وللجامعات وكليات التخطيط والعمارة دورها الطبيعي في هذا العمل المنظم الامر الذي يستدعى التنسيق معها عن طريق جهة محددة ولتكن معهد انماء المدن العربية حيث يمكن ان تصب فيه كل المنجزات العلمية للجامعات والكليات والمعاهد العلمية تبعا للبرنامج العلمى الذى يقره المعهد بالاتفاق معها .

الخلاصة :

اننا نحاول من هذه الرسالة أن نوجه العمل المنظم بحيث يحقق القرارات والتوصيات المتلاحقة التى صدرت عن الندوات والمؤتمرات السابقة .

اننا نحاول هنا أن ننقل الاقتراحات والآراء الى خطط للتنفيذ تتحدد فيه الاهداف والوسائل والاجهزة التى يمكن أن تتولى التنفيذ .

اننا نحاول أن ننقل النظرية الى الواقع والله ولى التوفيق .

- تركيز النشاط التجارى والادارى والثقافى والاجتماعى على طول قصبه الحى مع زيادة الكثافات السكنية على طول القصبه وتقل في المجموعات السكنية ثم في القسامم بعد ذلك .

- توجيه حركة المرور حول الحى مع خدمة اجزائه المختلفة عن طريق الشوارع الفرعية الرادة أو المقفلة النهاية مع توفير أماكن انتظار السيارات على الجانبين الخارجيين لقصبه الحى .

- توزيع المناطق المفتوحة على طول المحور المتعامد على القصبه والذى يضم المدارس بانواعها مع المراكز المحلية الفرعية التى تخدم الاقسام الرئيسية للحى . وذلك بالإضافة الى الحزام الاخضر الذى يفصل الطريق الدائرى للحى عن المناطق السكنية داخله .

- تحديد الملامح المعمارية للقصبه أو للمجموعات السكنية الكبيرة والقواعد التصميمية للقسامم بما يتناسب مع طبيعة الحى والمنطقة مناخيا وثقافيا واجتماعيا وذلك حتى يتلاءم التكوين المعمارى للحى مع البيئة المحلية التى تميزه .

وسائل التنظيم والتطبيق :

مع وضع اسس القواعد التنظيمية للمناطق المختلفة من المدينة . يمكن تطويرها تفصيلا بما يتناسب مع كل مدينة بحيث توضع هذه القواعد في صيغة ملزمة يمكن تطبيقها بحيث تسندها القرارات التنفيذية من الجهات الرسمية . تتحدد فيها البنود المختلفة التى توضح بالتفصيل القواعد التنظيمية لكل منطقة . وفى هذا اعادة كاملة لصياغة اللوائح التنظيمية السائدة . الامر الذى يحتاج الى خبرات كبيرة متمرسه على هذا العمل وفى نفس الوقت ملتزمة بالقيم الاسلامية فى التخطيط والعمارة والى ان تم هذه المراجعة الكاملة يمكن ان تصدر القرارات الانتقالية التى تحد من تأثير اللوائح السائدة وتمهد لتطبيق اللوائح الجديدة بعد اعادة صياغتها وتقومها عمليا .

ولاتقتصر هذه الوسائل التنظيمية على اصدار القرارات الانتقالية أو القرارات التنظيمية الجديدة . ولكن لابد من العمل على اصدار الكتيبات الارشادية الموضحة بالكلمة والرسم والصورة وبأسلوب سهل واضح للطرق العلمية والتطبيقية الجديدة بحيث يكون لكل منطقة كتيبها الارشادى الخاص . وهذا العمل العلمى ضرورى لتوجيه العاملين في مجال التنمية العمرانية في المدن العربية سواء من ابناء هذه المدن أو من خارجها بالإضافة الى ما تتضمنه هذه الكتيبات من شروح توضيحية مبسطة للخصائص التخطيطية والمعمارية والبيئية السائدة في كل مدينة بحيث تكون مرجعا للدراسات أو منبعا للتطوير والتأصيل وهنا تدخل الخصائص المميزة لكل مدينة عاملا هاما لتأكيد الشخصية الحضارية المميزة لها .

وهذا جانب من جوانب العمل الموازى لتحقيق فعالية القرارات التنظيمية والتطبيقية الجديدة .

أسس المعالجة العمرانية للمدن العربية من واقع المشاكل القائمة

عمر شوقي كتحدا

مقدمة :

للموضوع نظرة شمولية ونحاول تحديد الاسس والسبل لحل تلك المشاكل ضمن مفهوم الاحياء والحضارة العربية الاسلامية في جميع المراحل وان تتبع جميع الاسس والوسائل الكفيلة بذلك .

أسس تطوير النمو العمراني :

وفيما يلي أهم الأسس والوسائل لمعالجة وتطوير النمو العمراني في المدن العربية والتي تلخص في مجموعة خطوات عملية على المدى القريب لمعالجة المشاكل العاجلة كما تتضمن رؤية فكرية لما يتحتم علينا عمله على المدى البعيد .

التحليل وهو الاخذ بعين الاعتبار ظروف كل مشكلة وتحليل عناصرها وتحديد العوائق وازاحتها مع تركيز الاهتمام على الدراسة الاجتماعية والاقتصادية خلال استنباط الدراسة العمرانية والاخذ بعين الاعتبار ظروف وملايسات كل مشكلة على حده . ومن ثم تنفيذ الحلول بالسرعة القصوى .

مسح المناطق ورصد اشكال النمو العمراني عن طريق التصوير الجوي : حيث انه يكون مفيدا جدا ان نسجل اشكال النمو الفعلي عن طريق التصوير الجوي لاحصاء كيفية وشكل هذا النمو العمراني ومقارنته مع الأرقام المتوقعة اضافة الى اعتماده كمرجع يستدعى عند اللزوم للاستفادة منه في حل ظواهر النمو المتعددة في المستقبل . كما ان الخرائط المساحية التفصيلية لا بد منها ايضا لاعداد المخططات العمرانية للمناطق الحضرية والقروية العامة والتفصيلية للمدن .

التسيق العمراني والاقتصادي والاجتماعي : ويتحقق التنسيق بارتباط الخطط العمرانية بالخطط الاقتصادية والاجتماعية على مستوى القطر والامة بحيث تتكامل احتياجات ومنتجات الدول العربية مع بعضها ضمن اطار التنسيق التخطيطي الذي يخدم مصالح العرب والمسلمين ويكون ذلك ممكنا عن طريق :

- القيام باحصاء عام ومسح شامل لكل المعطيات والمكونات الرئيسية لعملية تخطيط المدن والتي تعتمد على جمع وتنسيق وتبويب الحقائق الاساسية المتعلقة بالعوامل البشرية والاقتصادية والمناخية وتكوين النواة الرئيسية التي تجمع هذه المعلومات أو التي يكون لها دور كبير في القيام بالتخطيط الشامل للمنطقة العربية .

تعيش مدننا العربية حاليا مشاكل نمو عمراني متعددة تكمن اسبابها بصورة رئيسية في الهجرة من الازياف الى المدن والتزايد السكاني فمثلا كان التعداد السكاني^(١) في مدينة الكويت ٦٠٪ من جملة سكان الكويت عام ١٩٥٠م ثم ارتفعت النسبة الى ٨٨٪ في عام ١٩٧٥م ومن المتوقع أن تصل الى ٩٥٪ في عام ٢٠٠٠ . ومن الاسباب المهمة الاخرى هو ظهور الثروات المفاجئة أو ازدياد الفعاليات الاقتصادية مثلما حدث في السعودية عندما قفزت عائدات البترول عام ١٩٤٩م وتم انشاء كثير من المشروعات الصناعية كمعامل تكرير البترول ومحطات الضخ وغيرها بالاضافة الى ظهور العديد من المشاريع العمرانية التي شملت انشاء المستوطنات السكنية ومشروعات الخدمات الاساسية وشبكات الطرق والمرافق والمطارات . ثم تلا ذلك الهجرة بصورة مكثفة وسريعة الى هذه المنطقة سواء من داخل المملكة أو من خارجها وذلك بسبب توافر فرص العمل المتنوعة في شتى المجالات مما دفع بقرية الدمام سابقا الى تحولها لمدينة الدمام حاليا حيث اصبح عدد سكانها ١٢٧٨٠٠ نسمة في عام ١٩٧٤م بعد أن كان ٤٠٠٠ نسمة .

لقد حدثت تلك التغييرات بشكل مفاجيء ودون ان يكون لها ترتيبات مسبقة من النواحي التخطيطية على الاصعدة العمرانية والاقتصادية والاجتماعية وقد أدى هذا الى ارتفاع كبير في الكثافة السكانية تجاوز مقدرة معظم المدن العربية والاسلامية على استيعابها ، وخلق خللا في التوازن بين التنمية والتطوير الاجتماعي للمدن العربية بالسرعة نفسها والدرجة ذاتها التي تم فيها نمو المدن العربية والاسلامية ، وانعكست نتائج اختلال التوازن وعدم التوافق على النواحي العمرانية على هيئة مشاكل اجتماعية واقتصادية وعمرانية ساهم في استفحالها عدم تمكن شبكات المرافق العامة من أن تفي بحاجات الزيادة السكنية وتبعها مشكلات المياه وشبكات المجارى والهاتف علاوة على عدم قدرة وسائل النقل والمواصلات على مقابلة الزيادة السكانية .

والآن لنقف وقفة استدرار وتأمل لنحدد فيها كيف كانت مدننا القديمة وماهى مقوماتها ، واين نحن الآن من جميع تلك المقومات للمدينة الاسلامية وكيف اختفت تلك الروح العذبة وتلاشت في خضم العصر الحديث الذي تكاثرت فيه المشاكل العمرانية . لا بد لنا من أن نبادر الى حل تلك المشكلات ولا بد لنا ايضا بل انه من الضرورة بمكان ان ننظر

تقرير مجلس الوحدة الاقتصادية - الامانة العامة عن بعض مشكلات المستوطنات العربية والعالمية ومتابعة توصيات مؤتمر الامم المتحدة للمستوطنات البشرية .

- مشاركة الكفاءات العربية والتي تتم عن طريق الاحتكاك بالخبرات العملية واكتساب المهارات الأجنبية أثناء قيام تلك الخبرات الأجنبية بعمل المشروعات التخطيطية والتصميمية والتنفيذية .

اعداد الخطط الرئيسية التنفيذية : وذلك بدمج اهداف ومرامي الخطط العمرانية للمناطق المتفرقة تحت برنامج تطوير شامل وضمن اطار الخطط الاقتصادية والاجتماعية للمدينة عن طريق تحويل المخطط الرئيسى الى مخطط رئيسى تنفيذى يتم التحديد والتفصيل بدقة اكثر وتوضيح اكبر للاماكن التى ستطبق عليها مشروعات الخطط المعتمدة على ان يراعى فيه التكيف مع الظروف المتغيرة واكسابه القدرة على امتصاص التغيير الطارىء وذلك ضمن حدود الكفاءة الشاملة للمخطط الرئيسى . وهذا يسهل ايضا عملية التنسيق واعداد المتطلبات العمرانية للمناطق والقرى فى خطط التنمية القادمة بشكل مسبق ليتمكن الاجهزة الاقتصادية والاجتماعية من مناقشتها وادماجها فى برامجها .

استعمال التقنية المعاصرة : بما لاشك فيه ان استعمال التقنية لابد منه لكل عمل ناجح فى عصرنا الحالى ولكن مايجب علينا الانتباه اليه عند استعمال التقنية هو عدم استعمال التقنية بالشكل الذى يخالف مفاهيمنا وافكارنا واحساسنا الخاص بمكونات وعناصر المدينة ، والحفاظ على الاساليب والطرز المتلائمة مع بيئتنا وتطوير أو تطوير التقنية لتخدم مصالحنا ومبادئنا .

التقبل الاجتماعى : ان عدم الرجوع للناس المعنيين بالمشكلة وتلمس مدى تقبلهم اجتماعيا للحلول العمرانية المقترحة يخلق كثيرا من المشاكل والمضاعفات التى تكمن فى هدر الوقت والجهد والمال دون الاستفادة من تطبيق الحلول ودون ان تكون هذه الحلول القدرة على حل المشاكل بالمستوى المطلوب .

تدعيم التخطيط الريفي : بما ان الهجرة من القرى والارياف الى المناطق الحضرية والمدن هى من أولى المشاكل الهامة التى تعانها مدننا الحالية . لابد من القيام بالتخطيط الريفي ودمجه مع الخطط العمرانية والاقتصادية من اجل تحسين البيئة الزراعية وذلك لا يكون الا بجعل مناخ الحياة الريفية ملائما للانتاج فى القرى والارياف والذى يضمن لنا ان يبقى ابن القرية فى مكانه دائما على التحصيل والانتاج .

عدم حصر المشروعات العمرانية والسلطات على العواصم والمدن الكبرى : ويتم ذلك عن طريق توزيع السلطات والصلاحيات على الوحدات الادارية المحلية المنبثقة عن الحكومة المركزية وتطبيق مبدأ تحقيق اللامركزية لما له من ميزات من تسهيل ملاحقة ومعالجة الامور واستدراكها اولا باول وما يتمتع به هذا الاسلوب من فرض التعايش مع واقع المشاريع ورصد تطوراتها على حيز الوجود وعلى صعيد الواقع .

استعمالات الأراضي : الاهتمام بتحديد استعمالات الأراضي فى المدن واعادة التنسيق بينها لتجيب على المتطلبات العصرية مع المحافظة وتأكيد الشخصية للمدينة العربية الاسلامية عن طريق اكتساب مقوماتها الرئيسية الالهية اللازمة وخلق البيئة المناسبة اذا لايعقل ان نسمح بقيام ابنية عالية الارتفاع مثلا امام أى مبنى تاريخى أو امام أى اثر يحمل معنى من معانى التراث بل على العكس يجب ان نفتش عن هذه المكونات الموجودة فى المدينة الحالية وان ندعمها ونعطيها حقها مع الاحترام .

الاخذ بمبادئ فصل الحركة : كالفصل بين حركة المشاة وحركة السيارات وذلك كمحاولة للحد وتخفيف الاثار السلبية التى يولدها استعمال الآلة على خصائص وميزات المدينة العربية ولنا فى المدن القديمة افضل مثال فلقد فقدنا فى الوقت الحاضر شعور الخصوصية فى السكن والتي كانت تتمتع بها المدن الاسلامية ، وتحولت الشوارع التى تتدرج فى الاتساع ومساحات الظل والنور وتعطى الانسان حقه من الهدوء والامان الى شوارع عريضة فسيحة تكتظ بالسيارات رغم كبرها وتعانى مشاكل المرور للمركبات والبشر بأن واحد . ان حل مثل هذه المشاكل لا يتم الا عن طريق فصل حركة المشاة عن حركة السيارات ما امكن .

التعاون بين مختلف القطاعات الحكومية والتنسيق فيما بينها : ويظهر ذلك ضروريا جدا من اجل اعطاء الأولويات للمشاريع ومن ثم التنسيق والربط بين جهود الهيئات الحكومية المشاركة فى المواضيع التخطيطية وذلك من اجل ضمان فعالية التخطيط ونتاجيته وتخفيف العبء الكبير الملقى على عاتق الاجهزة المحلية فى البلديات وعلى المواطنين على السواء . كما يساعد وجود مثل هذا التعاون والتنسيق على التحضير المسبق للمشروعات التى هى فى حيز الدراسة ويقوم بالتنسيق فى اهمال المشاريع القائمة وخاصة العاجلة منها .

التغلب على العوائق المادية : وضع البرامج الاقتصادية للتغلب على العجز المادى الذى كثيرا ما يقف عقبة فى سبيل تنفيذ الخطط العمرانية أو حتى احيانا امام استحداث مثل تلك الخطط . ولايم التغلب على ذلك الا بخلق المشروعات المنتجة والتى تتيح فرصة العمل وتحسن من مستوى الدخل القومى ، وقد يكون من المفيد جدا اشراك السكان فى العمل ومساهماتهم فى حل المشاكل بواسطة جهودهم الشخصية وتبرعاتهم فهذا يخفف قليلا من العبء المادى على كاهل بعض الحكومات غير القادرة على سد جميع حاجات ومتطلبات النمو للمدينة ، كما انه لايمكن ان ننسى مدى تأثير تعاون الحكومات العربية ودوره فى خلق التكامل العربى والاسلامى .

تشجيع انتاج وتصنيع المعدات الحديثة المتطورة : وهذا هو أهم ما نحتاج اليه فى مدننا العربية اذ أننا نحتاج الى منتجات نقوم نحن بتصنيعها بعد بلوغنا مرحلة القدرة على الانتاج الصناعى وان وجود مثل هذه الانواع من التصنيع يجعلنا فى موقع استقلال صناعى ويجرنا من الاستغلال الناشئ عن حاجتنا الى استيراد تلك المواد من الدول المصنعة ناهيك عن الهدر الاقتصادى وعدم ملاءمة كثير من الآلات والمعدات لشروط وبيئة بلادنا ومآخذته من مضاعفات غير مرغوب فيها على مستوى البلاد العربية .

التطوير التعليمى : الاهتمام بتطوير وتحسين الجامعات والمعاهد التى تعد المهندسين والمخططين العرب المتخصصين فى الدراسات المعمارية والتخطيطية ، واحداث المعاهد الجديدة والمراكز التدريبية وتبئة جميع وسائل العصر الحديثة من اجل تطويرهم وتحسين مستوى تفكيرهم ورفع مقدراتهم المهنية وكذلك الاعتناء بوسائل تحسين البيئة عن طريق دراسة المساكن القديمة واعادة ترميمها ورغم ان بعض البلاد العربية مثل السعودية مثلا قد استحدثت بعض هذه المعاهد الا انه لاتزال الحاجة موجودة فى كل البلاد العربية لتحسين هذه المعاهد أو احداثها فى بعض الدول الاخرى . وانه لمن الضرورة بمكان ان يدرس الطلاب مواد هندسية

وتخطيطية لها علاقة بالتراث تشرح فيها نظريات العمارة الاسلامية والمدن العربية الى جانب النظريات الاخرى لتخطيط المدن والعمارة .

استعمال المواد المحلية وتطويرها : وهذه نقطة مهمة في جانبيين رئيسيين اولهما توفير القطع الاجنبي المعروف من اجل استيراد المواد غير المحلية وثانيهما ان في كثير من الاحيان تكون هذه المواد لها قدرات على معالجة البيئة اكثر من المواد المستوردة وعلى الاقل فان الناس يفهمونها ويحسون استعمالها ، وانه اذا ما جرى مسح ودراسة لهذه المواد المحلية واعيد النظر في تركيباتها وتحسين نوعيتها فانه بلاشك ستكون لهذه المواد قدرة فائقة على حل مشكلات البيئة والمناخ مع المحافظة على روح التراث .

حصر الآثار والمعالم التاريخية: القيام بعملية تحديد وحصر للآثار والمعالم التاريخية الموجودة في مدننا العربية واصلاح ما يلزمه منها من اصلاح وترميم ، والبحث عن الآثار والتراث الذي خلفه الاولون ودراسته وتحليله وهذا يستدعى بالطبع تشكيل جهاز فني قادر على حمل المسؤولية والقيام بواجباته من خلال فهمه وادراكه وتجهيزه بالمستوى اللائق لاداء هذا العمل .

تقويم المعايير التخطيطية والانظمة العمرانية : يجب ان تنسجم المعايير والانظمة في مجموعة قواعد وقوانين وتنظيمات تقوم على مبادئ رئيسية اساسية نابعة من الواقع والبيئة و متمشية مع العصر وان تكون لها القدرة على التعديل والتطوير فتتلاءم مع الاحتياجات وطبيعة النمو العمراني والتطور . فليس من المعقول منطقياً ان نقبل استمرار العمل بنظام عمراني تم وضعه منذ عدة سنوات حيث كانت المعطيات مختلفة بدون تعديله واجراء بعض التغييرات عليه أو تغييره نهائياً . ان ايجاد الانظمة العمرانية والمعايير التخطيطية هو حجر الاساس الذي لا بد منه .

تشبيد المدن الجديدة :

ان تشبيد المدن الجديدة هو الحل الذي يمكن تطبيق اقصى مبادئ المثالية للمدينة الاسلامية العربية التي تستمد روحها من تقاليدنا وعاداتنا وتكتسب فيها المسحة العمرانية صفة الارتباط بالأصل ومثالية الحل المبني على الدراسة الوافية المستفيضة والتي تغطي جمع النواحي والجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية المختلفة والتي تندرج تحت مخططات التنمية والتطويرات ذات الامد البعيد والتي لها القدرة على استيعاب وامتصاص كافة الزيادات والتوسع بشكل يمكن ضبطه ومبرمج له مسبقاً وحيث يتم فيه التخلص من المفاجئات والمشاكل غير المتوقعة ما أمكن ذلك اليه سبيلاً والتي نعاني منها في مدننا الحالية في الوقت الراهن .

ولاستكمال شروط النجاح لهذه المدن يترتب ان يقوم بتخطيطها وتنفيذها العرب المسلمون ما أمكن ذلك والوضع المثالي هو ان لا يكون فيها أي تدخل للخبرات الاجنبية واليد العاملة الغربية . ولكننا لانستطيع ان نصل لذلك في الوقت الحاضر ولذلك جل مانستطيعه هو الاسراع في اكتساب المعرفة والخبرات للحد من دور الخبرات الاجنبية على أمل الاستغناء عنها في يوم من الايام حين نصبح قادرين على ذلك ، وان هذا القول ليس من قبيل الكراهية للشعوب الاخرى بل على العكس فهو من قبيل الاعتراف بتقدمها

علينا في هذا العصر وشعورنا بضرورة العمل للحاق بها وتخطيطها وقطع الشوط الاكبر في عملية البناء والتطور في سباق الامم والشعوب لاحتراز المكتسبات والانتصارات العلمية على الدروب الانسانية .

وان للوقت الذي سنتشأ فيه هذه المدن ومدى توغل الاجهزة والخبرات فيه والمستوى الذي نكون قد وصلنا اليه في ذلك الوقت دور كبير في تحديد النتيجة لشكل ومضمون هذه المدن الجديدة .

كما ان مدى انسجام هذه المدن مع مدننا الحالية قد يكون معضلة نظراً للتشويش الذي تعيش به ظروف النمو في مدننا الحالية ، مما يشير بشكل واضح الى ضرورة ازالة العوائق وحل المشكلات الحالية القائمة في المرتبة الأولى عن طريق تحسين المدن الحالية في سبيل تسهيل خلق الانسجام بينها وبين المدن الجديدة كى نمزج مدننا العربية ضمن وحدة متكاملة من النسق العمراني البديع المستكمل لجميع نواحي الحياة في اشكال استيطانية وبشرية مدروسة .

التقييس وأهميته في الحفاظ على طابع وشخصية العمران ومواد البناء في المدينة العربية

مختار محمد الشيباني

مقدمة :

واتفقنا جميعا على أن يكون التطور امتدادا لاهدما وان نحافظ على تراثنا الحضارى والاسلامى فى نفس الوقت الذى نتمشى فيه مع متطلبات الحضارة المعاصرة . وألا ينقل التطور بحذافيره بل يطور ليناسب بيئتنا العربية ، وظروفنا السائدة .

والتقييس أحد العناصر التى يمكن استخدامها فى توجيه الأمور هذه الوجهة وفى دفع عملية التطور وتسييرها واكساب مدننا العربية طابعا عاما يحافظ على عنصر الأصالة ، ويستجيب لمتطلبات العصر ويتمشى مع البيئة لكى ترجح الانسان العربى المسلم ، وهذا هو أسمى هدف يتطلع اليه الجميع .

ماهو التقييس :

التقييس نظام مستحدث يهدف الى تحقيق أهداف متعددة ، من بينها وضع وتحديد المواصفات القياسية للمواد والمنتجات ، وتتضمن هذه المواصفات الاشتراطات الفنية والخصائص التى يجب توافرها لكى تصبح المواد والمنتجات ملائمة لغرض استخدامها .

ومن الأهداف ذات الأهمية فى مجالنا هذا أنه يسعى الى توحيد المقاسات والأبعاد والتجاوزات الفنية والى تيسير عمليات التصميم والتخطيط . كما يدخل فيه مجموعة اخرى من الأهداف سنتطرق اليها فيما بعد .

مستويات التقييس :

على المستوى الوطنى :

تقوم هيئات التقييس الوطنية بوضع المواصفات القياسية الوطنية والتى تمثل وجهة النظر الوطنية وتعكس الاحتياجات الحقيقية التى تتواءم مع المتطلبات المحلية ، وكمثال على احدى هيئات التقييس الوطنية فانه يسعدنى أن اعطى فكرة سريعة عن الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس ، حيث أنشئت الهيئة بالمرسوم الملكى رقم م / ١٠ وتاريخ ٣ / ٣ / ١٣٩٢هـ ، والسلطة العليا فيها لمجلس الادارة برئاسة معالى وزير التجارة وعضوية اثنتى عشرة جهة حكومية . وتقوم الهيئة باصدار المواصفات القياسية فى مختلف

يرجع تاريخ معظم المدن العربية الى مابعد هجرة سيدنا محمد ﷺ ويزوغ فجر الاسلام فى القرن السادس الميلادى . وقد اكتسبت هذه المدن طابعا عاما مميزا ، ومتناغما مع البيئة فى معظم أقطار العالم العربى ، حيث تتسم فى اغلبها باعتدال جوها شتاء وميله الى الحرارة صيفا . ولقد ابدع البناء العربى خلال تاريخه الطويل فى ايجاد الحلول المتعددة للمشاكل البيئية المحيطة . ومن الممكن تميز المدينة العربية بخصائصها وطابعها عن أى مدينة أخرى ، فقد كان التناغم يسودها بدءا من المساجد والمسكن ذات الافنية الداخلية والمدارس والوكالات . وكان استخدام الملاقف فوق الأسطح لتلقى الهواء الملطف احدى الوسائل لتسخير القوانين الطبيعية فى خدمة الانسان .

ولقد ابدع البناء العربى فى استخدام خصائص المواد الطبيعية المتاحة لديه استخداما جيدا ، فاستخدام الطين والطوب المصنوع منه كوسيلة من وسائل العزل الحرارى .

وكانت الشوارع الضيقة ببواكيتها المعروفة وسيلة جيدة للوقاية من الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء .

ولقد عاش الانسان العربى طيلة فترة ازدهار الحضارة الاسلامية فى تناغم مع مدينته ومفتخرا بها ومعتزا بطابعها .

الوضع الراهن فى المدن العربية :

وظلت هذه الصورة سائدة حتى بدأ تأثير الحضارات الغربية المعاصرة ، وزاد تأثير هذه الحضارات فى الوقت الذى بدأ فيه العالم العربى يتجه الى النمو السريع .

وتتم عمليات التنمية فى قطاع التشييد والبناء بواسطة مصممين متأثرين كثيرا بالحضارة المعاصرة وأنماطها التى تتناسب مع الوسائل المتاحة ، وبدأت كل مدرسة تحاول فرض اتجاهها ، وبدأت المدن العربية تنمو نموا متنافرا غير متناغم ، حيث ظهرت الاحياء الجديدة التى أخذت تفرض نفسها شيئا فشيئا على الأحياء القديمة ذات الطابع المتناغم ، وأخذت الأنماط التى وضعت اصلا لتناسب الأجواء الباردة تنتقل كما هى بحذافيرها الى المدن العربية . وبدأت الكتل الخرسانية التى لا طابع لها فى الانتشار ، وتعددت المواد المستعملة فى البناء وكثير منها غريب على المصمم العربى ، واختلط الحابل بالنابل .. وبدأنا نعانى فى مدننا من تعدد الأنماط وتنافرها .

المحلية ويعمل كذلك على تزويد المصانع بأساليب الرقابة على جودة الانتاج وتطبيق نظم الجودة عليها مثل شهادات المطابقة وعلامات الجودة ومن أهم أهدافه في هذا المجال توحيد المواصفات والامتاط السائدة في الانتاج بين مختلف المصانع . ويعمل كذلك في مجال الاستيراد على ترشيد الاختيار بين المواد المعروضة ووضع الاسس والمواصفات التي تحدد مايناسب البند فيها .

التقييس والمهندسون الاستشاريون :

يقوم المهندسون الاستشاريون والمصممون باعداد التصميمات والاحتياجات والمواصفات لمختلف انواع المشروعات ومن المفترض ان تتفق هذه المواصفات وتعد على ضوء المواصفات القياسية الوطنية للمواد وعلى ضوء مايصدر من اشتراطات للتنفيذ وأسس التصميم .

التقييس والمنفذون :

يعتبر التقييس بالنسبة لهم وسيلة فعالة لترشيد التنفيذ واختيار الاساليب المناسبة . ويجنبهم الوقوع في اخطاء تخل به وغالبا ماتكون مكلفة ، كما يقدم لهم مواصفات المواد التي تتناسب مع العينة السائدة واشتراطات التنفيذ التي تضمن سلامة وحسن أدائه .

التقييس والعمال :

يعمل التقييس على اشتراط ظروف العمل المناسبة والتي تكفل للعامل السلامة ، كما يرشد العمال الى الطرق الصحيحة التي يجب ان يتبعوها عند التنفيذ ويرفع من مستوى وعيهم ، ويعرفهم بالاساليب المناسبة لما يقومون به من اعمال .

التقييس والمستخدمون أو المستفيدون من المباني :

يعمل التقييس على حمايتهم من الوقوع في شراء مواد غير مناسبة أو غير جيدة ، كما يمكنهم من ايجاد عناصر موثوق فيها تجعلهم مطمئنين على التصميمات التي تعرض عليهم ، وفوق ذلك فانه يحقق لهم السلامة ويضمن الاقتصاد سواء على المستوى الفردي أو المستوى العام .

التقييس في قطاع التشييد ومواد البناء :

كما عرضنا سريعا ، فان للتقييس تأثيراته على كل المستويات ، بدءا من أصغر وحدة حتى مستوى العالم ، واذا ما استخدم بمهارة فانه يمكن ان يؤثر في الاتجاه المطلوب . وفي مجالنا هذا فانه يمكن استخدام التقييس في عدة مجالات من بينها ترشيد اختيار المواد الملائمة للبيئة العربية ، بعد أن تعددت المواد ، واصبح المستهلك على غير علم بكثير من خصائص واستعمالات الجديد منها وذلك عن طريق توجيه المواصفات القياسية الوطنية بما يخدم هذا الهدف .

القطاعات ومن بينها بطبيعة الحال التشييد ومواد البناء . وتحصر الهيئة على ان تشارك جميع الجهات المعنية ذات العلاقة بقطاع التشييد في أعمالها . وقد أنشأت الهيئة قسما خاصا للتشييد ومواد البناء وهو القسم الذي اشراف برئاسته . وقد انكب منذ نشأته على معالجة المواضيع المتعلقة بالتشييد من عدة زوايا ، فالقسم يركز على وضع المواصفات القياسية السعودية في مجال مواد البناء من جانب ، ويعالج مشاكل التنمية في الصناعة الوطنية ويعمل على احكام الرقابة على السلع المستوردة من الجانب الآخر ، وفي نفس الوقت يعمل على تحديد الشروط والظروف التي يجب مراعاتها أثناء التنفيذ . وهي مهمة على جانب كبير من الأهمية خاصة بالنسبة لموضوع هذه الندوة .

على المستوى العربي :

الدول العربية هي السبابة الى التنسيق في جميع المجالات ومنها مجال التقييس ، حيث أنشأت في عام ١٩٦٨م المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والتي تشارك في عضويتها جميع الهيئات المعنية بالتقييس في العالم العربي ومن بينها الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس .

على مستوى العالم الاسلامي :

ان تشكيل هيئة للتقييس على مستوى العالم الاسلامي من المطالب الهامة التي نرجو ان تتحقق في القريب العاجل نظرا لما تقوم به الدول الاسلامية من تنسيق في المجالات الاقتصادية والسياسية وغيرها .

على المستوى العالمي :

اتجهت دول العالم الى التوحيد القياسي والى التنسيق في مجال المواصفات والمقاييس حيث أنشأت المنظمة الدولية للتقييس (ISO) والتي بدأت في مزاولة اعمالها في عام ١٩٤٦م . وتشارك في اعمالها هيئات التقييس الوطنية لكل دولة . وقد شاركت فيها الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس ، وكللت مشاركتها بانتخابها عضوا في مجلس ادارتها للفترة الحالية (١٩٧٩ - ١٩٨١) . وللمنظمة الدولية نشاط واسع في مجال التشييد ومواد البناء حيث شكلت اكثر من ٥٠ لجنة فنية دولية لوضع مواصفات دولية في هذا المجال وتم اعتماد مايزيد على ٧٠٠ مواصفة .

المستويات التي يعمل فيها التقييس في مجال البناء :

من الملاحظ ان التقييس في قطاع التشييد يعمل على مستويات متعددة وهي :

التقييس والمصنعون أو الموردون :

يؤثر التقييس ويتأثر بظروف الصناعة الوطنية ويعمل على تحديد مستويات الانتاج وتطويرها والحفاظ عليها وعلى تشجيع الالتزام بها واستخدام الموارد

كما يمكن أيضا إصدار اسس عامة لتوجيه التخطيط الاقليمي على مستوى المدينة وعلى مستوى القطر ، بحيث يمكن ان تكون عملية تطور المدينة العربية محكومة بالاطار العام الذي يكسبها الشخصية ويجعلها تابعة من التراث ، وفي نفس الوقت متمشية مع ظروف البيئة ومستجيبة لمتطلبات العصر .

ومثل هذه العملية ، لا تكون فعالة اذا تمت على مستوى ضيق ، ويجب أن تتم على النطاق الاقليمي العربي بوجه عام ، وفي هذا الصدد فاننا ندعو المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ومنظمة المدن العربية الى فتح هذا الملف الحيوي ، والى دعوة الهيئات الوطنية للتقييس في طريق الوطن العربي ، والجهات المتخصصة كجمعيات المهندسين والجهات المسؤولة عن الاشغال والاسكان والجهات المسؤولة عن انتاج أو استخدام مواد البناء والتشييد الى الادلاء بدلوها في هذه القضية الهامة ، التي طالما اقضت مضاجع المخلصين التواقين الى الوصول الى المعادلة الصحيحة التي تطور الحاضر العربي كامتداد لماضيه المشرق وتصل في نهاية الامر الى مدن عربية تجمع بين الاصاله والمعاصرة وتريح انسان العصر ، وفي نفس الوقت تثير فيه الفخر والاعتزاز بطابعه المميز وحضارته العريقة .

واذا كانت الجهود الرسمية تحتاج الى وقت وجهد . فاننا نوجه الدعوة الى المخططين والمصممين ، الذين يمكن ان تكون استجابتهم اسرع وجهودهم اوضح في الاسهام بهذه المهمة ، والتفاعل البناء مع اجهزة التقييس الوطنية ، ومع الجهات المسؤولة عن الاشغال العامة والاسكان والالتزام بالمواصفات القياسية ، والاشتراطات العامة التي تصدرها مثل هذه الجهات وتقديم وجهات النظر البناءة التي يمكن ان تقود البلاد للوصول الى تحقيق هذه الاهداف .

ترشيد استخدام المواد ، عن طريق اصدار مواصفات واشتراطات للاستخدام والتنفيذ . وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى أن كثيرا من المواد الجيدة المطابقة للمواصفات القياسية تتعرض للتلف أو لا تحقق اهدافها على الوجه الاكمل اذا ماتعرضت لظروف سيئة عند الاستخدام أو التنفيذ ، فالاسمنت المطابق للمواصفات لا يؤدي غرضه اذا ماتعرض لاملاح في الأرض أو في الماء تؤدي الى تبطىء أو تعجيل زمن الشك عن الوقت المرغوب فيه ، وقد تؤدي بعض المواد الى ايقاف الشك نهائيا . وهكذا .

دراسة ظروف البيئة في البلاد العربية وتوجيه المواصفات واشتراطات وأسس التصميم والتنفيذ بحيث تتمشى مع هذه الظروف وتجدر الاشارة الى ان دراسات البيئة مازالت دون المستوى في معظم البلاد العربية وقد واجهت الهيئة هذه المشكلة عندما بدأت في التفكير في وضع أسس التصميم والتنفيذ للخرسانة العادية المسلحة ، وغيرها ، فقد كان أحد العوامل الرئيسية التي تسببت في بطء سير هذه العملية عدم توافر الدراسات المتكاملة حول ظروف البيئة في مختلف مناطق المملكة .

لما كانت صناعة مواد البناء من الصناعات المتوطنة في كثير من البلاد العربية ، فان جهد المسئولين عن المواصفات القياسية ، والرقابة على جودة الانتاج ، يجب أن ينصب على تشجيع استخدام المواد المنتجة محليا ، وتطوير استخداماتها ، ومساعدتها على تطوير نفسها بحيث تتواءم مع الظروف والمتطلبات المعاصرة .

كما يمكن للتقييس ان يسهم في ايجاد طابع وشخصية للمدينة العربية عن طريق اصدار اشتراطات عامة للاسس التي يجب مراعاتها عند اعداد اسس التصميم للمباني ، بحيث توفر هذه الاسس المتطلبات الاساسية ، التي تتواءم مع البيئة ، كما تحكم اشكال وتصميمات هذه المباني أطر عامة متناسقة تسودها الروح العربية .

دور تكنولوجيا الكمبيوتر في تخطيط المدن

سعيد يوسف أمين

مقدمة :

والتنفيذ . لم يكن من الممكن تحليل وتقويم مثل هذه الكميات الهائلة من المعلومات اللازمة بدقة وبسرعة لولا ان تم ايجاد وسائل بالغة التعقيد لادخال المعلومات .

في طور التصميم مثلا ادخلت تكنولوجيا الكمبيوتر من خلال كمبيوترات عالية التخصص وسائل لمراقبة الوثائق والرسوم ومراجعتها ومراقبة لوائح المرافق والممتلكات بالاضافة الى امكانيات اخرى كالتحكم في العمليات الصناعية مما يؤدي الى توفير في الوقت واليد العاملة يقود الى حلول اقتصادية أفضل والى تصاميم ادعى الى الاطمئنان .

ومن المزايا الاخرى لتكنولوجيا الكمبيوتر المساعدة في اطوار التخطيط امكانياته في المحاكاة والنقد والتنبؤ .. تلك الامكانيات التي تسمح بتجريب معايير التصميم والافتراضات كما انها تقدم نظرة للمستقبل على اساس حقائق اليوم .

واسمحوا لي الآن ان اشرح باختصار من تكنولوجيا الكمبيوتر التي توافرت لمخططي المدن الحديثة . بسبب تعدد واختلاف مستويات المعلومات في هذا المجال كما ذكرنا سابقا يتم اختزان وادارة المعلومات بطريقة تسهل استرجاعها وتداولها ولاكتفى بتوفير المعلومات ولا بتأمين قاعدة صحيحة لها تصمم للاحتياجات الحالية بل ينبغي التطرق في الوقت نفسه الى المرونة المستقبلية .

كان المبدأ الاساسي والجوهري لقواعد المعطيات هو حفظ كل المعلومات في صيغتها التجريبية مع تحقيق كل علاقاتها المادية وكان من الصعب تحقيق هذه المهمة بالسرعة والمردود المتوفرين حاليا في احدث آلات ومناهج الكمبيوتر . ولذا فقد عدل المفهوم على اساس تحقيق قواعد المعطيات ضمن ثلاثة مستويات هي :

- المعلومات التشغيلية : وهي المعلومات التفصيلية الاساسية التي تؤلف قاعدة لاعمال الجمع والربط والتحليل .. وقد يحتاج نموذج التخطيط الى عدد من عينات المعلومات السريعة بالاضافة الى عدد كبير من التحليل الاحصائية وهي تضم مثلا :

.. عدد السيارات العاملة في المدينة مصنفة حسب الحجم واستهلاك الوقود والصنع وتاريخه .. وعدد شهادات سائقي السيارات الموزعة سنويا لافراد كل جنسية .. والابنية التي يجب الحفاظ عليها .

- المعلومات الوظيفية للمنطقة : على هذا المستوى تجمع وتفحص المعلومات حول قطاعات عامة كالنقل واستعمال الأرض والاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية وكلف البناء .

عبر سنين قليلة تطورت تكنولوجيا الكمبيوتر بسرعة مذهلة فبلغت به آفاقا لم يكن من قبل ليبلغها حتى الخيال . فلو اصاب صناعة السيارات خلال تلك المدة ما اصابته صناعة الكمبيوتر من تطور لاصبحت كلفة سيارة الرولزرايس الآن عشرة ريالات فقط ولهبط استهلاكها من الوقود الى لتر واحد لكل ٤٠ كيلومترا ولو لم تتعرض البرجة لزيادة التكاليف واصابتها من تدنيها ما اصاب المعدات التي ارتقت من الصمامات الالكترونية الى الترانزستورات الى الدارات المتكاملة ثم الى فقاعات الذاكرة المغناطيسية لاصبحت الفروق اجل واعظم

نمت تكنولوجيا المنهجة مع نمو تكنولوجيا الكمبيوتر ، ويرى في كل مؤسسة اناس غرباء يحاولون استخدام الكمبيوتر في مجالات جديدة ولايتيسر ذلك بغير المنهجة التي تعنى معاملة المعلومات لتمثيلها تمثيلا قابلا للفهم من قبلنا نحن الناس العاديين .

تتألف الكمبيوترات من ثلاثة اقسام رئيسية : اجهزة ادخال المعلومات وأجهزة اخراج المعلومات واجهزة المعالجة التي توصلنا الى الغاية المنشودة من الكمبيوتر ، قد تسمعون موظفيكم يتحدثون عن الذاكرة والاسطوانات واشرطة التسجيل ووحدة المعالجة المركزية وانبوب الاشعة المهبطية والطابعات والقارئات وغير ذلك من الادوات فلا يقلقكم ضخامة هذه الكلمات وتعددتها لانها كلها تدخل في اطار الاقسام الرئيسية أى تعنى جميعا وسائل متباينة لادخال واخراج المعلومات ثم معالجتها أو حفظها .

تقدم الانواع الجديدة من الكمبيوتر امكانيات مثيرة في مختلف المجالات المالية والاقتصادية والعلمية والعسكرية والهندسية ولكن حديثنا اليوم ينصب فقط على طاقاتها في تخطيط المدن . وأنى لاحذر سلفا فاقول ان بعض ماسنناقش من تطبيقات واستعمالات سيغدو قديم العهد بعد سنين قليلة نظرا لما عرفناه من التطور السريع في تكنولوجيا الكمبيوترات .

مزايا الكمبيوتر في تخطيط المدن

يبدأ تخطيط المدن بجمع الاحصاءات والمعلومات التي تتعلق بمختلف العناصر المؤثرة في التخطيط وتتضمن هذه العوامل : العوامل السكانية والاقتصادية والاجتماعية والمناخية . يتبع هذه الخطوة الطور التحليلي باختزان الكميات الكبيرة من المعلومات وتشكيلها وتقويمها قبل بدء مرحلة التصميم الفعلي . تتضمن هذه المرحلة تنسيق اعمال جميع المهندسين بمختلف فروعهم واعمالهم المعقدة كاتنتاج المخططات والتميز بين التصاميم المختلفة وتسوية التضارب بينها وحفظ الوثائق فاذا تم ذلك بدأ طور الانشاء

- معلومات استراتيجية التخطيط : ليس هذا المستوى من المعلومات الذى هو ادارة المخطط الرئيسى الذى يراقب الاتجاهات العامة اكثر من معطيات منتقاة ومستخلصة ومتداولة من معطيات المستويين السابقين فهو مصمم للاجابة على السؤال الذى يكثر طرحه ، ماذا لو ؟

ان من وظائف ادارة قواعد المعطيات بالطبع السماح للمخطط بتوجيه ومحاورة المعلومات من أى من المستويات الثلاثة التى يرغب فيها وهذا اجراء يحتاج الى نظام لادارة قواعد المعطيات ذى قدرة فعالة تسمح بالربط الحر لاجزاء صغيرة فى شبكة المعلومات . والبنيان الرئيسى لتقدم ادارة قواعد المعطيات على الرغم من اهميته الكبرى يتطلب من المخطط عناياته فى استعادة المعلومات وصياغتها وتداولها .

فى قطاع التخطيط خاصة يجب ان تظل الاختيارات متاحة مفتوحة لتلبية الطلبات غير المتوقعة التى لم تتم صياغتها بعد .. أن وظيفة مدير قواعد المعطيات ان يصمم قواعد تستجيب بفعالية للاحتياجات الحاضرة ويضع فى الوقت نفسه حجر الاساس لاحتياجات المستقبل المجهولة وهذا انتاج من التكنولوجيا له بالاضافة الى الابداع قيمة كبيرة بالنسبة للمخطط اذ يسمح له بالحصول على احكام دقيقة معتمدا على عناصر جوهرية شاملة وليس على نظرة عامة ضيقة بسبب عدم توافر جميع المعلومات الضرورية .

الكمبيوتر وانتاج الرسوم :

ولتكنولوجيا الكمبيوتر فضل كبير فى تحسين امكانيات الرسم وانتاج الرسوم . فلو اننا اخذنا ربما يحتاج انجازها يدويا لعشرين ساعة من العمل فاننا لا نحتاج فى انتاجه الا الى ساعة واحدة بالنظم الآلية . يتم الرسم والتفحيج على شاشة الكمبيوتر بطريقة انيقة ومجدية ، وينجز هذا العمل بالتفاعل مع الكمبيوتر باستخدام شاشات راسمة متخصصة وموظفين متخصصين وتكنولوجيات مختلفة منها استعمال لوائح انتقاء الرسوم الهندسية أو الاقلام الضوئية . واكثر من هذا فلقد طورت طابعات وراسمات خرائط عالية الدقة والكفاءة تعمل بالكهرباء الساكنة تستطيع استقبال المعلومات من قواعد المعطيات لرسمها دون تدخل بشرى . ولهذا النظام امكانية تغيير المقاييس آليا وامكانية الرسم الثلاثى الابعاد بالاضافة الى خطوط المناسبة ورسوم المنظور . استخدام مثل هذه التكنولوجيا يحقق وفرا ملحوظا فى الوقت واليد العاملة ويساعد على استعادة الرسوم والخرائط المختلفة ومثل ذلك :

- تعيين الاحداثيات السينية والعينية لمعلومات مختزنة كما فى خرائط مجموعة الأراضي .

- تعيين دائرة الاهتمام ، اذ يمكن الحصول على خريطة لقسم من شارع فى المدينة اذا حددنا احد تقاطعات الشارع وقطر دائرة الاهتمام .

وبالاستعانة بالكمبيوتر نستغنى عن الجهود المضنية التقليدية للمساحين ومهندسى المياه والمهندسين الكهربائيين ومهندسى المجرى وذلك بتأمين خريطة واحدة يقوم الكمبيوتر باعدادها خلال دقائق وهى تمثل شتى المعلومات المطلوبة . ان امكانية الرسم مقرونة بتخزين المعلومات تعود بفوائد اضافية هائلة فى تخطيط المدن وبالتحديد فى تصميم وصيانة نظم المرافق العامة للمدينة الجافة منها والرطبة لان الانظمة الذاتية الجديدة

تستطيع تخزين جميع المعلومات حول تقدم مرفق معين كمقاطع المجرى وتمديدات الكوابل والاعمق والفتحات فمن خلال التداول السريع والدقيق لهذه المعلومات يمكن تجنب مشاكل التداخل خلال اطوار التصميم والانشاء فى حياة المدينة .

ان استخدام طاقة الكمبيوتر للرسم قد سهل من جهة اخرى دراسة التأثيرات البيئية للابنية فى بعض العناصر الأخرى كاسلوب حركة المرور وشدة الاضاءة الشمسية وتجميل المناطق المطورة حديثا .. هذه العوامل التى لها اهمية كبرى فى أى تخطيط عمرالى .

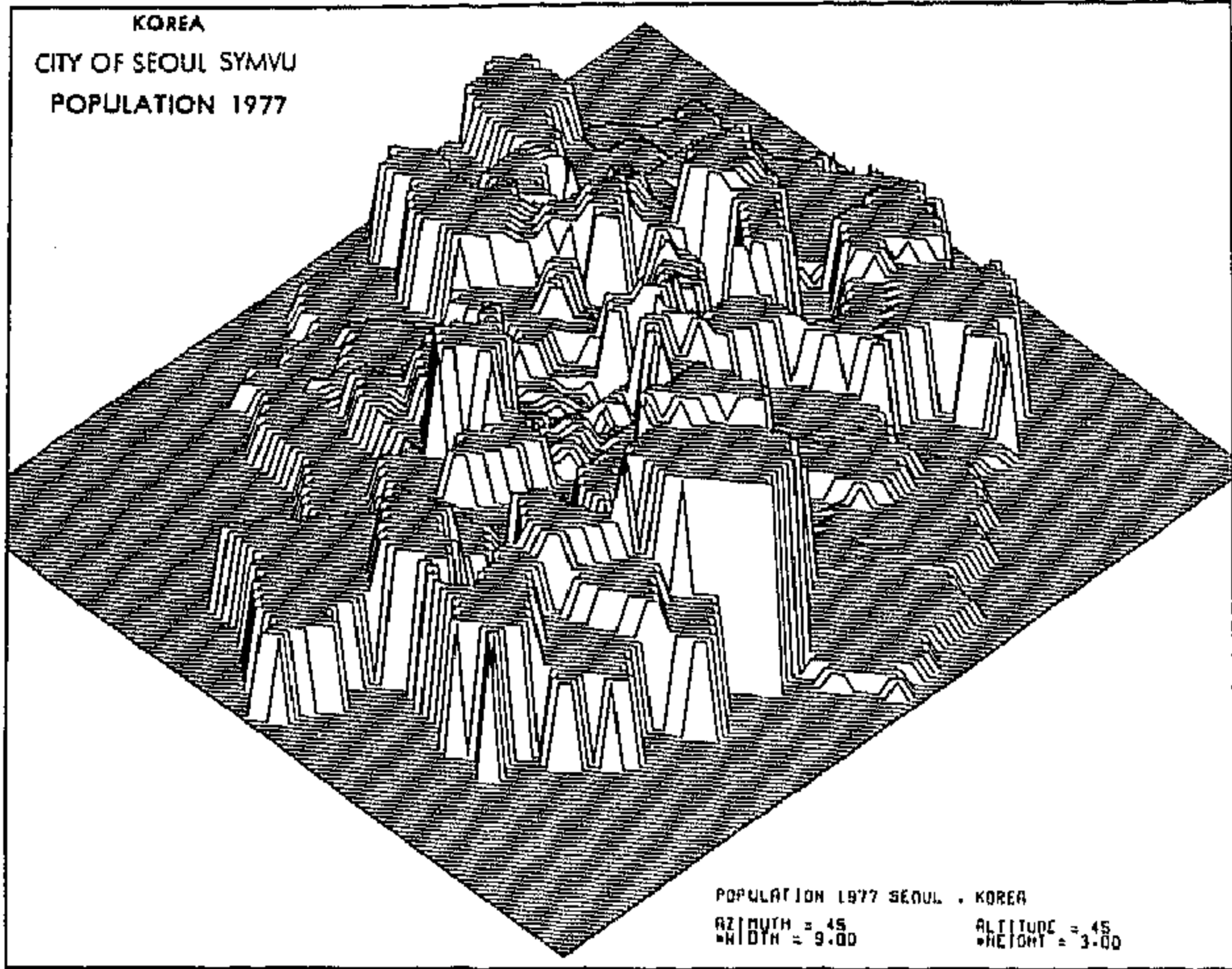
الالمام بالمعلومات التاريخية :

تتطلب عملية التخطيط ايضا الالمام بالمعلومات التاريخية واستخدامها ويتيسر ذلك عن طريق الوثائق والرسوم القيمة التى اذا لم يحسن صونها تأكلت مع مرور الزمن واصبحت فى حكم الضياع هذا عدا ما قد يصيبها من تصنيف خاطيء يعرضها لان تصبح قليلة الجدوى . لتفادى هذه المخاطر نلجأ الى الميكروفيلم والميكروفيش اللذين يزيدان زيادة كبيرة جدا فائدة تخزين واستعادة الرسوم والوثائق . يمكن الآن ان تصور أى وثيقة أو رسم على ميكروفيلم او ميكروفيش ونفهرسها لتستعاد عند اللزوم بواسطة آلة قارئة للمصغرات واكثر من هذا فاننا نستطيع الحصول على نسخ عن هذه الوثائق والرسوم باستخدام الآلات القارئة الطابعة . هذا ويمكن للمخططين أو لأى مؤسسات اخرى الحصول على مصنفات للميكروفيلم لاستعمالهم الخاصة .

هناك خطوة اكثر تقدما خطاها الكمبيوتر فى استعمال الميكروفيلم . ان السرعة الكبيرة للكمبيوتر واجهزة الاسترجاع الذاتى تمكننا من الوصول الى الوثائق التى تتضمن الرسوم ورؤيتها خلال عشر ثوان فقط بعد التعرف على هوية الوثيقة وذلك على الشاشة التى تستخدم لمعالجة المعلومات . يتم انجاز هذا العمل بالكمبيوتر بتحويل عنوان الفيش الى جهات الاسترجاع الذى يعين مكان الفيش ويتعرف عليه ويوجهه لتلقاه عدسة التصوير التى تنقل الصورة الى جهاز ذاكرة وسيط لتظهر فى النهاية على الشاشة المهبطية والصورة المرئية بهذه الطريقة ، دقيقة تحتوى ٢٠٠ نقطة فى كل انش وهى فى الغالب افضل نوعية من الوثيقة الاصلية وهذه الصورة المحسنة جدا يمكن طبعا بآلة اخرى موضوعة الى جانب مستخدم الجهاز .

يساعد الكمبيوتر المخططين فى سرعة البحث عن الوثائق والرسوم اذ يمكنهم من الحصول عليها فى زمن قصير جدا . تم فهرسة الوثائق وتصنيفها وفق كلمات مفاتيح حسب المواضيع وتحفظ بالميكروفيلم . يمكن للباحثين ايجاد الوثيقة بتعيين الموضوع أو التاريخ أو رقم الوثيقة أو وفق دلالات اخرى يمكن تحديدها بواسطة المنهجية المفهرسة واذ ذاك يسهل الحصول عليها آليا .

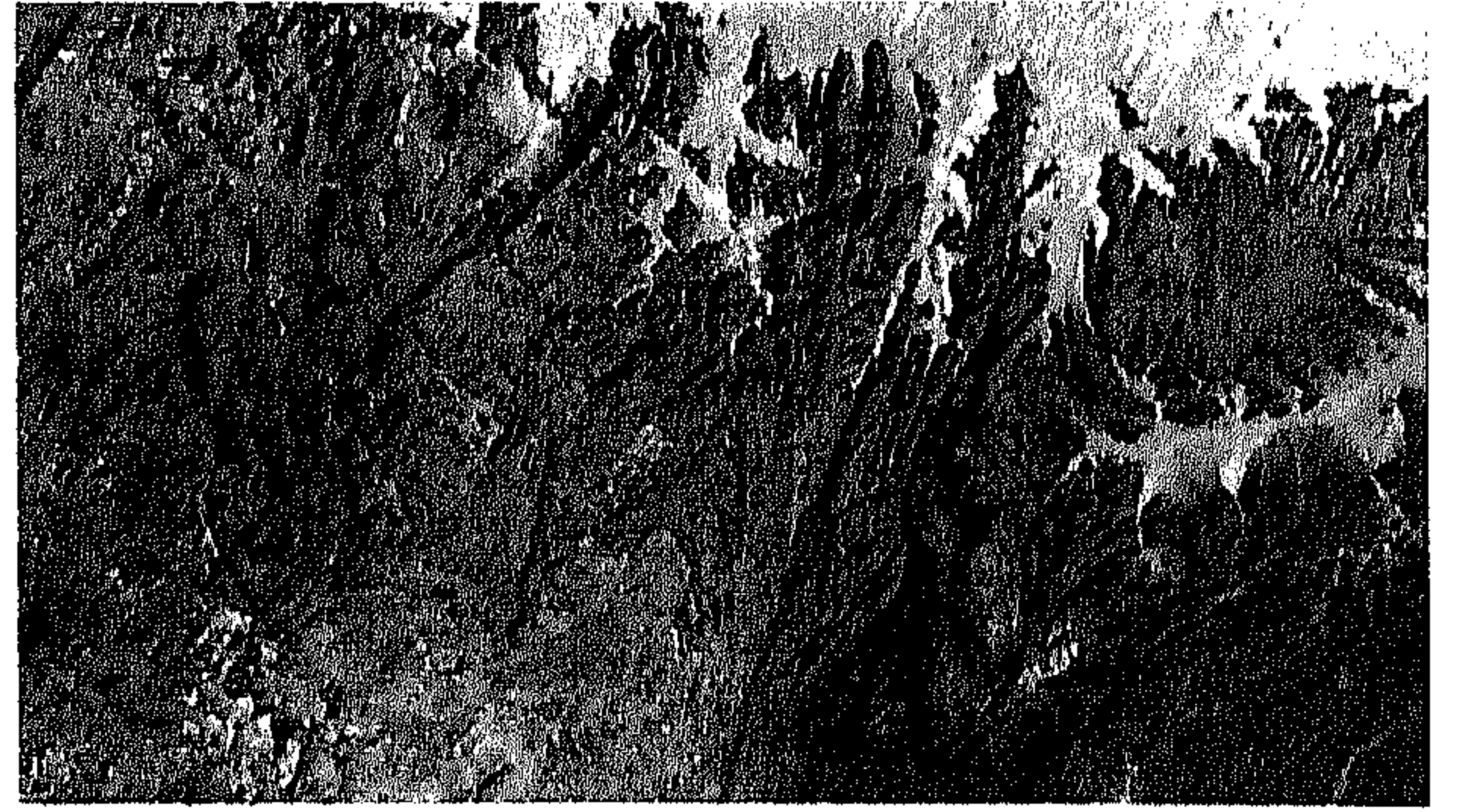
فكر فى الاوقات المهدورة التى يمضيها سكرتيرك او احد موظفيك باحثا منقبا عن خطاب من وزارة التخطيط يخص موضوعا معيننا كتب بتاريخ محدد وقارن هذا الوقت بعشر ثوان فقط تلزمك للحصول على المعلومات نفسها لتجد ان الوقت والجهد اللذين يمكن توفيرهما خلال مراحل البحث فى التخطيط لا يمكن ان تقوم بهن .



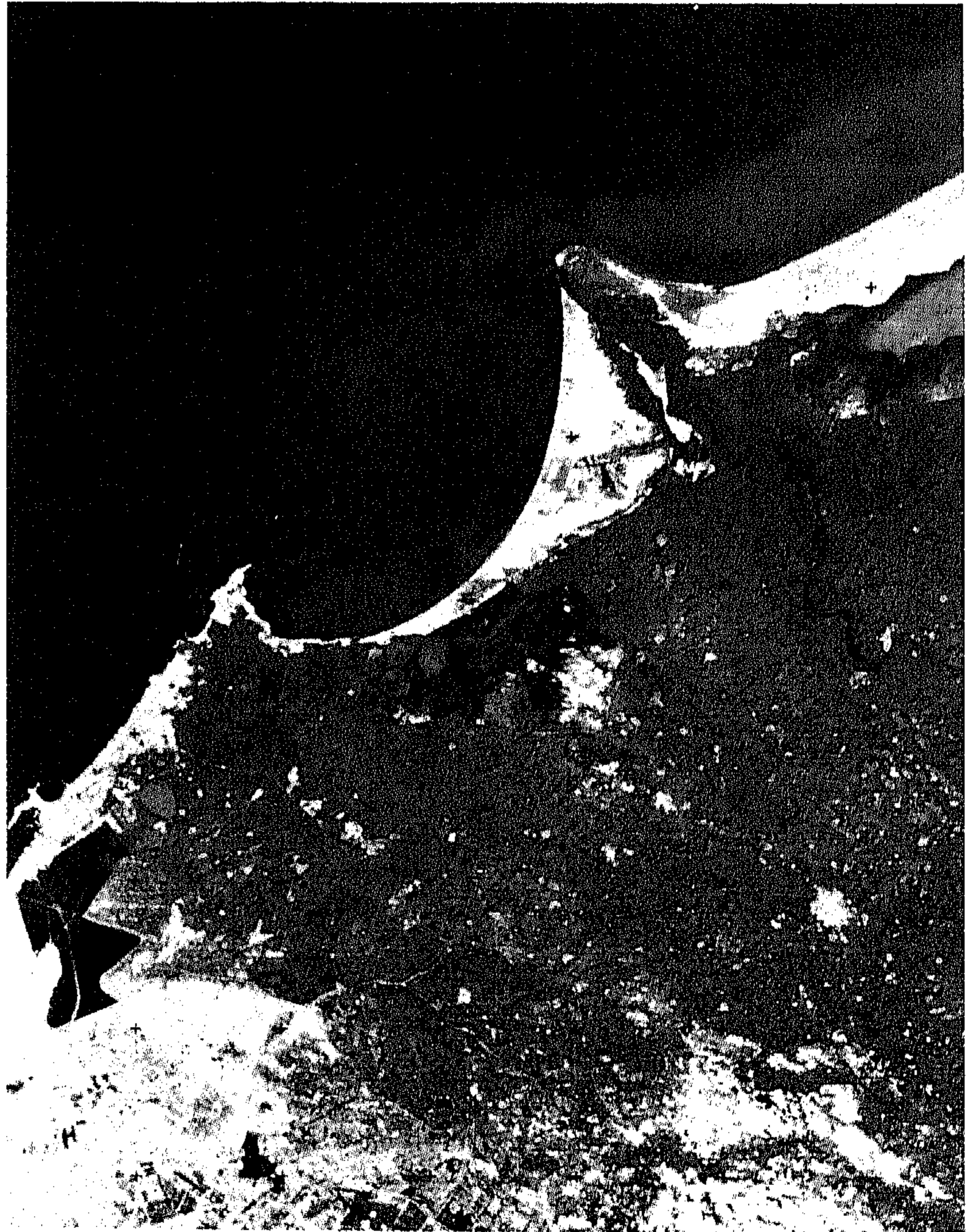
١٤٨ خريطة احصائية بيانيسة
بالكمبيوتر - مدينة
سول



١٤٥ منطقة الجزيرة بالسودان - صورة ملونة بالكمبيوتر



١٤٦ وادي بيحان باليمن - صورة
بالكمبيوتر



١٤٧ صورة منعكسة مجموعة
بالكمبيوتر للاسكندرية

وما يعث على الدهشة مستقبل استرجاع الوثائق بمصفحات الصفحات التي تستطيع أو تنقل المعلومات الى احد اقراص التسجيل بمعدل / ١٤٠٠ / صفحة في الساعة الواحدة بحيث تصبح جاهزة للرؤية مباشرة . تدفع صورة القرص الى وحدة تصوير معلومات الكمبيوتر على الميكروفيلم لمعالجتها خلال وقت مناسب ، ووحدة التصوير في الكمبيوتر تغنيها عن استخدام كاميرات اخرى يمكن استخدامها مترافقة معه . وازافة الى ذلك فان ادخال تكنولوجيا الليزر في هذه المجالات قد وسع مجالات تخزين الوثائق واسترجاعها .

ان استخدام تكنولوجيا الكمبيوتر وتكنولوجيا الاسترجاع الذاتي معا يبسط العمل ويزود عملية تخطيط المدن بمعلومات تاريخية تكون عادة مجهولة لا يمكن بلوغها ونتيجة ذلك عمل تخطيطي اكثر جودة .

فن المحاكاة والتنبؤ :

لان التخطيط هو فن التطلع لما سيحدث وخلق الظروف للانتفاع الافضل من الموارد والمساحات فان علينا استخدام تكنولوجيا الكمبيوتر لتحسين عملية التخطيط وذلك باستخدام اداتين هامتين جدا هما فن المحاكاة أو النمذجة وفن التنبؤ . بالتنبؤ يستطيع الكمبيوتر الاخبار عما سيحدث معتمدا على الفعاليات التاريخية وافتراسات المخططين حول عناصر مختلفة كمعدلات النمو والنشاط الاقتصادي والنقل كما يستطيع ان يعطينا بسرعة وبردود جيد تنبؤات مقارنة مبنية على افتراضات مختلفة واساليب للتنبؤ مختلفة كالارتداء الخطي والمعدل المتغير .. ويقودنا هذا التنبؤ الى الانتفاع من أداة اخرى هي المحاكاة .

ان نمذجة المحاكاة تعنى تمثيلا حسابيا لبعض الظواهر كشبكة النقل مثلا ونماذج المحاكاة المخططة بشكل صحيح تتيح للمخطط الحصول على اجوبة لاسئلته ماذا لو ؟ فهو يطرح السؤال ماذا يحدث لو جعل الشارع (أ) باتجاه وحيد للشمال وجعل الشارع (ب) باتجاه وحيد نحو الجنوب ، أو السؤال « ماذا ينتج لو سمحنا بزيادة الكثافة السكانية في الشطر الغربي من المدينة وبزيادة الاعمال في الشطر الشرق منها ؟ اذا وضعت هذه التحولات في النموذج تحت افتراضات متغيرة مكنت مخطط المدينة من خلال خطوط بيانية ورسوم ان يرى كيف يبدو شكل مدينة في ظروف معينة ، تظهر له اختناقات المرور والازدحام والظروف البيئية الآخذة في التردى مع عوامل اخرى . يمكن ان تكون المحاكاة من اهم الوسائل الضخمة التي يستطيع المخطط ان ينتفع بها ، ولكن جدواها تعتمد على التحليل والتنبؤات والكمبيوتر على استعداد لتأمين الاساس لذلك .

الكمبيوتر والتشغيل والادارة

يلعب انتاج وتوزيع المرافق دورا رئيسيا في تخطيط المدن فقد تم الوصول بواسطة الكمبيوترات الحديثة للمراقبة والتحكم في العمليات الى اسلوب لزيادة كفاءة تلك المرافق زيادة كبيرة كمحطات ضخ المياه والكهرباء فالكمبيوتر يضمن المراقبة التامة والتحكم في مختلف هذه المصانع مع انقاص كبير في اليد العاملة .

ولهذا فان لها دورا كبيرا في تخطيط المدن اذ تؤمن طاقة رخيصة يوثق بحسن ادائها ونتاجها وهذا ما حسن المؤشرات الاقتصادية ، وأمن للمدينة الحديثة موارد موثوق بها ، هي من ضرورات النجاح التام للمجتمعات الصناعية والتجارية .

لقد صممت انظمة التحكم الحديثة في الكمبيوتر للابقاء وبشكل ذاتي على المستويات المرغوبة لبعض المحولات التشغيلية كدرجة الحرارة والضغط والطاقة المنتجة ، كما يمكن ان تصمم ايضا للكشف وتشخيص الاعطال بل وفي بعض الحالات تصحيح الخلل الناجم عن انقطاع التيار وتعطل الاجهزة وبسرعة كبيرة ، ويمكن للكمبيوتر لا يشغل سوى غرفة لاتيديد مساحتها عن ٢٠م^٢ ان يراقب ويتحكم في اكثر من عشرة آلاف نقطة قد تكون كواشف لتحسس الحريق في منطقة ما أو متحكيمات بدرجات الحرارة لمجمع تجارى مكيف الهواء كليا أو اية مجموعة قياس لنظام كهربائي معقد في مدينة كبيرة .

والكمبيوتر اليوم وضع بين يدي مخططي المدن اداة لاتقدر بثمن لتصميم اقتصادى وفعال لانظمة الاتصال والنقل . لقد استطاع ماصمم منه لنظام التسيير الذاتي التام للشبكة الحديدية ونظام اشارات المرور ان يساهم مساهمة كبيرة في حل مشاكل الازدحام المستمرة في البلدان الحديثة حيث أوجد لما صعب منها الحلول الاقتصادية الناجمة .

بعد انتهاء مرحلة التخطيط وقرار المخططات وقبل البدء بالانشاء يهيا سجل يعرف ضمن حدود المدينة الأرض والابنية (مناطق المدارس ، المساحات ، الاسواق ، المرافق ...) ثم يعرف بصورة منفردة كل مكان ويقرر استخدامه مثال ذلك مناطق الخدمات الطبية أو مناطق خدمات الاطفاء لمجتمع سكاني . كما يتيح السجل للسلطات تخصيص اماكن الاراضى الخاصة والعامه والمخصص منها للخدمات المدنية بما يتمشى مع النوايا الاصلية لمخطط المدينة . وسندا لذلك يتضمن السجل ايضا معلومات حول كل مكان كمساحته الطابقية والمرافق المخططة والتاريخ التقديرى للانتهاء كما يمكن للسجل ايضا تعيين امكنة الهواتف العمومية وتحديد احتياجات مواضع الاشارات ومختلف المعلومات الاخرى المفيدة كما يمكن ان يساعد في تسلم الابنية المنتهية من الانشاء بصورة منتظمة .

هذه هي المهمة الادارية الجسيمة لمدينة باى حجم معقول والاستعانة بالكمبيوتر للتسجيل ستخفف من عناء هذه المهمة بل وتؤمن فوائد اضافية وذلك بالحصول من السجل على اجوبة اسئلة كثيرة مثل : « أى الامكنة متوفرة وذات مساحة طابقية اقل من ٥٠٠,٠٠٠ متر مربع وكانت قد حددت للسكن الخاص » أو « ماهى الاماكن التي خصصت لمؤسسة ما ؟ » أو « ماهى تواريخ انتهاء جميع المدارس في المدينة ؟ » ويغذى السجل بمعلومات حديثة ألعهد دوما ليعكس آخر وضع يتعلق بتخصيص المناطق وتسلم اعمال الانشاء المنتهية . وهذا السجل المركزى يمكن ان يجيب على اسئلة الاقسام المختلفة هيئة تخطيط المدينة للحصول على نظرة مشتركة للمعلومات الاحداث عهدها .

وفي مرحلة متأخرة فجميع العقود ، وعقود الايجار المتعلقة بالاماكن والاراضى يمكن ان تربط بالسجل لتؤمن الاجوبة لاسئلة اخرى مثل : « مامقدار المساحات التي تم التعاقد على تأجيرها لمؤسسة ما واين توجد ؟ » أو « أى العقود ترتبط بتنفيذ الاسواق المركزية واين توجد ؟ » وهكذا .

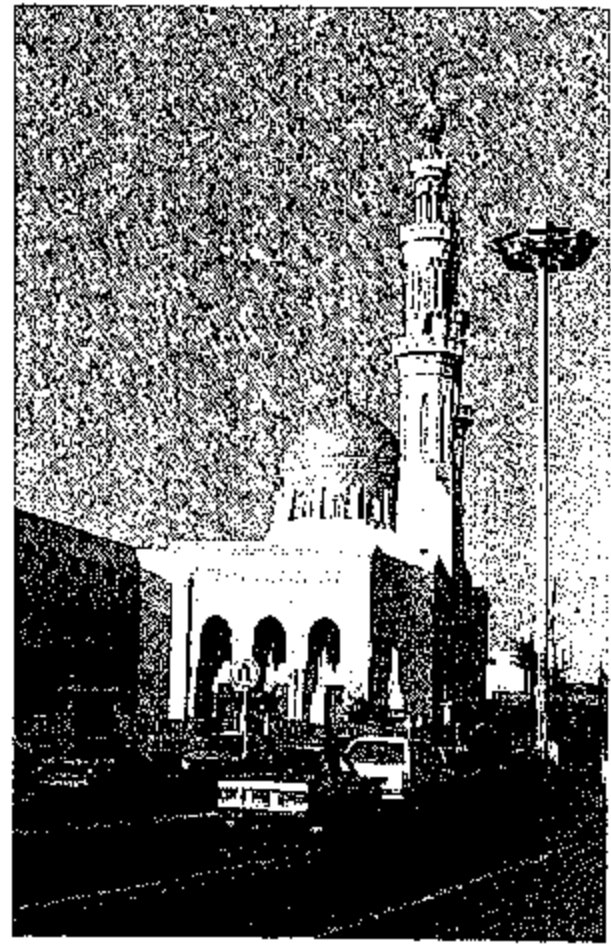
هذه لمحة موجزة فقط عن بعض الفوائد القيمة التي يستطيع الكمبيوتر تقديمها لمخططي المدن . وثمة وسائل اخرى يمكن ذكرها مثل الهندسة والحسابات وتصميم الاعمال الترابية ومراقبة الكلفة والبرجحة الزمنية للمشاريع يمكن ان تشكل مواضيع لمحاضرات اخرى في المستقبل .



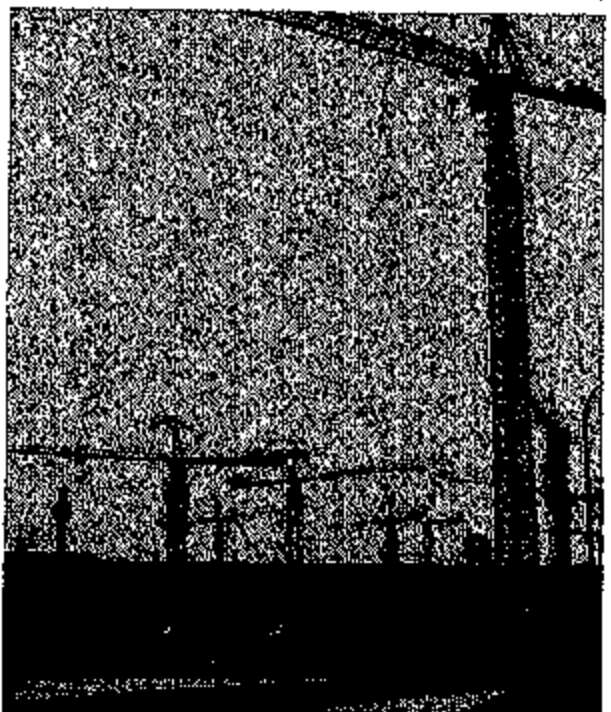
القسم الثالث التجارب والمدن الجديدة

من أهم ما اتسمت به الآونة الأخيرة في العالم العربي هي المشروعات العمرانية الضخمة . منها مدن جديدة تبنى بأسرها ، ومنها أحياء سكنية متكاملة . ولما لهذه المشروعات من أهمية ، رأينا أن نفردها تقسما خاصا يتضمن ثلاثة اتجاهات :

- أولاً : حسن مراد رضا الذي يتحدث عن تجرية المدينة المتكاملة بينع على ساحل البحر الأحمر بالمملكة العربية السعودية .
ثانياً : حمدان عبدالعزيز الحمدان الذي يناقش تجرية المدينة الصناعية المتكاملة بالجليل على ساحل الخليج العربي بالمملكة العربية السعودية .
ثالثاً : محمد فؤاد السيد الذي يستعرض أسلوب الإسكان الحديث بالجمهورية الليبية ومدى ارتباطه بواقع مجتمع الغد .



١٥٧ مسجد بطن لسن ليبيا



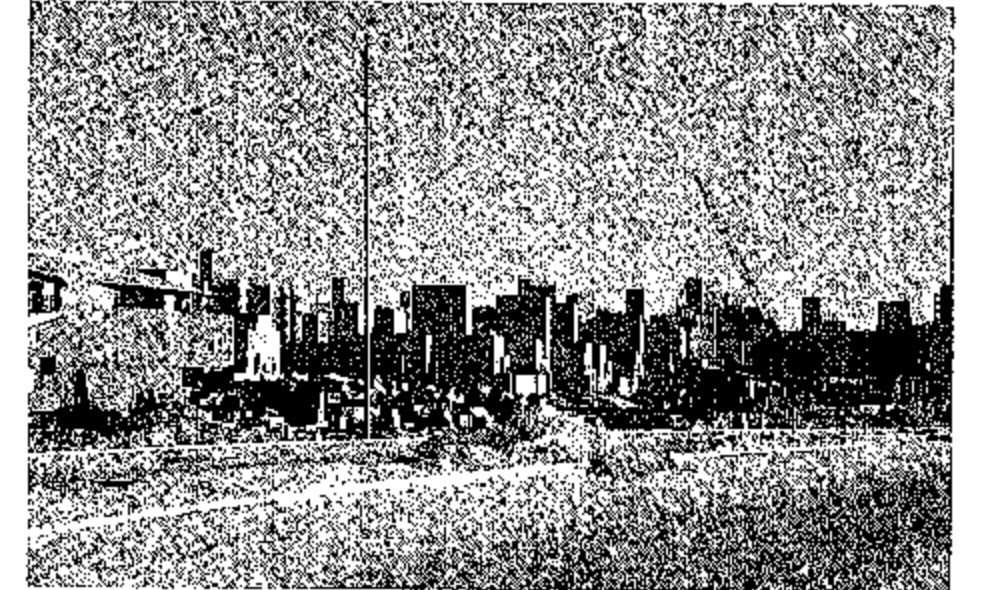
١٥٨ التشييد الحديث - الرياض



١٥٣ مشروع الإسكان العاجل - جدة



١٥٠ سيدي بر سعيد - تونس



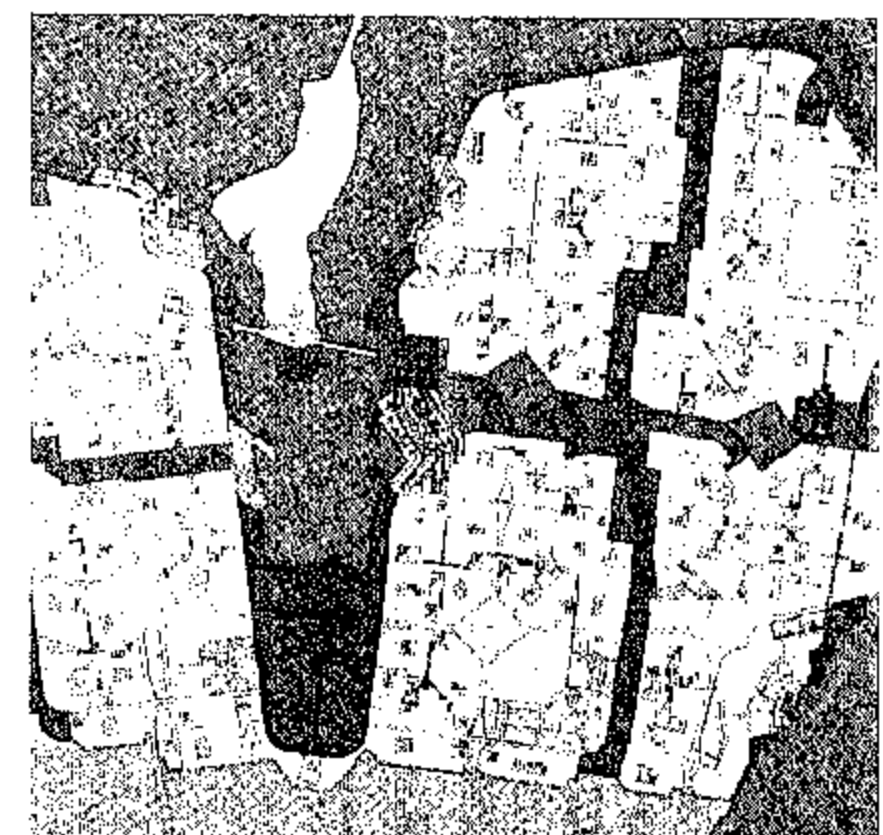
١٥١ تشييد مشروع الإسكان بالرياض



١٥٢ شارع المطار بالرياض



١٥٥ الحفمية - تونس



١٥٤ خريطة الجليل

١٥٦ مشروع الإسكان العاجل - الرياض

مدينة ينبع الصناعية

حسن مراد رضا

مقدمة :

وفي داخل المدينة يوفر المجمع السكنى كلا من الترفيه المنزلى ، الراحة والعبادة ، والتعليم ، الصحة والمتطلبات الاجتماعية للناس الذين ياتون للعمل والسكن في مدينة ينبع الصناعية .

اهداف تنمية وتطوير المجمع

- يمكن دمج اهداف تنمية المجمع في اربعة عناصر اساسية :
- يجب ان يكون مكانا ملائما تطبيق الإقامة فيه ويعكس تطلعات وطموحات المواطنين السعوديين .
- يجب ان تكون المدينة بيئة جذابة لدخول القطاع الخاص .
- يجب ان تؤدي دورها بكفاءة وفعالية .
- يجب ان يكون اسلوب تخطيط وتنفيذ المدينة مرنا وقابلا للتكيف مع التعديل والتغيير .

المخطط الاجمالي :

ان العناصر الاساسية لتماسك بنية المدينة الجديدة هي شبكة الطرق الاولى والاحياء السكنية المرتبطة بها ، والتي سوف تكتمل بقيام وسائل الترفيه والتسليّة وتشجير المناطق المكشوفة والتي سوف يكون لشاطئ البحر دور كبير فيها وضمن هذا الاطار العام ، سوف يتم تطوير سلسلة من المراكز التجارية والمرافق غير السكنية الاخرى .

شبكة الطرق الاولى :

ان شبكة الطرق الاولى هي عنصر التماسك البنوي للمدينة حيث انها تلائم طبيعة الموقع ووظيفة المناطق التي تخدمها . لذلك تراها في الشمال تظهر استقامة وادى الفرع بينما هي تتذبذب ضمن النسيج العمرانى العام للاحياء السكنية المتفردة والمختلفة الاشكال . كما انها - وهذا هو الاهم - تركز بوضوح على وسط المدينة باعتباره العنصر الاول والاساسى في المدينة . وتزداد اهمية شبكة الطرق بوجود شبكة المرافق العامة على نسق مواز لها بصفة عامة .

وقد تم تقسيم هذا البحث الى ثلاثة اجزاء .

- مضمون خطة التنمية : ويلخص دور مدينة ينبع الصناعية على نطاق المملكة وعلى النطاق الاقليمى ،
- المخطط الاجمالي : يوضح هذا الفصل البرنامج العام للتطوير والسياسات التخطيطية التى وضعت من اجل مختلف قطاعات المجتمع والتي تعتبر مساعدة في تنمية وتطوير المخطط الاجمالي .
- المعايير التى وضعت لتنمية وتطوير قطاعات المجتمع : وقد تم توضيح بعض المعايير والاحكام التخطيطية التى وضعت وسوف تطبق هذه المعايير والاحكام على جميع مراحل تطوير المجتمع ، وتعتبر الاهداف الموضحة مؤشرا لنوعية اسباب الراحة والبيئة واسلوب الحياة الذى يتم توفيره .

مفهوم خطة التنمية :

المفهوم القومى والاقليمى :

ان الركن الاساسى والمهم من استراتيجىة المملكة العربية السعودية للتنمية الشاملة هو توسيع وتنويع القاعدة الاقتصادية عن طريق تنمية وتطوير الصناعة التى يمكن ان تستخدم الموارد النفطية للبلاد . وتوزيع العائد من هذه التنمية بين الاقاليم بطريقة عادلة .

وبما انه لا توجد موارد نفطية مستقلة بالاقليم الغربى من المملكة العربية السعودية ، فانه قد تم تمديد خط للانابيب عبر مسافة اكثر من ١٠٠٠ كيلو متر لضخ النفط من الحسا الى ساحل البحر الاحمر . ويعتبر اتمام هذا الخط نهاية لاعتماد المملكة على منفذ بحرى واحد لتصدير النفط وتجميعا للصناعات الثقيلة في مكان واحد . وتعتبر ينبع حجر الزاوية لهذه الاستراتيجية .

وكما يوضح اسمها ، فان مدينة ينبع الصناعية تركز على تنمية وتطوير الصناعات الثقيلة . وعلى وجه الخصوص صناعة البتروكيماويات

وان جزءا كبيرا من العمالة الكليه يقوم بتقديم الخدمات لسكان المدينة الجديدة والتي يبلغ عدد سكانها ١٥٠,٠٠٠ نسمة وتكون المدينة اكبر مدينة على ساحل البحر الاحمر في شمال جدة .

المناطق السكنية

ان المناطق التي تطوقها شبكة الطرق الأولية هي عبارة عن احياء سكنية او مجموعات سكنية ، تم توزيع المساكن فيها ويمكن تصنيف المجموعات السكنية حسب موقعها في المخطط الاجمالي . وتتميز المجموعات السكنية التي يمكن ان يطلق عليها اسم مجموعات قلب المدينة والتي هي المجموعات بكثافتها السكنية المرتفعة وبقلة عدد افراد الاسرة فيها (بما في ذلك وجود كثير من غير المتزوجين) . وبالمقارنة - فان المناطق السكنية الساحلية تتشابه مع بعضها البعض من حيث دنوها من البحر ومن حيث توصيلها بالكورنيش .

ان الهدف الرئيسي من وراء توزيع مختلف عناصر البرنامج الاسكاني هو علاقة الوحدات السكنية بمرافق المدينة . واهم هذه العلاقات ناتج عن ارتباط هذه المساكن ارتباط وثيقا بتسلسل المراكز التجارية ومواقعها بالنسبة الى وسط المدينة ، مراكز الاحياء والمراكز المحلية ويهدف اسكان اكبر عدد ممكن من الاسر على مقربة من هذه المراكز .

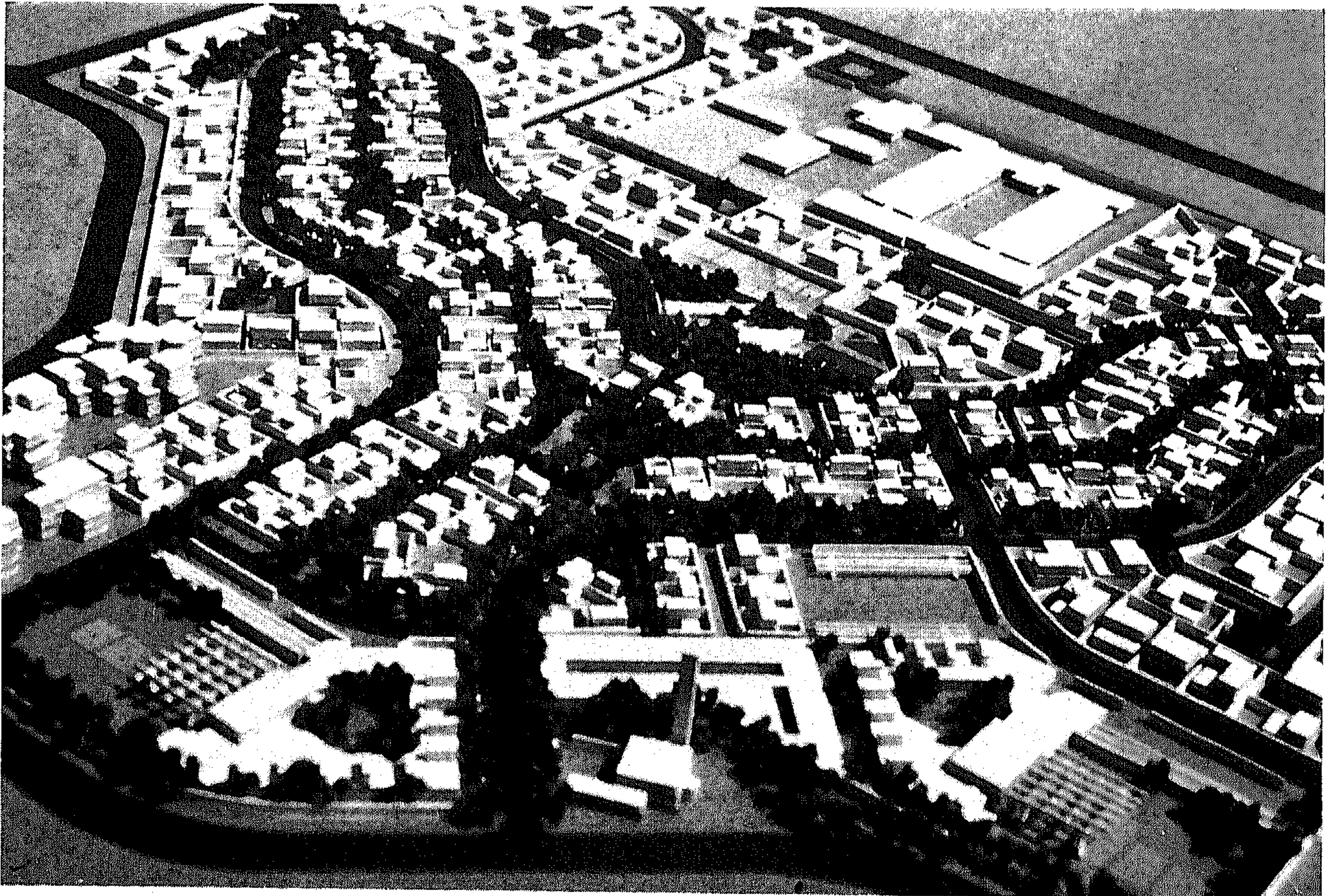
وعلى كل حال فانه بالرغم من هذا الاختلاف الا ان هنالك بعض الاصول المشتركة . فعلى صعيد المدينة ، نجد ان تشجير شبكة ممرات المشاة تخترق المجموعات السكنية وان نموذج المناظر العالية (التي ستكون بمثابة المفاصل لمنظر الممرات المقترحة) سوف يوحد المدينة ويؤكد تماسكها . كما ان تأثير العادات والتقاليد السعودية على المجموعة السكنية سوف يكون واضحا وجليا .

الفسحات المكشوفة المشجرة والمناطق الساحلية :

للفسحات دور هام ايضا لتوفير الراحة والاستجمام وخاصة للعائلات . كما ان أى جزء من المدينة لايبعد عن هذه الفسحات باكثر من ثلاثة كيلو مترات . ونظرا لاتساع المساحة المشجرة فإن بإمكان معظم الذين يأتونها ان يستمتعوا بقدر لأبأس به من الخصوصية . كما سيكون للبحر اثر كبير على مظهر المدينة - وذلك باعتباره عنصرا مميزا للمدينة عن الصحراء . وذلك نتيجة للطريقة التي يحاول بها المخطط ابراز وجوده بالشكل الأمثل حيث يجعله يخترق قلب المدينة وتطوير المنطقة الساحلية من اجل النشاطات المختلفة للمدينة . ونتيجة لعدم اتصال البر بالبحر في الوقت الحالي فانه لابد من اجراء عمليات الحفر والردم اللازمة من اجل تشكيل الخط الساحلي الجديد على حسب حاجة المدينة . وهكذا يمكن لوسط المدينة ان يحتوى ذلك الاختراق البحرى العميق محدثا بذلك خليجا صناعيا يتناسق مع شكل بنيان وسط المدينة .

العقيدة :

يعكس برنامج المساجد المعايير التي تم وضعها في الاماكن الاخرى من المملكة لبناء المساجد . وتوجد هذه المساجد المحلية في جميع المناطق السكنية ويضاف اليها مسجد في منتصف كل حى سكنى وسوف يتم تشييد جامع رئيسى في وسط المدينة ليشكل معلما رئيسيا للمدينة لترسيخ المفاهيم والعقيدة الاسلامية التي هي الدعامة التي تركز عليها المدينة ، كما يمثل ايضا دائرة دينية تكون مختصة بالشئون الدينية . كما تم تخصيص مكان لاداء صلاة العيد في موقع صحراوى بالقرب من وادى الفرح في خارج المدينة .



التعليم :

سوف يتم تشييد مدارس ما قبل المرحلة الابتدائية ومدارس المرحلة الابتدائية بجوار المراكز المحلية ومراكز المجمعات السكنية مباشرة وذلك من اجل تقريب المسافة وتشجيع السير بالاقدام اليها بطريقة آمنة . ولقد استند في توزيع المدارس المتوسطة والثانوية على الافتراض بان معظم التلاميذ سوف يستقلون وسائل النقل في انتقالهم بين البيت والمدرسة . وبالنسبة لمؤسسات التعليم العالي فسوف يتم تجميعها في مكان واحد . ان تجميع هذه المرافق سوف يشجع على تطوير بيئة ثقافية يستفيد منها كل من التلاميذ والاساتذ كما تساهم بفعالية في التكوين العام للمدينة الصناعية .

الخدمات الصحية والثقافية :

لقد تم توزيع المراكز الصحية الاولى على جميع انحاء المجمع كما تم حجز اماكن في المراكز المحلية وذلك لاحتمال قيام مرافق صحية للقطاع الخاص او العام .

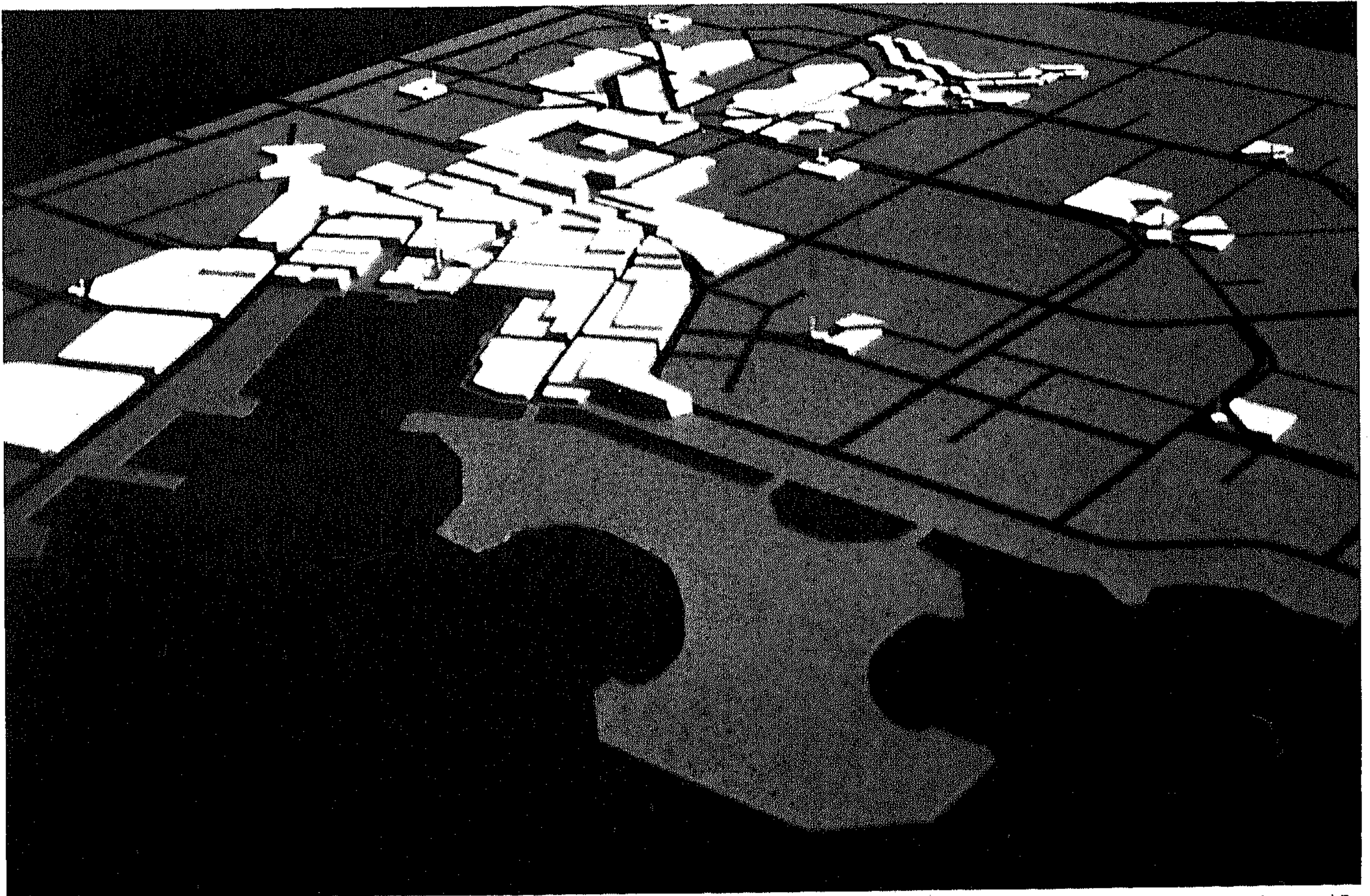
ولقد اعدت المراكز الثقافية من اجل تلبية احتياجات متنوعة فهى تستخدم كأماكن لاجتماعات للسكان ومختلف الهيئات والروابط الاجتماعية ويجب ان يتسم تصميم هذه المراكز بمرونة الاستعمال . ويكتمل البرنامج بقيام المركز الثقافى في منتصف المدينة والذي سوف يحتوى على قاعة للاجتماعات العامة مرافق للمؤتمرات وقاعة صغيرة لعرض الافلام ومتحف أو معرض للفنون . وسوف يكون المركز مجاورا للجامع الكبير طالما ان الكثير من نشاطاته تصدر عن أو تنظيم فيما يختص بالانشطة الدينية .

المراكز التجارية .

توجد المراكز التجارية في جميع انحاء المناطق السكنية حيث لاتبعد عن اى منزل باكثر من ٣٠٠ - ٥٠٠ متر وتقوم هذه المراكز بتلبية حاجيات السكان اليومية ، وعلاوة على ذلك فقد خصصت ثمانية (٨) مراكز بالاحياء السكنية، وقد تم توزيعها بطريقة استراتيجية على القطاعات السكنية ، حيث تحتوى على خدمات اضافية وحوانيت تجارية تخدم مناطق اوسع .

وسط المدينة :

يعتبر وسط المدينة رمز وحدة المدينة وهويتها من اجل مسايرة مركز المدينة لجميع مراكز المدن الاسلامية الاخرى نجد فيه المسجد الرئيسى الذى يمثل بؤرة المدينة ومركزها ، كما يحتوى ايضا على مباني المكاتب الحكومية وجميع المكاتب الادارية الخاصة بالمجمع اضافة الى ذلك يحتوى مركز المدينة على مركز تجارى مناسب يقوم بخدمة المدينة والتي يتوقع ان تجذب اليها بعض الزبائن من المنطقة الاقليمية وذلك عند نمو المدينة وسوف يتم توفير الكثير من اماكن ترك السيارات وذلك بطريقة منظمة . ويتم ربط اماكن ترك السيارات ونقاط محطات المواصلات العامة ، ونشاطات المنطقة المركزية بممرات للمشاة تكون بعيدة عن اماكن الحركة المزدحمة ، ويكون استخدامها بطريقة سهلة وآمنة . ويجب تنظيم دائرة الخدمات حتى تمتد الى جميع النشاطات وبدون تضارب مع ممرات المشاة ، ويجب ان يتم تصميم الحوانيت وتنظيمها التجارى وفقا للاسس التى تقوم عليها المراكز التجارية المشهورة ، وان تكون خاضعة للقواعد الاسلامية والاجتماعات بمدينة ينبع .



الترفيه :

لقد تم توزيع ساحات اللعب للاطفال الصغار في جميع انحاء المدينة وفي مناطق مختلفة حسب متطلبات التصميم التفصيلي . اما الساحات العامة للالعاب الرياضية وهي عبارة عن ساحات كاشفة اعدت لالعاب الاطفال الصغار . وان النشاط الذي يتوقع ان يسود في هذه الميادين هي لعبة كرة القدم .

أما مناطق الترفيه الهادئة فيوجد نوعان من هذه المناطق . الأول عبارة عن سلسلة من الحدائق العامة المشجرة الملحقة بالمراكز التجارية والتي توجد بكثرة في حديقة المدينة الكبيرة بوسط المدينة والنوع الثاني من هذه المساحات هو عبارة عن ساحات عامة مرصوفة ، حيث توجد في كافة المراكز وتوجد أكبرها في وسط المدينة .

كما يمكن للمشاة ان يتنزهوا على جوانب الخليج الذي يخترق المدينة ويعبروا ميناء صغيرا للصيد حيث يمكنهم الوصول الى السوق وميناء الزرار حيث ترسو الزوارق المائية ويستطيع الجميع ان يتنزهوا على جوانب الكورنيش ذات المتزهات العديدة المظللة . وسوف تعكس الجزيرة الواقعة في اسفل مدخل الخليج صدى الشكل الطبيعي للمنطقة الساحلية خارج منطقة الوسط .

لن يسمح بوصول السيارات الى الجزيرة . وان المبنى الوحيد المقترح انشاؤه هو متحف بحري

معايير التصميم لتطوير المجمع السكني

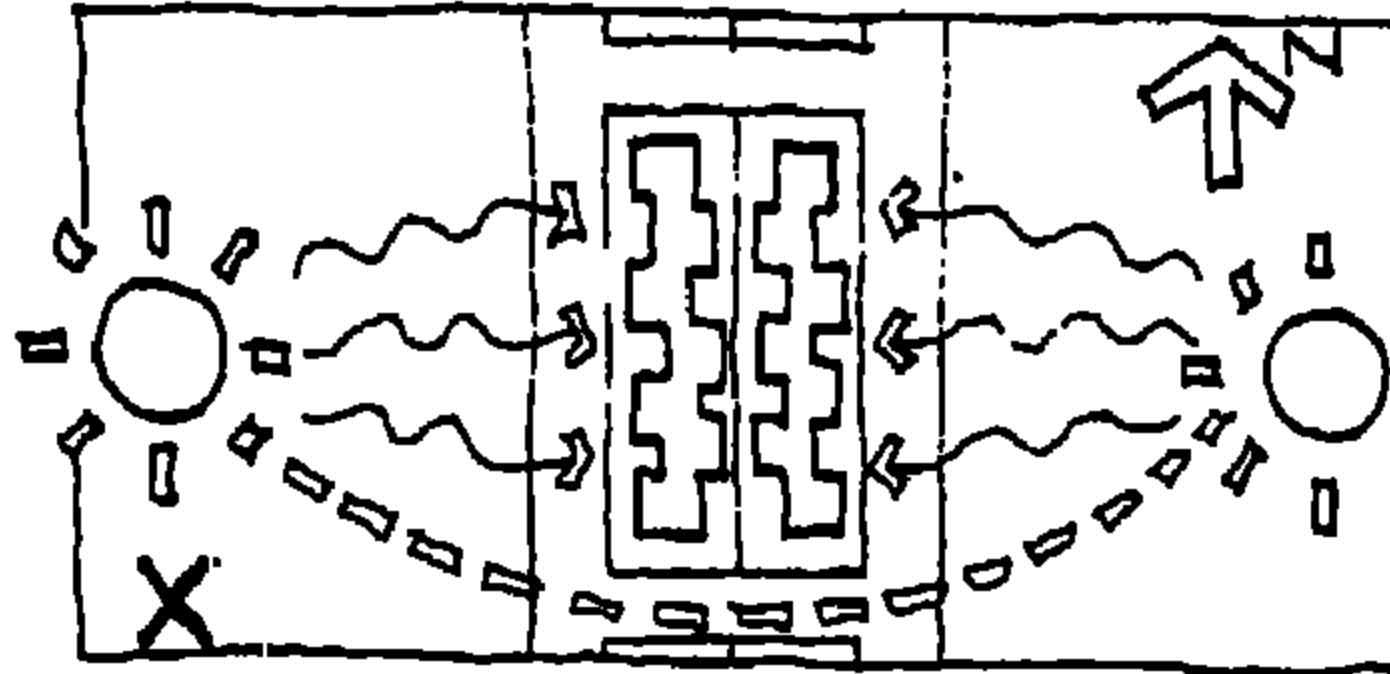
لقد تم وضع اعتبار لاهداف التطوير ومعايير التصميم التي يجب ان يلتزم بها المصممون والمطورون عند وضعهم لخطط مدينة ينبع الصناعية . ان معايير التصميم المطلوبة لتحقيق تلك الاهداف متعددة متنوعة وان التركيز الرئيسي لتلك المعايير يقع على :

- المظلات
- حركة الهواء
- الاشعاع الشمسي
- التسوية والتسطيح
- الخصوصية
- الضوضاء والهدوء
- شكل البناء
- الارتفاعات والمناظر
- التزيين وتشجير الارض

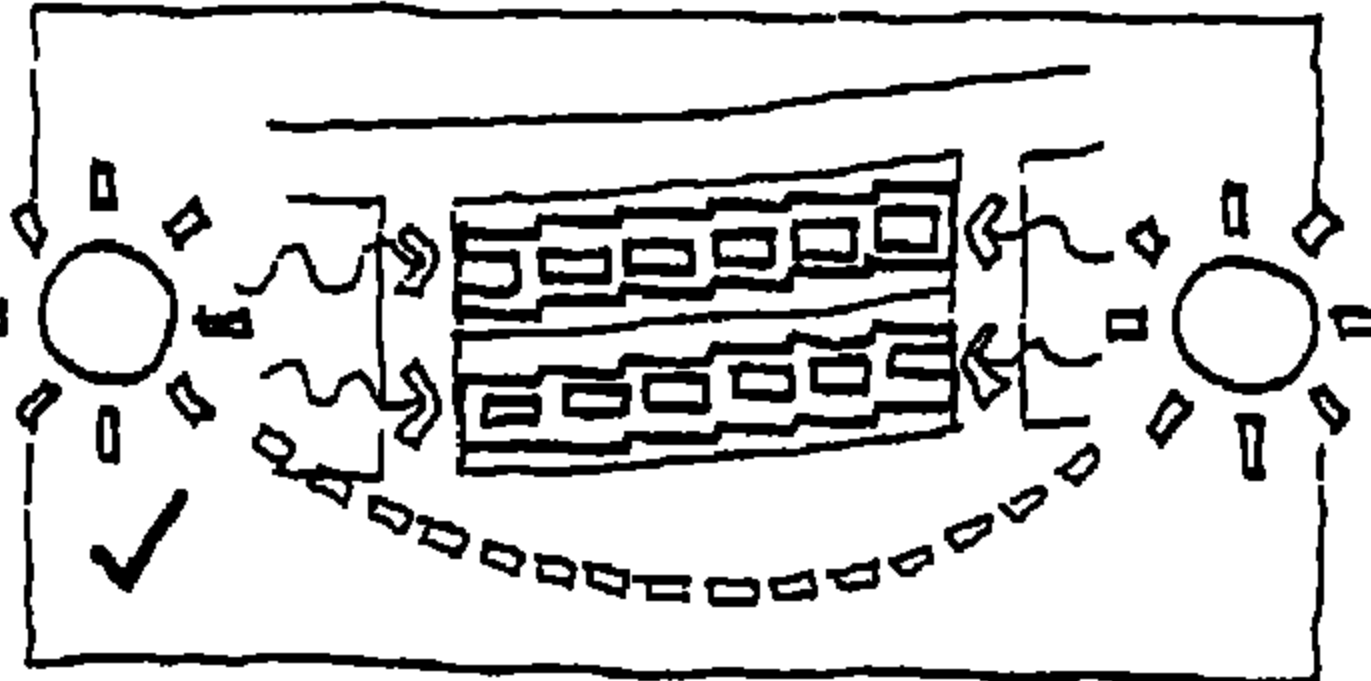
ان هذه المعايير مضمنة في « كتيب تنظيم التطوير » لدى الهيئة الملكية ويتعين على المصممين والمطورين الالتزام بها .

التظليل والوقاية :

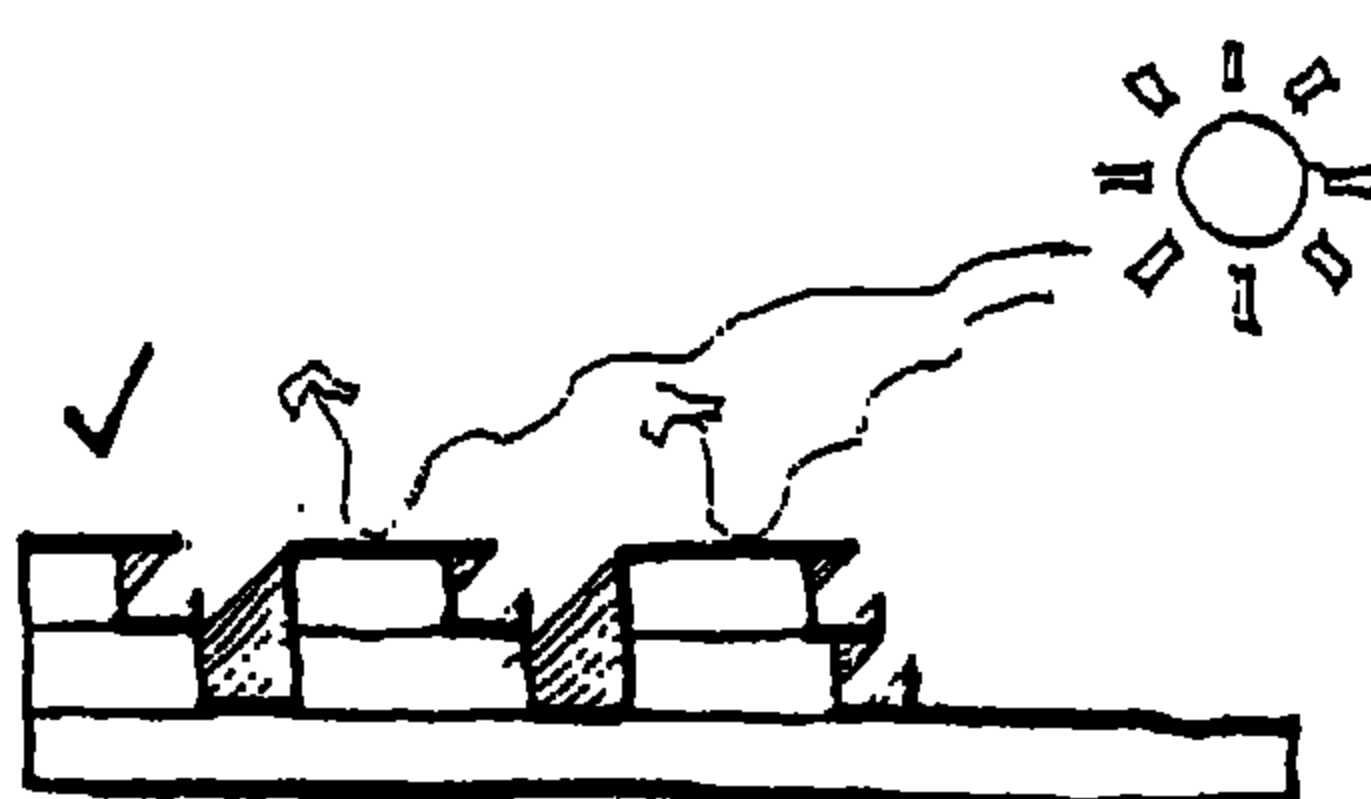
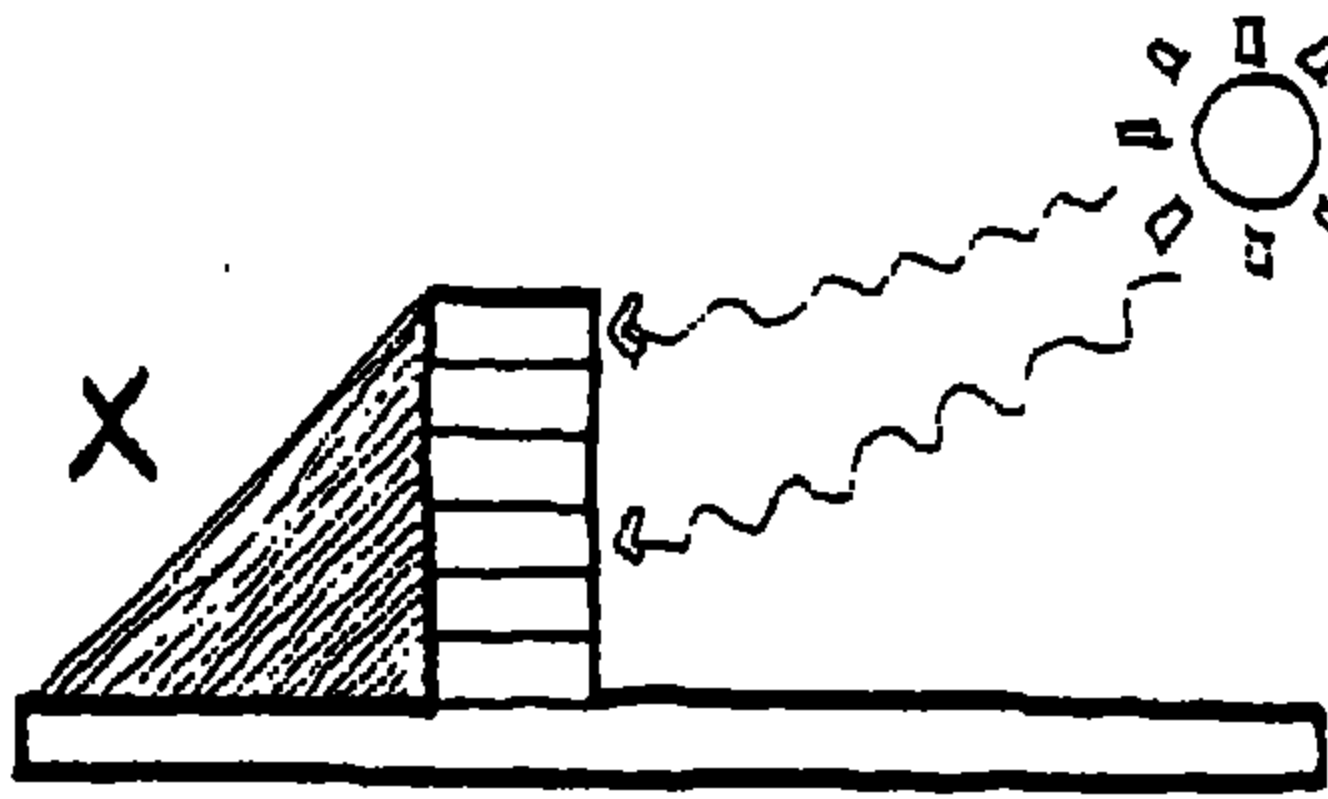
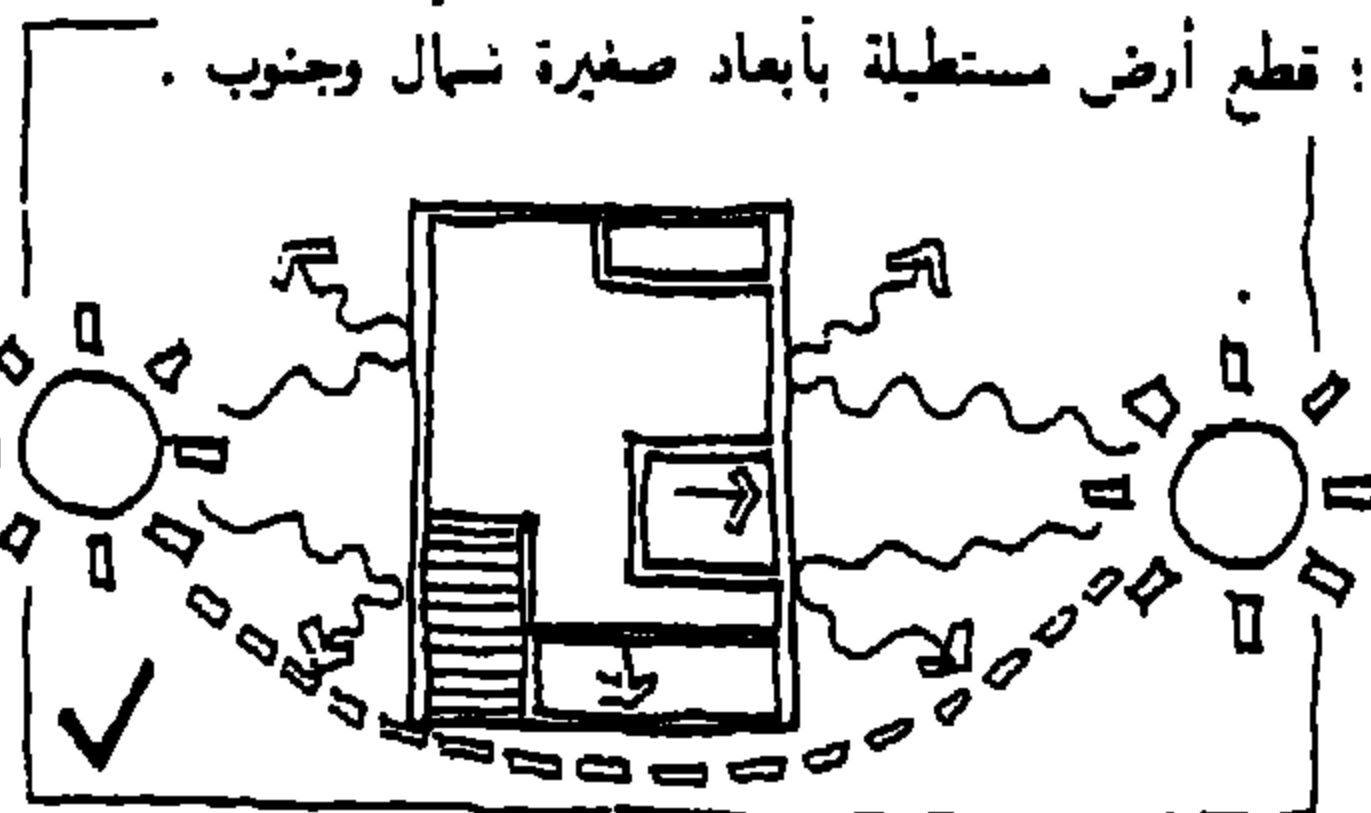
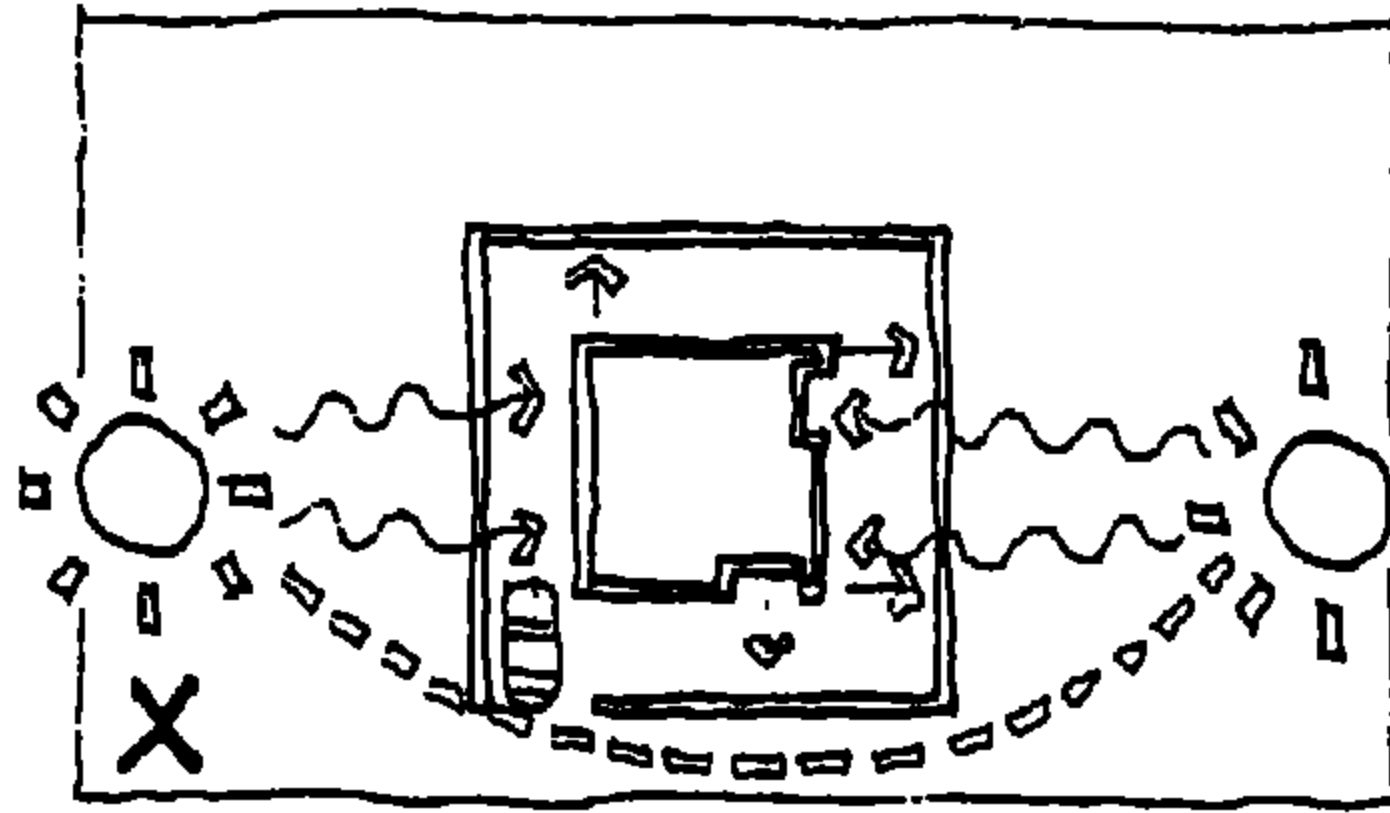
يجب ان يتم تصميم جميع الانشاءات والفراغات بين هذه الانشاءات بحيث يكفل ذلك للمارة أقصى وقاية ممكنة من حرارة الشمس المباشرة وكذلك مواقف السيارات ومستخدمى الاماكن المشجرة والترفيه



اكتساب الطاقة الشمسية العالية : جدران مكشوفة ونوافذ كبيرة : قطع أرض كبيرة ومربعة .



أقل قدر ممكن من الطاقة الشمسية المكتسبة : جدران مغطاة شرق وغرب ، وأي نوافذ كبيرة تواجه الشمال ؛ ويتم حماية النوافذ التي تواجه الجنوب باستخدام المظلات ؛ قطع أرض مستطيلة بأبعاد صغيرة شمال وجنوب .



حركة الهواء :

يجب تصميم المباني والفراغات المتروكة بينها بحيث يمكن الاستفادة القصوى من حركة الهواء المنعش وتجنب المضايقة والازعاج نتيجة تناثر الغبار والرمل بفعل الرياح

الاشعاع الشمسي :

يجب تصميم جميع التطويرات بما في ذلك المباني ومجموعات المباني والمساحات الخاصة والعامة التي يتم تشجيرها وهندسة مناظرها الطبيعية بحيث تنخفض حرارة الاشعاع الشمسي الى أقل حد ممكن . ولذا يجب اختيار المواد والانشاءات التي تتعرض لضوء الشمس لتقليل التوصيل وتخفيض الحمل الحرارى الى أقل حد ممكن .

المستويات والتسوية :

يجب تدرج جميع الاسطح الارضية لمنع تجمع الماء محليا . ويجب استقرار جميع المنحدرات التى تزيد عن ١٠٪ لمنع تآكل التربة بفعل الرياح والماء . ويجب استخدام الجدران المساندة حيثما تزيد المنحدرات عن ٣٠٪

الخصوصية :

يجب أن يكفل التصميم والتخطيط فى كل تطوير من التطويرات متطلبات حرية البيت للأفراد والعائلة (ولأسيما السيدات) .

يجب اتخاذ الترتيبات التى تحول دون تعرض الفراغات أو المساحات الخاصة بالمنطقة العائلية مثل الأبنية المشيدة على قطعة الأرض وشرفات الاسطح والبلكونات ، كما يجب ان تكون نوافذ الغرف المخصصة للسكن على بعد ٢٠ م على الأقل من هذه الفراغات .

يجب تصميم النوافذ بحيث يمكن الحد من تعرض الاجزاء الداخلية أو امكانية مشاهدتها من خارج فناء المنزل .

يجب تصميم وتحديد مواقع التسهيلات الاجتماعية المخصصة للسيدات مثل مدارس البنات بحيث يكون لها ممرات مستقلة للمشاة منهن .

وختاما يحسن استعمال الجدران الفاضلة طبقا للشروط التى وضعتها الهيئة الملكية لذلك .

الضوضاء والهدوء :

يجب تصميم المباني وتحديد مواقعها بحيث يمكن تفادى الضوضاء بقدر المستطاع وانخفاضها الى اقل قدر ممكن ، باتخاذ الاجراءات اللازمة لتخفيف حدة الضوضاء عند المصدر أو بالقرب منه عند تصميم الطرق مثلا .

اشكال الانشاء والمنظر العام للمدينة :

يجب تصميم المساكن المتصلة والخاصة بالاسر المفردة بحيث يمكن ادماج الجدران المشتركة أو المتمركزة على حدود قطعة الأرض . وحيثما يتم توفير مساحة مكشوفة خاصة داخل قطعة فان مساحة كل فراغ يجب أن يكون حدها الأدنى ١٢ مترا مربعا . كما يجب توفير طرق الوصول اللازمه لجميع الاسطح المنبسطة أو المسطحة فى جميع التطويرات وذلك لتوفير المساحات الاضافية الآمنة والمفيدة للسكان .

الارتفاع والمنظر :

فيما عدا مانتص عليه مذكرة خلاف ذلك فانه لايجوز أن يزيد ارتفاع أى مبنى عن ١٢ م ، ولكن يجوز اقامة انشاءات مسقفة تزيد عن ١٢ م شريطة ان تقل عن ارتفاع البناء العام بثلاثة امتار وتشكل اقل من ثلث مساحة البناء

التشجير والمساحات المكشوفة :

يجب توفير مناطق التشجير العمومية طبقا لما تنص عليه مذكرة التطوير فقط للمحافظة على الماء . كما يجب الاحتفاظ بحالة صرف دائمة للتخلص من الاملاح الزائدة ، كما يجب أن تسمح شبكة الرى بهذا الصرف فى جميع المناطق المشجرة .

خاتمة :

إن هذه بعض اللمحات عن أساليب التخطيط التى أتبعتم فى تصميم مدينة ينبع الصناعية لضمان تمشي طابعها العام مع التراث الحضارى الاسلامى للمدينة العربية عامة . والموضوع ثرى ، ولا يمكن أن يفنى مثل هذا العرض المختصر لما يستحقه مثل هذا الموضوع الهام ، أو لما قام به كثيرون بالهيئة الملكية من الجهد لتحقيق هذا الوثام المرموق بين الحفاظ على تراث الماضي والتطلع لحاجات المستقبل .

أساليب التخطيط في المدينة العربية وملاحظتها في تخطيط مدينة الجبيل الصناعية

حمدان عبد العزيز الحمدان



الجبيل ١٦٢



الجبيل ١٦٣

اتسمت المدينة العربية من قديم الزمن بترابط عضوي خاص ، ميزها عن التخطيط الهندسي الذي عرفت به المدن الرومانية أو الاغريقية ، أو حتى المدن الفرعونية مثل تل العمارنة ، مدينة اخناتون المشهورة . ولاشك أن هذا التركيب العضوي كان نتيجة تفاعل عدة عوامل :

منها طبيعة ملكية الأرض وتوزيعها ، ومنها الاهتمام بالخصوصية وقديسية البيت في حد ذاته ، ومنها التأثير المناخي على البيئة . وجاءت المدن الاسلامية العربية في العصور الوسطى تعبيراً رائعاً عن إتساق التخطيط مع هذه المحددات في اطار التقنيات المتوفرة آنذاك .

واضطلعت الهيئة الملكية للجبيل وينبع بتطبيق هذه المبادئ بتفهم واع لمستلزمات العصر وإمكانيات التقنيات الحديثة ، فجاءت مدينة الجبيل الصناعية ثمرة لجهود الخبراء من الشرق والغرب ، تحت ادارة وطنية مسؤولة واعية ، تعمل في إطار ذلك التراث العظيم . ومن ثم اتسم المخطط العام للجبيل بخدمة متطلبات الصناعات الثقيلة التي تكون القاعدة الاقتصادية للمدينة . فكان توزيع البنيات الأساسية من طرق وخدمات يستهدف الكفاءة والعائد الاقتصادي ، وخصصت المناطق الصناعية ووزعت على المصانع المختلفة بطريقة تسمح لكل مصنع أن يعمل بكفاءة مثلى ، وأن تسير حركة المدخلات والمخرجات سيرا مثاليا ، كما أنه روعي علاقة المصانع بعضها ببعض حين اختيار مواقعها داخل المنطقة الصناعية ، وربط ذلك التكوين الصناعي كله بالميناء البحري الجديد .

أما المناطق السكنية والترفيهية للمدينة ذاتها ، فتحدد شكلها عن تكوين مجاورات سكنية متداخله روعي في كل منها الفرد والأسرة والمجاورة ، فكان الاهتمام بالخصوصية من جهة يوازيه الاهتمام بإيجاد البيئة الترفيهية المناسبة للأطفال والكبار وذلك بمراعاة احتياجات الموقع والمناخ والخلفية الاجتماعية والحضارية للسكان . تلك الخلفية الحضارية التي تطلب حلولاً جديدة فيما تتعرض إليه من مشكلات وماتجاهه به هذه المشكلات من مواد وتقنيات ، ولكنها حلول أصيلة لأنها تمثل استمرارية في التعبير الحضاري للانسان العربي في هذه البقاع .

اسلوب الاسكان الحديث بالجماهيرية الليبية ومدى ارتباطه بواقع مجتمع الغد

محمد فؤاد السيد

مقدمة :

اقليم (٥) وتكون من المراكز المأهولة بالسكان في كل من سبها ومرزق وأوباري والشاطيء وتبلغ الكثافة به ١٠٢٢ شخص/ك . م . ٢ .

أما من حيث التركيب الاجتماعي فينقسم السكان في ليبيا الى سكان المدن (ونسبتهم ٣٥٪) وسكان الريف (ونسبتهم ٤٤٪) وسكان البدو وشبه الرحل ونسبتهم ٢١٪ (وتصل في برقة مثلا الى ٤٥٪) وهذه الفئات مختلفة في المستوى العلمي والثقافي

كما أن هناك عادات وتقاليد تخضع لها الأسرة الليبية يتوارثها الخلف عن السلف ومن الملاحظ أن الأسرة الليبية كبيرة الحجم في الدواخل والريف في حين أنها في المدينة تقتصر على الزوجين والاولاد فقط - وهذا يرجع الى الظروف الاجتماعية والمعيشية التي تحتم كثرة العدد في الريف لأن الأعمال تتطلب التعاون وكثرة العدد - في حين أنها في المدينة تتطلب الفردية وقلة العدد بسبب كثرة التكاليف وارتفاع مستوى المعيشة وتعقد الحياة .

تختلف احتياجات الناس ومتطلباتهم اختلافا كبيرا ، ولكن هناك احتياجات تتساوى فيها جميع الطبقات ويتساوى بالحاجة اليها جميع الافراد . ومن هذه الاحتياجات تأمين المسكن المناسب الذي يلجأ اليه الانسان . وبالرغم من تفاوت مفهوم هذه الافراد بالنسبة للمسكن الذي نحتاجه الا أنها كلها تسعى جاهدة لتأمين هذا المسكن بامتلاكه أو ايجاره بما يتناسب ودخلها .

من ذلك أصبح المسكن أحد الاحتياجات الرئيسية الذي لا يقل بحال من الأحوال عن الملبس أو الغذاء في كونه من العوامل الأساسية لحياة الأسرة وماله من تأثير صحي واجتماعي وانطباعه على المقدرة الانتاجية .

وتعتبر مشكلة الاسكان عامة في جميع أنحاء العالم - والتي هددت بعض الدول بظهور نتائج سيئة اجتماعية وصحية وخلقية .

الأقاليم السكنية بالجماهيرية :

تنقسم الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الى خمسة أقاليم سكنية :

- اقليم (١) ويشمل المنطقة الساحلية التي تمتد بين حدود تونس ومصراته ويتراوح عرضها ما بين عشرين الى خمسين كيلومترا وكثافة السكان في هذه المنطقة ٥٦ شخص/ك . م . ٢ .

- اقليم (٢) ويشمل المنطقة الساحلية لخليج سرت والتي تمتد من البويرات الى اجدايا وتشمل المنطقة شبه الصحراوية المستعملة من قبل الرحل في (سرت) كماوى صيفى لهم وقد تأثرت هذه المنطقة بظهور البترول حيث معظم الآبار المنتجة تقع فيها وكثافة السكان بها ١٣٦ شخص/ك . م . ٢ .

- اقليم (٣) ويمتد من ساحل برقة - ويبلغ طوله حوالى ٥٥٠ كم وكثافة السكان به ٧٠ شخص/ك . م . ٢ .

- اقليم (٤) ويشمل المناطق المأهولة بالسكان من جبل غريان والكثافة ١٤ شخصا/ك . م . ٢ .



١٦٤ عمارات سكنية تحت الانشاء - طرابلس ليبيا

لذلك فان تلك العادات تلعب دورا خطيرا في مراحل اعداد المسكن المناسب فمن الضروري أن نولي اهتماما خاصا للمشاكل التي تتعرض لها الأسرة . فمنذ أن قامت ثورة الفاتح من سبتمبر ، وقد جلبت معها التغيرات الجديدة لسكان الجماهيرية تطورت الصناعة تطورا كبيرا وسريعا . واصبحت الجماهيرية حصنا من حصون الصناعة - وازداد دور هذا القطاع أهمية بالنسبة للاقتصاد الوطنى لما له من قدرة على تغير الهيكل الاقتصادى بزيادة وتنمية الطاقات الانتاجية ، بينما كان حوالى ٢٠٠,٠٠٠ عامل يعملون في ميدان الزراعة وتربية الماشية ، أخذ هذا العدد يتناقص بسرعة حيث نزع الآلاف الى المدن وخاصة مدن طرابلس وبنغازى وسبها ويدفعهم الى الهجاء وفرة العمل ، وارتفاع الأجور ، وقد إنتقلت مجموعاتهم بأسرهم

لذلك اتجهت الدولة لعلاج هذه المشاكل باتخاذ الخطوات الايجابية لتحسن أوضاع المجتمع في مختلف المناطق والقطاعات وتوفير السكن اللائق لضمان الحياة الكريمة لأبناء الشعب . ولقد كانت غاية التنمية ليست فقط مجرد رفع الانتاج ولكنها تحسين أحوال المعيشة للفرد في مختلف نواحي حياته متضمنة الأحوال الاسكانية - وبذلك جمعت بين النمو الاقتصادى والتغير الاجتماعى في نفس الوقت وقد وضعت ثورة الفاتح في اعتبارها من غايتها الاسكانية (القضاء على مشكلة الاسكان وأن ينتج للمجتمع القدر الأكبر من المساكن بحيث يتيسر أن تحصل كل أسرة على المسكن المناسب بما يفي بمتطلبات المعيشة) ومن هذا يتبين لنا أن غاية الثورة هو تحقيق المساواة في إتاحة المسكن المناسب لمستويات الدخل المختلفة في كل الحضر والريف الذى يتناسب مع متطلبات المعيشة بما يحقق الرفاهية لشاغليه ويخلق المناخ المناسب لتنميتهم صحيا واجتماعيا ولترى فيه روح الخلق والذى هو غاية التنمية الاقتصادية في المجتمع .

مشكلة الاسكان بالجماهيرية :

لمشكلة الاسكان بالجماهيرية أوجه عدة منها زيادة السكان منها الاحلال بالنسبة للاحصائيات الحديثة سنة ١٩٧٥ م تصل المساكن التي تحتاج الى احلال بأخرى حديثة بمقدار ٨٥٠٠٠ مسكن - وترجع الحاجة الى الاحلال الى وجود مساكن متدهورة وتحتاج الى اصلاح بالإضافة الى النقص في الخدمات الرئيسية مثل المياه والمجارى

الخصائص المطلوبة في اختيار الموقع الاسكانى :

من الضرورى وقبل البدء في البناء معرفة ودراسة الموقع حتى يمكن تفهم التوجيه الصحيح للمباني - فاختيار الموقع يعتبر من أهم العوامل المؤثرة في التصميم والكيان المعمارى - فكما هناك مختلف من أنواع النبات والاجناس البشرية التي تنشأ في المناطق المختلفة والتي تنمو بخصائص التكوين الجسمانى والفسىولوجى من حيث الشكل والشبه واللون كذلك فان نشأة العمارة لكل موقع من المواقع يتطلب الآتى :

دراسة المنطقة وطبيعة الارض : سواء كانت مستوية أو منحدره وتناسبها مع قطعة المبنى اذ أن هذا يؤثر على شكل المبنى الذى تحتمه طبيعة الموقع .

دراسة المنطقة وطبيعة الموقع والوقاية :

ويخضع الشكل المتباين للظروف المناخية ؛ فوضع المبنى على شاطئ بحر يختلف عنه في طبيعة صحراوية عنه في منطقة جبلية .

مدى التلوث :

بأن تكون بعيدة عن التلوث (مثل المجارى الصناعية - محطات الكهرباء - المطارات) .

مدى الامتداد المستقبلى :

وسعة الموقع لاستقبال المساكن الجديدة ، حيث يتم الاعتماد على الخدمات بالموقع القائم (شكل رقم (٢) أب) .

شبكة الطرق والمجارى والكهرباء :

فيجب أن تؤخذ في الاعتبار جميع هذه العوامل المؤثرة على التصميم :

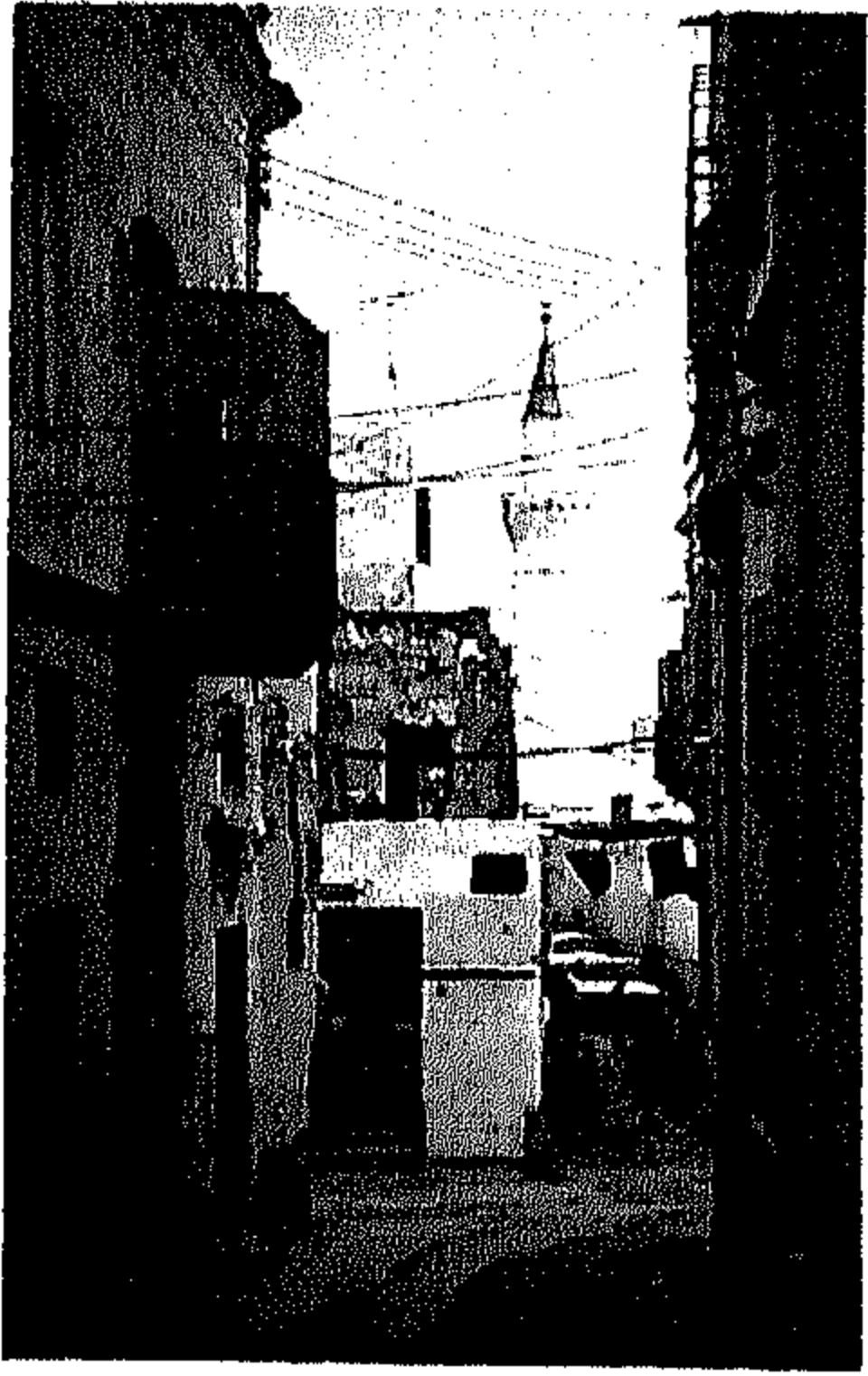
توجيه المباني المختلفة :

التوجيه يعتبر من أهم العوامل التى تؤثر في التصميم والطابع والكيان المعمارى فتلاحظ مثلا في البلاد الشمالية حيث يشتد البرد ويكثر المطر والثلوج - أن الأسقف عنصرا رئيسيا هاما في المبنى بكونها مائلة - ويشارك في شدة الميول بلاد أوروبا الشمالية بينما تفرج هذه الميول كلما اتجهنا جنوبا - وعندما تنتقل الى الشمال الافريقى نجد الاسقف مسطحة (أفقية) لكنها ترجع وتنقلب الى سقف مائل في مساكن السودان وأواسط افريقيا والبلاد الاستوائية حيث يشتد المطر مع الفارق في التصميم والطابع وذلك بخلاف البلاد الحارة (كالجماهيرية) والتي تتطلب فيها الحماية من الحر الشكل الذى يجعل الحلول المعمارية تسير في اتجاه مضاد لمنازل البلاد الشمالية . هذا بالإضافة الى أن الضوء الخارجى والحرارة يتطلبان تصغير الفتحة وذلك لتحاشي أشعة الشمس ، كذلك تزويد الجدران من الخارج بالكرانيش البارزة (عمل الفرانندات واللوجيات ..) ومع هذا فيصير خلق تيارات الهواء أمرا مستحبا في الصيف .

أسس تخطيط المجاورات السكنية :

من أهم المبادئ في تخطيط المجاورات السكنية مايلى :

- أن تحتوى المجاورة على عدد كاف من السكان حتى يمكن إتاحة الخدمات اللازمة .
- أن يؤخذ في الاعتبار حماية المجاورة السكنية عند تخطيطها .
- أن يكون موقع الخدمات متوسطا بحيث يكون سهل الوصول إليه .
- أن تكون الشوارع الرئيسية خارج المجاورة السكنية حتى لا يحدث ازدحام وحماية السكان من الضوضاء .
- تحديد عدد نقط الاتصال بالموقع طبقا للعدد بنسبة حوالى مدخل لكل ١٠٠ - ٢٠٠ وحدة سكنية .



١٦٦ المدينة القديمة - طرابلس
ليبيا



١٦٧ المدينة القديمة - طرابلس
ليبيا



١٦٥ المدينة القديمة - طرابلس
ليبيا

- وشبكة الطرق الداخلية في حدود المجاورة السكنية - يجب أن تخطط بحيث تخدم المرور الناتج عن المجاورة السكنية - لذلك يجب حسابها على أساليب تخطيطية سليمة

- الالتزام بالطابع المعماري الاسلامي لتوحيد الواجهات والفتحات والألوان.

- يجب خلق جو من الخصوصية للمساكن - وذلك بدراسة المخطط للمساحات الخضراء - فلا يقتصر التصميم على المعالجة الداخلية بل كذلك على الاماكن المحيطة المفتوحة - لسكان المناطق الحارة يعيشون حول منازلهم
فمهمة التصميم يجب أن تمتد الى الاماكن المفتوحة بالاضافة الى داخل المبنى حتى يخلق المساحات حول المسكن التي لها أهميتها من الناحية الصحية لبناء المجتمع
- هذا ويجب أن تدخل عناصر الطبيعة المحيطة كجزء من تصميم المسكن وفي تنظيم المجموعات السكنية التي تتلخص فيما يلي :

التنظيم الشبكي المنتظم :

وهذا التنظيم يعطى توزيعا ملاما بالاضافة الى جعل الفراغ المعماري غير مربع .

التنظيم المتورى :

وهذا التقسيم يزيد من احساس الانسان بالفراغ المحيط به - كما أنه ذات مميزات يفرد بها - وهذه الطرق المتورى تفرضها طبيعة الموقع وهي تساعد على تخفيض سرعة السيارات ، كما أنها تساعد على خلق فراغ معمارى مناسب .

التنظيم الاشعاعى

وهو عبارة عن طريق فرعى دائرى يقع في المنتصف يربطه بالطريق الرئيسى مجموعة من الطرق المتفرعة - ومن مميزاته التوزيع المناسب للوحدات - وهو مثل السابق في خلق فراغ معمارى مناسب - كما يساعد على تنظيم حركة الهواء بداخل المنطقة السكنية .

أسس تصميم المسكن :

تعتبر الوحدة السكنية من أهم العناصر في تخطيط المجاورة السكنية لذلك لا يتوقف التصميم المناسب للمسكن على العدد المكون للأسرة فحسب بل على التقاليد والعادات ومستوى المعيشة وطبيعة المناخ بالمنطقة - فالمناخ يلعب دورا كبيرا في مراحل اعداد المسكن المناسب - ففي تصميم المسكن يجب مراعاة التوجيه المناسب للحجرات - وعادة الحجرات الشرقية والغربية في منطقتنا غير مستحبة نظرا لتعرضها لاشعة الشمس طوال فترة طويلة من النهار لذلك يجب معالجتها معماريا بوضع أسلحة رأسية أو بزرع أشجار متساقطة الاوراق لحجب الاشعة عن الوصول الى داخل الحجرات - وتفضل الواجهات الجنوبية لدخول أشعة الشمس اليها في فصل الشتاء .

(اذ أن زاوية ميل الشمس تكون أفقية) بينما تكون زاوية ارتفاع الشمس عمودية تقريبا في فصل الصيف)

هذا ويتوقف التشميس للحجرات على ثلاثة أنواع من الأشعة :

- ١ - الأشعة الضوئية وتنتج من ضوء النهار .
- ٢ - الأشعة دون الحمراء وهي التي تحدث الحرارة وهي ذات تأثير صحى وخصوصا في الشتاء .
- ٣ - الأشعة فوق البنفسجية وهي التي تحدث التأثير الكيماوى والبيولوجى .

لذلك فانه من الضروري أن نولى اهتماما خاصا للمشاكل من هذه الناحية وبالرغم من وجود بعض الأسس الموحدة في العالم للتطور الاسكانى - الا أن هناك عوامل اقليمية داخلية تجعل المسكن يختلف في كل دولة عن الاخرى من حيث التكوين والتشكيل . وتطوير المسكن لا يبدأ باختيار طراز أو نظام معين - بل على المصمم أن يخصص الوقت الاكبر لدراسة الظروف المناخية والعرف والظروف الاجتماعية ، كما يجب دراسة التجمعات السكنية من حيث الشكل والتكوين بحيث تكون منسجمة مع بعضها في شكل يعطى طابعا خاصا بها بحيث يجعلها متأسكة وغير متنافرة مع توفير التهوية للمبنى مع تحقيق الخصوصية لكل جزء منها وتبعا لأهميته .

نماذج توزيع المساكن :

ومن النماذج المستعملة في تصميم الجهات السكنية مايلي :

المساكن المنفصلة :

وهذه صالحة للاستعمال في اسكان الضواحي حيث المساحات المتوافرة من الأراضي - ويتميز هذا النوع بالتهوية المناسبة والتوجيه السليم الصحى لكل من وحدات المسكن . ويمكن جمع كل وحدتين مع بعضهما بجائظ فاصل بينهما وبارتفاع دور واحد .
(من عيوب هذا النموذج زيادة التكلفة للخدمات العامة) .

المساكن ذات الارتفاع المتوسط في هذا النموذج :

يتكون من مسكنين أو ثلاثة مساكن في الدور الواحد - ويسلم مفتوح من الجانبين ليساعد على التهوية وتلطيف الجو - وهذا النموذج من المساكن الصحية المطلوبة في المناطق التي تسودها الحرارة العالية - ولايتعدى أقصى ارتفاع لها عن أربعة أدوار .

من مميزاته استغلال المساحة وزيادة الكثافة السكانية بالاضافة الى تحقيق الخصوصية والتهوية الجيدة ، ويصلح استعمال هذا النوع في المدن والضواحي .

المساكن ذات الشكل التجمعى المتعدد الادوار :

وهي تشبه النوع السابق ولكن تعددت فيها الأدوار (من ١٢ - ١٤ طابقا) لذلك فهي تجمع بين السلام والمساعد . ويقتصر استكمال هذا النموذج في البلاد المكتظة بالسكان والتي يحتم فيها توفير العدد الاكبر من المساكن - وبغرض توفير الاراضى وتخفيف عبء الاستثمار من المرافق ووسائل المواصلات ويعتبر هذا النموذج مناسباً من الناحية المناخية للمناطق الحارة حيث يوفر التهوية والرؤيا الحسنة لكل من الوحدات لكن هذا النموذج تقل فيه الخصوصية .

توجيه وحدة عناصر المسكن بالجماهيرية :

عند دراسة توجيه وتصميم المسكن بصفة عامة يجب دراسة المناخ وطبيعة المنطقة . فالرياح بالجماهيرية تأتي من الشمال الغربى الى الجنوب الغربى - لذلك يفضل وضع المطابخ والحمامات على الجهة الجنوبية تفاديا لخروج الروائح من هذه الوحدات الى خارج المسكن ، كما يجب أن توجه حجرات المعيشة والضيوف لتكون مستفيدة من الاتجاه الشمالى الشرقى . أما حجرات النوم فيجب أن تتمتع بالاتجاه الشرقى لتنعم بدفء الشتاء . كذلك من المهم دراسة وحدة المسكن نفسه لتحقيق العلاقة السليمة بين التصميم والمجتمع وتقاليد ، فدراسة الحياة الاجتماعية والتقاليد والعادات لها أهميتها فى تصميم الوحدات السكنية ليست فقط بالنسبة للمجتمع بل ولاقتصاديات الاسكان

من مميزات هذا النموذج - توفير المساحات الكافية للحركة بالإضافة الى المساحات الخضراء كما وأن هذا التجمع للوحدات يعطى احساسا بالتنوع على مستوى الوحدات .

المساكن المجمعة على هيئة ترأس :

وهذا النموذج شائع الاستعمال فى التجمعات السكنية - ويعتبر اقتصاديا فى استعمال المصاعد والسلام - لكن معظم الوحدات السكنية تطل على جانب واحد بخلاف الممر مما لا يحقق التهوية المناسبة - وعدم توفير الخصوصية لسكانية بالإضافة الى مشكلة التوجيه الواحد لمعظم محتويات المسكن .

التجمع الرأسى المتداخل :

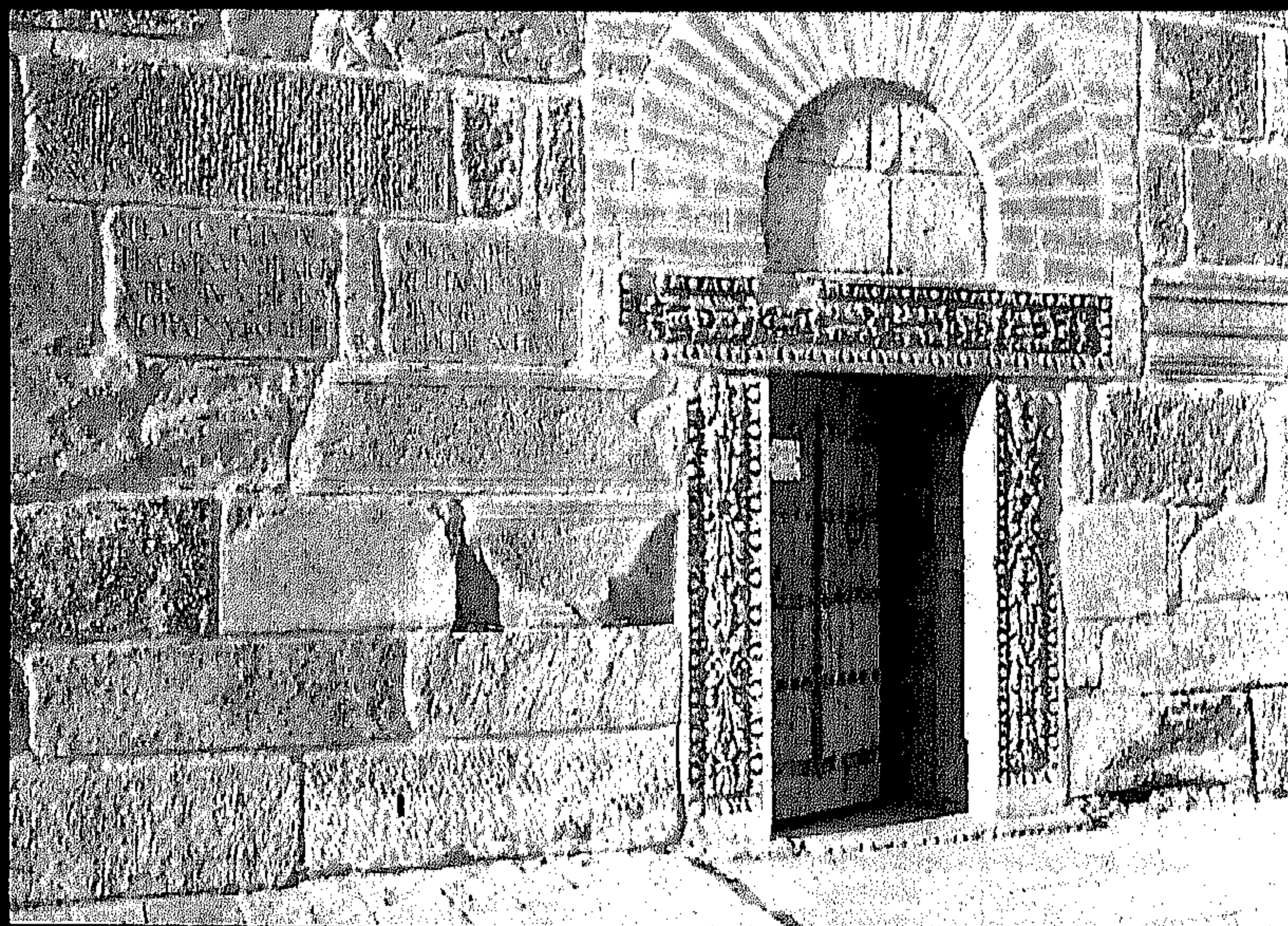
من عيوب التجمع الرأسى للوحدات من الأبراج السكنية سيطرة كل وحدة على اتجاهين فقط ، بحيث تضطر احدهما بعدم الاستفادة بالتهوية أو التشميس . لذلك كانت المحاولة للتغلب على تلك العيوب - بوضع أسس جيدة بواسطة التداخل الجزئى للأدوار - بذلك أمكن تحقيق التوجيه المناسب لكل مسكن بحيث يجمع بين التهوية الصحية وشمس الشتاء مع توفير الخصوصية لأجزاء المسكن - وذلك بالعزل الكامل لأقسام المعيشة عن الأجزاء الأخرى بالإضافة الى مرونة التوزيع .

التجمع على شكل (Y) (الأبراج السكنية) :

وهذا النموذج يعطى تنوعا بشكل آخر - كما أنه يوفر التهوية من جانبيين لكل وحدة سكنية - لكن مدى عيوبه صعوبة توجيه جميع الوحدات بتوفير أشعة الشمس فى فصل الشتاء لكن اذا ماغير طريقة تجميع الوحدات بتحريكها حول محور مائل أمكن الاستفادة بمزايا التوجيه السليم لجميع الوحدات .

وبالرغم من أن البناء الرأسى يوفر الاراضى ويخفف من عبء الاستثمار الكثيف - الا أنه لايتفق مع التقاليد والعادات والظروف الاجتماعية فى الجماهيرية - اذ يجب أن ترتبط المباني بالظروف البيئية والمجتمع والتراث والأصالة اللبية .

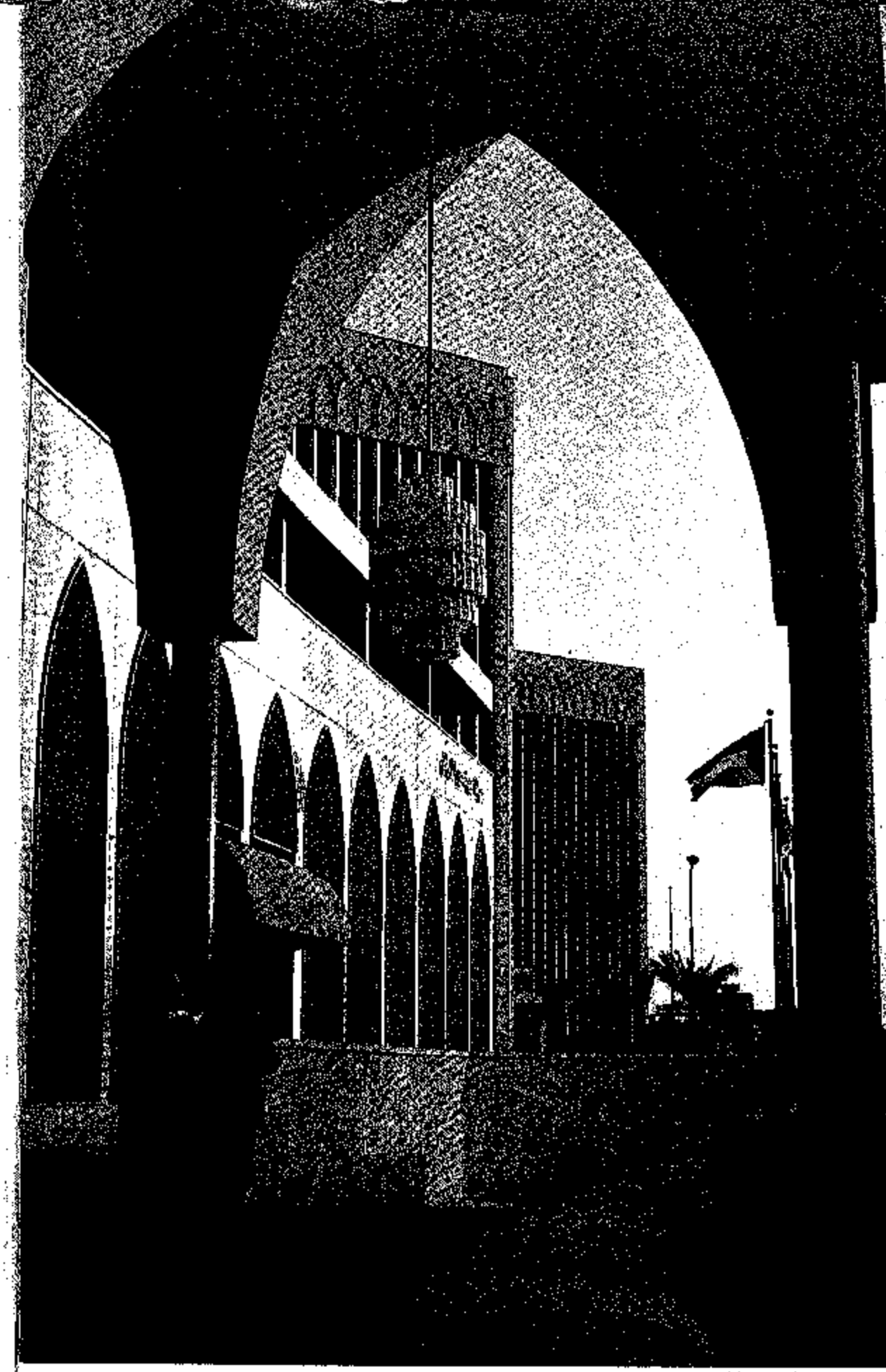
هذا وتعتبر المساحات الخضراء من الأهمية بالنسبة لوجود المسكن وتزداد قيمتها كلما زادت الكثافة السكانية ، اذ تعتبر المنفذ لهم خاصة فى أوقات الصيف .



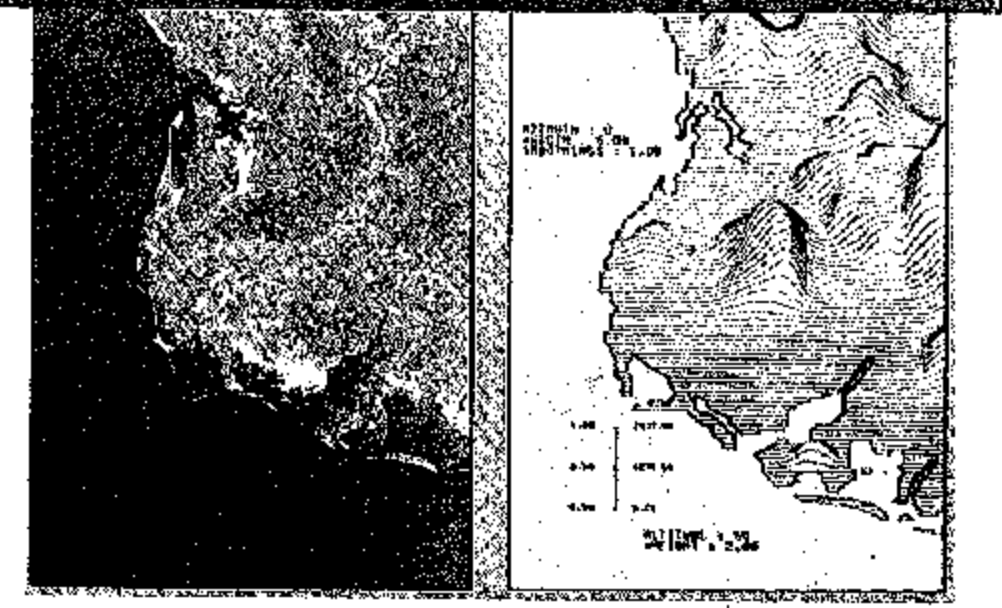
القسم الرابع تحقيق والمستقبل

أجمع الحاضرون بالندوة على أن تكوين فكر مستقل عن الهيمنة الغربية ، أصيل في أسسه وفروعه ، منفتح على العالم يأخذ منه ويعطى له ، هو الضمان للحفاظ على ذاتية مدننا وطابعها الحضري المميز . ومن ثم كان التركيز على أهمية أعداد الأجيال القادمة من المفكرين الممارسين ، وذلك بتوسيع رقعة اللقاء الفكري والتكويني بين التعليم الهندسي والمعماري من جهة وبين التعليم التاريخي والانسانيات بصفة عامة من جهة أخرى . كما يجب التركيز على دراسة البيئة المحلية (عمليا) تكميلا للدراسات التقنية التي نركز عليها حاليا في الدراسات الهندسية .

ومن ثم يحتوي هذا القسم على ملخص بحث محمد مكية (الذي سينشر بصورة مستقلة فيما بعد) والذي ينادي فيه بالتحرك نحو مدرسة فكرية جديدة للعمارة والتخطيط في العالم العربي ، ويختتم الفصل ببحث فريد شافى عن دراسات متخصصة للعمارة والتخطيط الاسلاميين .



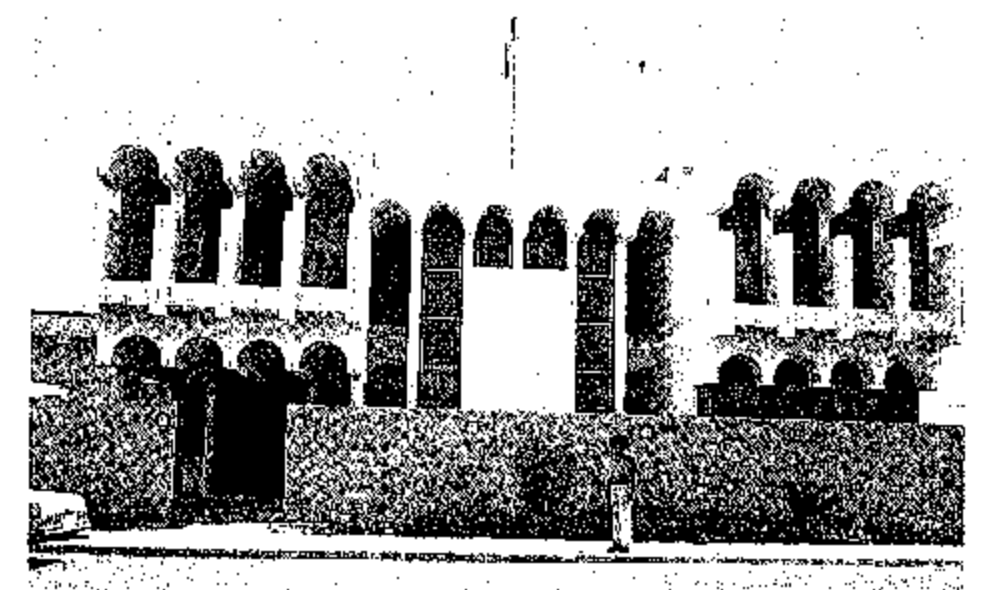
١٧٢ الرياض



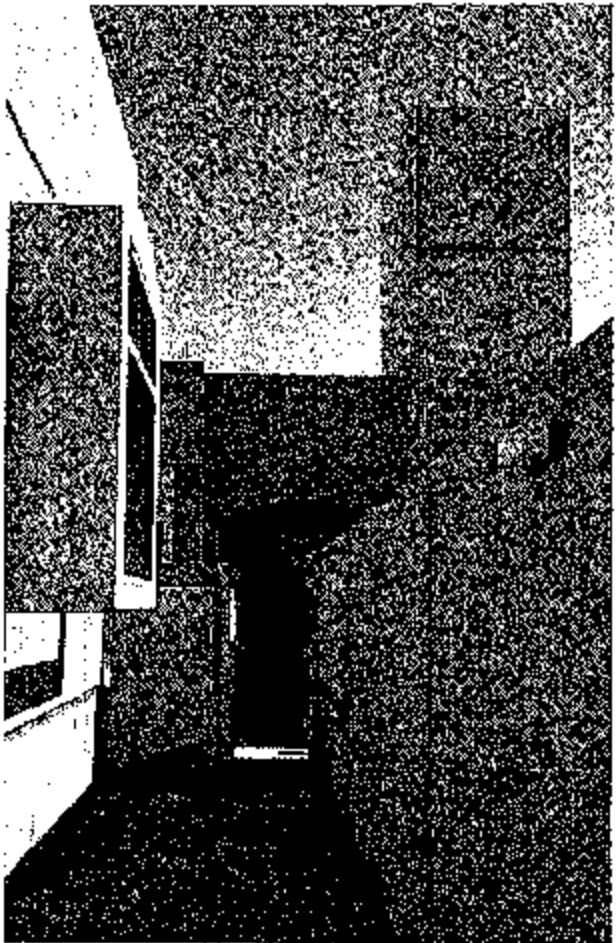
١٦٩ خراسان



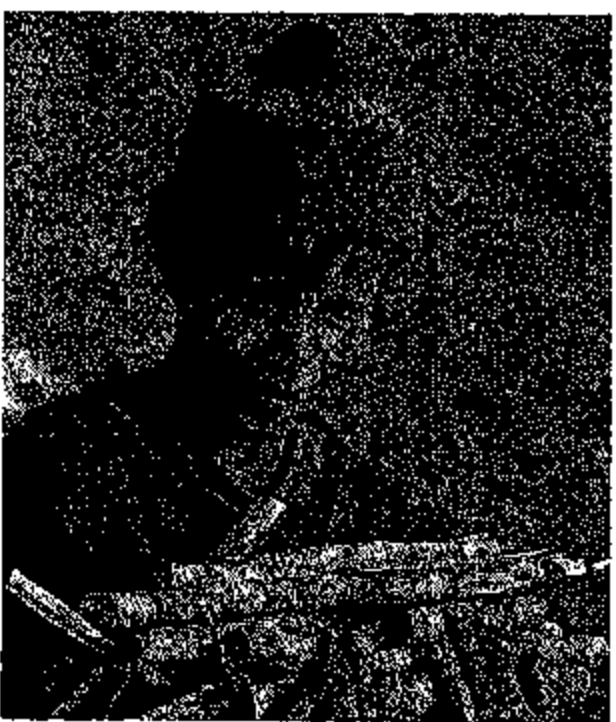
١٧٠ سيدي بو سعيد - تونس



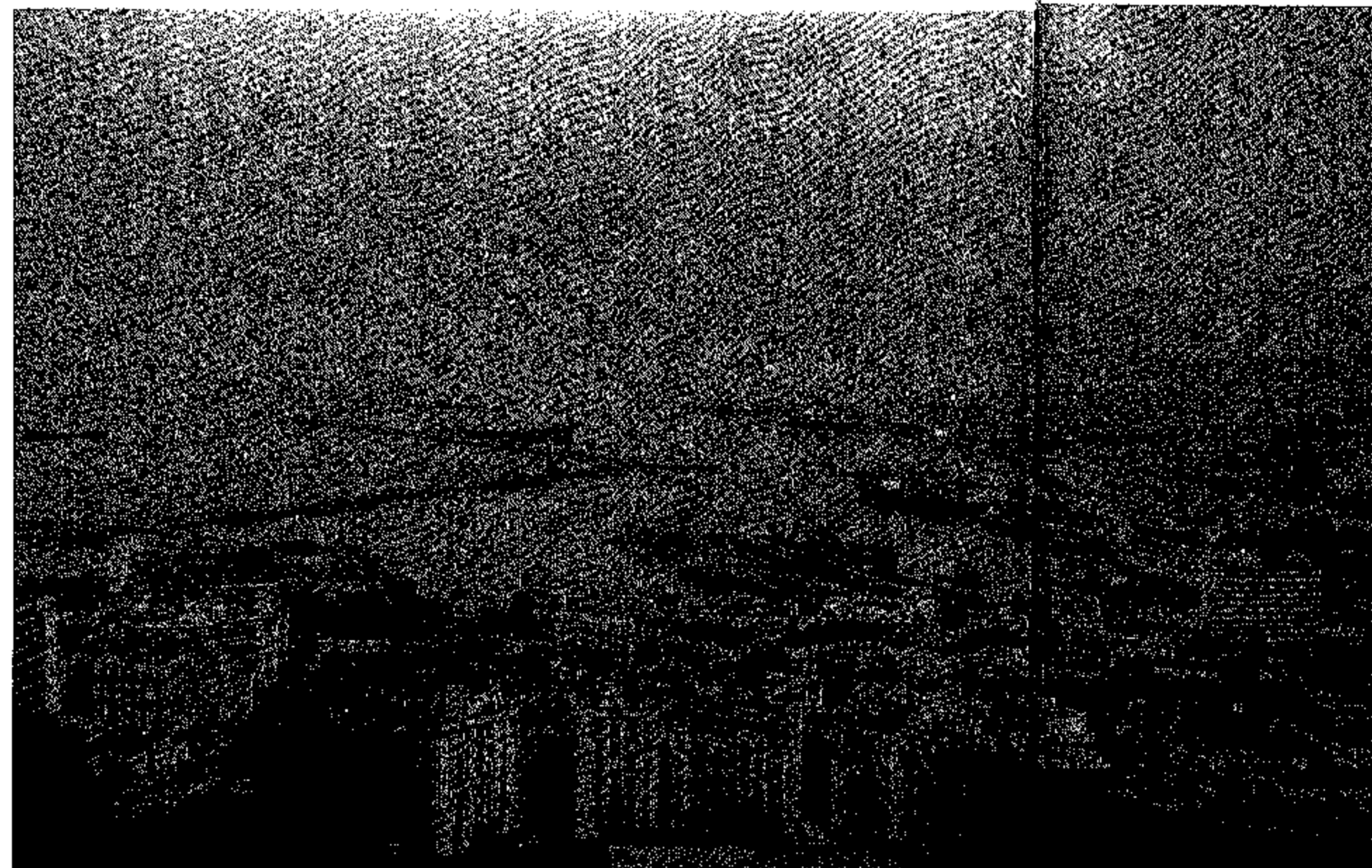
١٧١ أبوظبي



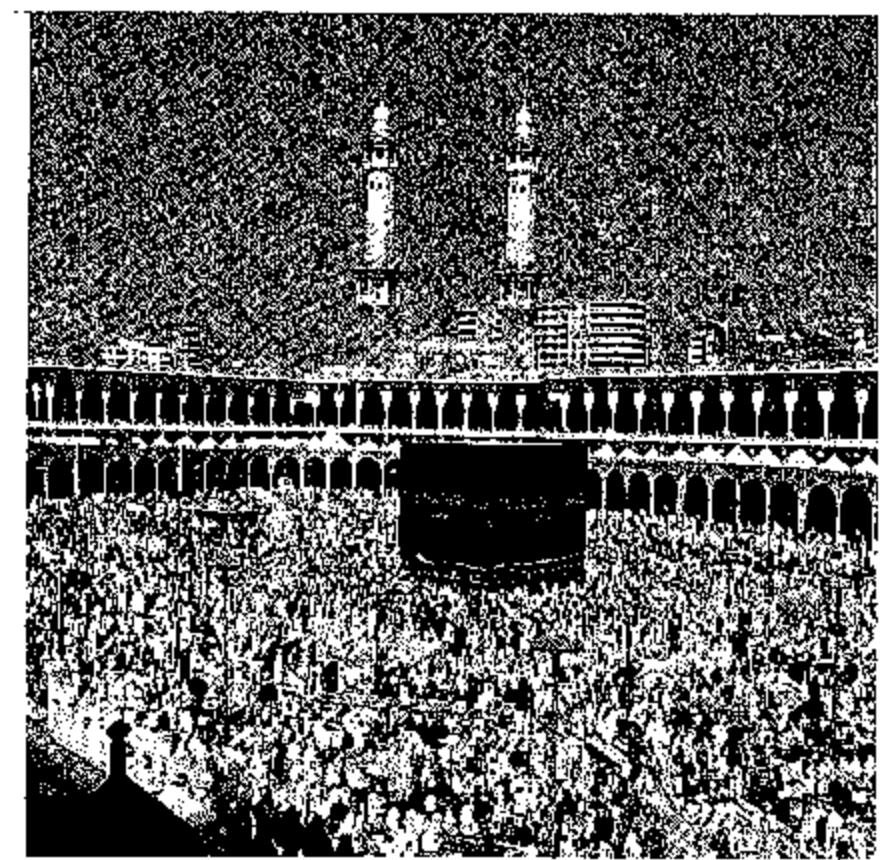
١٧٦ مشروع الاسكان - الرياض



١٧٧ المغرب



١٧٤ الزجاج الملون - صنعاء



١٧٣ الحرم الشريف - مكة

١٧٥ مدينة الجزائر

نحو مدرسة فكرية جديدة للعمارة والتخطيط في العالم العربي

محمد مكة

ان الندوات والمحاضرات قد ساهمت في خلق وعي عام بأهمية الحفاظ على التراث المعماري والعمراني ، وأهمية تأصيله وإثرائه للأجيال القادمة . وقد تولد عن هذه الوعي نية طيبة واسعة الانتشار ، الا ان الهوة واسعة بين النية والتطبيق ، وتستمر اصالة بيئتنا العمرانية تنحسر أمام النزح التحديشي التغريبي .

ولا يخفى علينا ان المقومات الملموسة للمكان لها تأثيرها الواضح في حياة الناس ، وأن هناك تداخلا مستمرا وتفاعلا غير منقطع بين الأنشطة الانسانية والاطار المكاني الذي يحتويها . ومن ثم أصبح السؤال الذي يطرح نفسه في ظل ما يتسم به مجتمعنا من ضياع ، هو كيفية تأمين البقاء الثقافي المحدد للشخصية العربية بمقوماتها الحضارية الاسلامية . واذ يتقدم البحث ببعض الحلول والآراء والنصائح ، فهي مستقاة من خبرة أربعين عاما من العمل والتجربة في التدريس والتصميم والتنفيذ ، في العراق والخليج وأنحاء العالم العربي المختلفة ، ولب ما يراه الباحث في هذا الموضوع هو التأكيد على أهمية تكوين مدرسة فكرية تقود المخططين والمهندسين الى الاهتمام بالجانب المعنوي بالاضافة للملموس ، مدرسة أصيلة تستقي مقوماتها الحضارية من واقعنا وماضيها وتراثنا الفكري وتحدد اتجاهات تقدمية قادرة على مجابهة حاجة الغد من واقع اليوم ، مع تأمين الاستمرارية الحضارية المطلوبة . والفكر الاسلامي هو المغذى الأول لهذه المدرسة . أفكار الوحدة ، المساواة ، عدم الاسراف ، كراهية التبذير والتواضع ورفض عبادة الاصنام كلها تمثل جوهر القيم الاخلاقية التي يجب ترجمتها لواقع بيئتنا العمرانية .

ان هذا الفكر الاسلامي لا يفرض صيغة معمارية واحدة . فالاسلام لا يفرض صورا ونماذج دون غيرها ، بل يفرض قيما وقواعد عامة ، تطلق العنان للقدرات الخلاقية ، فتتنوع النماذج والصور وتختلف التفاصيل ، وان اتحدت في المحاور المنظمة الرئيسية وان اشتركت في احترام القيم وكرامة البيئة .

ان هذا النداء لمدرسة فكرية جديدة ، تحمي التراث العربي الاسلامي وتجده ، يجب ان ينقل الى حيز الواقع استنادا الى استراتيجية ذات محورين : الأول عملية دفاعية لايقاف الدمار اللاحق بنا نتيجة النزح التحريبي ، اما الثاني فهو البدء في تكوين برامج تدريس جديدة للمعماريين والمخططين تتمشي مع ماضيها وحاضرنا وما نتمناه لمستقبلنا .



عن انشاء دراسات متخصصة للعمارة والتخطيط الاسلاميين

فريد شافعي

مقدمة :

عشر قرنا الماضية ، ولم تتعرض للضعف والهوان الا منذ القرن الماضي الذي أخذت فيه التقاليد الاجنبية تزحف في هواده في أول الأمر ثم تزداد وتتفقم آثارها وسرعة تحركها حتى ادخلتها في دوامات هي وشعوبها التي عاشت في ظلها تلك الفترة الطويلة واوصلتهم الى حالة من الدهشة وفقد التوازن بل والى الجمود المشوب بالترقب .

ولا مناص ونحن نتعرض لبحث هذا الموضوع من ان نضع جانبا الحساسيات التي تتصل بالأشخاص الذين يكلفون بالحفاظ على ذلك الطابع وتلك الاضالة ومدى دراستهم ودرايتهم به ، فاننا نجدهم قد بذلوا جهودا فردية في الاطلاع السريع على بعض نواحيه ، ولكن من حيث التفاصيل والعناصر والزخارف ، وهي المعروفة بانها المظاهر والثياب الخارجية ، ولم تتح لهم الفرصة ولا الامكانيات للدراسة العميقة لجوهره ولبه اللذين قامت عليهما وهما تقاليد التخطيط والعمارة في العصر العربي الاسلامي في جميع الاقطار العربية ، فان هذه القوى البشرية التي كلفت وتكلف بالقيام بتلك المهمة الغالية تتمثل في خريجي الجامعات العربية والأجنبية الذين درسوا طرفا غاية في الضآلة في محاضرة أو ثلاث على الأكثر من العمارة الاسلامية وذلك ضمن مادة تاريخ العمارة العام والتي تغطي عددا كبيرا من الطرز المعمارية للعالم المعروف منذ العصور العتيقة من فرعونية واشورية واغريقية ورومانية وعصور وسطى وما بعدها حتى العصور الحديثة ، وهي اذن دراسة عابرة لا تساعد بأى حال من الاحوال على التفهم الحق لتقاليدنا وطابعنا في العصور العربية الاسلامية على مدى تلك الحقبة الطويلة من تاريخنا ، وبالتالي على الحفاظ عليها وازدهارها في القالب العلمي السليم .

مشاكل الأوضاع القائمة :

ونضرب مثلا لما سبق ذكره بانه كان قد انشئ معهد لدراسات الآثار الاسلامية كان يتبع كلية الآداب بجامعة القاهرة منذ عام ١٩٣٦ ، وكانت الدراسة به متاحة لكل من حصل على الدرجة الجامعية الأولى من جميع الكليات الجامعية وما في مستواها ، والتحق به عدد كبير منهم وحصلوا منه على دبلوم كان يعد أعلى من درجة الماجستير حيث كانت الدراسة به تستغرق ثلاث سنوات على الأقل ، وكان من بينهم نحو ٢٠ معماريا وفنانا منذ انشائه وحتى الغائه في عام ١٩٥٤ .

تسير حركات تخطيط المدن العربية وتشيد العمائر على اختلاف أنواعها في خطوات حثيثة واسعة لتقوم بكفاية متطلبات الناس بها في العصور الحديثة والمستقبلية ، ومن ثم فان الاحياء العريقة في القدم والاصالة فيها ، بل وطابع تلك المدن والبيئة المحلية فيها يتعرض كل ذلك لتيارات جارفة من النظريات المستحدثة في التخطيط والعمارة ، مما يخشى معه بل وما حدث وما ينتظران يحدث من ضياع وذوبان تلك الاضالة بتأثير تلك التيارات العاتية .

ومن بوادر التوفيق أن أخذت أصوات كثيرة ترتفع وتتعالى منذ فترة في البلاد العربية منادية بالحفاظ على تراث حضارتنا العربية الاسلامية من نواحيها المختلفة ، وكان أعلاها وأبرزها ما يتعلق بالبيئة العمرانية للمدن العربية من حيث اثارها وتخطيطاتها وعمارتها ، والتساؤل عن كيف يضع المخططون والمعماريون مشروعاتهم لمواجهة النمو والتطور فيها في الحاضر والمستقبل . ومن المطمئن ان اخذت تعقد المؤتمرات والندوات في البلاد العربية التي اهتمت بذلك الأمر الحيوى لبحث الوسائل والخطوات لتحقيق ذلك الهدف الواجب عمله بل كان من الواجب عمله منذ زمن طويل .

فعلى الرغم من التوجهات والتوصيات المشددة التي عنيت السلطات المسؤولة في الحكومات والجهات المختصة بالتنبيه على الحفاظ على الطابع العربي الاصيل الذي يعبر بصدق ، كما عبر من قبل ، عن البيئة العربية التي عشنا ونعيش وسوف نعيش فيها مهما توالى الاحداث وتغيرت مظاهر الحياة ، وان يراعى ذلك بكل دقة في المشاريع العمرانية التي يعهد بها الى المكاتب الهندسية المحلية ثم العالمية لاعدادها وتنفيذها ، الا انه على الرغم مما بذل من جهود لا يمكن انكارها فان النتائج المرجوه للحفاظ على ذلك الطابع لم تصل الى تحقيق القدر الواجب بل انها قصرت في اغلب الاحيان عن ان تحقق منه شيئا الا النادر القليل .

أهمية الدراسات المتخصصة :

وفي اعتقادنا ان ذلك القصور يعود في المقام الاول الى ضعف الجهود في اعداد القوى البشرية التي يقع على عاتقها القيام بتلك المهمة الغالية ، من مخططين ومعماريين ومهندسين وغيرهم ، وذلك باتاحة الفرص لهم للدراسات المتخصصة والمتعمقة لتقاليد التخطيط والعمارة الاسلامية في البلاد العربية ، تلك التقاليد التي ظلت تنبض بالحياة والنشاط فترة الأربعة

ومما لاشك فيه مع كل ذلك ان الغاء المعهد كان من اشد الضربات التي اصابت دراسات العمارة العربية الاسلامية الاكاديمية ، فليس هناك شخص واحد يؤمن في قرارة نفسه بأن صاحب ثقافة غير معمارية يمكن أن يفهم أسس العمارة الاسلامية وأعمالها وأن يدرسها للمعماريين والفنانين والمهندسين .

تجربة رائدة :

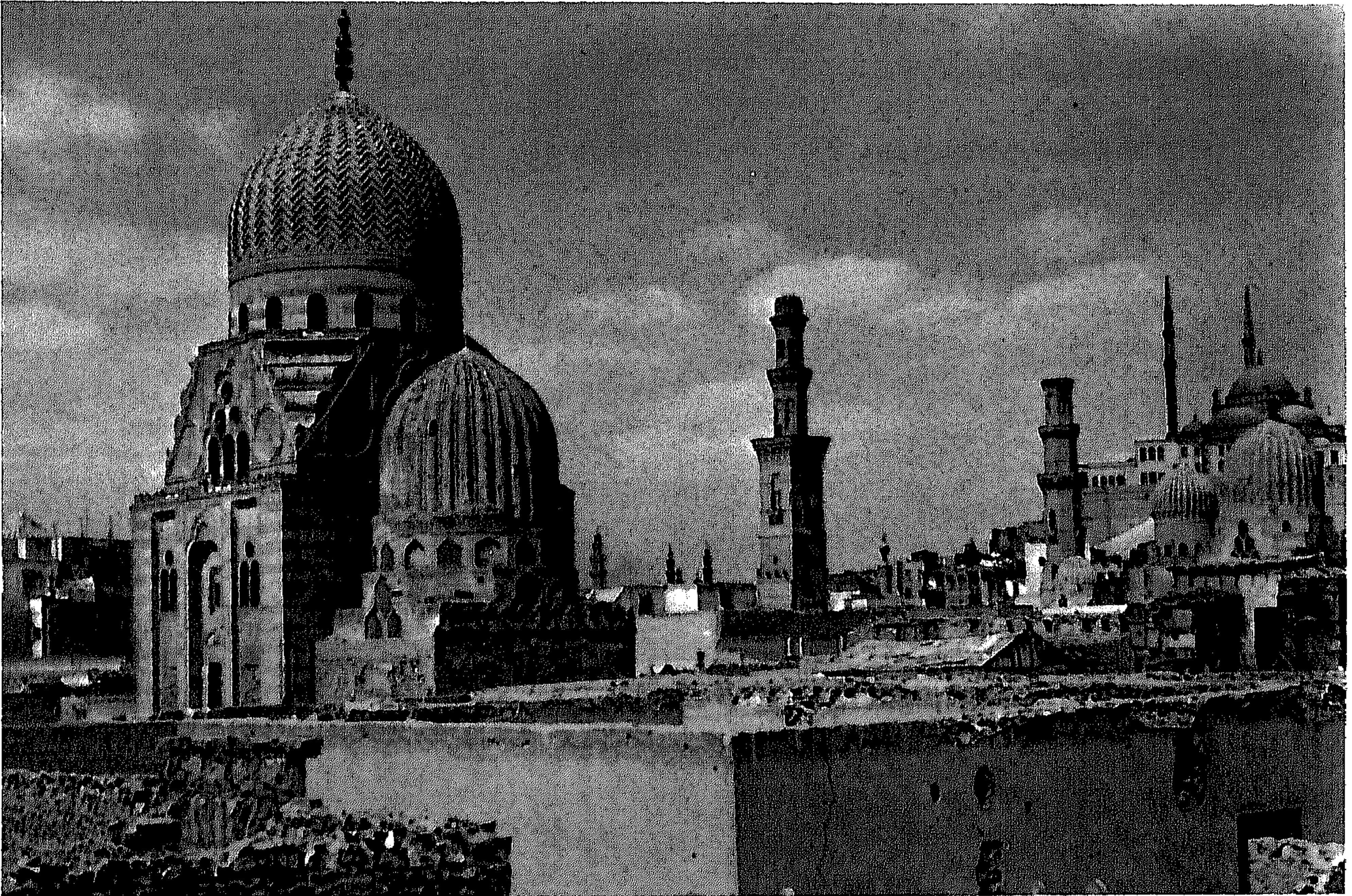
ولحسن الحظ أنه في سنة ١٩٧٠م عندما أسندت إلى رئاسة قسم العمارة بكلية الهندسة بجامعة الرياض ، وفقت إلى أن يضم برنامج الدراسة في القسم مادة خاصة بدراسة تاريخ العمارة الاسلامية العربية ، وبذلك أصبحت جامعة الرياض أول جامعة عربية تدرس فيها تلك المادة وهي قائمة بذاتها وبعد أن كانت تدرس ضمن مادة تاريخ العمارة . وهو أمر كان من الطبيعي أن يحدث في دولة عربية توجد على أرضها أقدس بقاع العالم الاسلامي حيث نزل الوحي على من اصطفاه ليكون رسولا نبيا يهدي الناس الى الدين الحنيف ، وهي الأرض التي خرجت منها جيوش المجاهدين في سبيل نشر ذلك الدين في أنحاء الدنيا .

نحو آفاق جديدة :

ولاحت بارقة امل عندما فكر معالي الدكتور جعفر صباغ الذي كان عميدا لكلية الهندسة بجامعة الرياض ثم شغل منصب نائب رئيس جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة . وعهد الى معالية دراسة مشروع انشاء معهد للدراسات العليا للحضارة العربية الاسلامية ، على ان يكون من أهم جوانبها العمارة الاسلامية .

وكنا نأمل أن يقوم هؤلاء بخدمة دراسات العمارة العربية الاسلامية التي كانت من أهم مواد الدراسة في ذلك المعهد ، وذلك بأن يعدوا أبحاثا متعمقة ترفع من شأن ذلك الطراز الثمين الأصيل ، بل وترفع من شأنهم أيضا ، وذلك بدلا من أن يتركوا الميدان لمن لا دراية له بالعمارة والفنون ويصوم فيه على غير أساس أو علم بها ، حتى أن بعضهم ظن في نفسه القدره على أن يدلى بآراء ويبتكر نظريات مضلله وغير مفهومة لأحد من الباحثين بل وغير مفهومة لهم انفسهم . وبذلك أساءوا أكبر إساءة إلى من يسعى إلى دراستها إما من المراجع التي نشرها أو من المحاضرات التي تلقى عليهم في ذلك المعهد ، ثم في قسم الآثار الذي حل مكانه بعد إلغائه ، ثم في كلية الآثار التي حرّم على المعماريين والفنانين الالتحاق بها ، ولا يسمح لهم إلا بالحصول على دبلوم ليست له قيمة علمية أو أدبية بسبب أن من يقوم بتدريس مادة العمارة الاسلامية لهم هم من شعبة الاداب بلا خلفية معمارية أو هندسية البتة ، وهو أمر يضع كلا من الطالب ومدرسه في موضع غير طبيعي . بل وغير كريم للطرفين .

ومن دواعي الاسى ايضا ان المعماريين الذين تخرجوا من المعهد قد جرفهم تيار لقمة العيش فمنهم من قطع صلته نهائيا بذلك الطراز ، ومنهم من انقلب عليه وانكر وجود شيء اسمه عمارة اسلامية ، ومنهم - وهو الطامة الكبرى - من تجمد على الجزء التمهيدى الذي حصل عليه من دراسته بالمعهد ، ثم اخذ يدعى انه قد ملك العلم كله بذلك الطراز ، وراح يتفلسف بما كاد ينساه ، ولم يخرج الى الناس شيئا منه ، لا في ميدان الابحاث أو ميدان التصميمات التخطيطية أو المعمارية .



١٧٩ مقابر الماليك - القاهرة

واقبلت على دراسة المشروع واعدت فيه كل ما كنت اصبو اليه من آراء ومقترحات ومن توصيات بتجارى السابقة بجامعة القاهرة ، ثم بجامعة الرياض طوال السنوات العشر السابقة .

ورحب معالى الدكتور جعفر صباغ بالدراسة وطلب منى اعداد الخطط للتنفيذ .

وكان من أهم ما تضمنته مقترحاتى للتنفيذ أن يفتح المعهد ابوابه لجميع المعماريين المؤهلين اكاديميا من العرب والمسلمين بل ولغيرهم ، وان يعاملوا معاملة اعضاء البعثات العلمية فى البلاد الأجنبية ، وذلك من حيث المعاملات المالية ، بل واغرائهم بمرتبات مجزية تعوضهم بعض الشئ عن المكاسب التى كان ينتظر حصولهم عليها من مزاوتهم لمهنتهم فى مكاتبهم الهندسية الخاصة أو فى مكاتب هندسية اخرى عديدة ، ثم توفير اطمئنانهم الى معيشتهم هم وعائلاتهم . كما يجب توفير جميع المراجع الهامة الرئيسية التى وضعت عن العمارة الاسلامية وبخاصة النادرة منها التى لا يتسنى للفرد منهم اقتناءها بموارده المحدودة .

وتم ذلك الاعداد المبدئى منذ عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) ، وكنت آمل ان يتسع الوقت للاهتمام بهذا المشروع واخراجه الى حيز الوجود وبخاصة فى جامعة مكة المكرمة وهى مركز الاشعاع فى العالم الإسلامى كله ، وان يتسنى للمعماريين المسلمين اعداد البحوث والدراسات وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عن تلك الناحية العظيمة من تراث الحضارة الاسلامية العريقة المتسعة الابعاد ، وان يثبتوا للعالم كله ان العمارة العربية الاسلامية كغيرها من نواحي حضارتنا ما تزال بخير ، وانها ما تزال صالحة كل الصلاحية للتطور والتمشى مع مطالب الحياة فى العصور الحالية والمستقبلية ، ولأن توفر للمسلمين كل ما يطلبونه فى حياتهم وبيئاتهم التى تطرق اليها الكثير من المبتكرات العلمية والتكنولوجية والمواد والاساليب البنائية

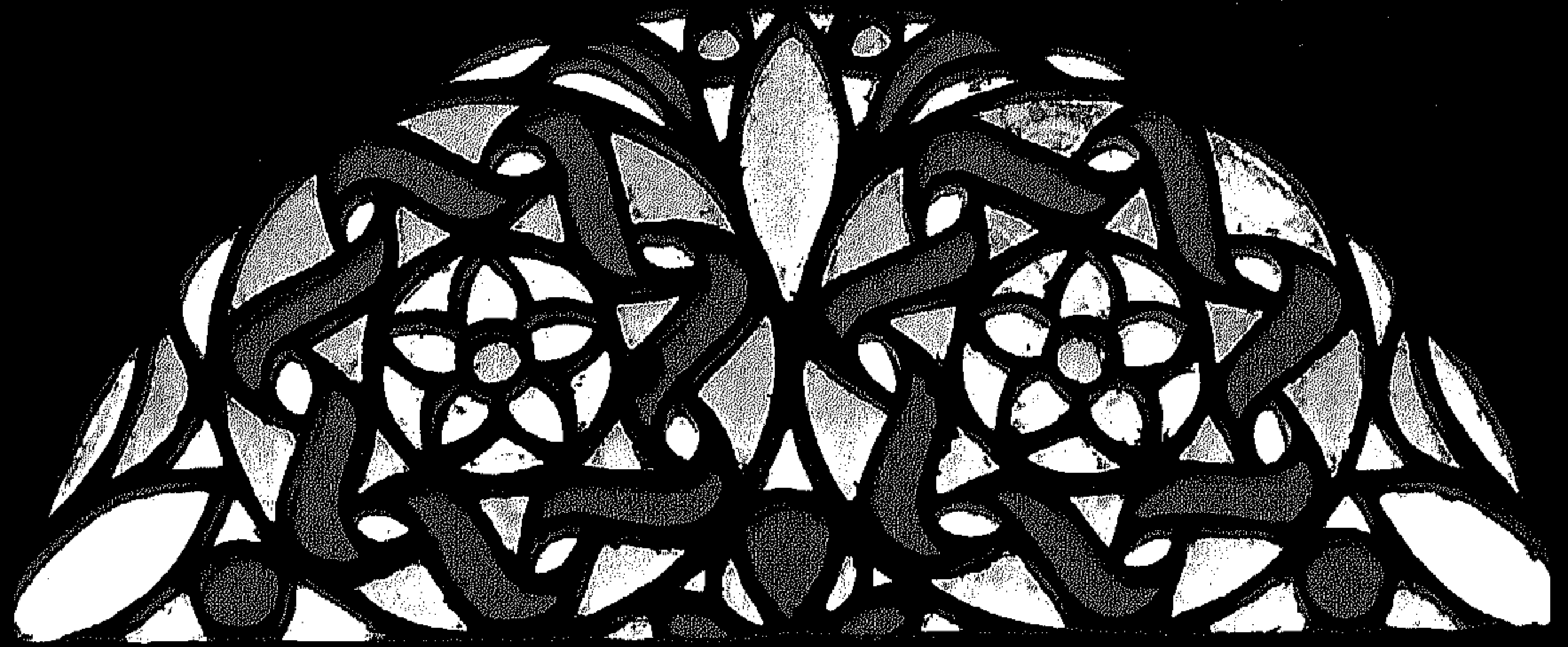
الحديثة ، ومع المحافظة فى الوقت نفسه على اصالتها ، فما يزال فيها من الحيوية ما يثبت انها باقية صامدة لم يتطرق اليها الا ضعف طارىء ولن ينتهى بها الى التوارى فى صفحات التاريخ .

اما وقد تسببت الظروف فى توقف اتخاذ اجراءات فعلية فى سبيل انشاء ذلك المعهد فانى انتهر فرصة الاهتمام بعقد ندوة المدينة العربية لاضع تحت انظار المسؤولين والمهتمين بالتراث العربى الإسلامى هذا الموضوع الذى لاشك فى ضرورته الحيوية لاعداد القوى البشرية التى يمكنها بفضل ثقافتها المتخصصة فى العمارة والتخطيط للمدينة العربية ان تقوم بذلك العبء على الوجه الاكمل .

خاتمة :

ولا اكتفى بالتوصية بانشاء مثل هذا المعهد بل انى اذهب الى أبعد من ذلك فاود ان الفت الانظار الى انه من الضرورة الملحة ان ينشأ امثال هذا المعهد لا فى مكة فحسب بل وفى المدينة المنورة وفى الرياض وفى جدة وغيرها بل وفى جميع الجامعات العربية ، وكذلك من الضرورة القصوى ان تعدل برامج الدراسة لتاريخ العمارة فى جميع اقسام العمارة بالجامعات العربية بغير استثناء بحيث تخصص مادة قائمة بذاتها للعمارة الاسلامية لمدة فترتين دراسيتين على الأقل ، وان تكمل بدراسات عليا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه لذلك التراث الحضارى الهام ، وان تبذل لمن ينقطع لدراستها جميع وسائل التشجيع من منح دراسية سخية ومراجع نادرة وغيرها ، وذلك حتى لا يتجه المعماريون العرب الى الغرب لدراسة النظريات الغربية التى تميل بهم الى نواح بعيدة وغريبة على بيئاتهم واصالتهم ، وحتى يحافظوا بانفسهم على تراثهم الغالى الذى لا يمكن ان يتفهمه بل لن يحاول ان يفهمه واحد من الغربيين مهما بلغ من العلم والثقافة فهو قد عاش حياته فى بيئات بعيدة كل البعد عن البيئات العربية الاسلامية .





الفصل الثالث

دراسات عن المدن العربيّة

يتضمن هذا الفصل عشر حالات من الواقع ، كل مقدم في ملف خاص يعالج وجها أو أكثر من الموضوعات التي نوقشت في الفصلين السابقين ، ولكن يعالجها من الواقع الحي لمدينة عربية اسلامية ، والملفات العشرة والأبحاث التي تتضمنها كالآتي :

أولا : المدينة المنورة

محمد شوقي مكى : النمو العمراني وتغير ملامح تركيب المدينة المنورة
صالح لمى مصطفى : النمو العمراني وخصائصه في المدينة المنورة .

ثامنا : طرابلس لبنان

عبد السلام تدمري : خصائص العمارة الاسلامية في طرابلس وآثارها المماليكية

ثانيا : المقدس :

رائف نجم : الحرم الشريف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلي .

تاسعا : صفاقس

على الزواوي : وضعية مدينة صفاقس العربية الاسلامية والتوسع التجاري والصناعي داخلها .

ثالثا : فاس

عبد اللطيف الحجامي : مدينة فاس في اطار الجهود المبذولة للمحافظة على التراث
نجيب العرائشي بدوي : اشكالية المحافظة على التراث المعماري لمدينة فاس في اطار مخططها التوجيهي .

عاشرا : دومة الجندل

مصلحة الآثار : الحفاظ على خصائص المدينة العربية الاسلامية - حالة دومة الجندل

رابعا : القاهرة

احمد كمال عبد الفتاح (وآخرون) : احياء القاهرة العصور الوسطى
كمال الدين ساح : تاريخ القاهرة الاسلامية .

خامسا : جدة

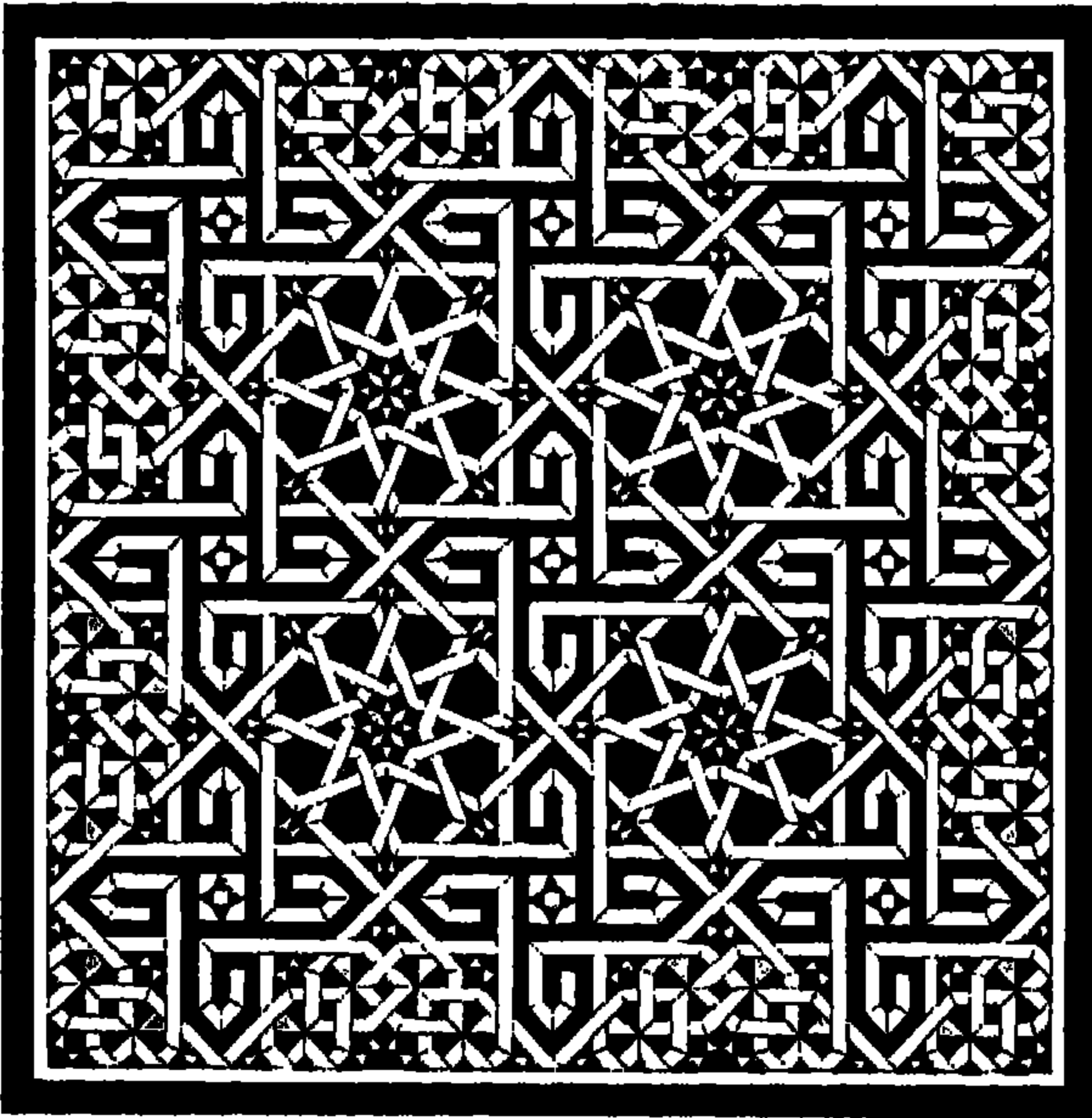
محمد سعيد فارسي وحمزة ابراهيم عامر : جدة القديمة والحديثة

سادسا : دمشق

غسان نويلاقي : الخصائص المشتركة للمدينة العربية والمتمثلة بمدينة دمشق القديمة

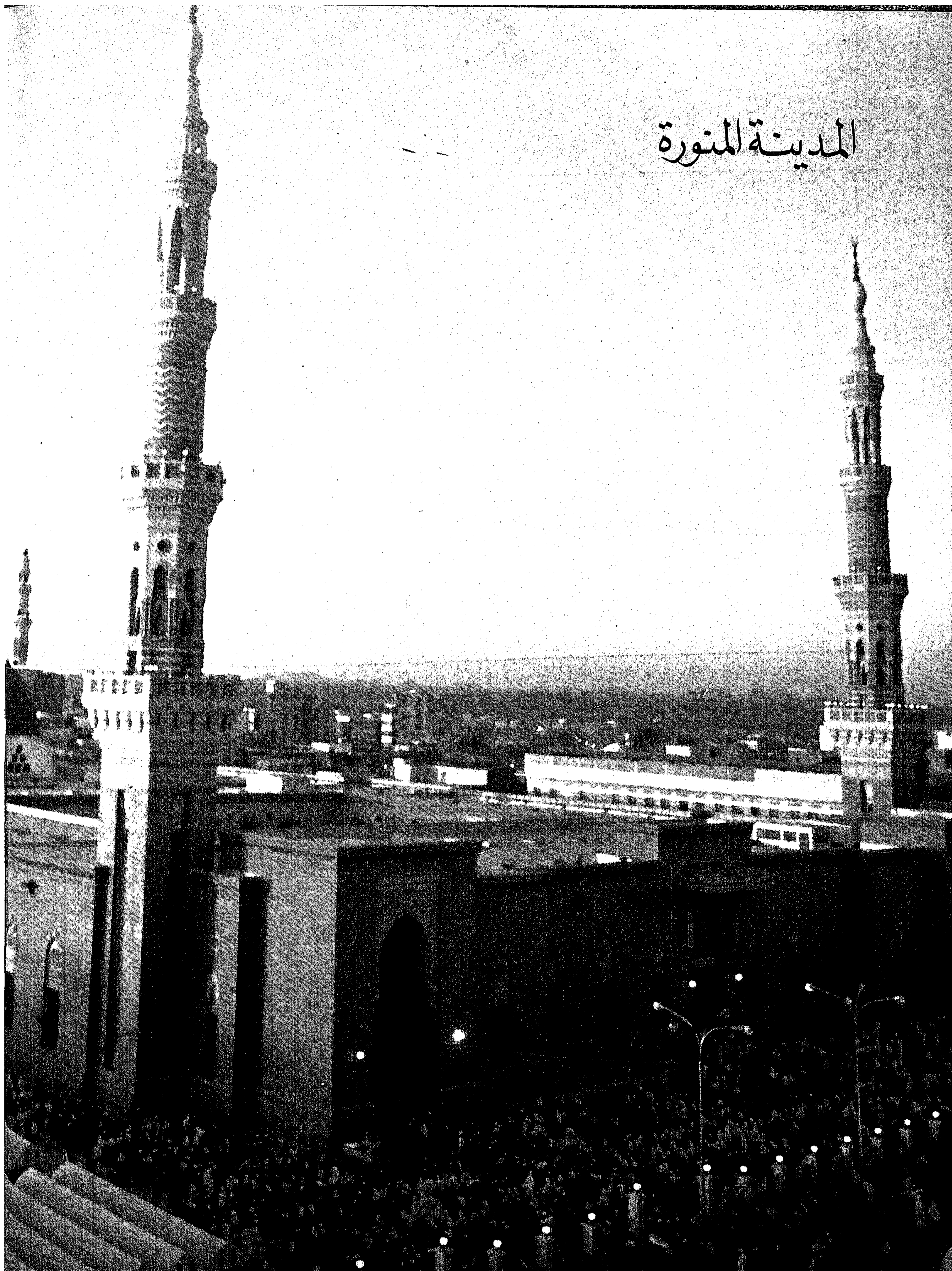
سابعا : تونس

محفوظ الامام : مشاكل التجديد وإعادة اعتبار النسيج التقليدي : تجربة باب سعدون
جميلة بينوس : مبادئ الصيانة وقضية التجديد : تجربة الحفصية .



رسم هندسي من الفن العربي

المدينة المنورة



النمو العمراني وتغير ملامح تركيب المدينة المنورة

محمد شوقي مكي

مقدمة :

توجد ابواب للحرم في هذا الجانب . ولقد اظهر مركز المدينة نوعا من الانسجام الفائق بين أماكن السكن وأماكن العمل .

واحد الامثلة لتطوير التسهيلات هي توسعة الحرم النبوي بين سنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٥ . وقد كانت وزارة المالية والاقتصاد الوطنى هي الجهة المسئولة عن هذه التوسعة حيث زادت مساحة الحرم من ٢١٠٣٠٣م^٢ الى ٢١٢٣٢٧م^٢ . بالاضافة الى هذا هدمت بعض المباني المجاورة للتوسعة السابقة وذلك لتسهيل الوصول وانشاء الميادين حول الحرم . وقد كانت هذه المباني تشغل مساحة ٢١٦٢٣١م^٢ . كما تم بناء ٢١٢٤٧م^٢ من الحرم القديم^٢ . وهذا يعنى بقاء ٣٩٪ . فقط من الطراز التقليدى السابق . على أى حال فمع ان هذه التوسعة للحرم كانت صغيرة الا انها دفعت المنطقة المركزية بوظائفها التجارية لاحتلال اراض جديدة جنوب وشرق وغرب حدودها السابقة . وقد نتج عن هذا التوسع تحول ملحوظ فى استخدامات الارض المركزية وتوزيع السكان . فقد هدم الكثير من المباني السكنية لاتاحة المكان للشوارع الجديدة والميادين حول الحرم والمتاجر والاسواق مثل سوق الخضار الجديد فى ذلك الوقت عند الحدود الجنوبية للمنطقة المركزية . كما حولت اجزاء من المنازل السكنية السابقة لمتاجر .

وقد ذكرت بعض الدراسات ان ما هدم فى هذه التوسعة كان ٢٠٠ منزل و ١٠٠ متجر . ولا توجد فى الواقع أى معلومات عن عدد العوائل أو الاشخاص الذين رحلوا من هذه المنطقة ولكن اذا سلمنا بأن حجم العائلة فى المدينة هو خمسة أشخاص ، فان السكان الذين احتاجوا الى اعادة اسكان يكون قد بلغ نحو ١٥٠٠ شخص ويعد هذا المشروع على اعتبار سكن عائلة واحدة فى كل منزل وتأجير نصف عدد المنازل على الاقل لعوائل اخرى تكون المنطقة جذابة للسكان لقربها من الحرم . ولكن الرقم الحقيقى ربما كان اكثر من ذلك لان مشاريع البلدية التى حدثت فى نفس الفترة لتنظيم المنطقة ادت الى هدم المزيد من المباني . فاحصائيات تراخيص البناء الصادرة من بلدية المدينة بلغت ٤٢٠ رخصة فى سنة ١٩٥٦م ، بمعنى انها أكثر مما تطلبة مشروع الحرم .

ومع ان توسع المدينة على الحواف كان ملحوظا الا أن الحاجة لاىواء الحجاج الذين يرغبون دائما فى السكن قرب الحرم زاد من الطلب على الارض فى المنطقة المركزية . وبالتالي نتج عن هذا نمو رأسى مكثف فى المركز حيث ظهرت المباني بأربعة الى ستة ادوار وربما أكثر ، مع أنه قبل الستينات لم تعرف المباني بأكثر من أربعة ادوار فى المدينة . وقد نتج عن هذا الوضع المتغير وخط الافق الجديد فصل الحرم بطرازه الاسلامى الرائع عن بقية المدينة القديمة وزاد من هذا الفصل بناء الطرق الدائرية الجديدة . وكان من

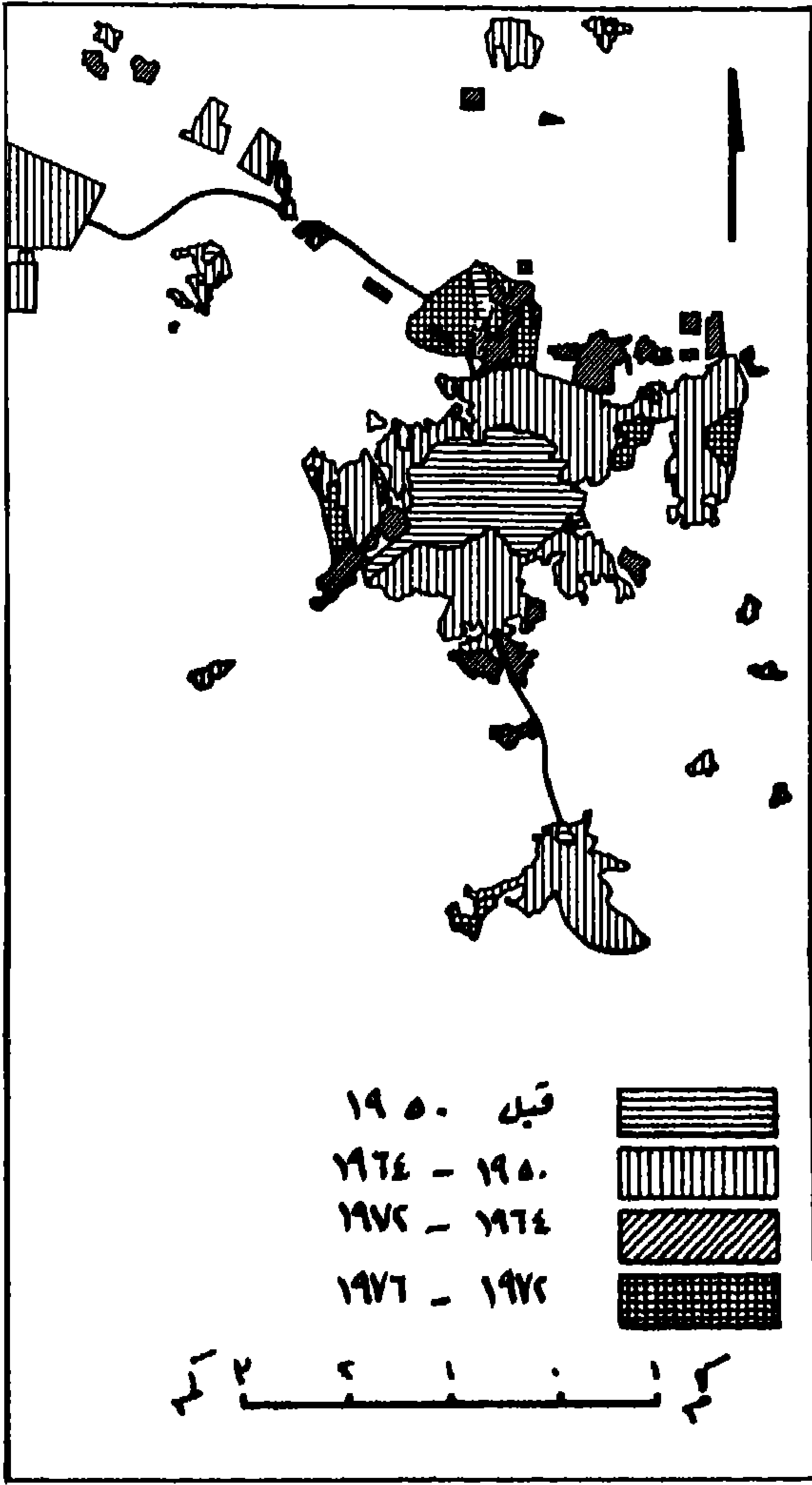
يهدف هذا البحث الى التعرف على مراحل نمو المدينة المنورة لايضاح العوامل المؤثرة فى هذا النمو ومقدار تغيير هذا النمو للوجه الحضارى للمدينة . وهناك عدة جوانب مهمة فى دراسة هذا التطور : - نمو المدينة خلال الـ ٣٠ سنة الماضية . - فحص طبيعة التركيب العمرانى الحاضر للمدينة . - من الفقرتين السابقتين يمكن التعرف على مقدار تأثير التركيب التقليدى للمدينة . ان فهم هذه الجوانب يمكن أن يقود الى تحسين تخطيط وإدارة المدينة ضمن عملية التمدن الحديث مع الحفاظ على التراث الحضارى فى تركيب ووظائف المدينة المنورة .

النمو العمرانى بالمدينة المنورة :

ان النمو الطبيعى وتغير ملامح المدينة أصبح أكثر وضوحا منذ الخمسينات من هذا القرن العشرين (السبعينات من القرن الرابع عشر الهجرى) وخاصة منذ بداية مشروع التوسعة السعودية للحرم النبوى الشريف . فالمدينة المنورة تتركز حول الحرم الذى يعتبر المولد الاول للنشاط فى هذه المدينة المقدسة والمؤثر الرئيسى على حياة كل المدينة منذ عهد بعيدة . فمنذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (٦٢٢ - ٦٣٣م) كان الحرم هو المركز الذى نمت حوله المدينة وتركزت حوله النشاطات التجارية والمهنية والتي ازدهرت بزيادة الأهمية الدينية لقلب المدينة ، وخاصة جذبة للحجاج فى موسم الحج وما يسببه ذلك من زيادة النشاط الاقتصادى وبالذات مع زيادة عدد الحجاج الكبيرة خلال الـ ٣٠ سنة الماضية . ولهذا ظهرت الحاجة الماسة لتوفير السكن والخدمات للحجاج المتزايدين . وكانت توسعة الحرم احد المساهمات الرئيسية التى قامت بها الحكومة السعودية لخدمة الحجاج . وقد كان هذا عاملا هاما جدا فى التأثير على التركيب العمرانى لمركز المدينة المنورة .

توسعة الحرم بين سنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٥م :

حتى الاربعينات من هذا القرن كانت مساحة المدينة المنورة تبعا لما رواه فلبى تقدر بـ ١,٤ كم^٢ ، وقد شغلت المنطقة المركزية (المنطقة الدينية والتجارية) نحو ٢٠٪ . من هذه المساحة . وفى هذه المدينة القديمة وزرع السكان بطريقة معقولة وبما يحقق سهولة الاتصال بالحرم النبوى الشريف . وقد تشعبت معظم الطرق الرئيسية لتقود للأحياء السكنية المختلفة من منطقة الحرم وغالبا ما واجهت هذه الطرق الرئيسية احد أبواب الحرم . فمثلا شارع باب المجدى واجه البوابة الشمالية للحرم ، وشارع العينية واجه باب السلام فى الغرب . ومن هذه الشوارع الرئيسية تشعبت الطرق الفرعية والأزقة التى اخترقت الأحياء المختلفة وأحيانا كان البناء يجاور ويلاصق الحرم كما كان الحال فى المنطقة الجنوبية (حيث القبلة) حيث لا

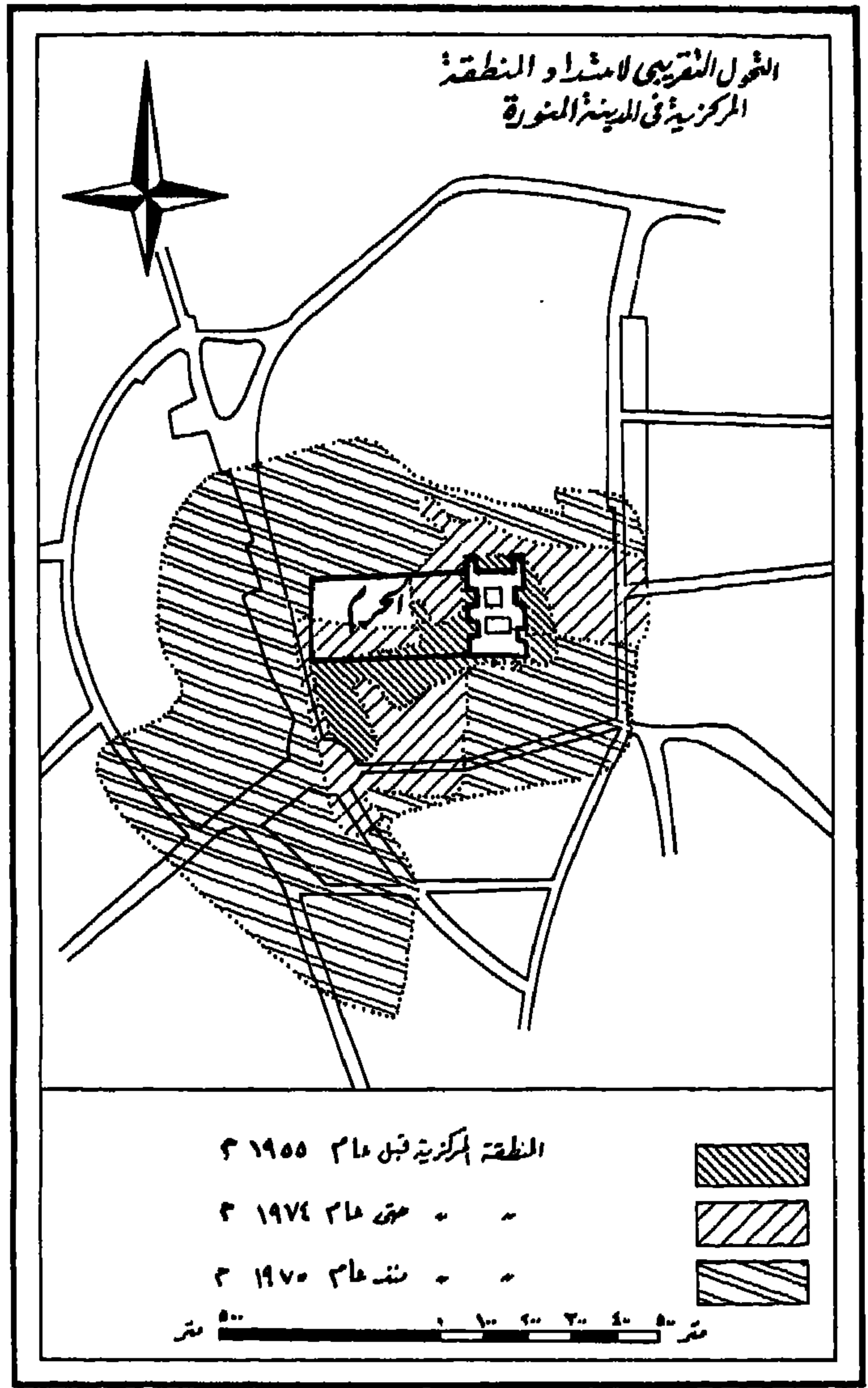


١٨٥ . مراحل توسع عمران المدينة المنورة

توسعة الحرم بين سنوات ١٩٧٤ - ١٩٧٨ م :

وهكذا قررت الحكومة السعودية ضرورة توسعة الحرم النبوي الشريف مرة أخرى . وقد بدأ العمل في سنة ١٩٧٤م بهدم نحو ٢٧٦٠٠ غرب الحرم . وهذا زاد من طاقة الحرم بنحو ١٦١٧٠ شخصا مما جعل الطاقة الاجمالية تعادل ٥١١٧٠ شخصا ، ولكن هذا لم يكن كافيا اذ انه في سنة ١٩٧٤م بلغ عدد سكان المدينة نحو ١٩٨ ألف شخص ، منهم ١٠٧٢٩٢ بالغاً مما يؤكد ضيق الحرم حتى للسكان المحليين وبالتالي اجبار الكثير على الصلاة في الطرقات حوله خاصة في ايام الجمع وحتى في غير موسم الحج .

لهذا بدأت مرحلة اخرى ضمن هذا التوسعة في سنة ١٩٧٦م لهدم المزيد من المباني في غرب الحرم . وقد انتهت عمليات الهدم في نوفمبر سنة ١٩٧٧م ووقع عقد مع احد الشركات لتسيير وتبليط وتظليل التوسعة الجديدة مؤقتا . ونتيجة لهذه التوسعة هدم ١٨٦ منزلا في المرحلة الاولى و ٤٨٤ مبنى في المرحلة الثانية مضيئة بذلك ٢٩٣٧٥٠ لمساحة الحرم ، مما جعل مساحته الاجمالية تعادل ١٢٧٤٧٥م^٢ ويمكنه احتواء ٢٧١٢٢٥ شخصا في وقت واحد . وهذه المساحة تبدو مناسبة لكلا السكان المحليين والحجاج على الاقل خلال العقد القادم .



١٨٤ التحول التقريبي لامتداد المنطقة المركزية بالمدينة المنورة

الممكن الحفاظ على ذلك الطراز التقليدي بالتحكم في ارتفاعات المباني في هذه المنطقة مع التغلب على مشكلة رغبة الحجاج والزوار بالاقامة قرب الحرم بالعديد من الوسائل . فمثلا تشجيع الحجاج للسكن في مناطق بعيدة قليلا عن الحرم مع توفير التسهيلات الضرورية في هذه المناطق وتحسين الوصول للمركز والحرم بالاستخدام الحكيم للمواصلات العامة (مثلا باستخدام قطارات تحت الارض) . كما ان اقتراح استخدام الحافلات الكهربائية يبدو مفيدا جدا هنا وذلك للحفاظ على هدوء المنطقة ولتجنب الخطر على صحة الحجاج المزدحمين والذي قد ينتج من تلوث الهواء بتأثير عوادم وسائل المواصلات الاخرى .

ولقد كانت توسعة الحرم المذكورة آنفا كافية لاحتواء المسلمين من السكان حتى الستينات . فقد قدرت طاقة الحرم الجديدة بنحو ٣٥ ألف مصلى ، بينما كان عدد البالغين من سكان المدينة في سنة ١٩٦٣م ٣٣٧٩٩ شخص . ولكن خلال موسم الحج يحصل الازدحام الكبير في المنطقة ويصبح الحرم غير قادر على انواء كل المصلين . ففي سنة ١٩٧٣م قدر وجود نحو ٢٠٠ ألف زائر في المدينة خلال عشرة ايام وهذا العدد ربما يتطلب زيادة مساحة الحرم لنحو ٢٤ ألف م^٢ لاحتواء هؤلاء الزوار .

العشرين الى الشرايين التجارية الجديدة . فالتجارة منتشرة في شارع المناخة الذى يواجه التوسعة الغربية للحرم . ويلاحظ ان هذا الشارع مستمر في النمو كشریان رئيسى لتجارة التجزئة في المدينة . وهذا ربما يعود لموقعه وارتباطه منذ القدم بالاسواق القديمة القريبة منه والتي اختفت الآن . وهناك ايضا شارع باب العنبرية المؤدى الى جده ومكة والذي ينمو كشریان تجارى آخر مهم . وكذلك هناك نمو مكثف للتجارة في شوارع ابي ذر والمملك عبد العزيز في شرق الحرم وشارع درب الجنائز في الجنوب . وهكذا فستصبح هذه الشوارع وما جاورها المناطق الرئيسية للتطوير المكثف وهذا حتما يقود الى الضغط على الأرض واسعارها هنا اكثر من أى جزء آخر في المدينة .

ونظرة الى تركيب قلب المدينة يشير الى استمرار الاندماج الكبير بين المناطق الدينية والتجارية . ومثل هذا الاندماج كان منطقياً في الماضي حينما كانت المدينة ومنطقتها التجارية متكاملة بشكل كبير لأعطاء أقصى استخدام للمنطقة المسورة المحدودة ولتسهيل عمليات الحماية ومقوية كذلك الروابط الاجتماعية بين السكان . ان استمرارية هذا الاندماج تشير الى ان الوظيفة الدينية للمدينة لها تأثير كبير على عمليات التطوير ومواقع الاسواق أكثر من الهدف التاريخي وهو البحث عن مكان آمن في داخل البلد .



١٨٦ صورة تاريخية للمدينة المنورة

التحولات في المناطق المحيطة بالمنطقة المركزية منذ سنة ١٩٥٠م :

نتيجة لتوسعة الحرم الضخمة كان من المتعذر تحاشي النمو غير المحكوم ونشوء المساكن الفقيرة . فبمجرد بدء التوسعة بدأ فيض من النشاط العمراني في كل المساحات الشاغرة داخل المدينة وعلى حوافها . وهناك بعض الكتاب الذين يرون بان نمو المدن يرتبط بالتناقص التدريجي لاهمية المركز بالنسبة لكل المنطقة المدنية . وهذا قد يعطى المدينة وضعاً فريداً نظراً لأهمية وتأثير القلب الدينى فيها والذي لايزال يؤثر في تغيير تركيب قلبها ونمو منطقتها المدنية ككل . ويمكن القول بان هناك عاملين هاميين يؤثران في ماضى ولحدا ما في حاضر توسع المدينة . هذان العاملان هما تدفق الحجاج السنوي والطبيعة الطبوغرافية للمنطقة . فزيادة عدد الحجاج تعتبر قوة كامنة

ولقد اضطر كثير من الناس الى ترك المركز نتيجة اعمال التوسعة هذه . ففي سنة ١٩٧٢م (أى قبل مشاريع التوسعة الاخيرة) قدر عدد سكان المنطقة المركزية بـ ٦٢٧٧٠ شخصاً وبمعدل كثافة ٣٥ ألف شخص في الكيلو متر المربع الواحد وقد تصل الى ٥٠ ألف شخص في الكيلو متر المربع الواحد في بعض المواقع . وقد امتصت مرحلتنا هذه التوسعة نحو ١ كم^٢ والتي قد تشير الى فقد نحو ٣٥٠٠ شخص أو ٦٪ من مجموع سكان المركز لمساكنهم . وهذه ربما تكون احدى الحسنات غير المباشرة لمشاريع التوسعة . فهي قد خففت مقدار الكثافة الشديدة في المركز للسكان الدائمين والتي تعانى من مشاكلها الكثير من المدن العربية . فمثلاً في تونس تصل الكثافة الى ٥٢ ألف شخص في الكيلو متر المربع الواحد ، وما يقارب هذا العدد ايضا في بغداد .

والمشكلة تظهر في الاهمية المزدوجة لمركز المدينة والحاجة لعدم خلق الاضطراب في وظيفته كمركز ديني وتجارى وسكني . وفي الواقع ان الصفة الهامة للعلاقة القوية بين المنزل ومكان العمل في المدينة قد ضعفت كما اشرنا سابقاً . وهذا يمكن تأكيده بانه في سنة ١٩٧٢م كان يسكن في المركز ٤٩,٥٪ من العاملين فيه والذين قدر عددهم بـ ١٣٣٥٨ شخصاً ، بينما انخفضت هذه النسبة الى ٤٢٪ فقط من مجموع ١٥٨٤٩ عاملاً في المركز .

والتأثير الأخير لتوسعة الحرم يتعلق بالتأثير على طراز نمو استخدامات الأرض . فلقد توسعت منطقة الحرم نحو الشمال والشرق والغرب مجرة سكان ومستخدمى هذه المناطق بالتحرك اما الى اطراف المدينة او الى الجنوب من المركز السابق . والتحرك نحو الجنوب كان لحد كبير انتقائياً . فالجزء الجنوبي من الحرم هو اقدس جزء من الحرم لاحتوائه قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والقبلة . وبالتالي اصبح سكان الاحياء النامية في هذا الاتجاه مثل حى قباء وعلى امتداد الاحياء القديمة المجاورة من مجموعة الموسرين . ولقد قبلت هذه المجموعة بتحريك النشاطات التجارية اليها من الاجزاء الاخرى من المنطقة المركزية التي تأثرت بعمليات توسعة الحرم ، اما الورش ومحلات الاعمال المهنية فلم يرحب بها ولهذا فقد اجبرت مثل هذه النشاطات الى البحث عن مواقع رخيصة في شمال المدينة .

هذه التحولات الحديثة اعادت تركيب المدينة بشكل مكثف . فلم تعد المدينة تقترب من النمط التقليدي السابق للجهود الصناعية في نمو المدينة والتي اشار اليها Sjöberg حيث توجد النشاطات الحرفية في القلب وعمل سكان حواف المدن بالزراعة . وكما هو الحال في كثير من مدن الشرق الاوسط ففي المدينة الآن عدة نشاطات صناعية منتشرة حول حواف البلد . وفقط في المنطقة الجنوبية بقيت بقايا من التركيبات التقليدية حيث الاسواق التي تقود الى الحرم .

في الوقت الحاضر لم يبق في المدينة اى من الاسواق القديمة المغطاة ، وكل ما تبقى هو جزء صغير من الجانب الغربى من سوق القماش في جنوب غرب الحرم . هذا الجزء لايزال يحكى التراث المعماري السابق لمشاريع التطوير الحديثة . وقد نقلت استخدامات سوق القماش التي عملت كمركز تجارى هام في المدينة منذ عدة قرون وحتى الستينات من هذا القرن

التحكم في النمو :

ان عملية اتخاذ القرارات بالتنمية ليست سهلة فالقرار السريع وغير المدروس قد يدمر اكثر مما يعمر . كما ان القرار يجب ان لا ينظر فقط الى التكلفة الاقتصادية وانما ايضا الى التكلفة الاجتماعية والتاريخية . ولننظر في هذه التكاليف المختلفة لابد من الانحراط الفعلي في المشكلة ومشاركة الآخرين آراءهم وخاصة من يلحقهم تأثير تلك المشاكل .

ان تحويل النمط العمراني كلية داخل المنطقة المركزية سيقود حتما الى تمزيق الخصائص الاصلية الموجودة في نسيج المدينة . لقد اعتبر التخطيط التقليدي في المدينة القديمة من قبل بعض المخططين معيقا للنمو الحديث . ولكن في الواقع ان التقليد غير العمل المقترح من قبل كثير من الشركات الاجنبية في الخطط الجديدة والتي بورتكت من الاعماق محليا يمكن ان يضر الصفات البيئية العامة . وهذا يشمل توسعة الشوارع وتعويض فقدان بعض الارض بالتوسع الرأسي في كتل المباني الخرسانية . فهذه المباني غالبا ما تقود الى تصميم الغرف الصغيرة وقلة التهوية الطبيعية . وكبدل لذلك يصبح تكييف الهواء هو (القاعدة والتي بدونها تصبح الحياة في هذه الغرف من المستحيل تحملها خاصة اذا كان تمويل الكهرباء غير معتمد عليه خاصة في فصول القمّة . ان التركيب التقليدي للمدينة القديمة قد تطور على مدى العصور فهو يعكس تاريخها ولهذا لا يجوز هدمه بدون التفكير العميق . ولصيانته شخصية المدينة من التدمير ربما يكون من الافضل تحويل النمط القديم فقط حيث تحتمه الضرورة القصوى مثل توسيع مداخل الاحياء القديمة . فالتحول التدريجي يسمح بهضم الأفكار الجديدة ولنشوء الحلول المحلية الملائمة والمناسبة لمنطقة دينية كالمدينة . فالنمط العمراني القديم له قيمة كبيرة لدى كثير من الناس المتخصصين والعاديين . لهذا فان أى مشروع تطوير يجب ان لا يتجاهل هذا وان يعتبر الرغبات الشخصية للسكان بالإضافة الى المضامين التقنية . أما النمو الغافل فقد يؤدي الى عدم التجانس بين السكان وبيئتهم . كما انه بالامكان تبنى الطراز القديم ليقود قواعد التحديث المناسب لطبيعة المنطقة الجافة . في الواقع انه نتيجة للنمو الحديث فان كثيرا من الطرز المعمارية القديمة والنادرة قد اختفت مثل الممرات المسقوفة ذات العقود على جنبات الطرق والتي هدمت لتوسعة الشوارع . بينما كان بالامكان أن تبنى الممرات المقنطرة على الارصفة الجديدة حتى مع استخدام مواد البناء الحديثة . على العكس من ذلك نجد ان هذه الارصفة والضيقة احيانا مشغولة باعمدة الكهرباء او بالسيارات المحيطة باشجار الزينة . ان هذه الارصفة لم تخلق لمثل هذه الاستخدامات وانما لسير المشاة وبعدهم عن مسارات السيارات . أما وضعها بالطريقة المشار اليها كما في شارع قباء والمناخة فهو امر مخالف لقواعد هندسة طرق المدن ، بالإضافة الى خلق تنوعات غير منتظمة وغالبا غير جميلة بفعل صدمات السيارات لها على امتداد افق الشارع مما يؤدي الى تشوش المنظر لدى المشاة . وبالمثل فان ابراج التهوية (او ما يسمى محليا بالجلال) كوسيلة للتهوية بدون الاعتماد على مصدر طاقة يمكن أن يدمج في الازمنة الجديدة لمقابلة حوادث اعطال الكهرباء . وكذلك يمكن استغلال المباني القديمة لاهواء العمال والسكان المعتمدين على الاجبار المنخفض . وباختصار فان الجزء القديم من المدينة يجب ان يسمح مسحا دقيقا ويخطط بواسطة خبراء اكفاء ومتفرغين عن العمل لاعتبارات

تسبب نمو مركز المدينة وبالتالي تدفع الى توسع المدينة على المناطق الشاغرة على الاطراف ، ولكن التحولات السريعة وغير المضبوطة في شكل الأرض والنتيجة عن التأثير القوي لهذه القوة كثيرا ما تفقد النمو المدنى التوازن والاصالة . اما الظروف الطبيعية فقد منعت النمو العمراني في مناطق معينة من المدينة لقرن عديدة مثل مناطق الحرات الشرقية والغربية والجنوبية . ولو أن بعض المساكن الفقيرة قد انتشرت في هذه المناطق منذ الخمسينات من هذا القرن .

بعد توسعة الحرم الاولى (١٩٥٠ - ١٩٥٥ م) ومشاريع البلدية لتنظيم داخل المدينة بنى العديد من الطرق لتوصيل المدينة القديمة بالضواحي المبنية حديثا والمواضع التاريخية . ومنذ بداية هذه المرحلة فالنمو العمراني لم يتبع اتجاهها معيناً ومحدداً وإنما تبنى مسارات الطرق الرئيسية المتجهة من الشمال للجنوب بالإضافة الى بعض الاحياء الفقيرة في شرق وغرب المدينة والتي ربما كان نشوؤها يرجع الى تدفق العمال المشتغلين في اعمال التوسعة والذين بنوا مساكنهم الرخيصة والعديمة التنظيم على الاراضي الشاغرة خارج السور القديم للمدينة . بينما امتدت مساكن الاغنياء والأكثر انتظاما على طول الطرق وحيث تتوافر الخدمات العامة . وهكذا نجد عدة اذرع ممتدة من مركز المدينة الى القرى المجاورة ، خالقة بذلك نموا شريانيا .

ولقد استمر نمط النمو السابق حتى سنة ١٣٧٥م حينما اتجه النمو الاساسي للمدينة في الأماكن الشاغرة حول المنطقة المدنية ونحو الشرق والشمال الشرق حيث الحرة الشرقية ونحو الشمال الغربى حيث شملت مناطق سيد الشهداء وسلطانة . وقد ساعد على هذا النمو رخص الأرض في شمال المدينة بمقارنة جنوبها . ولا تزال اقصى الأطراف الشمالية والجنوبية من المدينة هي أقل المناطق كثافة في المدينة . وهذا يجعل المدينة تسير نحو الطراز الغربى في كثافة المدن حيث تقل كثافة السكان في الضواحي وفى المركز (نتيجة لتوسعة الحرم في المدينة) مع حزام اوسط بكثافة اعلى نوعا ما . ولقد بلغ عدد المباني المرخص لها في الفترة من ٧١ - ١٩٧٦ م ٨٩٥ مبنى ، بينما لو حسبنا ما هدم في توسعة الحرم الثانية ومشاريع البلدية وما تطلبته الزيادة الطبيعية للسكان لبلغ العدد الاجمالي المطلوب ١٥٦٩ مبنى ، مما يعنى بانه كان هناك عجز يقدر بـ ٦٧٤ منزلا في تلك الفترة . ولكن لا شك ان صندوق التنمية العقارى قد حل مشكلة الكثير من السكان في توفير السكن الملائم لهم ، ولو انه لا تتوافر حاليا لدينا الاحصائيات الدقيقة ولكن التجول في المدينة ورؤية الكثير من المنازل الشاغرة دليل على توفر السكن الكافى في الوقت الحاضر في المدينة .

وقد كان لمشاكل الاسكان في مختلف المدن السعودية الفضل في تأسيس وزارة الاسكان في سنة ١٩٧٥م والتي تبنت الكثير من مشاريع الاسكان في المملكة ومنها المدينة . فقد تم التعاون مع مكتب تخطيط المدن لتخصيص مناطق معينة مخططة في الحرة الشرقية والحرة الجنوبية الغربية لبناء مساكن ذوى الدخل المحدود وغيرهم وهذا كان يعنى بدء عهد جديد في تاريخ المدينة المنورة حيث ارتبط النمو بالتخطيط وتمد الخدمات مسبقا . كما أصبح بالامكان بناء مبان حديثة في منطقة ظلت لفترات طويلة تشكل عقبة للنمو نظرا لطبيعتها الطبوغرافية .

تجارية . وهذا يعنى توفير الكوادر الوطنية المخلصة أولاً قبل تنفيذ أى مشروع . ونتيجة لهذا المسح يمكن حفظ وصيانته المباني القديمة من الهدم والاستبدال بمباني الشقق وعدم السماح للسيارات بفرض شكل قلب المدينة .

ولصيانة المناخ الدينى المهيم للحرم فمن الضرورى وضع بعض الأسس للتحكم الصارم فى النمو الرأسى فى كل المدينة ، وذلك للتأكد على خط افقى منتظم ومتوازن . ففى الوقت الحاضر لا يوجد مثل هذا التحكم حول الحرم (ولو انه وجد فى مناطق اخرى من المدينة حديثاً) فنجد المباني بسطة ادوار أو أكثر بجانب المباني بدورين وفى مجاورة الحرم . مع انه فى اعتقادى كان من الواجب عدم السماح لهذه المباني بالسيطرة أو الارتفاع أكثر من ارتفاع الحرم او على الأقل عدم حجب مناره مع التأكد على ان تبقى هذه المباني منسجمة فى طرازها مع الطراز العمارى للحرم . أما المباني المرتفعة فيمكن ان يسمح لها فى مناطق أخرى معينة من المدينة مثل جبل سلع على حافة مركز المدينة . كما ان الزام اصحاب المباني الجديدة فى كل المدينة بتبنى بعض عناصر الطرز العمارية القديمة على الأقل فى واجهات المباني أمر مهم جداً للمحافظة على التراث الحضارى . أما فى الوقت الحاضر فان الأمر متروك لرغبة الشخص ، وكثير من هؤلاء يرغب فى اقل التكاليف لان ادخال بعض عناصر العمارة الاسلامية من عقود وافريزات معينة قد يزيد من التكاليف . لهذا فانه يجب على مصممي المباني محاولة ادخال هذه العناصر وحتى لو بأبسط الصور وبأقل التكاليف ، فمثلاً يمكن تبنى هذه العناصر فى عمليات الدهان الخارجية بحيث تعطى طابع العقود والاقواس المختلفة .

ان الحفاظ على التراث يجب ان يشمل تقدير كل النسيج المدنى وليس فقط المناطق الاثرية لان النسيج الحاضر سيصبح يوماً ما فى المستقبل عملاً اثرياً فالعناية به من الآن تقلل من عمليات تمزيق التراث . ومن معرفة طاقة الحرم المذكورة سابقاً فانه يبدو انه كان من الممكن الاستغناء عن الهدميات فى المرحلة الثانية من توسعة الحرم الثانية وذلك بتبنى بعض البدائل . فالحرم بعد توسعة المرحلة الاولى من التوسعة الثانية (١٩٧٤ - ١٩٧٦ م) يمكن ان يستوعب ٧١٧٥٥ شخصاً . وتبنى الطريقة الناتجة التى استخدمت فى

مكة من بناء دورين للحرم (بدون تحويل بقية البناء السابق لـ ١٩٥٠ م) يمكن زيادة مساحة ارضية الحرم لتستوعب نحو ١٣٢٢٠٠ مصلى ، وهذا يزيد على مجموع عدد الحجاج المسموح لهم بالاقامة فى المدينة فى وقت واحد وهو نحو ١٠٠ ألف شخص بينما يمكن تحسين المساجد الاخرى البعيدة عن الحرم وتوسيعها مثل مسجد قباء لاستيعاب المصلين المواطنين فى أوقات القمة مثل موسم الحج وذلك لترك الحرم لاستخدام ضيوف الرحمن .

ان اتباع هذا النهج ربما يمكن من صيانته مبان كثيرة ذات قيم حضارية عالية من الهدم كما فى شارع الساحة . بينما كان بالامكان تبنى التوسعة لبعض الممرات التى تقود الى الحرم وخاصة فى المناطق الخربة والتى يستحسن هدمها وذلك بعد دراسة مستفيضة وموافقة كل من المخططين والمهتمين بالتراث وواضعى القرارات . وهذا يعنى انه من الضرورى تأسيس جهاز قوى فى المدينة يكون تابعاً للبلدية او مستقلاً للاتصال مباشرة بوزارة الشؤون البلدية والقروية لرعاية شئون التراث الحضارى المتعلق بالمدن وتركيبها . على أى حال فان بناء دورين فى الحرم قد يزيد من ارتفاع خط الافق ومن امكانية ارتفاع المباني الخاصة حوله لمن اراد الاستغلال المادى .

كما انه يبدو من غير الضرورى توسعة الشوارع فى المدينة القديمة حيث ان زيادة عدد الحجاج تجبر السلطات المختصة على تحويل بعض الشوارع حول الحرم للمشاة . لهذا فان الشوارع القديمة تقدم الاساس لشبكة المشاة فى المستقبل فى قلب المدينة وعليه يكون من باب تبذير الموارد تبنى هدم المنطقة التاريخية حول الحرم لمرور السيارات ويعد سنوات قليلة يمنع المرور عن هذه الشوارع .

والتحولات فى التركيب العمارى يجب ان لا تحدث فى المواقع المجاورة مباشرة للحرم ولكن فى المناطق الخلفية والتى تبدأ من شارع المناخة باتجاه الغرب . ولكون المدينة مستوية السطح تقريباً فى مركزها فان الفرصة لنمو المستقبل ليست محدودة جداً ، كما يمكن اتباع النمو البؤرى حول المدينة بالاضافة الى النمو المتدجج فى المدينة . فهناك عدة مواقع لها كافية كبيرة للنمو . فمثلاً



١٨٨ النخيل بالمدينة المنورة



١٨٧ صورة تاريخية للمدينة المنورة

والترفيه في داخل المدينة يتركز حول الحرم . فهنا يأتي كثير من الناس للصلاة في الحرم وزيارة قبر الرسول او الاستماع الى بعض الدروس الدينية . وخلال موسم الحج تزدهم المنطقة حيث يعتبر الحج كنوع من الترفيه الروحي بل ان كثيرا من الناس يعتبرون الحج فرصة للتعرف على اقوام واوطان جديدة وفرصة للبعد عن مواطنهم الاصلية وتغيير الجو . ولوجود الاسواق الرئيسية في المدينة حول الحرم فان كثيرا من الناس يتسوقون ويقضون ساعات فراغهم في هذه المنطقة . لهذا فان تطوير بعض الخدمات الاساسية يكون عاملا مهما في هذه المنطقة مثل وجود المقاعد العامة وخاصة في اطراف الارصفة الواسعة بدل السماح للسيارات بالوقوف عليها . وحبذا لو أن المتاجر ذات الواجهات المقوسة والعائدة للقرن الـ ١٣هـ والتي كانت تشغل شرق شارع المناخة لم تهدم وانما حسنت كما تم بالنسبة للمساجد الاثرية في المنطقة . هذه المتاجر لم تكن تشغل مساحة كبيرة . لهذا فان بقاءها لا يمكن ان يؤثر على توسعة الحرم بشكل كبير وبالعكس فإنه يضيف مظهرا عمرانيا طيبا ويخفف من الطلب على المتاجر في المركز .

منطقة عروة على بعد نحو ٣ كم غرب مركز المدينة والتي كانت منطقة ترفيهية للمدينة اشتهرت بمقاهيها . وفي الوقت الحاضر توجد بعض المساكن بها ولكنها قائمة بطريقة عشوائية والتي يمكن أن تنظم وتخطط للنمو . وعلى بعد نحو ٦ كم جنوب غرب مركز المدينة توجد منطقة آبار على حيث يوجد هناك مسجد تاريخي . وهذه المنطقة هي ميقات احرام الحجاج القادمين عبر المدينة للحج أو العمرة في مكة المكرمة . وهي ايضا النقطة الغربية لفصل دخول المسافرين المسلمين من غير المسلمين الى المدينة . وهذا يعنى بان هذه المنطقة تضم قيمة دينية كبيرة للنمو . وتوافر بعض الخدمات والمرافق بها يدعم هذا مثل وجود محطة كهرباء المدينة ومحطة التلفزيون والكلية المتوسطة . ان توجيه النمو لهذه المناطق سيخفف الضغط على المناطق الداخلية من المدينة ويمنع تدمير تراثها الحضارى وخاصة في المنطقة المركزية كما حدث مؤخرا . فالطلب هو خطة مستقبلية بعيدة لتحديد استخدامات الارض مع الأخذ في الاعتبار الاحتياجات الاجتماعية واحتياجات التراث وليس فقط الاحتياجات الاقتصادية .

المناطق ذات القيم التاريخية والجمالية الكبيرة في المدينة :

وهناك بعض الابنية ذات القيم المعمارية الكبيرة والتي يجب صيانتها لظهار الميزة الحضارية التاريخية للمدينة ، كما يجب فتحها للزوار للترفيه العام خاصة في مواسم زيارة الناس للمدينة . فمثلا هناك محطة السكة الحديد في باب العنبرية التي يأسف الانسان لذهاب الكثير من معالمها واستخدامها كموقف او محطة لسيارات الحجاج . وقد كان بالامكان تطوير الموقع كمتحف تاريخي يجذب الزوار والسكان المحليين وتزويده بالكثير من القطارات والآليات القديمة المنتشرة في عرض الصحراء على طول الخط الحجازي وذلك بعد صيانتها . أما موقف السيارات فكان بالامكان انشاؤه في الجهة الجنوبية المقابلة بعد تسوية ارض الحرة هناك . وهناك ايضا بعض الابنية القريبة من محطة السكة الحديد والتي كان بالامكان صيانتها وفتحها للترفيه العام مثل القلعة القديمة والتي حولت الى مجمع حكومي يضيق الآن بدوائر الحكومة ، أى أنه لم يؤد الغرض الذي انشئ من اجله . وهناك التكية المصرية التي ضعفت وظيفتها في الوقت الحاضر نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة ووجود فرص العمل لكل السكان مما يجذب فتحها للزيارة العامة كبناء فريد من نوعية في المدينة . وفوق جبل سلع يوجد العديد من القلاع العثمانية التي يمكن ان ترمم او يهد الطريق اليها ولو حتى للمشاة وذلك لتعمل كمكان ترفيهي جميل يعطى منظرا للمدينة وما حوها . ويمكن ان يدخل تحت هذا الباب ايضا العمل على ترميم وصيانة البقية الباقية من غرب سوق القماش في موقع باب المصرى والحفاظ على هذا الجزء كمؤشر للنشاط التجارى السابق في هذا الموقع ولحفظ المظهر الرائع لاحد ابواب المدينة السابقة والاشجار من حوله تظله . وفي المدينة العديد من المكتبات الخاصة المحتوية على الكثير من الكتب النادرة ، فحبذا لو جمعت في مكتبة حديثة تتبع نظام الفهرسة الحديثة لارجاع وظيفة المدينة كمركز حضارى تعليمي يأتيه الوافدون من جهات العالم المختلفة . ان تمويل مثل هذه التسهيلات يدعم ويحقق اهداف خطة التنمية السعودية الثانية لخلق نشاطات وتسهيلات جديدة في المدن والتي اعتقد انها لم تحقق بشكل طيب في المدينة .

يزور الحجاج والزوار القادمون للمدينة في وقت غير وقت الحج (كما في شهرى رجب ورمضان) الأماكن التاريخية التي شهدت بزوغ اول دولة اسلامية بالاضافة الى زيارة قبر الرسول ﷺ والصلاة في المسجد النبوى . ففى المدينة يوجد العديد من الابنية والمواقع التاريخية والتي تقع أما خارج المنطقة المعمورة او على حوافها أو في داخلها ، وكلها تجذب الحجاج والزوار لجمالها وشهرتها الدينية أو التاريخية .

واهم هذه المعالم التاريخية المساجد وقبور الشهداء والآبار التاريخية والاسواق القديمة وابواب المدينة القديمة والبقيع (مقبرة المدينة) . والمدينة القديمة هي من أهم المناطق لاحتوائها على قبر الرسول ﷺ . لهذا فهناك حاجة ماسة لاجتاد سياسة محافظة على الابنية الهامة في هذه المنطقة وتوفير الخدمات الضرورية بالقرب منها مثل اكشاك أو دكاكين الهدايا والتحف لتطوير السياحة الهادفة في المنطقة . في الواقع ان تجربة مدينة جدة (ومدينة جدة كانت سبابة الى الكثير من الافكار الجيدة التي تخدم النمو المدنى المعاصر وفي نفس الوقت محاولة عدم فقدان التراث الحضارى كلية) يمكن ان تكون مشجعة لغيرها من المدن السعودية في المحافظة على التراث المعماري ومحاولة محاكاته . وهذه المناطق ذات القيم الحضارية يجب ان يتم مسحها على فترات معينة مثل كل خمس سنوات من قبل الجهة المختصة لمعرفة احتياجات المناطق الموجودة وما يمكن ان يضاف الى هذا التراث المحفوظ .

ان اعتبارات الترفيه والمحافظة على التراث يمكن ان تدمج لتمثل احد الجوانب الهامة عند تطوير تركيب المدينة . فقد اتخذت المدينة ملامح معينة منذ عدة قرون تتمثل في احاطة البناء بالمسجد النبوى الشريف بمناظره وقبته الخضراء ومن خلفها المزارع الخضراء في خط الأفق البعيد . ومعنى هذا ان هذه العناصر التي تتألف من الحرم والمناطق الدينية الاخرى والمناطق الخضراء تمثل عوامل هامة في الحفاظ على ظروف الحياة المطمئنة الهادئة والمنسجمة والبعيدة عن القلق النفسى الذى أصبح من مشاكل العصر وخاصة في المدن .

الخلاصة :

وختاما يمكن القول بأن القلب الدينى هو القوة الديناميكية المؤثرة في نمو المدينة المنورة وتركيبها . فهو بالرغم من انه قد توسع ووفر المكان للحجاج الا انه خلق من جهة أخرى بعض العجز في مجالات اخرى مثل الاسكان والمساحات الخضراء والتراث الحضارى . وجاذبية هذا القلب لكل من السكان المحليين والحجاج خلقت طرازا معينا من النمو والتركيب الداخلى كما دفعت الى التحول المستمر في مواقع الاستخدامات المختلفة داخل المدينة وعلى حوافها . هذه التحولات احيانا تم بسرعة مما يؤدي الى فقدان الكثير من الابنية التاريخية ذات الطابع المعمارى الفريد والى النمو غير المتكافئ مع الحاجة للخدمات . وهذا يدفعنا الى القول بضرورة التحكم في النمو وخاصة في المنطقة المركزية . ولكن هذا لا يعنى منع التطور لان هذا لا غنى عنه لأى مدينة تدب فيها الحياة ، وانما يعنى وضع الانظمة لهذا النمو والقيام بعمليات المسح الملائمة لحاجات المستقبل . فمثلا يجب التفكير جديا قبل البدء في هدم كل المنطقة القديمة الواقعة شرق الحرم وصيانة ما يمكن صيانه وهدم ما لا يمكن صيانه وما كان متداعيا للسقوط . كما يمكن التغلب على التكتيبيات المعمارية والظروف الصحية السيئة في بعض المناطق خاصة على اطراف المدينة عن طريق الاسراع في تنفيذ مشاريع الاسكان وتمويلها بالخدمات قبل البدء في أى مشروع إعادة تطوير ، وذلك للسماح للناس المتقولين للقدوم لهذه الضواحي الجديدة . وبالمثل يجب تطوير بعض الخدمات الاخرى مثل المراكز التجارية الثانوية . وقد بدأت فعلا الجهة المختصة في المدينة ببناء هذه المراكز في بعض الاحيان بعيدا عن المركز . وهذا لا يعنى اضعاف وظيفة المنطقة المركزية وانما يعنى تكميل وظائفه وتخفيف الازدحام عليه مع نمو المدينة المتزايد حجما وسكانا وبالتالي تقديم الخدمات الضرورية للسكان بالوسائل الاكثر سهولة وراحة . ولكن ما يؤخذ على المراكز التجارية الجديدة هو أن تصميم الكثير منها بعيد عن الطرز التقليدية في الاسواق ففي اعتقادى بان تصميمها يجب الأ يكون بشكل مستقيم تماما وانما لابد من الاكثار من الزوايا المنحرفة والقائمة لانه لصغر حجم هذه المراكز فان تتبع حركات المستوى سهلة وفي هذا شيء من المضايقة للمتسوقين من الجنس الآخر . والغريب ان الكثير من المدن في الدول الغربية بدأت الآن تبتعد عن الاسواق المفتوحة الكبيرة ونتيجة للاسواق المسقوفة . فمثلا السائر في السوق الجديدة في مدينة كاردف ببريطانيا يتخيل وكأنه يسير في مدينة شرقية فالواجهات ذات عقود جميلة والممرات مسقوفة مع وجود بعض الفتحات الزجاجية التي تسمح للنور والضوء والهواء بالمرور . وفي المدينة ايضا هناك مشكلة هامة وهى قلة المواقع قرب الاسواق المنشأة حديثا مما سيؤدي حتما الى ارباك حركة المرور بعد انتهاء هذه المشاريع وحتى لو خصص الدور الاول للمواقف في سوق المحمودية فان كثرة الاعمدة بداخلة تجعلها غير مناسبة للسيارات العريضة التي ينتشر استعمالها في المملكة . لهذا يجب توفير مثل هذه المواقف او المواقف المتعددة الادوار مع تصميم واجهاتها الخارجية بتشكيلات تتلاءم مع التصميمات المحيطة حتى لا تخلق أى نوع من التنافر في تركيب المدينة القديم .

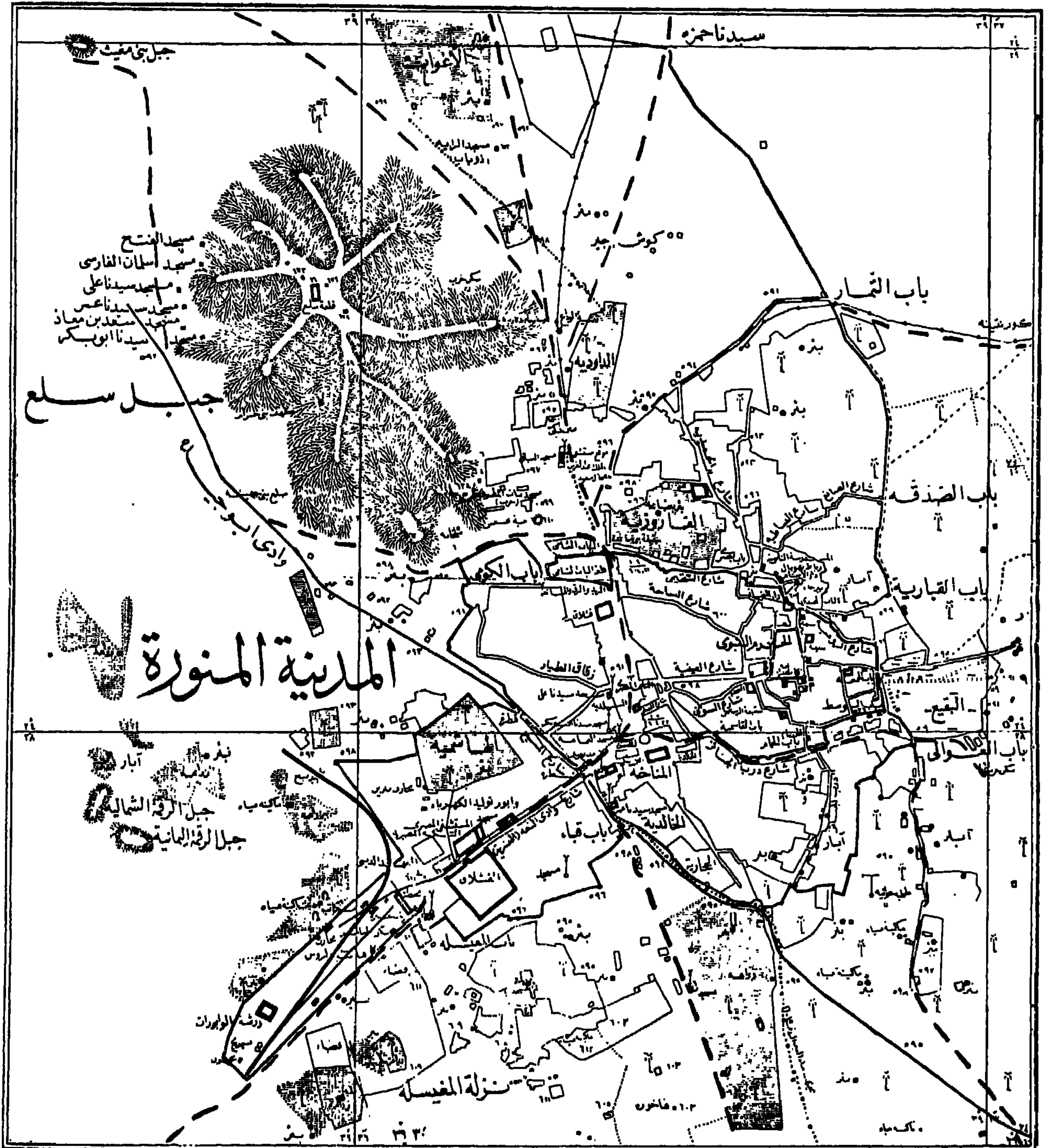
وهناك بعض البساتين التي يمكن ان تستخدم للترفيه ولكنها مملوكة للقطاع الخاص ولو ان الروابط الاجتماعية مازالت تمكن الكثير من الاستفادة من هذه البساتين . لهذا يبدو انه من الضروري حماية هذه المناطق الزراعية الخضراء حتى ولو عن طريق دمجها مع التركيب المتغير للمدينة . هذه المناطق تمتد لجنوب وجنوب شرق المدينة . وقد زحف البناء على معظم المناطق الخضراء التي كانت تقع داخل المدينة مع انه كان من الافضل استغلالها كمناطق مفتوحة وسط العمران .

ان تناقص هذه المساحات الخضراء داخل المدينة الى نحو ٢٥ كم^٢ وهذا مناسب لترفيه نحو ١٠٤١٦٦ شخصا) يجعلها غير ملائمة لعدد السكان البالغين نحو ١٩٨ ألف نسمة سنة ١٩٧٤ م . وهذا يعنى نقص المساحات الفضاء اللازمة لترفيه السكان فما بالك بالاعداد الاضافية من الزوار . لهذا يؤمل تطبيق قوانين صارمة لحماية تناقص ما تبقى من هذه المساحات الخضراء ولو حتى على حواف المدينة . ونظرا لأن معظم الارض في المركز قد خصصت للاستخدامات الدينية والتجارية فان اعتبارات الترفيه اُهملت بشكل كبير . لهذا فان التعاون بين السلطات المهتمة بالزراعة واصحاب المزارع المتبقية في المدينة أمر اساسى جدا لتحقيق الترفيه الاقتصادى حيث يمكن فتح البساتين الخاصة للعامة مع تحقيق الفوائد الاقتصادية لأصحابها او للسلطة المحلية اذا تملكها من خلال رسوم الدخول وبيع المحصول الزراعى الذى لم تبخل الحكومة في اعانة اصحابه . مثل هذا التعاون يمكن ان يحفظ ويصون نوعية بيعة ومظهر المدينة المتميز . وهذا ايضا يمكن ان يساهم في حجز وامتنعاص تأثير المرور ومستوى الصوت خاصة داخل المدينة . كما ان الخضرة تعطى بعض الراحة النفسية من النظر فقط الى الكتل الاسمنتية والمساحات الزفتية في داخل المدينة وتخفف من تأثير هذه الكتل على المناخ المحلى .

النمو العمراني وخصائصه في المدينة المنورة

صالح لمعي مصطفى

سكن المدينة المنورة ١: ١٠,٠٠٠



المدينة المنورة عبر التاريخ

المدينة قبل عصر الرسول (يثرب)

يثرب كان الاسم العربي للمنطقة التي تقع الى الشمال الغربي من المدينة الحالية ، الى الغرب من قبر سيد الشهداء حمزة (١) .

وقد ورد هذا الاسم في الكتابات المعينية (٢) وتحت اسم « ي ث ر ب » (G t r b) (١) كذلك ذكر عند البطالمه - في جغرافية بطليموس (٣) - والبيزنطيين تحت اسم « يثريا » . ووردت يثرب في القرآن الكريم مرة واحدة فقط في سورة ٣٣ (الاحزاب) آية ١٣ .

وقد وردت كلمة « يثرب » في الأشعار القديمة وعلى سبيل المثال في شعر قيس بن الخطيم . وفي زمن الرسول استعملت يثرب والمدينة على السواء وهو ما نجد في شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك (١) ويرجح أن تكون كلمة المدينة قد اشتقت من الكلمة الآرامية « مدينة » (٣) والتي تعني مركزا اداريا (Borough)

ولقد ورد ذكر المدينة في القرآن الكريم في ثلاث سور مدنية :
١ - سورة ٩ (التوبة) آية ١٠١ ، ١٢٠ (آياتان الاخيراتان من السورة ١٢٨ ، ١٢٩ مكيتان) .

٢ - سورة ٣٣ (الاحزاب) آية ٦٠ .

٣ - سورة ٦٣ (المنافقين) آية ٠٨ .

ونظرا لأن أقدم ذكر ليثرب ورد في كتابات المعينيين تعذر على المؤرخين تحديد زمن انشائها الا ان العديد من المؤرخين افادوا بأن تلك المنطقة كان بها سكان عرب من العمالقه (٤) سكنوا بمنطقة أضرم والتي تعرف حاليا بالعيون وذلك قبل هجرة القبائل العربية القادمة من اليمن بعد سيل العرم الأول عام ٤٥٠ م (٥) أو قبل نزوح اليهود الى هذه المنطقة بعد عام ٧٠ م (٦) .

ولم تكن يثرب مدينة بالمعنى الحالي وإنما كانت مجموعة من الاكواخ والمنازل البدائية البسيطة منتشرة بدون نظام معين او ترابط محدد ويحيط بها الحدائق والحقول وقد عاش أهلها من الزراعة (١) .

ونظرا لوفرة المياه فقد انتشرت فيها المسطحات الخضراء وأصبحت محطات لامتداد القوافل بالماء والخضروات والفاكهة مما ساعد على زيادة عدد النازحين اليها .

ولم يكن لهذه التجمعات السكنية سور للحماية وإنما كانت الأشجار والنخيل بمثابة سور لها واعتمد أهلها على بناء الآطام (٧) (الحصون) يلجأون اليها وقت الخطر . وكانت الاسواق تقام على أطراف المنطقة السكنية (٧) ، أي أنه كان هناك انفصال بين المنطقة السكنية والمنطقة التجارية ولعل ذلك كان لأسباب اجتماعية ودفاعية . ويرجح أن هجرة القبائل العربية - الاوس (٨) والخزرج (٩) - استمرت في الفترة ما بين ٤٤٧ - ٥٣٢ م (١٥) ، ولقد سموا بعد هجرة الرسول الكريم الى المدينة ودخولهم الاسلام بالانصار (١٠) . ولقد كانت هذه القبائل في أول الامر خاضعة للسيطرة اليهودية ، الا أنه بعد فترة أصبح اليهود تحت سيطرتهم (١) .

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على التطور العمراني للمدينة المنورة منذ الهجرة النبوية وعبر العصور التاريخية الاسلامية التي تعاقبت عليها لتحديد خصائص أول مدينة عربية اسلامية وميزات تراثها المعماري الاسلامي بهدف الاستفادة من ذلك في التصميم الحضري للمدن العربية الحالية ، وكذلك في مشاريع احياء المناطق التاريخية في المدن العربية بهدف دمجها في النسيج العمراني الحالي وإيجاد ترابط وتكامل بين أحياء المدينة قديما وجديدا .

لذلك وجب علينا دراسة المراحل التاريخية للمدينة المنورة وتحديد شكلها ومعالمها في كل فترة ، ثم استعراض مساقط المدينة التي وصلت اليها منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين مع عرض أنواع من المباني فيها مثل المسجد ، المدرسة والرباط ، المنزل الخاص والمنزل المؤجر والحمام وذلك لتبيان مدى ملائمة تلك المباني للظروف الاجتماعية والبيئية للمنطقة وذلك باستعمال طرق ومواد انشاء محلية أدت وظائفها على الوجه الاكمل .

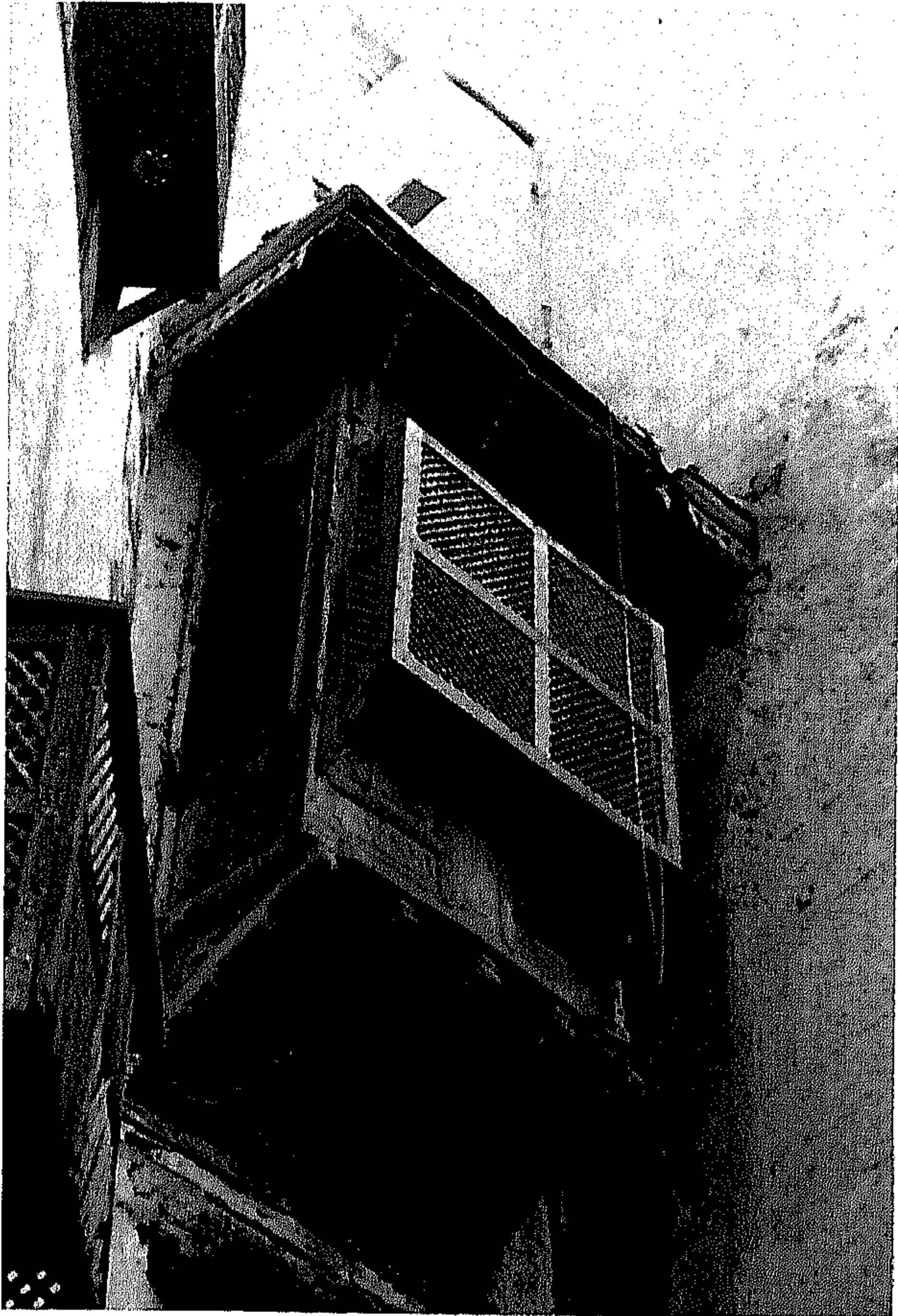
ان ما يحدث الآن في المدينة العربية تحت اسم التطور ما هو الا اتجاه نحو عمارة وحضارة غربية غير مرتبطة بماضيها العريق وهو ماسيؤدي في المستقبل الى تغيير صورة المدينة العربية وابتعادها عن التطور الطبيعي . فعلى الرغم من تعاقب عصور اسلامية متعددة على المدينة المنورة الا اننا نجد أنفسنا أمام عمارة وتراث عمراني يمثل سلسلة منسجمة من التكوينات المعمارية ويحث لايشعر الانسان بتغير العصور من عباسية الى مملوكية ، أو من مملوكية الى عثمانية رغم أن لكل عصر عمارة تميزت بخصائص وقيم مختلفة .

ولنا كل الأمل في أن يصل المؤتمر لوضع توصيات يمكن اتباعها في الدراسات المستقبلية للمدن العربية والله ولي التوفيق .

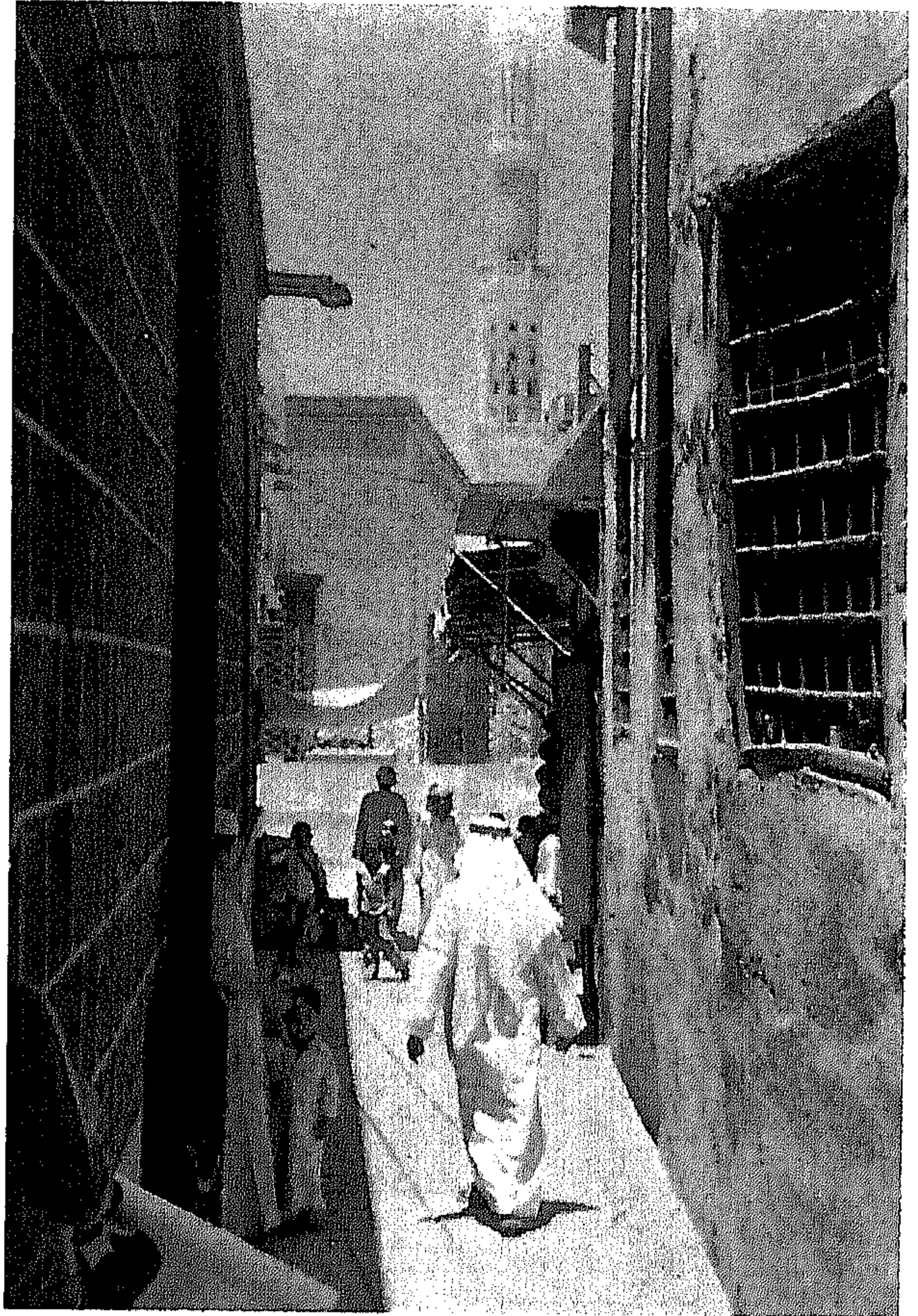
الموقع

تقع المدينة في الحجاز على هضبة تتدرج بهدوء في الاتجاه الشمالي ، على خط طول ١٦ ٣٦ ٣٩ وخط عرض ٦ ٢٨ ٢٤ ويحدها من الشمال جبل أحد ومن الشمال الغربي جبل سلع ومن الجنوب الغربي جبل عير والذي يقع على بعد حوالي أربعة كيلو مترات عن مركزها الحالي وتكون هذه الجبال حدا فاصلا بين الساحل - تهامة - والجزء الداخلي (١) .

ويحد المدينة من الشرق والغرب مجموعة من الحرات التي تتكون من صخور بازلتية . وقد كانت المسافة المحصورة بين المدينة والحرّات الشرقية وبين المدينة وقبأ واحات خضراء أثرت على مناخ المدينة المنورة ولكن بامتداد العمران في الاتجاه الشرقي منذ منتصف القرن الحالي وكذلك الامتداد الجنوبي الذي بدأ مند نهاية القرن التاسع عشر أفقد المدينة طابعها المميز بوجودها وسط هذه الواحة الخضراء . وقد تميزت منطقة قبأ بوجود مصادر غنية للمياه (آبار وعيون) .



١٩١ روشن في احد المنارل (الأغوات)



١٩٠ كل الطرق تؤدي الى المسجد



١٩٢ القديم والجديد في المدينة المنورة

وتعددت الأقوال عن تاريخ نزوح اليهود الى الحجاز . فالقليل يشير الى نزوح اليهود بقلّة في زمن نبوخذ نصر (١١) بعد تدميره اورشليم ، حيث تشير صحف العهد القديم الى نزوح بني اسرائيل الى طور سيناء وشمال الجزيرة العربية (٦) في تيماء ، حجر ، خيبر ، وادي القرى ، فدكة مقنا ويثرب (١) وتدل سورة ٢٦ (الشعراء) ، وسورة ٤٦ (الاحقاف) على وجود عناصر يهودية في مكة (١) . ومن المعروف انه كان هناك نشاط تجارى بين اسرائيل وسبأ في عهد سليمان (١٣) .

وقد قام اليهود بفلاحة الارض (٣) وتجميع المبانى المنتشرة بهدف تكوين تجمعات حول الحصون الا انه من الثابت وجود هذا النظام الدفاعي في المنطقة من قبل على نمط الحصون اليمنية (١)

ولقد كانت قبيلة قَيْنَقَاع من أشهر القبائل اليهودية وأغناها وسكنت في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة واشتهرت بصناعة الذهب ، اما قبيلة بني نضير فسكنت عند وادي بطحان وبني قريظة عند وادي مهزور . وقد تعددت الاسواق في يثرب الا ان اهمها كان سرف قينقاع . وكان انخياز بعض القبائل اليهودية في الحروب بين الأوس والخزرج سببا في طرد بعضها من المنطقة قبل الهجرة النبوية الى المدينة .

المدينة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين (١ - ٣٦ هـ / ٥٢٢ - ٦٥٦ م) .

لقد تم أول اتصال بين الرسول وأهل يثرب عند قدومهم للحج في مكة عام ٦٢٠ م ثم اتصال آخر عام ٦٢٢ (عام الهجرة) (١٣) .

بدأت الهجرة من مكة الى المدينة حيث وصل الرسول قباء في يوم الاثنين الثامن من ربيع اول من العام الأول من الهجرة (١٤) (٢٠ سبتمبر ٦٢٢ م) ومكث الرسول بها اربعة أيام وغادرها يوم الجمعة ١٢ ربيع أول (٢٤ سبتمبر ٦٢٢ م) . وكان وجود الرسول سببا في الصلح بين قبائل الأوس والخزرج ، كما زاد عدد المسلمين زيادة ملحوظة بعد اسلام سعد بن معاذ بن النعمان - زعيم قبيلة عبد الأشهل - ومنذ معركة بدر (١٥) في رمضان ٢ هـ / مارس ٦٢٤ حتى وفاته كان هو زعيم الانصار (١) .

وذهبت محاولات اليهود لتفتيت الوحدة الاسلامية ادراج الرياح . وقد أشار القرآن الكريم الى نبذ اليهود للعهد مع الرسول في سورة ٢ (البقرة) آية ١٠٠ ، وسورة ٨ (الانفال) آية ٥٥ - ٥٨ . وقد رحلت قبيلة قينقاع من المدينة في ٥ ربيع أول ٣ هـ - / ٢٦ أغسطس ٦٢٤ م الى وادي القرى ثم بعد ذلك الى اذرعاع بالشام (١٦) . كما رحلت بني نضير الى خيبر عام ٦٢٥ م ومنها بعد ذلك الى الشام في المحرم ٧ هـ / فبراير ٦٢٨ بعد معركة خيبر كما خرج بني قريظة من المدينة في ٦٢٨ م وقد تم اقتلاع جذورهم من الجزيرة العربية في عهد بن الخطاب (١٧) من المدينة .

وفي المدينة اقام الرسول منزله ومسجده في كتلة معمارية واحدة وانتشرت حول البناء مساكن الصحابة والمهاجرين والانصار . ويعطينا مسقط منزل الرسول صورة عن شكل المبانى السكنية في تلك الفترة وان كان هنا الحوش كبيرا نسبيا حيث بلغ مسطح المبنى حوالي ٢٦٨٣٠٠ مترا مربعا ، وذلك لأن المبنى قد قام بوظائف متعددة . فقد افاد البخارى بأن العديد من

الصحابة والمسلمين المتعبدين كانوا ينامون بالحوش (اهل الصفة) ، كذلك استعمل الحوش كحظيرة للجمال ومستشفى حيث ضربت به الخيام للمرضى ومعسكر للاسرى حيث ربطوا الى جذوع النخيل الحاملة للصفة .

ولاعجب أن يؤدي المسجد وظائف متعددة ، فان الدين الاسلامي قد شمل بتعاليمه كل أنماط الحياة من دينية وسياسية وعسكرية وصحية واقتصادية واجتماعية ، ومن هنا كان تجمع المبانى حول مركز الحكم الاسلامي صفة ظهرت منذ اللحظة الاولى في المدن العربية الاولى حيث جمع المسجد مع دار الامارة في كتلة معمارية واحدة او مجموعة من المبانى المرتبطة مع بعضها وعلى سبيل المثال في الكوفة (٥٠ هـ / ٦٧٠ م) (١٨) . ويمكن تصور حجم ومسطح المدينة في عهد الرسول من الاعداد التي خرجت معه في الغزوات . ففي غزوة بدر خرج مع الرسول ٣٠٠ رجل (١٩) وفي العمرة التي سبقت صلح الحديبية في مارس ٦٢٨ م - خرج مع الرسول ١٤٠٠ - ١٦٠٠ رجل (من بينهم بدو من خزاعة (١٩)) .

وبالتصور انه لا بد ان كل مسلم قادر على العمل العسكري قد اشترك في غزوة بدر (رمضان ٢ هـ / مارس ٦٢٤) فيمكن تقدير عدد الاسرى بحوالي ٢٠٠ - ٢٥٠ اسيرة وبالتالي كان عدد المساكن عام ٦٢٤ م كان حوالي ٢٠٠ - ٢٥٠ مسكنا زادت في عام ٦٢٨ م الى حوالي ٧٠٠ - ٨٠٠ مسكن أى انها تضاعفت حوالي اربع مرات على الاقل .

ولم يكن حول المدينة سور كما اقيم لها في زمن الرسول سوق تجارية خارجها في مكان المناخة الحالي (٢٠) ومن هنا يتضح ان النظام التجارى الذى كان موجودا في يثرب استمر في مراحلها الاولى الا وهو الفصل بين المناطق السكنية والمناطق التجارية . ويرجح ان هذه الاسواق كانت عبارة عن ساحات كبيرة تزاوّل فيها الانشطة التجارية بدون وجود مبان ثابتة .

واستمرت المدينة مركزا للحكم الاسلامي منذ الهجرة وحتى رجب ٣٦ هـ / يناير ٦٥٧ م حين نقل علي بن ابي طالب مركز الدولة الاسلامية الى الكوفة (٢١) .

المدينة في العصر الاموي والعباسي (٤٠ - ٦٦١/٦٥٦ - ١٢٥٨)

بعد مقتل علي بن ابي طالب في الكوفة (٢٢) (٤٠ هـ - ٦٦١ م) تحول مركز الحكم الى دمشق في العصر الاموي ، وإلى بغداد وسامراء (لبعض الوقت) في العصر العباسي الا ان المدينة كانت دائما مقصدا للزيارة لجميع المسلمين .

وقد رجعت عائلة الحسين (٢٣) بعد مقتله في موقعة كربلاء في (١٠ المحرم ٦١ هـ / ١٠ أكتوبر ٦٨٠ م) الى المدينة ، كما عاش بها بعض الامويين في نهاية العصر الاموي وقد أدى ذلك الى زيادة في عدد السكان وخاصة في عهد مروان (٢٤) بن محمد (مروان الثاني) في عام ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م حينما دب الوهن في الدولة الاموية وأذنت شمس بني أمية بالغروب . وقد أقيمت

في وادي العقيق قصور تخللتها الحدائق والمياه وكانت بقاياها ماتزال تشاهد حتى عام ١٢٢٨ هـ / ١٩١٠م (٢٥) ويمكن تصور شكل هذه المباني بتلك التي شيدها في بادية الشام .

وقد ثار أهل المدينة ضد الحكم الأموي في عام ٦٢ هـ / ٦٨٣ م بقيادة عبدالله بن الزبير (٢٦) حيث عمل خندقا وسورا (٢٧) بالجهة الشمالية للمدينة الا ان ذلك لم يمنع الجنود الأمويين بقيادة مسلم بن عقبة من دخول المدينة والقضاء على الثورة (٢٨) . وفي نهاية الحكم الأموي عام ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م حدثت ثورة اخرى ولكنها اُخمدت بسرعة (١) .

وقد تغير شكل السوق بصورتها السابقة بأن اقام هشام بن عبد الملك (٧٢٤ - ٤٣ م) مباني في مكان السوق بالمنطقة فعلمت دكاكين بالطابق الارضي ، والطوابق العليا استعملت للسكن . وكانت هذه اول محاولة بالمدينة لاجاد علاقة بين المنطقة السكنية والتجارية (٢٩) .

وفي العصر العباسي حاولت عناصر من اسرة علي بن ابي طالب الاستقلال بالمدينة حيث قام محمد بن عبدالله عام ١٥٤ هـ / ٧٦٢ - ٦٣ م بعمل خندق حول المدينة مما يدل على عدم وجود سور حتى تلك الفترة - في موقع الخندق الذي عمل ايام الرسول الا انه قتل في القتال مع العباسيين بقيادة عيسى بن موسى (٣٠) . وتوالى المحاولات فقام الحسين بن علي في عام ١٦٩ هـ / ٧٨٦ بمحاولة اخرى فشلت وتسببت في تخريب كبير بالمدينة وقتل بالقرب من مكة ، وفي عام ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ - ٨٥٠ م في عهد الخليفة الواثق (٨٤٢ - ٤٧ م) تعرضت المدينة لهجوم (١) من بني هلال (٣١) تسبب في خراب العديد من مبانيها .

ولعل هذه الهجمات المتعددة في العصر الأموي والعباسي هي السبب الذي دعا امير المدينة اسحاق بن محمد (٣٢) في عام ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ - ٧٧ م لبناء سور حولها من الطوب اللبن (٣٣) ، وكان هذا اول سور يقام حول المدينة منذ نشأتها . وقد هدم السور المقام من اللبن فيما بعد واقام عضد الدولة بن بويه (٣٤) بدلا منه في الفترة ما بين ٢٦٧ - ٧٢ هـ / ٩٧٨ - ٨٣ م سورا جديدا من الحجر (٣٥) وقد كان الهدف من العناية بالسور هو حماية المدينة من استيلاء الدولة الفاطمية في مصر عليها .

ويعطينا المقدسي (توفي ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) وصفا قليلا عن المدينة قرب نهاية القرن الرابع الهجري ولكنه يحدد حجم المدينة وابوابها واسواقها (٣٦) :

« المدينة أقل من نصف مكة يحيط بأكثرها بساتين ونخيل وقرى ، ولها مزارع قليلة ومياه عذبة . والاسواق عند الجامع لها نور وهاء ، بنيانهم مدن ، ملححة الارض ، قليلة الامل ، والمسجد في ثلثها مما يلي البقيع الغرق . والمدينة هائلة الابواب ولها اربعة ابواب : باب البقيع (السور الشرقي) ، باب الثنية (التسمية راجعة الى انه يؤدي ثنية الوداع في الشمال الغربي خارج المدينة) ، وباب جهينة (٣٧) (ارجح انه كان في السور الغربي) وباب الخندق (يؤدي غالبا الى منطقة غزوة والخندق ومنطقة مساجد الفتح) .

وقد استرعى انتباه المقدسي صغر حجم المدينة وقلة سكانها وقد يرجع ذلك للثورات والهجمات التي تعرضت لها خلال هذه الفترة . كذلك يتضح من الوصف ان الامتداد لجهة الغرب كان يعادل فقط نصف المسافة من المسجد النبوي الى البقيع . وقد شبه مباني المدينة بمباني المدن مما يرجح انها كانت جيدة البناء حسنة المظهر ، الا انه لم يعطنا فكرة عن حجمها وارتفاعها . وهناك اشارة هامة للمقدسي الا وهي وجود الاسواق بجوار الجامع ، وان كنت اعتقد انه يقصد هنا جامع المُصلى حيث انه يشير للمسجد النبوي باسم المسجد عند تحديده لابعاد المدينة ، كما اننا نعلم ان السوق المقامة بالمنطقة في عصر الرسول قد بنيت كمحلات تعلوها مساكن في العصر الأموي في عهد هشام ، وذلك كان بالقرب من جامع المُصلى الذي عُمر على يد عمر بن عبد العزيز اثناء توليه امانة المدينة في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، خلال فترة اعماره للمسجد النبوي بين عامي ٨٨ - ٩١ هـ / ٧٦١ - ١٠ م . وقد جاءت تسمية الابواب بالنسبة لعلاقتها بالمناطق التي تؤدي اليها وهو ما يساعد في تحديد موقعها ولعله ابتداء بباب السور الشرقي ثم السور الشمالي والغربي ومن هنا يتضح ان المدينة لم يكن لها باب على الارجح في السور الجنوبي .

وقد جُدد السور بعد حوالي ٢٠٠ عام من تاريخ انشائه بالحجر على يد جمال الدين محمد بن ابي المنصور المعروف بالجواد الاصفهاني (٣٨) في عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ - ٦ م (٣٩) وبعد تجديد السور بحوالي ثمانية عشر عاما اقام نور الدين بن زنكي في عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ - ٦٣ (٤٠) سورا من الحجر احاط بالسور القديم والتجمعات السكانية التي اقيمت خارج السور الاول . ويمكن تصور شكل الابواب بمقارنتها بأعمال نور الدين الشام (٤١) .

وقد اشار السمهودي الى النص التالي الذي وجدته في نهاية القرن التاسع / الخامس عشر الميلادي على الباب الحديد داخل بوابة البقيع :

هذا ما أمر بعمله العبد الفقير الى الله تعالى محمود بن زنكي بن أقسنقر غفر الله له سنة ٥٥ هـ / ١١٦٢ - ٦٣ م

ولعل الهدف من بناء السور الجديد وكذلك تجديد السور القديم هو توفير الحماية الكافية للمدينة من الغزو الصليبي وهو ما حدث بعد ذلك فعلا في عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ - ٨٣ م حين نزل الجنود الصليبيون بقيادة Raynald of chatilan في ينبع ولكنهم صدوا بقيادة احد افراد عائلة صلاح الدين الأيوبي (٤٢) .

ولقد كان لزيارة ابن جبير (٤٣) (توفي ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) للمدينة في ٣ الحرم ٥٨٠ هـ / ١٦ أبريل ١١٨٤ م ان تلقي بعض الضوء على عمران المدينة وان كان لم يعط الكثير من التفاصيل ، الا ان الاهتمام برصف الشوارع وخاصة المنطقة المحيطة بالحرم ، وافاد بأن للمدينة سورين واربعة ابواب ، في كل سور باب يقابله آخر ، اطلق على احدها باب الحديد نظرا لانه عمل من الحديد وباب الشريعة (لعله يؤدي الى مدرسة لتدريس الشريعة الاسلامية) وباب القبلة (في الحائط الجنوبي للبلدة) وهو مغلق ثم باب البقيع (يؤدي الى البقيع) في السور الشرقي .

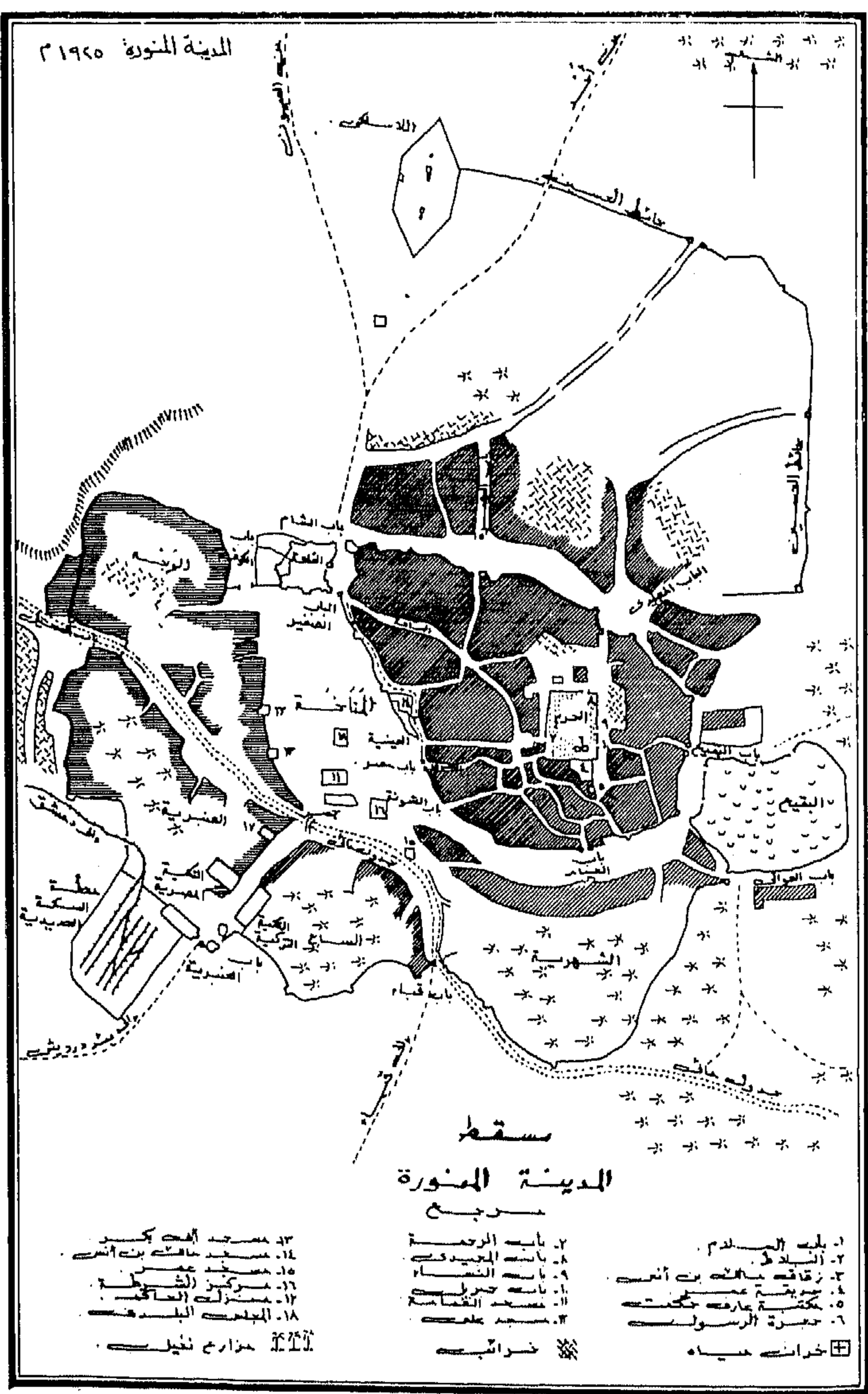
ويلاحظ أن ابن جبير قد اخذ الترتيب الجغرافي في وصفه للسور بالنسبة لباب القبلة (في اتجاه الجنوب) وباب البقيع (في اتجاه الشرق) مما يجعلني ارجح بوجود الباب الحديد في السور الشمالي وباب الشريعة في السور الغربي . وارجح ان باب الشريعة هو باب جهينة أو مقابله ، ولعل وجود مدرسة لتدريس الشريعة قد طغى على اسم جهينة السابق ، كما ان الباب الحديد يرجح انه ماكان في وصف المقدسي بباب ثنية الوداع .

وفي نهاية القرن السادس الهجري يعطينا ابن النجار (توفي ٦٤٣ هـ / ١٢٤٤ م) في دراسته عن المدينة التي وضعها عام ٥٩٣ هـ - ١١٩٦ م اى بعد بناء السور الثاني بخمسة وثلاثين عاما تأكيدا على زيادة الوضع العمراني للمدينة والذي يرجع بدون شك الى هروب العديد من المسلمين من الشام وفلسطين اما الغزو الصليبي نظرا لبعدها ، وخاصة ان مصر نفسها قد تهددها الغزو الصليبي في نهاية العصر الفاطمي في عام ٥٦٣ - ٤ هـ / ١١٦٨ م مما أدى الى حرق الفسطاط لمنع الصليبيين من الاستيلاء عليها (٤٤)

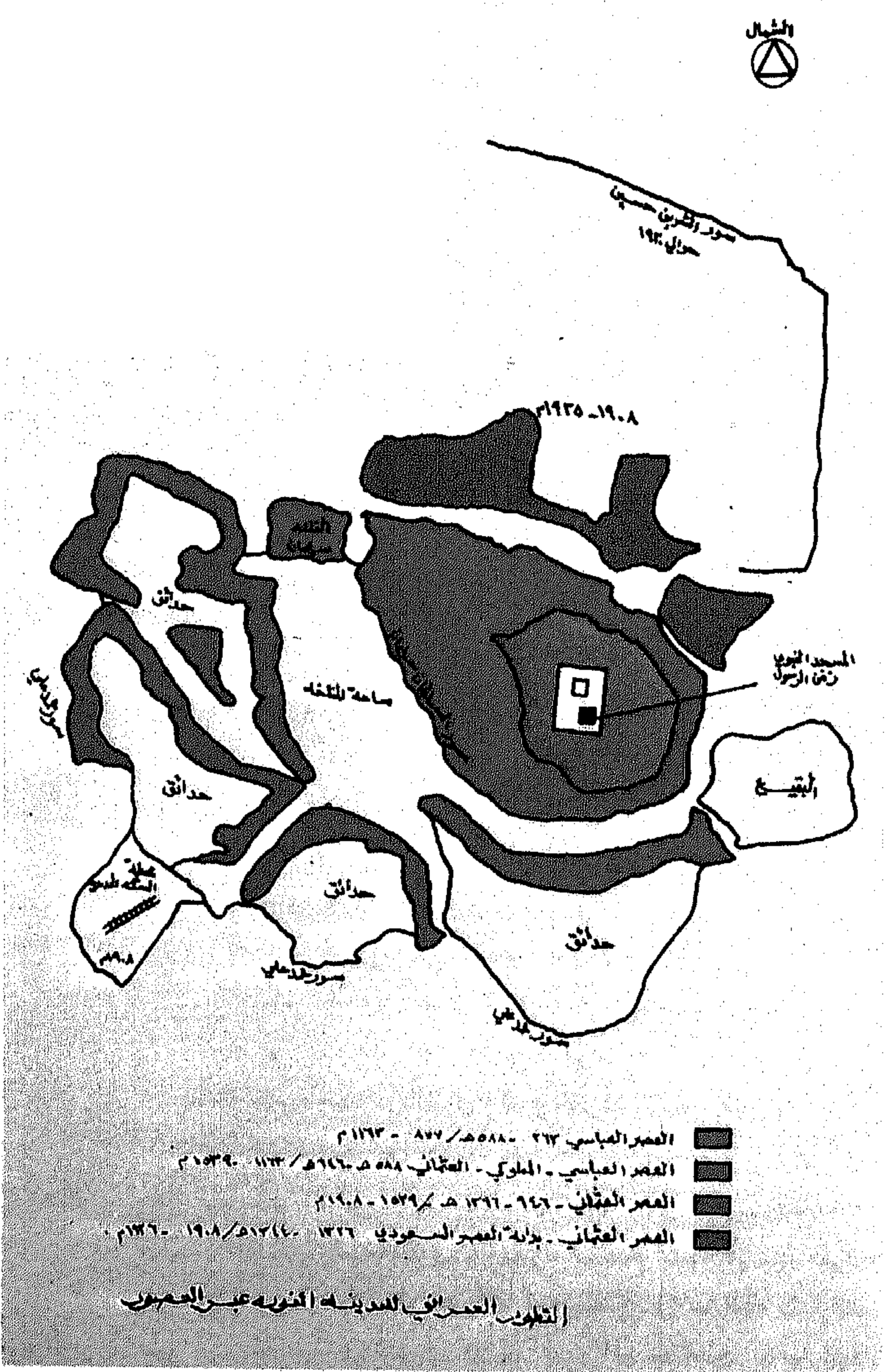
كذلك أحب أن أشير الى أن الاهتمام الفاطمي ببلاد الحجاز وخاصة بالحرمين الشريفين كان واضحا وكان يخطب باسم الخليفة الفاطمي على المنابر واستمرت هذه العلاقة حتى اواخر الدولة الفاطمية في عهد الوزير طلائع بن زيق(٤٥) وهو ماساعد بلا شك على ازدياد النمو العمراني والتجاري بالمدينة .

المدينة في العصر المملوكي البحري والجرکسي (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

نجد بين أيدينا في هذا العصر مجموعة من المصادر التاريخية مثل المطري (٤٥) توفي (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) والمراغي والذي كتب عن المدينة في عام ٧٦٦ هـ / ١٣٦٥ م ، الا ان المؤرخ السهمودي (توفي ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م) والذي عاش بالمدينة فترة طويلة قد تميزه عن غيره بمراجعته لكافة المخطوطات السابقة منذ ان كتب اولهم وهو ابن زباله عن المدينة في صفر ١٩٩ هـ / سبتمبر - اكتوبر ٨١٤ م الى تاريخ زمن المؤرخ ، كذلك قام السهمودي بعمل مقارنة بين أقوالهم والتحقق من ذلك بدراسة المواقع والمباني مما جعله مرجعا هاما ودقيقا .



١٩٢٥ مسقط المدينة المنورة - ١٩٢٥ م



١٩٤ التطور العمراني للمدينة المنورة - عبر العصور

ويتضح من اقوال السمهودي ان اهتمام السلاطين المماليك قد انصب بالدرجة الاولى على المسجد النبوي وخاصة بعد الحريق الاول في عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م والحريق الثاني عام ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م وكذلك جددت عدة ابواب في السور في عهد الصالح بن قلاوون في عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ (٤٦) .

ولم يشر الرحالة ابن بطوطة (توفي ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) خلال زيارته للحج عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م الى تطور عمراني او زيادة سكانية وانما اكتفى بوصف سريع للمسجد النبوي .

ويحتمل ان يكون الزلزال الذي حدث عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م وانتقال السلطة من الدولة العباسية الى المملوكية وعدم عناية السلاطين المماليك بالمدينة (٤٧) بالاضافة الى تنازع حكامها على السلطة الداخلية بها ، قد أدى الى تدهور الاوضاع العمرانية ، مما أدى الى عدم اشارة ابن بطوطة خلال زيارته الى اى شئ عمراني ملموس بها .

وقد اثار عدم عناية المماليك بالمدينة انتباه السمهودي حيث اشار الى عدم ترميم المسجد النبوي منذ حريق عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م بعناية و اشار الى حالته السيئة في زمنه (٤٨) . ونعود مرة اخرى للسمهودي لتتعرف على بعض ملامح المدينة في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، فنجد ان المدينة احتوت على شوارع رئيسية واخرى ثانوية فعلى سبيل المثال الشارع المؤدى الى البقيع (شرق المسجد) بين دار ربطة ودار عثمان اطلق عليها الطريق العظمى ، وكان عرضها ٥ أذرع (٤٩) (حوالي ٣٥٠ م) ، ومن الشوارع الرئيسية أيضا الشارع الموصل من باب السلام الى الباب في السور الغربي بالقرب من المصلى ، والشارع من باب الرحمة الى الباب الشامي بالركن الشمالي الغربي للمدينة مارا بسوق العطارين . كذلك نظمت عملية تصريف مياه الامطار بالشوارع في فترة عصرى قايتباي .

وكان للمدينة في تلك الفترة خمسة ابواب :

- باب السويقة (حيث يوجد في هذا الشارع السوق الرئيسية) بالسور الغربي جهة المصلى (جامع المصلى) ، والمسافة بينه وبين باب السلام بالمسجد ٦٤٥٠٠ ذراعا حوالي ٤٥٠٠٠ متر) (٤٩)
- باب بالسور الغربي عند رجة حصن امير المدينة (بالركن الشمالي الغربي) .
- باب بالسور الشمالي المعروف بالباب الشامي .
- باب بالسور الشرقي يعرف بباب البقيع ويبعد عن باب جبريل بالمسجد ٤٣٣ ذراعا (حوالي ٣٠٠٠٠ متر) .
- باب مسدود بالسور الجنوبي يعرف بباب السوارقية .

ومن المقاسات المذكورة نجد ان امتداد المدينة لجهة الغرب يبلغ مرة ونصف امتدادها ناحية الشرق ، وبمقارنة مسطح المدينة في نهاية القرن التاسع الهجري بالعلاقة التي اعطاها لنا المقدسي في نهاية القرن الرابع الهجري ، نجد ان المدينة غرب المسجد النبوي قد امتد العمران بها لجهة

الغرب ثلاثة أمثال السطح الذى كان على عهد المقدسي على أساس ان السطح شرق المسجد بقي ثابتا تقريبا في هذه الفترة ، ويتضح من ذلك ان مسطح المدينة قد تضاعف تقريبا خلال خمسة قرون .

ويمكن تعليل هذا الامتداد بسبب وجود عوائق طبيعية في الاتجاه الشمالي ، ولعل المحافظة على الواحة الخضراء في الجهة الشرقية والجنوبية كان دافعا لعدم امتداد العمران في الجهتين حيث ان الزراعة كانت هي المورد الرئيسي للسكان .

وقد كان قايتباي من أوائل السلاطين الذين اهتموا (٥٠) بعمران المدينة فاقامت في عهده المدارس منها المدرسة الزمنية (٥١) ومدرسة السلطان قايتباي (الاشرافية) بين بابي السلام والرحمة مع مئذنة صغيرة بجوارها . كما شرع في بناء حمام وسبيل وفرن وطاحون ومصنع للدشيشة ووكالة ، ويفيد السمهودي بعدم وجود حمام او طاحون بالمدينة منذ مدة طويلة ، ولعله كانت هناك حاجة ملحة لانشاء هذه المجموعة الكبيرة من مباني الخدمات بعد الزيادة التي وضحت من المقارنة السابق الاشارة اليها وكذلك بسبب عدم اهتمام السلاطين المماليك بالمدينة من الناحية العمرانية لفترة طويلة قبل ذلك .

وخلال دراستي الميدانية لمباني المدينة التاريخية لم استدل على أية مباني ترجع الى فترة العصر المملوكي سوى مدخل رباط ياقوت المارداني والمؤرخ في عام ٦٠٦ هـ / ٣٠٦ - ٧ م

المدينة في العصر العثماني (٩٢٣ - ١٣٣٦ هـ / ١٥١٧ - ١٩١٩ م)

امتدت سلطة الدولة العثمانية الى الحجاز بعد استيلاء السلطان سليم الأول على مصر في ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م وأصبح من ضمن القاب السلطان لقب خدام الحرمين الشريفين .

وقد اهتم السلاطين بمكة والمدينة ، وحظيت المباني الدينية بشكل عام والمسجد النبوي بشكل خاص بالعناية والرعاية وخاصة في فترة حكم السلطان سليم (٥٢) ٩٢٦ - ٧٤ هـ / ١٥٢٠ - ٦٦ م ، والسلطان محمود الثاني (٥٣) ١٢٢٣ - ٥٥ هـ / ١٨٠٨ - ٣٩ م ، والسلطان عبد الحميد الاول (٥٤) ١٢٥٥ - ٧٧ هـ / ١٨٣٩ - ٦١ م والسلطان عبد الحميد الثاني (٥٥) ١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م ، والمؤرخ قاضي الحنفية جلال الدين محمد بن خضر الرومي (توفي ٩٥٩ هـ / ١٥٥٢ م) اعطانا صورة عن أعمال السلطان سليمان وتعمير سورها وذلك في بداية العصر العثماني (٥٦) .

فقد هدم السور من فوق منسوب سطح الارض وكذلك الابواب واعاد البناء بالحجر وكذلك حصن امير المدينة (في الركن الشمالي الغربي خارج السور) واقام مكانه قلعة . وقد ابتداء العمل في السور في عام ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ - ٣٣ م ، اما القلعة فقد بدأ العمل بها في منتصف عام ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ - ٣٨ م وانتهت كل الاعمال في السور والقلعة في ١٥ شعبان ٩٤٦ هـ : ٢٦ ديسمبر ١٥٣٩ م . وقد بلغ طول السور ٢٣٠٠ متر وارتفاعه يتراوح بين ١٠٠ - ١٢٠ مترا .

وقد تبين ان سبب اطالة مدة البناء ترجع الى انقطاع الموارد المالية المرسله من مصر ، كذلك وفاة بعض المشرفين على البناء ، هذا بالإضافة الى تغيير المشرفين المصريين بآخرين من الأتراك ، كذلك اجريت بعض الاصلاحات في أبواب المسجد وبعض اجزاء الحائط الخارجي بالإضافة الى اضافة محراب جديد للمذهب الحنفي .

واعتقد انه لو أقيمت في تلك الفترة أعمال ذات اهمية على المستوى العمراني لكان قد ذكرها الرومي بجانب وصفه التفصيلي لأعمال سليمان الدفاعية . وقد تبين من الاطلاع على المصادر التاريخية العربية والاجنبية ان الاهتمام الكبير بالمدينة خلال الحكم العثماني كان بالدرجة الاولى في بداية القرن التاسع عشر .

في القرن السابع عشر زار المدينة الرحالة Wild (١٥٦) وذلك في عام ١٦٠٧ م كعبد مع سيده التاجر الايراني ، وكان ذلك في عهد السلطان احمد الاول (١٠١٢ - ٢٦ هـ / ١٦٠٣ - ١٧ م) .

ويفيد بأن المدينة لها سور دائري من الطين به ثلاثة ابواب وامامه توجد حدائق النخيل والمباني مقامة بالحجارة . ولا اعتقد ان وصفه للسور كان دقيقا حيث انه بني منذ فترة وجيزة من الحجارة في عهد سليمان في عام ١٥٣٩ .

وفي القرن الثامن عشر قام نيبور (٥٦ ح) برحلته الى المدينة عام ١٧٦٢ م ، وقد وصف المسجد النبوي وعمل له رسما اخذه عن احد العرب وكل ما ذكره عن عمران المدينة هو انها صغيرة الحجم ومحاطة بسور في حالة سيئة .

ان اقدم خريطة دقيقة للمدينة ترجع الى ابريل من عام ١٨١٥ عندما قام يوركهارت بزيارته للمدينة وقد بنى عليها السور الذي اعاد بناءه سليمان وكذلك السور الخارجي الذي اقيم بالجهة الغربية والجنوبية وهو متهدم وكثير من اجزائه مبنى بالطوب اللبن .

وقد لوحظ ان الامتداد الخارجي للمدينة مفصول عن جسم المدينة القديمة بساحة واسعة (المناحية) من الجهة الغربية ودرب الجنائن من الجهة الجنوبية . وان مسطح ضواحي المدينة وان كان في فترة زيارة يوركهارت به كثير من الحدائق والقليل من المباني بالمقارنة مع المدينة نفسها - يزيد عن مسطح المدينة وهو ما اثار انتباه الزائرين . كما يتضح انه منذ العصر العثماني اقام الحكام الجدد مساكنهم في الضاحية الغربية على الطريق الرئيسي (طريق العنبرية) او على المساحة بينا تشغل بقية المسطح مجموعات من المباني ذات الطابق الواحد او الطابقين تتجمع حول احواش كبيرة وكل حوش يقطن به حوالي ٤٠ عائلة وتنفصل المباني عن بعضها بواسطة حدائق النخيل . كذلك اشار الرحالة الى حالة المباني الجيدة على طريق العنبرية وامام الباب المصري . والى الشوارع الرئيسية المرصوفة . أما الحارات فيتراوح عرضها بين حوالي ٢ - ٣ أمتار .

ولقد كان موقع القلعة في مفصل المدينة مسيطرا على مدخلها الشمالي وعلى مسافة ليست ببعيدة عن منزل الحاكم التركي .

أما المدينة القديمة فان اكبر شوارعها كان يبدأ من الباب المصري الى باب سلام كما كان الحال في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي على عهد المؤرخ السهمودي ، كما كان ايضا الشارع التجاري للمدينة ، اما الشارع الرئيسي الاخر فهو يصل بين الباب الشامي وباب الرحمة بالمسجد وبه قليل من المحلات ويحصر الشارعان بينهما احياء متعددة تتخللها حارات ضيقة غير نافذة . ويشير يوركهارت الى وجود حمام واحد داخل المدينة أقيم عام ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ - ٦٦ م على يد الوزير محمود باشا في عهد السلطان سليمان .

أما المباني السكنية الخاصة ، ففيها حديقة وبئر الا انه لاحظ ان مباني الخدمات مثل الوكالات او الخانات غير موجودة . وفي النهاية يقدر تعداد السكان بحوالي ١٦٠٠٠ - ٢٠٠٠٠ نسمة . أما الرحالة بورتن (Burton) (٥٨) فيقارن بين المدينة وبعض المدن فيقول ان حجم المدينة يبلغ ١ ونصف حجم مدينة السويس المصرية ونصف حجم مكة المكرمة ويحد ابوابها الاربعة ويذكر بعض الاسواق خارج السور بجوار الباب المصري مثل سوق الحبوب والخضر . وقد اشار ايضا الى وجود اربع وكالات : احداها بالقرب من باب السلام ، ووكالة الجبرتي واثنان بالقرب من الباب المصري ، اي ان الوكالات تقع على الشارع التجاري الرئيسي . كذلك اشار الى الحمام الوحيد في حارة ذروان الا انه اشار الى ان المباني العامة بشكل عام قليلة .

وقد اثار اهتمامه جودة المباني بالجهة الشرقية من الحرم : فهي مباني من طابقين في الغالب ، استعمل في بنائها البازلت والطوب المحروق والاسقف من خشب النخيل بها أحواش وناפורات واشجار النخيل ولها واجهات خشبية (رواشن) ومشربيات ويشبهها الرحالة بمبان في مالطة . وقد تجول بحرية في المدينة بحيث اعطى عدد الحارات والأزقة بخمسين وعدد الدروب بخمسين ايضا .

وأفاد بناء على اقوال Captain Sadlier أن الأتراك قد قاموا بعمل تعداد عام ١٩١٨ م وكان بالمدينة ٦٠٠٠ مسكن ، وان عدد السكان بلغ ١٨٠٠٠ نسمة ، الا انه يشير الى ان العدد في منتصف القرن التاسع عشر قدر بحوالي ١٦٠٠٠ نسمة : ٩٠٠٠ نسمة داخل السور الداخلي ، ٧٠٠٠ نسمة خارج السور في الضواحي وان بها ٤٠٠ جندي وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تعطينا مخطوطة علي بن موسى (٥٩) المؤرخة في ٢١ جمادى الثاني ١٣٢٣ هـ / ٢٧ مارس ١٨٨٦ م وصفا تفصيليا لشوارع وحارات ومباني المدينة حيث قام المؤرخ بالتجول فيها محمدا عدد المباني الدينية ومباني الخدمات ، كما اورد اسماء العديد من الشخصيات الهامة مع اعمالها في المدينة ، الا ان هذه الدراسة قد اقتضت النظرة التحليلية التي وجدناها في دراسة يوركهارت او بورتن .

ويستدل من هذه المخطوطة ان المدينة كان بها المباني الدينية والمدنية التالية : مباني دينية : ٣٣ مسجدا ، ٨ أربطة ، ١٤ زاوية ، هذا بالإضافة الى المسجد الرئيسي ، المسجد النبوي .

مباني خدمات : ٢٢ سبيلا ، ١١ سوقا ، ٣ مدرسة ، ٢ حمام ، ١ خان ، ٢ تكية ، ٧ مكاتب هذا بالإضافة الى دار البلدية ومستشفى للاهالي وآخر عسكري .

أما بالنسبة للمباني السكنية فبلغ عدد الدور الهامة ٤٧ داراً ، أما الأزقة والشوارع فبلغ عددها ٤٢ زقاقاً ، ٣ شوارع ، ١٢ درياً (طريق) ، ٨ حارات ، هذا بالإضافة الى ٥٥ حديقة عامة وخاصة ، والمباني الدفاعية فقد اشتملت على قلعة في الركن الشمالي الغربي خارج السور الداخلي بجوار الباب الشامي بالإضافة الى الاسوار الداخلية والخارجية جهة الجنوب والغرب وثكنة للجنود بالقرب من التكية المصرية .

ثم يذكر ابواب السور الداخلي على النحو التالي :-
باب البقيع او الجمعة في السور الشرقي .
الباب المجيدى في السور الشمالى .
الباب الشامي في السور الشمالي (في الشمال الغربي)
الباب الصغير في الجنوب الغربي للقلعة .
الباب المصرى في السور الغربى

وقد تبين من دراسة المخطوطة ان المدينة احتوت على العديد من الاحواش المغلقة والتي تتجمع حولها المباني السكنية وهو ما يتلاءم مع الظروف الاجتماعية للمنطقة العربية ، كما ان العديد من هذه الاحواش كان بمثابة حدائق (مزارع نخيل) ، هذا بالإضافة الى وجود العديد من الشوارع التي تعددت اسمائها طبقاً لعروضها ، كذلك استمر وجود العصب الرئيسي للمدينة وهو الشارع الاعظم والذي تجمعت عليه اغلب الانشطة التجارية ويصل بين الباب المصرى بالسور الغربى وباب السلام ، هذا بالإضافة لوجود العديد من مصادر المياه العذبة داخل المدينة ، وقد كانت العين الزرقاء من اهم مصادر تغذية المدينة بالمياه . وتدل كثرة المدارس على النشاط العلمي والديني علماً بأن احدى هذه المدارس كانت تقوم بتعليم اللغة الفارسية .

أما السور الخارجى بالجهة الجنوبية والغربية فقد كان به بابان بالجهة الجنوبية الشرقية باب العوالي وباب الكوفة ، وفي السور الجنوبي باب قباء وفي الغرب باب العنبرية والذي سمي بالحميدى (نسبة للسلطان عبد الحميد) ثم بعد ذلك بالرشادى (نسبة للسلطان رشاد آخر السلاطين العثمانيين .) وقد اقيم السور الخارجى من الطوب اللبن في عهد محمد علي باشا والى مصر خلال حملة ابراهيم باشا . وقد بلغ عدد المباني الدينية ١٧ مسجداً ، ١٧ مدرسة دينية ، ١٢ مكتبة لتعليم الصبيان . وكان عدد تلامذة المكاتب يبلغ ٣٢٠ تلميذاً ، وتلامذة المدارس الراقية (ذات المستوى العلمي المرتفع) ٥٥ تلميذاً وذلك في عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ - ٩٣ م . أما باقي الخدمات فكانت ٨ تكايا ، ٢١ سيلا ، ١٠٨ أريطة ، حمامين ، ٤ وكالات ، ١٨ مخبزاً ، ٩٣٢ حانوتا ، ٣٦ مقهى و ٤ محلات للصبغ .

ويلاحظ ان وجود منطقة سكنية متميزة بالامتداد الغربى وخاصة على شارع العنبرية والذي كان ولا يزال مدخل المدينة المنورة بالنسبة للقادمين من مكة المكرمة وجدة . ولو حظ ان المباني السكنية الخاصة احتوت على حدائق وحوض للمياه وهو ما يدل على محاولة المهندس للتغلب على الظروف المناخية الصعبة في هذه المنطقة الحارة الجافة بادخال العناصر الطبيعية داخل المبنى ، بالإضافة لما في ذلك من تأثير حسي جيد على السكان .

واقترنت المباني الدفاعية كالسابق على القلعة وثكنة للجنود . ولكن ما يثير الانتباه البساتين داخل المدينة والتي وصل عددها الى ٤٨٥ بستاناً . ثم يقدر ابراهيم رفعت عدد المساكن بالمدينة بأربعة آلاف مسكن ويتضح من تلك الأرقام الدراسة الدقيقة بالنسبة لهذه الفترة التي قام بها ابراهيم رفعت .

المدينة في مطلع القرن العشرين

أما في القرن العشرين ، فقد اعطانا ابراهيم رفعت (٦٠) ، الذى كان قد زار المدينة أربع مرات في الفترة ما بين (١٩٠١ - ٨ م ، الوصف التالى عن المدينة المنورة :-

اما البتانونى والذى وصل المدينة يوم ٩ يناير ١٩١٠ م بعد ٦ سنوات من آخر زيارة لابراهيم رفعت ، فقد اورد ان عدد المساكن في المدينة بلغ ١٢ الف مسكن على نمط بيوت مكة وجدة ، لكن شوارعها اضيق من شوارع مكة وجدة .

« أكثر ابنتها من الاحجار المجلوبة من المحاجر القريبة وبيوتها ضيقة غير منتظمة اكثرها من غير رحاب ، مرتفعة البناء ذات طبقتين وثلاث وأكثر ، وقل ان تجد فيها بناء ذا طبقة واحدة ، وأكثر الطبقات الارضية مشحونة بالبضائع التجارية وحجراتها ضيقة تشبه في شكلها قيعاننا (قاعات) الا انها ذات لوانين (اوانين) ، وحوانيتها مرتفعة الابواب عن الارض بنحو متر ، وبيوت اكابر الاشراف ضخمة متينة ذات شكل جميل ومنظر بديع وواجهاتها مبنية بالآجر الاسود ولها رواشن ، مشرّبية ، مصنوعة من الخشب الحزط الجميل ، وابوابها مرتفعة عن الارض . وحارات المدينة ضيقة لايزيد عرض الواحدة عن المترين وشوارعها لا تزيد عن أربعة ، وأحسنها شارع غرب المسجد النبوى يسمونه حارة الساحة وهو اطول الشوارع وفيه اجمل المباني وبه دار المحافظة والشارع الموصل للمسجد من جهة باب السلام مبلط بالاحجار ولكن ارضه غير مستوية والحارات لضيقها يسمونها ازقة » .

ولفت نظر البتانونى ضيق الشوارع حول الحرم واقترح عمل ميدان فسيح يساعد على حل مشكلة الحركة من وإلى الحرم بالإضافة الى عملها كرتة ومتنفس للمدينة . كذلك اشار الى العناصر المعمارية الخشبية في بعض المباني مثل الابواب والرواشن والذى قال انها انقطعت عن المدينة على عصره ، الا انه يتعارض مع ابراهيم رفعت بقوله انه ليس بالمدينة من مدارس تستحق الذكر وحدد البتانونى عدد السكان بستين الفا وليس كلهم من السكان المحليين بل من المجاورين الاجانب الذين اكثرهم من الهنود والأتراك والشوام والمغاربة والمصريين . كذلك اشار الى بقايا القصور من العصر الاسلامى الاول في وادى العقيق .

وأحب أن أشير الى ان عدد المساكن الذى أورده ابراهيم رفعت ، قريب من الحقيقة - ٤٠٠٠ مسكن - وخاصة عندما نعلم ان

تعداد السكان في عام ١٩٠٨ م - بعد اربع سنوات من زيارة ابراهيم رفعت - بلغ حوالي ٣٠٠٠٠ نسمة (٦٢) ، أى بمتوسط سبعة اشخاص بكل مسكن وهو عدد مناسب للاسرة العربية في تلك الفترة . اما عدد المساكن الذى اوردته البتانوني - ١٢٠٠٠ مسكن - فهو مبالغ فيه كثيرا الا ان الزيادة السكانية والتي بلغت الضعف في عامين فيمكن قبولها بسبب سهولة الوصول الى المدينة بإنشاء خط سكك حديد الحجاز والذي ربط بين الشام والمدينة المنورة ، وقد افتتح في ٢٥ شعبان ١٣٢٦ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٩٠٨ م . هذا بالإضافة الى الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الامبراطورية العثمانية وخاصة في بداية القرن الحالى في عهد السلطان الدموى عبد الحميد (٦٣) والتي قد تكون سببا الى هرب العديد من المسلمين من الشام والترك الى المدينة المنورة .

وفي عام ١٩١٠ م زار الرحالة « Moritz » المدينة فيقول انها تتكون من جزئين : المدينة القديمة والمدينة الجديدة بالجهة الغربية منها ويفصلهما ميدان المناخة ويبلغ عرضه حوالي ٤٠٠ متر ، ويؤكد الزيادة السكانية بعد انهاء خط السكك الحديدية في سبتمبر ١٩٠٨ م ويحدد العدد بحوالي ٦٠٠٠٠ - ٧٠٠٠٠ نسمة ، منهم العديد من السوريين والهنود والمغاربة - نفس العدد الذى اوردته البتانوني - وبعد انشاء محطة السكك الحديدية بدأ حولها حركة عمرانية جديدة ، وقد قدر عدد السكان قبل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ م) مباشرة بحوالي ٨٠٠٠٠ نسمة (٦٥) .

وبالاطلاع على خريطة المدينة التي اعدتها موريتز في عام ١٩١٤ نجد ان العمران امتد بقدر محدود في الاتجاه الشمالي (حي المناشي) ، ولكن هذا الازدهار لم يدم طويلا حيث قامت الحرب العالمية الأولى مما ادى الى توقف الخط الحديدى عام ١٩١٦ (٦٦) . كذلك قام الشريف حسين بن علي في صيف ١٩١٦ بثورة ضد الترك ، وقد نتج عن ذلك انخفاض ملحوظ في عدد السكان حيث قدر بحوالي ٣٠٠٠٠ نسمة (٦٥) . وفي عام ١٩١٧ م وصل عدد السكان الى حوالي ١٥٠٠٠ نسمة فقط . (٦٧) .

وقد تسببت هذه الحرب في قيام السلطة التركية في المدينة بهدم بعض المباني حول الحرم في عام ١٩١٦ بهدف تسهيل الدفاع عنها ، الا انه في النهاية انسحب الترك عن المدينة في رجب هـ / ابريل ١٩١٨ م .

وقبل بداية العهد السعودى زار المدينة الرحالة روتر (٦٨) في عام ١٩٢٥ واعطى وصفا للمسجد النبوى وحدود المدينة وابوابها ، وأشار الى ان المساحة المبنية بين السورين - الامتداد خارج السور القديم - تساوى نصف مسطح المدينة داخل السور . وأشار الى الانخفاض الواضح في عدد السكان والذي وصل الى حوالي ٦٠٠٠ نسمة خلال فترة النزاع بين آل سعود والشريف حسين ، وقد استرعى انتباهه تلاصق المساكن وضيق الحارات ، وأوضح بأن ذلك لمقاومة رياح السموم في الصيف . وعين أهم الشوارع

بالمدينة وهي : شارع السوق من الباب المصرى الى باب السلام ، وشارع موصل من الباب الشامي ويتصل بشارع السوق عند حي البلاط وأشار الى أن أقدم منطقة هي حارة الاغوات وبها ازقة ضيقة وبيوت متلاصقة . وقد اقام الشريف حسين سورا حول الامتداد الشمالي للمدينة بعد خضوعها لسلطته .

المدينة في العهد السعودى (٢٥ جمادى الثاني ١٣٤٤ هـ / ١٠ يناير ١٩٢٦)

في بداية العهد السعودى زار المدينة فيليبى (٦٩) في عام ١٩٣١ م عمل زيارة اخرى عام ١٩٣٨ . وافاد بأن بعض المباني في غرب العنبرية خرب ، ولعل ذلك بسبب ترك اصحابها الترك لها بعد انسحابهم من المدينة ، وقد كان نمو حي العنبرية قد اخذ في الازدياد بعد منتصف القرن التاسع عشر ، كذلك كان بالجهة الجنوبية داخل وخارج السور العديد من حدائق التخيل مع قليل من المباني المتواضعة . وقد وصل عدد السكان في تلك الفترة لحوالي ١٥٠٠٠ نسمة ، وافاد بأن قلة زوار المدينة يرجع الى الازمة النقدية العالمية في الثلاثينات ، بالإضافة الى توقف حركة القطارات منذ عام ١٩١٦ . كذلك اشار الى ان اقدم مبنى موجود بالمدينة مؤرخ في ٧٦٦ هـ (١٣٦١ - ٧ م) ولعله يقصد مدخل رباط ياقوت المارداني الذى اشرنا اليه سابقا ، وكانت اجزاء من السور مازال تشهد في المدينة . وأفاد بأن هدم القباب على مدافن البقيع تم في عام ١٩٢٥ - ٢٦ م

ويلاحظ انه منذ السنوات الأولى من العهد السعودى والزيادة السكانية في اطراد ويرجع ذلك الى استقرار السلطة واستتاب الامن والنظام . واتجهت الزيادة العمرانية في اتجاه الشمال والجنوب والغرب ، وقد هدم السور في عام ١٩٥٠ م ولم يبق منه حاليا غير اجزاء من الباب المصرى .

وبعد الحرب العالمية الثانية نمت المدينة بسرعة وقد ساعد على ذلك انشاء شبكة من الطرق وبناء العديد من المطارات والموانئ لربط مدن المملكة داخليا ، وكذلك ربطها مع دول العالم ، بالإضافة الى تسهيل حركة التجارة الداخلية والخارجية واتجهت المدينة في نموها في كافة الاتجاهات بدون انتظام وبدون تخطيط ، مما دعا المملكة السعودية في التفكير منذ فترة في عمل مخطط يحدد الصورة المستقبلية لها . وقد فقدت المدينة للأسف تلك الواحات الخضراء التي كانت تحيط بها . وبعد الحريق الذى حدث في بداية السبعينات لم يبق من التراث المعمارى بالمدينة الا منطقة الاغوات جنوب شرق المسجد النبوى . ومن الدراسة الميدانية للمباني الحالية في تلك المنطقة والتي ترجع الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، يمكن التعرف على الطابع المعمارى للمباني وللنسيج العمرانى للمدينة في العصر العثماني . فالمباني يتراوح ارتفاعها بين طابقين او ثلاثة ، ذات واجهات صغيرة مطلة على الحارات او الأزقة ، وغطيت فتحاتها الخارجية برواشن ومشربيات خشبية ، واستعمل في البناء الحجر البازلتى .

وتتجمع هذه المباني حول احواش او ساحات صغيرة ، انتشرت في اجوائها بعض المدارس ويوجد بالمنطقة حمام . وقد لوحظ في المباني السكنية تأكيد

وجدت الاسواق في القرن الاول الهجري خارج المدينة ثم جمعت مع السكن في نهاية العصر الاموي . بعد ذلك ظهرت الشوارع التجارية والتي تجمعت بها على اطراف المدينة الوكالات لتسهيل حركة نقل البضائع بدون ان تعوق الحركة السكانية داخل المدينة وعلى سبيل المثال الشارع الموصل بين الباب المصري وباب السلام ، وباب الرحمة والباب الشامي . واعتقد انه بسبب الاحترام الديني لمنطقة الحرم لم يسمح بوجود نشاط تجارى مكثف بالقرب من الحرم مباشرة ، حيث ان الدائرة المباشرة المحيطة بالحرم شغلت بالمباني التي لها علاقة مباشرة بالحرم سواء من الناحية السكنية او الادارية او التعليمية .

لم تكن المدينة بسبب ظروفها الدينية المميزة حيث بها ثاني الحرمين في حاجة الى سور دفاعي كما هو الحال في كل المدن في العصور الاولى ، الا ان النزاع على السلطة في العصر الاموي والعباسي ادى الى بناء اول سور لها في عام ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ - ٧٧ م .

احترم تخطيط المدينة العادات والتقاليد بتجميع المباني على احواس داخلية منزوعة ساعدت على انشاء العلاقات الانسانية ، بالاضافة الى فوائدها المناخية حيث تعمل كأبار للتهوية ولخفض درجات الحرارة .

تعددت المسطحات الخضراء داخل المدينة وخارجها والتي كان عددها حتى بداية القرن العشرين ٤٨٥ بستانا وهو مكان له تأثير .

تعدد اشكال شبكة الطرق من طريق (درب) وشارع وحارة وزقاق (لفظ عطفة لم تذكره المصادر) كل منها كان له وظيفة وغرض خاص ، فالشارع والطريق وصل عرضه الى اربعة امتار ويصل بين الابواب الرئيسية ومركز المدينة ، وتجمعت حوله الخدمات التجارية الهامة . الحارات ترواح عرضها بين ٢ - ٣ امتار واستعملت كحركة رئيسية داخل المناطق السكنية ووجد بها بعض الانشطة التجارية الخفيفة اما الزقاق فترواح عرضه بين ٥٠ - ٢ متر ولم تتواجد عليه اية أنشطة تجارية وقد يرجع نظام الشوارع المتعرجة والذي انتشر في المدينة الى اعطاء المشاه الفرصة للتجول البصري وتقسيم المسافات واتاحة الفرصة للتأمل الهادى وعدم الملل . كذلك وجدت الشوارع المغطاة للحماية من العوامل الجوية .

بالنسبة للخانات وهو ماشرع في المدن العربية فقد قل وجوده علما بأن أقدم ما عرفناه اقيم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولعل وجود عدد كبير من الازقة يوضح لنا انها قد استعملت كمكان لنزل القادمين للزيارات الدينية الطويلة او ان عددا من الدور السكنية كانت تستعمل لاستقبال النزلاء والزوار . اما الحمامات فقد وجد حمام داخل السور بالركن الجنوبي الشرقي للمدينة - ليس في مكان متوسط - ولكن في المنطقة السكنية - لذلك وجد حمام آخر خارج السور لخدمة الامتداد العمراني في الجهة الغربية الى الغرب من ساحة المناخة في العصر العثماني .

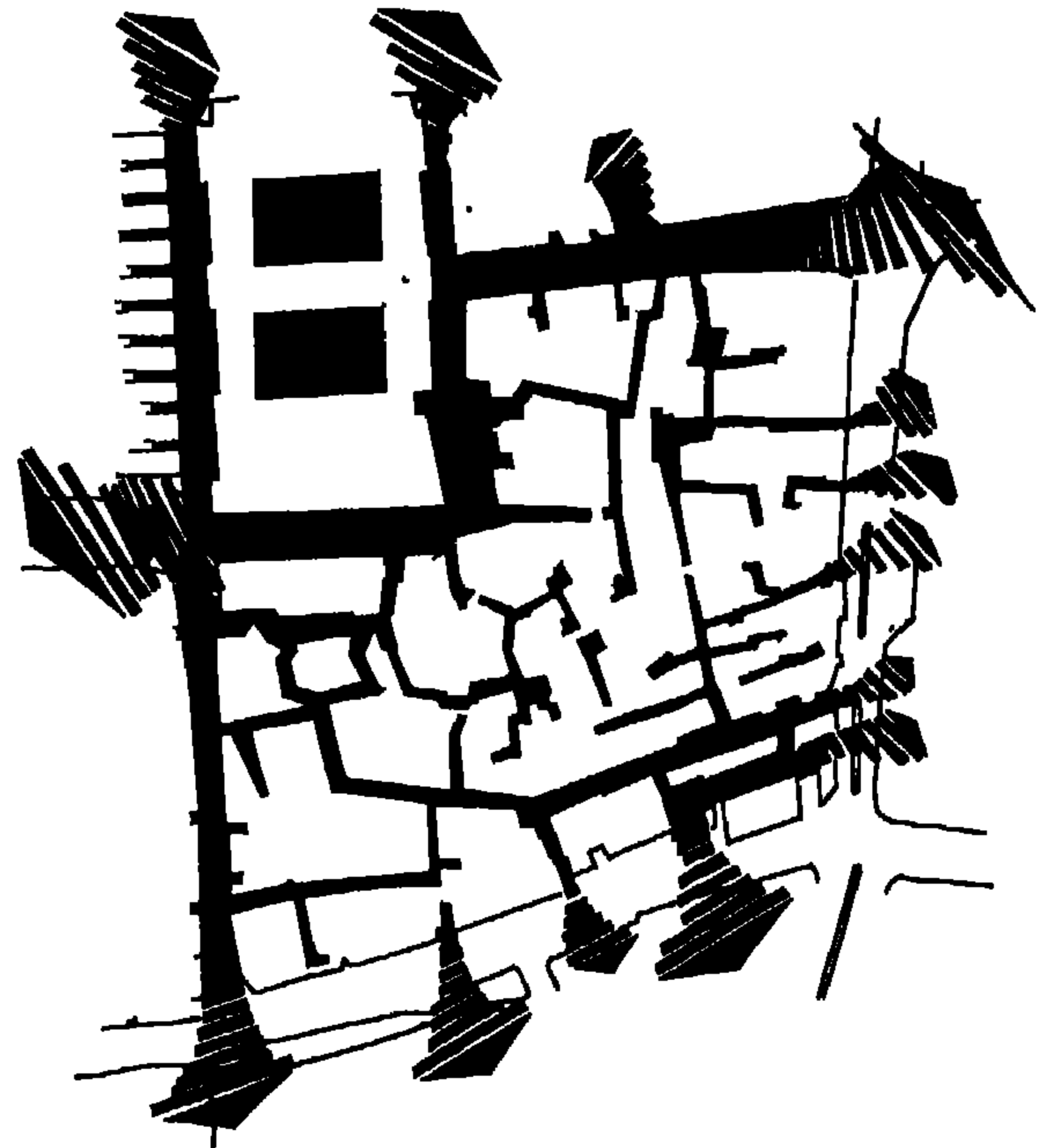
اعتمد المقياس الآدمي في التصميم ، فوجد الدراع والشبر والخطوة ، مما اوجد نسبا انسانية في التصميم العمراني للشوارع والمباني . فنجد ان العلاقة بين عرض الحارات وارتفاعات المباني وصلت الى ١ : ٣ ، ١ : ٤ ، مما اتاح إيجاد تهوية مناسبة مع الحماية من اشعة الشمس :

الخصوصية لكي تتلاءم مع الظروف والعلاقات الاجتماعية التي بنيت على مبادئ الدين والشريعة الاسلامية . كما احتوت المباني السكنية الخاصة على سبيل بالطابق الأرضي وقاعة لاستقبال الضيوف ، بالاضافة الى مدخل منكسر لمنع الرؤية داخل المبنى للعابرين بالطريق . وقد انعكست صورة العمارة الاسلامية على تصميم الابواب الخارجية وعناصر التشكيل والتي اعتمدت على الحليات الهندسية والنباتية والتي تأثرت لحد كبير بالزخارف التركية . وشبكة طرق للمشاة ، اعتمدت على حارات ضيقة متعرجة تتقاطع مع بعضها مكونة ساحات صغيرة متنوعة المسطحات ، وقد كانت الفراغات بين المباني عنصرا للربط والتكامل . كذلك لوحظ ان كافة الطرق قد نظمت بطريقة بحيث تؤدي كلها الى مركز المدينة وهو المسجد النبوي الذي كان دائما العلامة المميزة Landmark بالنسبة للقادمين الى المدينة او المقيمين فيها .

الخصائص العمرانية للمدينة المنورة

من كل ماسبق ذكره نجد ان المدينة المنورة قد تميزت بخصائص عمرانية ومعمارية نوردتها على النحو التالي :-

كان المسجد هو مركز الاشعاع الديني والثقافي والاجتماعي للمدينة ، وقد انجذبت اليه كافة الشوارع الرئيسية القادمة من ابواب المدينة . كذلك احاطت به المدارس والمكاتب التعليمية والأرطبة والمكتبات العلمية . وقد وجد حول الحرم منطقة سكنية هادئة وخاصة في الجهة الشرقية والجنوبية . وكان الحرم هو العلامة المميزة في المدينة Landmark بحيث تقع عليه عين القادم للمدينة من اى اتجاه كان .



١٩٥ للنسيج العمراني والنماذج حول المسجد النبوي الشريف
STREET PATTERN
(منطقة حارة المنوخة)

التراث المعماري بالمدينة المنورة :

أما التراث المعماري بالمدينة فقد توافرت به الخصائص التالية :-
احترام الوظيفة في المبني والتعبير عن ذلك بوضوح ، فاختلقت المباني السكنية عن مباني الخدمات مثل المدارس او الوكالات او الحمامات .

استعمال التشكيل الحر بالواجهات والتي ينتج عن تجميعها تنفيذا وايقاعا منتظما مع استغلال التباين - الناتج من استعمال المسطحات المصمتة (الحوائط) والفتحات (الرواشن والمشربيات) .

الانتفاء الى الداخل في التصميم بعمل احواش داخلية في المبني وذلك لتوفير الظروف المناخية الملائمة . مع ملاءمة هذا التصميم للظروف الاجتماعية للمجتمع الاسلامي .

التجانس والتكامل في المظهر واللون باستعمال مواد طبيعية في الانشاء مثل الحجر البازلت والطوب الاسمر والخشب ، مما أوجد صورة مترابطة لواجهات المباني .

استعمال التشكيل الهندسي الذي ارتبط بوحدة متكررة في تصميم الرواشن والمشربيات .

تدرج خط القطاع الخارجي للمباني بحيث تنوعت طرق التشكيل البصري للشوارع .

وجود انسياب رأسي وأفقي للفراغات داخل المباني وتغير الارتفاعات والمسطحات طبقا للوظيفة وعلى سبيل المثال في المباني السكنية الخاصة .

خاتمة :

ومن هذا نرى انه لا بد من التعرف بدقة على خصائص المدن العربية للاستفادة منها في وضع التصميم الحضري الجديد ، وهذا ليس بهدف تكرار النظم القديمة وإنما لخلق طابع متطور يفي بحاجات الانسان في الحاضر والمستقبل ، لكي تواكب المدن العربية والعمارة التطور العلمي والتكنولوجي ، ولكي يوجد الاستمرارية في طابع المدينة ويوقظ روح الارتباط العاطفي بين السكان والمدينة .

ان الدين الاسلامي هو دين كل زمان وكل عصر ، ويفتح الباب باستمرار لكي تكون أحكامه مراكز نور تشرق بالغد الاكثر تطورا وملاءمة للنمو الانساني المستمر ، لأنه الدين المتجدد دائما عبر كل زمان ومكان والله ولي التوفيق .

ملاحظات

- ١ - المدينة المنورة : - (Leiden 1913) Enzyklopaedie des Uslam . 88 - 98 (34) .
- ٢ - المعينين : كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب العربية (بيروت ١٩٧٧) (٧) ١٦ .
- ٣ - فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤) (٥) ١٥٣ .
- ٤ - العمالقة : 2429 (Leiden 1960) Encyclopaedia of Islam I .
- ٥ - فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤) (٥) ٩٩ - ١٠٠ .
- ٦ - فليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (بيروت ١٩٥٨) . ٣٧٠ .
- غسان زكريا : النبي هزمهم في خيبر وعمر بن الخطاب اخرجهم من الجزيرة (مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١١٠٠ (الجمعة ٩ ديسمبر ١٩٧٧) (٣٤) .
- ٧ - أطم كلمة عبرية وتعني حوائط بدون نوافذ من الخارج ، وبالعربية = بناء مرتفع . (ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب (القاهرة ١٩٢٧) (٧ - ١١٦) .
- ٨ - الأوس وتعني هدية ، وهي اختصار اوس منات الآلة تحولوا الى الاسلام في زمن اوس الله .
- هاجروا من اليمن تحت امرة عمرة مزيقيا واستقلوا تحت قيادة مالك بن عجلان الخزرجي من قبيلة سالم . حدثت مناوشات بين الأوس والخزرج فخرجت قبيلة عبد الاشهل وظفر بينا حل السلام بين عمرو بن عوف واوس منان 429 (Leiden 1960) (Encycl . of Islam I) .
- ٩ - الخزرج : احد القبيلتين الرئيسيتين في المدينة ويشكلون قبل الاسلام (Encycl. of Islam IV (Leiden 1978) مع الأوس قبيلة بنى قيلة (Encycl. of Islam IV (Leiden 1978)) .
- ١٠ - الانصار : ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة ٩ (التوبة) آية ١٠٠ ، ١١٧ ، (5 - 5T4) (Leiden 1960) (Encycl . of Islam I) .
- ١١ - نبوخذ نصر : احد ملوك البابلي الاخير ، حكم لمدة ٤٣ عاما (٦٠٥ - ٥٦٢ ق . م) .
- فرج بعجمي : كنوز المتحف العراقي (بغداد ١٩٧٢) (٥٨ - ٥٩) .
- ١٢ - ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب (القاهرة ١٩٢٧) (٣٩) .
- ١٣ - فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤) (١٦٧) .
- ١٤ - اول المحرم ١ هـ = الجمعة ١٦ يوليو ٦٢٢ م .
توفي الرسول ١٣ ربيع اول ١١ هـ / ٨ يونية ، ٦٣ م .
- ١٥ - موتجمري وات : محمد في المدينة (بيروت بدون تاريخ) (١٦ - ٢٢) .
- 867 - 867 (Leiden 1960) (Encycl . of islam I) .
- ١٦ - ولفنسون : تاريخ اليهود في الجزيرة العربية (القاهرة ١٩٢٧) (١٢٨ ، ١٣٣) .
- ١٧ - ولفنسون : تاريخ اليهود في الجزيرة العربية (القاهرة ١٩٢٧) (١٨٣) ، يدعي المؤلف
- بوجود اسر يهودية بوادي القرى الى القرن الحادى عشر الميلادى وكذلك قلة منهم في جهات ثيماء في القرن الثاني عشر الميلادى .
- Creswell : Early Muslim Architecture I (Oxford 1969) 22ff. , 46ff

٣٦ - المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، الجزء الثالث (ليدن ١٩٠٩) ٨٠ - ٨١ ز

٣٧ - كان هذا الباب يؤدي الى ما يعرف بدرب جهينة ، وهي المسافة بين الباب وحصن امير المدينة - السهمودي : وفاء الوفاء الجزء الثالث (بيروت ١٩٧١) ٨٥٦ كما أن المؤرخ العباسي من القرن العاشر الهجري يشير الى درب جهينة بأنه هو الناجية المعروفة في زمنه بباب الكومة ويؤدي الى العقيق وقباء - حيث يوجد جامع جهينة (احمد العباسي : عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ) ١٤٥ ، ١٩٣ .

وفيد الانصاري بأن الحصن اقامه امير المدينة ابن شيخة في القرن السابع الهجري وقد اقيم في مكانه بعد ذلك القلعة العثمانية في عهد السلطان سليمان . (الانصاري : آثار المدينة المنورة (١٣٨٣ هـ) ٢٦) . وباب جهينة نسبة الى جهينة بن زيد بن ليث (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام ، الجزء الثاني (القاهرة ١٩٥٤ - ٥٩) ١٤٠) .

٣٨ - الجواد الاصفهاني (الاصفهاني) . وزير في عهد الاتابك زنكي ابن اقسنقر صاحب الموصل . ولي نصيبين ثم ولي الاشراف على المملكة كلها . تولى الوزارة في عهد سيف الدين غازي قبض عليه قطب الدين مودود عام ٥٥٨ هـ ١١٦٣ م وسجن بقلعة الموصل حتى مات عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ونقل الى المدينة حيث دفن في رباط اقامه لنفسه في البقيع . الزركلي : قاموس تراجم الاعلام الجزء السادس (بيروت ١٩٧٩) ٢٧٨ .

٣٩ - السهمودي خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٤ ؛ احمد العباسي : عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ) ١٤٢ - ٤٧ ؛ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ) ٣ . يعطى علي حافظ عام ٥٠٠ هـ بدلا من ٥٤٠ هـ وهو غير حقيقي لأن دولة الاتابكة قامت في عام ٥٢٠ هـ .

٤٠ - السهمودي : خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٥ ؛ احمد العباسي عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ) ١٤٥ - ٤٧ ؛ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ) ٣٠ ولكنه يعطى عام ٥٥٧ هـ بدلا من عام ٥٥٨ هـ علما بأن التاريخ الثاني هو الاصح طبقا للنص التاريخي الذي نشره السهمودي .

٤١ - Elisseéff, N. : Les monuments de Nur ad - Dîn, BEO, - XIII, 5 - 43.

٤٢ - Esin, N. : Mecca and madinah (Italy 1974)² 159 .

٤٣ - رحلة ابن جبير (بيروت ١٩٦٨) ١٥٦ - ٥٧ .

٤٤ - جاستون قيت : القاهرة مدينة الفن والتجارة (بيروت ١٩٦٨ - ٧١ ، ٧٢ الفاطمي في جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٧) ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ .

٤٥ - المطري (محمد جمال الدين بن احمد) : التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة . (مخطوط القاهرة دار الكتب ، تاريخ ٥٦٤)

٤٥ ب - المراغي (ابو بكر بن الحسن بن عمر) : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة .

(مخطوط ، القاهرة ، دار الكتب ، تاريخ ٥٩ ، ١٦٤١) .

١٩ - مونتجمري وات : محمد في المدينة (بيروت بدون تاريخ) ١٦ ، ٦٩ ، ٧٧ .

٢٠ - محمد الخطراوي : مجلة الفيصل ، العدد السادس (الرياض - السنة الاولى ١٣٩٧ هـ) ٥٧ .

٢١ - Creswell Early Muslim Architecture I (Oxford 1969)² 15.

٢٢ - Encycl . of Islam III (Leiden 1971)² 607 - 15.

٢٤ - فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤) ١٤٩ - ٥١ .

٢٥ - البتانوني (البتانوني) : الرحلة الحجازية (القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) ٢٦١ . توفي البتانوني عام ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام ، جزء ٧ (بيروت ١٩٧٩) ١٥) .

٢٦ - ولد عبدالله في ذى القعدة ٢ هـ / مايو ٦٢٤ ، قتل في معركة الامويين في ١٧ جمادى اول (الثاني) ٧٣ هـ / ١٤ أكتوبر (٣ نوفمبر) ٦٩٢ م .

(Encycl . of Islam I (Leiden 1906) 5) .

٢٧ - Creswell: Early Muslim Architecture I (Oxford - 1969)² 11.

٢٨ - فليب حتى : تاريخ العرب (بيروت ١٩٧٤) ٢٥١ - ٥٢ .

٢٩ - يفيد السهمودي نقلا عن ابن زبالة وابن شبة ، ان ابتداء البناء على ارض السوق السابقة في المناخة بدأ في عهد معاوية ثم اقام هشام بن عبد الملك دارا اخذها السوق كله ، جعل الطابق السفلي منها ذكاكين والطوابق العليا مساكن (السهمودي : وفاء الوفاء ، جزء ٢ (بيروت ١٩٧١) ٧٥٠ - ٥٣) .

٣٠ - توفي عيسى بن موسى في عام ١٦٧ هـ / ٧٨٣ - ٤ م

(Encycl . of Islam IV (Leiden 1978)² 88) .

٣١ - بنو هلال : Encycl . of Islam III (Leiden 1971)² 385 - 70

٣٢ - اسحق بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب ، ذكر في كل المصادر الجعدي ولعلها الجعفرى . كان اميرا على المدينة لحين وفاته عام ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ - ٨٠ م وتولى بعده اخوه موسى . وقد كثرت في المدينة الفتن الى ان استقرت الامارة لبني الحسين بن علي (احمد البرادعي : المدينة المنورة عبر التاريخ الاسلامي (١٩٧٢) ١٠٨ .

٣٣ - السهمودي : خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٤ .

٣٤ - اسمه فناخسرو وكنيته ابو شجاع ، وهو ابن الحسن بن بويه . تولى السلطة في فارس وخوزستان من قبل عمه عماد الدولة البويهى عام ٣٢٨ هـ / ٩٤٩ - ٥٠ م . اصبح امير الامراء في ١٨ شوال ٣٦٧ هـ / ٢٩ مايو ٩٧٨ م وخضعت لحكمه العراق والشام . اول من خوطب بلقب ملك في الاسلام . بني البيمارستان العضدى بجانب الكوخ من بغداد ، كما اقام مرقد الامام علي بن ابي طالب قرب الكوفة . توفي في ٨ شوال ٣٧٢ هـ / ٢٦ مارس ٩٨٣ م ببغداد ودفن بها ثم نقل ودفن في مشهد الامام علي . (زامباور معجم الانساب والاسر الحاكمة (القاهرة ١٩٥١) ٣٢٢ - ٤ ، ٣٢٧ ؛ ايتنكهاوزن : فن التصوير عند العرب (بغداد ١٩٧٣) ٢٠٢ ملحوظة ٥٨ .

٣٥ - السهمودي : خلاصة الوفاء (القاهرة ١٣٦٧ هـ) ٢٥٤ .

- ٥٨ - Burton, R. : Personal Narrative of a pilgrimage to al - Madinah & Meccah, 2 vol. (London 1907)³ 285 - 395 .
- ٥٩ - علي بن موسى : رسالة في وصف المدينة (مخطوطة - دار الكتب المصرية / تاريخ ١٦٩٠ ، ١٦٤٤) . نشر حمد الجاسر : رسائل في تخطيط المدينة (الرياض ١٩٧٢) ٣ - ٨١ .
- ٦٠ - ابراهيم رفعت مرآة الحرمين الجزء الأول (دار الكتب ١٣٤٤ هـ) ٨٢ - ٤٠٧ ، الجزء الثاني ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، كان اميرا لبعثة الحج اربع مرات :
- ٣١٨ هـ / ١٩٠١ م - ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ ، ١٣٢١ هـ / ١٩٠٤ ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٨ م . توفي عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م . (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام ، جزء ١ (بيروت ١٩٧٩) ٤٢٩) .
- ٦١ - محمد لبيب البتانوي : الرحلة الحجازية (القاهرة ١٣٢٩ هـ) ٢٣ - ٦٥ . توفي عام ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م (الزركلي : قاموس تراجم الاعلام جزء ٧ (بيروت ١٩٧٩) ١٥٤) .
- ٦٢ - Wavell : A modern Pilgrim in Mecca (London 1912) -
- ٦٣ - فليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الجزء الثاني (بيروت ١٩٧٢) ٣٤٩ .
- ٦٤ - Moritz, B. : Bilder aus Palastina, Nord Arabien und dem Sinai (Reimer, Berlin 1916) 10.
- ٦٥ - روبرت ماثيو : الاستراتيجيات البديلة للمدن - المدينة المنورة (لندن - ١٩٧٢) ٢٦ لم يبين المؤلف مصادر هذه المعلومة ولكن يمكن اعتبار الرقم صحيحا بمقارنته بالارقام عن الاعوام السابقة لهذا التاريخ .
- ٦٦ - Esin, E. : Mecca and Medinah (Italy 1974)² 186 - 93 .
- ٦٧ - علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ)
- ٦٨ - Rutter, E. : The holy Cities of Arabia (London 1930 -) 32 496 - 576 .
- Philby, H. St J-B : A Pilgrim in Arabia london)² 50 - 91

- ٤٦ - احمد العباس : عمدة الاخبار (السعودية بدون تاريخ) ١٤٥٥ -
- ٤٧ ؛ علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة (المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ) ٣٠ . مذكره الخطراوي في مجلة الفيصل بأن الصالح بن قرووت اقام سورا آخرًا للمدينة غير صحيح والحقيقة انه اقام باصلاحات في السور فقط (الخطراوي : في مجلة الفيصل ، العدد السادس (الرياض ، السنة الاولى ١٣٩٧ هـ) .

الصلح صلاح الدين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، سلطان مملوكي بحري حكم مصر بين عامي ٧٥٢ - ٥٥ هـ / ٣٥١ - ٥٤ م (زامباور : معجم الأنساب (القاهرة ١٩٥١) ١٦٣) .

- ٤٧ - ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٣٤٨ هـ) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور (بولاق ١٣١١ - ١٤ هـ) .

٤٨ - Sauvaget, J. Ia Mosquee omeyyade Medine (paris 1947) - 27 - 9.

- ٤٩ - الذراع في فترة القرن الخامس عشر (العصر المملوكي الجركسي في مصر) حوالي ٧٠ سم . عن القياسيات

Hinz, W. : Islamische Masse und Gewichte, umgerechnet ins metrische Systeme. Handbuch der Orientalistik : Ergänzungsband I, Heft I, (Leiden 1955) .

- ٥٠ - ولد قايتباي في عام ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م . خدم عند السلطان الظاهر جقمق واعتقه . ترقى في خدمة الدولة حتى وصل وظيفة اتابك . بويغ بالسلطنة ٣ رجب ٨٧٢ / ٢٨ يناير ١٤٦٨ . له العديد من المنشآت في مصر والشام والحجاز . ظل في السلطنة لحين وفاته في ٢٧ ذى القعدة ٩٠١ هـ / ٧ أغسطس ١٤٩٦ م (حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ، جزء اول القاهرة ١٩٤٦) ٢٥٠ - ٥١) عن اعمال قايتباي في المدينة المنورة (السمهودي ، وفاء الوفاء ٢ (بيروت ١٩٧١) ٦١٨ ، ٦٤٣ - ٥٤ .
- ٥١ - المدرسة اقامها الخواججا (لفظ يطلق على كبار التجار) شمس الدين (الشمسي) بن الزمن . ارسل لعمارة الحرم في رمضان ٨٨٦ هـ / ٢٤ مايو - ٢٣ يونيو ١٤٨١ . (ابن اياس : بدائع الزهور ، الجزء الثالث (القاهرة ١٩٦٢) ١٤٥ ، ١٧٠ ، ١٩٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٩٤ .

٥٢ - السلطان سليمان (Leiden 1934) Encycl . of Islam IV

٥٣ - السلطان محمود الثاني - 125 (Leiden 1936) Encycl . of Islam III

8.

٥٤ - السلطان عبد الحميد الاول - 74 (Leiden 1960)² Encycl . of Islam I

5

٥٥ - السلطان عبد الحميد الثاني (Leiden 1960)² Encycl . of Islam I

63 - 5

- ٥٦ - عمر بن خضر الرومي : التحفة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة الشريفة .

(نشر محمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة (الرياض ١٩٧٢) ٨٥ - ٩٢) .

Otto Baumhauer Aus der Reisebeschreibung des Johann - ١٥٦

Wild, Mekka und Medinah. Dokumente zur Entdeckungsgeschichte Bd . I (Stuttgart 1965) 67 - 62.

٥٦ب - 8 - 267 (Leiden 1960)² Encycl . of Islam I

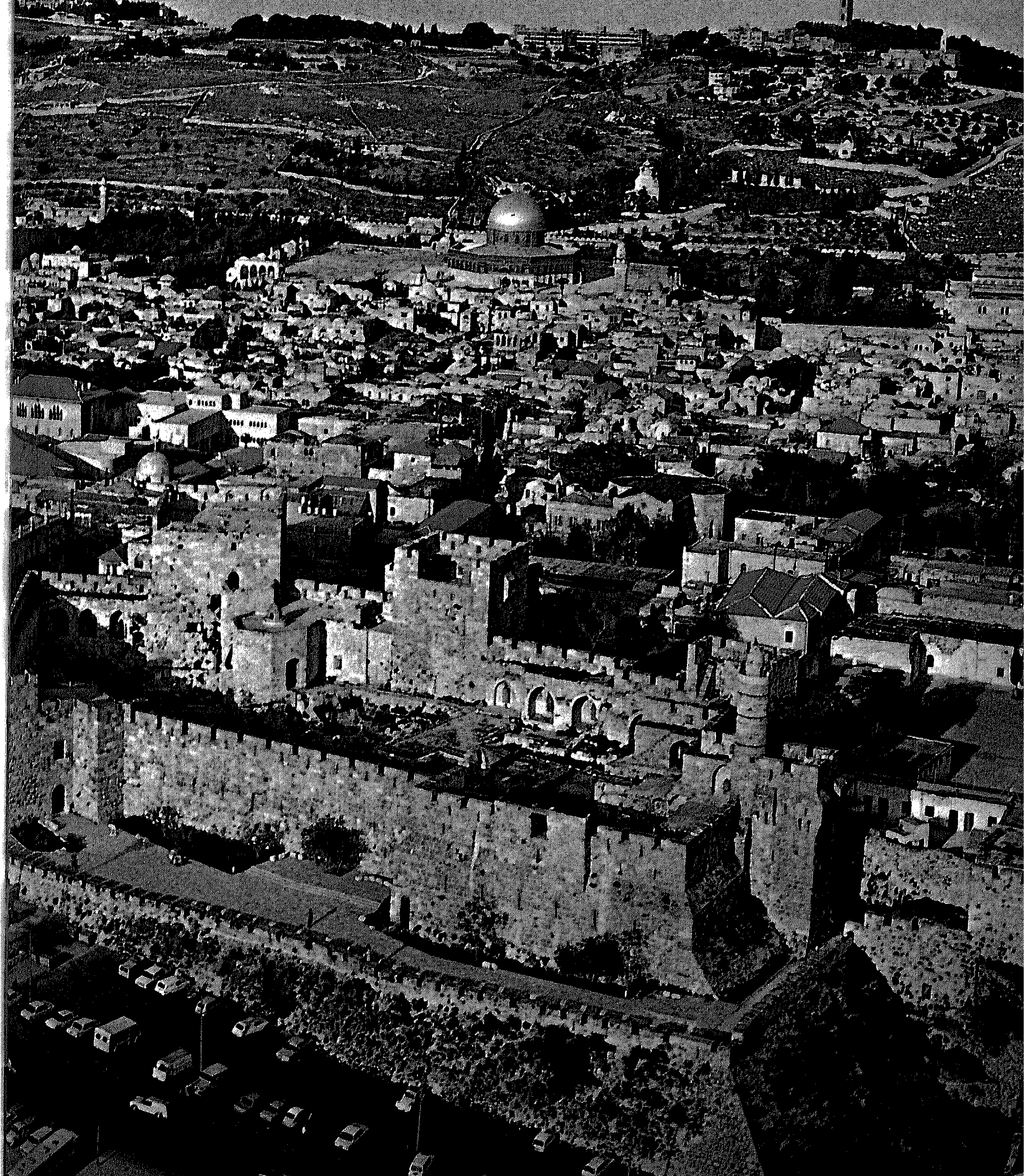
٥٦ ج - (Austria 1969) Beschreibung von Arabia (Niebuhr, G. :

371.

Burckhard, J. : Travels in Arabia (London 1968) 317 - - ٥٧

97

القدس



الحرم الشريف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلي

رائف يوسف نجم

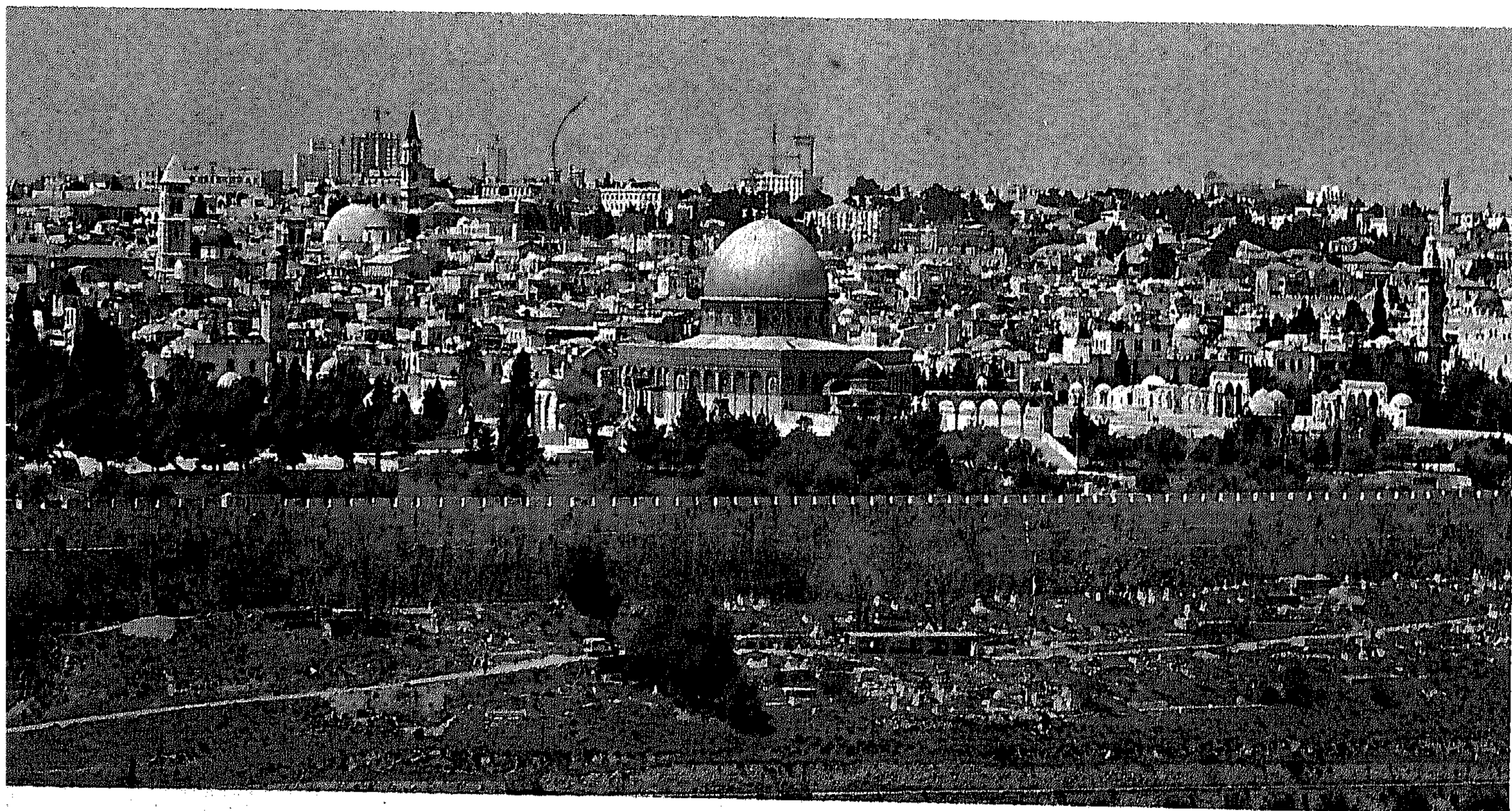
مقدمة :

ان هذا البحث يشتمل على ملخص للاحداث التي ألمت بالحرم الشريف والاعمال الهندسية الموثقة بالصورة والشرائح الملونة والتي قام بها جهاز الاعمار الذي مازال على رأس عمله بواجهة في جو مكفهر يغلب عليه القلق والاضطراب النفسى والضعف الاجتماعى والاقتصادية التي يمارسها الاسرائيليون ضد العرب . والأمل بالله عظيم لكي يوفقنا الى انجاز مهمتنا هذه للاحتفاظ بالحرم الشريف رمزا اسلاميا مشرقا ابد الدهر فاتحا ذراعية لاستقبال المصلين من جميع انحاء المعمورة صامدا ضد ما يخطط له اعداء الاسلام من المشرق والمغرب وسيبقى الاقصى شامخا ما بقى المسلمون يقرأون :

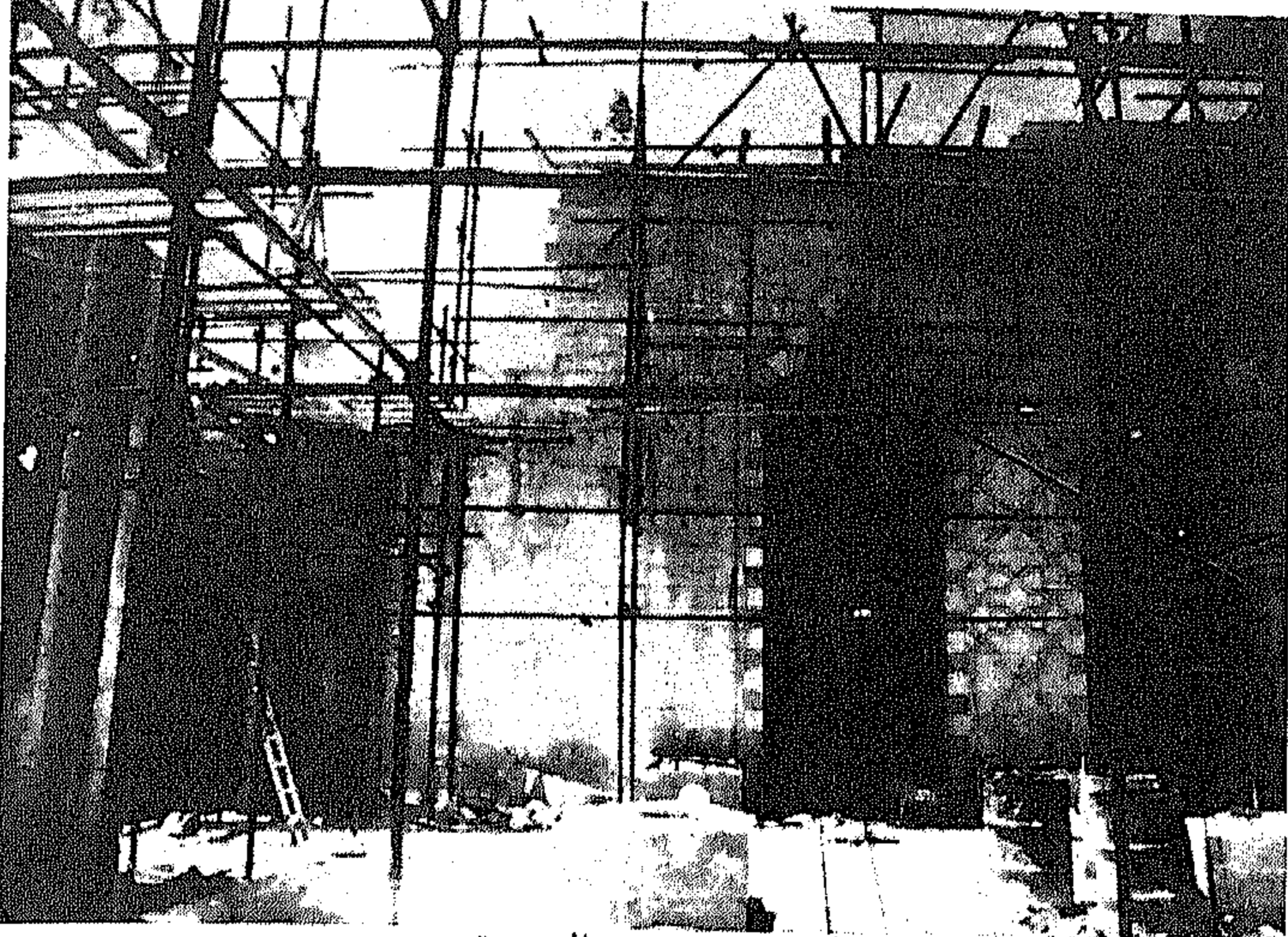
بسم الله الرحمن الرحيم * سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير * صدق الله العظيم .

هذا البحث يحكى قصة المسجد الاقصى الاسير في مرحلة زمنية محدودة مدتها ثلاثة عشر عاما عجافا من تاريخ القدس الشريف . انه يتعلق بمرحلة زمنية تبعت الماضى الغني بالتراث والحضارة الاسلامية وسيلحقها المستقبل المشرق بالامل ان شاء الله . وثقت وقائعها من بصمات الاحتلال الاسرائيلي البغيض الحاقدا على الاسلام والمسلمين ، ومن فصول الرواية الدرامية التي اخرجوها ومثلوها ، ومن الاحداث اليومية التي كانت تجري هناك من حفريات وهدم ونسف وحرق وطرد للسكان العرب وتدمير للآثار الاسلامية ووضع العراقيل لتعطيل المحافظة عليها .

لم تستند معلومات هذا البحث على مراجع نشرت سابقا ، بل هي توثيق من الطبيعة لاحداث مرحلة زمنية حديثة من تاريخ الحرم الشريف والتراث الاسلامي فيه جُمعت من خلال علاقتى الرسمية والفعلية كعضو في لجنة اعمار المسجد الاقصى والصخرة المشرفة منذ الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ والى اليوم . فقد عاصرت هذه الاحداث بكاملها وشاهدتها وعملت مع زملاء لي لازالة اثار الحريق ولترميم الاثار وللمحافظة على التراث الاسلامي والمنطقة المحيطة به .



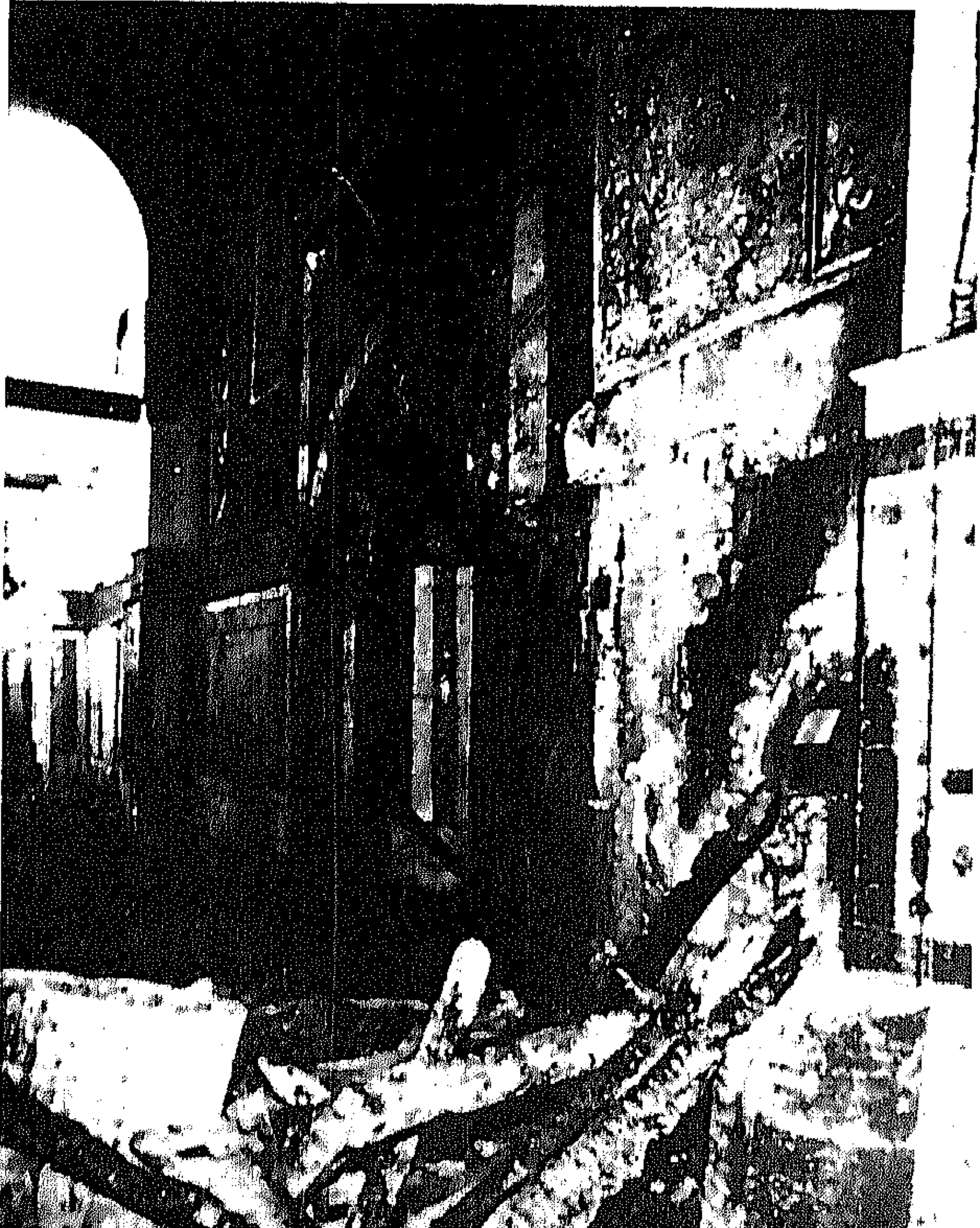
١٩٧ القدس



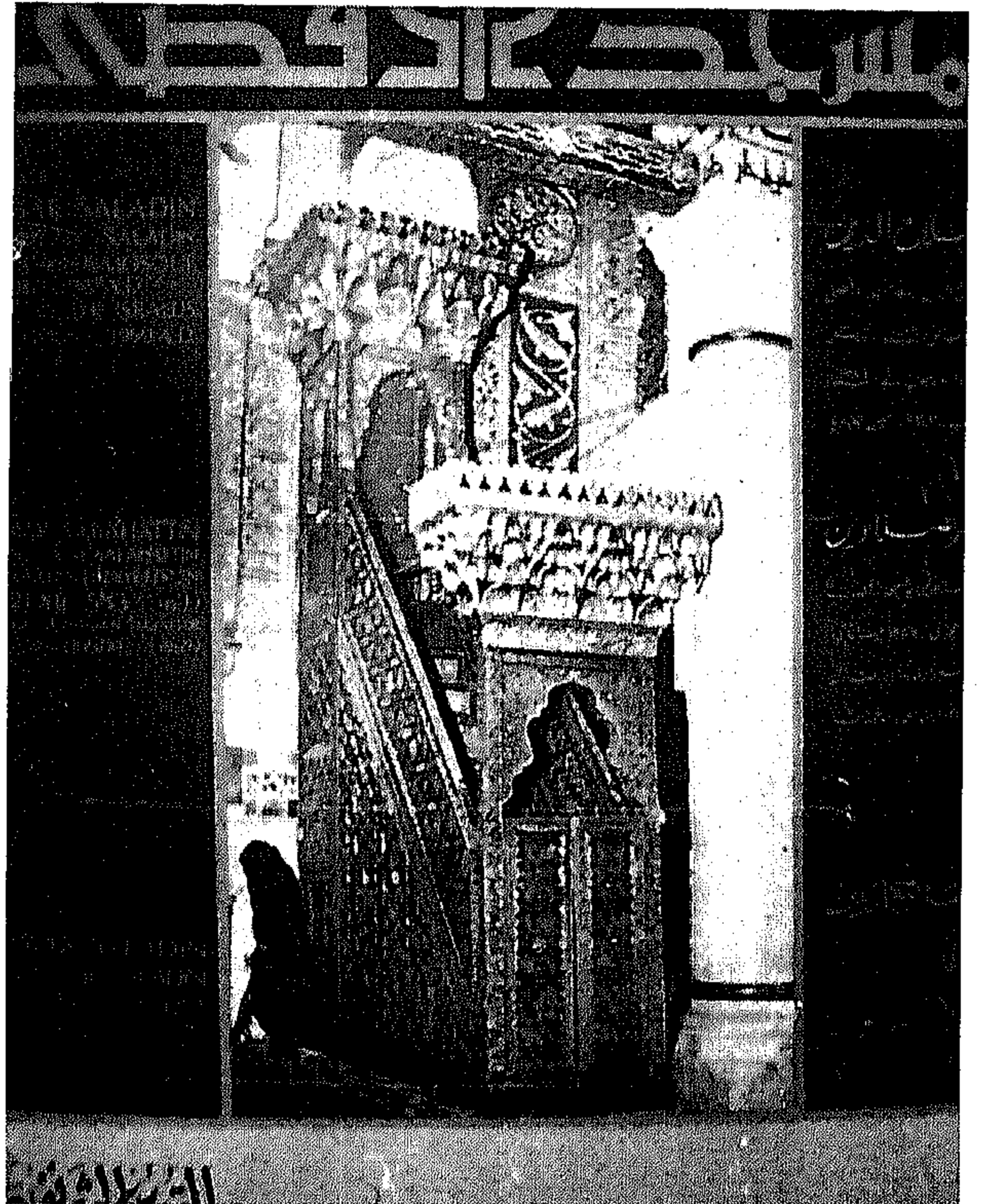
١٩٩ اعمار المسجد الأقصى بعد الحريق



٢٠٠ الاثار الاسلامية التي اكتشفها الاسرائيليون بالحفريات



٢٠١ آثار منبر صلاح الدين بعد الحريق - القدس



١٩٨ منبر صلاح الدين قبل الحريق - القدس

ان تاريخ الحرم الشريف وما ألم به من احداث خلال فترة ثلاث عشرة سنة من الاحتلال الاسرائيلي الاسود يحتاج الى مجلدات عديدة ، ولكني سأوجز هذا البحث ليشمل الاحداث التالية :-

هدم ومصادرة الاملاك العربية القديمة حول الحرم الشريف لازالة معالم الحضارة العمرانية الاسلامية وطرد السكان العرب منها بغية السير في تهويد مدينة القدس القديمة المقدسة .

- الحفريات الاسرائيلية حول الحرم الشريف وهدف الاسرائيليين منها .

- حرق المسجد الأقصى المبارك من قبل الاسرائيليين مع سبق الاصرار والتعمد .

- اعمار المسجد الأقصى المبارك من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية والاثار الاسلامية الاخرى ضمن الحرم الشريف .

- مسح وتوثيق الابنية الاثرية الغنية بالعمارة الاسلامية حول الحرم الشريف لاثبات وجودها واعمارها .

- التنظيم الاسرائيلي .

الحرم الشريف :

- ١٣٥ بيتا في حارة المغاربة العربية والتي كان يسكنها ٦٥٠ عربيا .
- جامعين في حارة المغاربة .
- مصنع بلاستيك قرب الحي الارمني والذي كان يعمل فيه ٢٠٠ عامل عربي .

هو المكان الذي يقدسه المسلمون داخل القدس القديمة ويقع على جبل (سوريا) وتبلغ مساحته حوالي ٢٣٠.٥٠٠ م^٢ .

المسجد الأقصى : وهو اكثرها تقديسا بسبب علاقته الوطيدة باسراء النبي محمد ﷺ من مكة الى القدس أو أكثر تخصيصا من الكعبة المشرفة الى المسجد الأقصى في ليلة واحده . قال الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

« سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير . »

ثانيا المرحلة الثانية بتاريخ ١٤/٤/١٩٦٨ حيث اصدر وزير المالية الاسرائيلي أوامره بمصادرة مساحة ملاصقة للحرم الشريف واعتبارها املاكا اسرائيلية وكانت هذه المساحة تشتمل هذه المساحة على ما يلي :

- ٥٩٥ مبنى اشتملت على ١٠٤٨ بيتا عربيا و ٤٣٧ دكانا عربية وه مساجد و٤ مدارس عربية ومركزين ثقافيين اسلاميين (زاوية ابو مدين الفوئ وزاوية الفخرية) . وسوق الباشورا التاريخية وبوابة السلسلة

وكان يسكن في هذه الابنية حوالي ٦٠٠٠ عربي اجبروا على مغادرة بيوتهم قسرا وعنوة بواسطة السلطات الاسرائيلية عن طريق الضغوط الاقتصادية أو قطع الماء عن بيوتهم أو تعطيل شبكة المجارى العامة أو نسف البيت .

ثالثا نفذت المرحلة الثالثة بتاريخ ١٤/٦/١٩٦٩ حيث هدمت السلطات الاسرائيلية ١٤ مبنى تاريخيا اسلاميا بواسطة البلدوزر بحجة التمكن من استمرار اعمال الحفريات الاثرية تحت هذه الابنية الموازية لجدار الحرم الشريف الغربي . كان احد هذه الابنية مسجدا وآخر مركزا ثقافيا . وقد اخرج من جراء هذا الهدم ١٠٠٠ عربي من مساكنهم وطردها خارج البلدة القديمة .

رابعا : نفذت المرحلة الرابعة بتاريخ ٢٠/٦/١٩٦٩ حيث صادرت السلطات الاسرائيلية ١٧ مبنى عربيا كان احدها المدرسة التنكيزية التاريخية ومعظم هذه الابنية يقع غرب الحرم الشريف . وكان الهدف من هذه المصادرة مكتملا للهدف السابق وهو الاستمرار في الحفريات الاسرائيلية الاثرية دون معارضة السكان .

على اثر هذه التصرفات من قبل الاسرائيليين قال اللورد كارادون في احد اجتماعاته مع تدي كوليك رئيس بلدية القدس اليهودي ان القدس لن تنعم بالسلام الذي يشق له الجميع اذا كانت السلطات الاسرائيلية تقوم بهدم ومصادرة الابنية العربية وتطرد سكانها العرب وتستبدلهم بالسكان اليهود .

قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن :

بعد احتلال شرق القدس في أوائل حزيران سنة ١٩٦٧ من قبل السلطات الاسرائيلية اصدرت هيئة الأمم قرارا رقم ٢٢٥٣ بتاريخ ١٤/٧/١٩٦٧ نصى على ما يلي :

« ان هيئة الامم معنية جدا بالتغيرات التي طرأت على القدس بعد الاحتلال ومحاوله اسرائيل تغيير معالم القدس ، ولهذا فهي تطلب من الحكومة الاسرائيلية الآتي :

قبة الصخرة المشرفة : وهي ثمنة البناء فوق صخرة المعراج التي عرج منها النبي محمد ﷺ الى السماء في نفس ليلة الاسراء .

حائط البراق : وهو الجزء الجنوبي من جدار الحرم الشريف ويبلغ طوله حوالي ٥٠م وأرتفاعه ٢٠م ويعد من الاملاك الاسلامية لانه يشكل جزءا من الحرم الشريف وله علاقة وطيدة باسراء النبي عليه الصلاة والسلام .

ان ملكية هذا الجدار الاسلامية قد ايدها تقرير هيئة عالمية شكلت في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين وقدمت تقريرا بذلك سنة ١٩٣٠م واعيد نشر هذا التقرير بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٦٨م بعد الاحتلال الاسرائيلي للقدس تحت رقم (S 18427) . ورغم ان اليهود لا يملكون أى حق قانوني لهذا الحائط الا ان سماحة المسلمين سمحت لليهود بزيارة هذا الحائط والبكاء خلفه ، ومن هنا اطلقوا عليه « حائط المبكى » بينما اسمه الحقيقي هو حائط البراق .

يدعي اليهود بأن هذا الجدار هو الجدار الخارجي لهيكل سليمان الذي رسمه هيرود سنة ١١ ق.م ولكن نسوا ان طيطس قد هدمه سنة ٧٠م وجاء بعده هديران وازال آثاره بالكامل وأصبح مكانه قاعا مستويا . ولو كان هناك مثل هذا الهيكل المزعوم فانه كان قد انشئ في موقع بين الحرم الشريف وقرية سلوان ثم انزل بالكامل .

هدم ومصادرة الاملاك العربية حول الحرم الشريف :

وضع الاسرائيليون خطة لهدم الابنية العربية ومصادرة احياء كاملة حول الحرم الشريف ونفذوا هذه الخطة مباشرة بعد الاحتلال وفي اربع مراحل :

أولا : نفذت المرحلة الأولى بتاريخ ١١/٦/١٩٦٧ أى بعد اربعة أيام فقط من احتلال القدس حيث هدموا الابنية الآتية : -

- الغاء جميع التغييرات التي نفذتها حكومة اسرائيل .
- عدم قيام اسرائيل باجراء أى تغيير في القدس .

وقد اكدت هيئة الأمم هذا القرار مرارا وتكرارا فيما بعد وكذلك مجلس الأمن ، الا ان اسرائيل اهمت هذا القرارا ورفضته كعادتها في رفض جميع القرارات التي لا تعجبها .

الحفريات الاسرائيلية حول الحرم الشريف :

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، حيث بوشر لأول مرة البحث عن الآثار في فلسطين ، كان الحرم الشريف والقدس أهم ما جذب علماء الآثار . ورغم ان عديدا من التحريات قد جرت خلال المائة عام الماضية الا ان النتيجة كانت اعلانا عن اكتشافات ومعتقدات متضاربة ومختلطة بانطباعات وأفكار خاطئة لان تلك الابحاث كانت مقرونة بفرضيات خيالية وغير دقيقة .

وفي عام ١٩٦٨ بعد احتلال السلطات الاسرائيلية للقدس بدأوا بالحفريات حول الحرم الشريف معلنين ان الهدف من تلك الحفريات كان للوصول الى معلومات عن تاريخ القدس خلال العصور القديمة وما كان يجري فيها ولكن حقيقة تلك الحفريات كانت للتفتيش عن أى أثر لهيكل سليمان الذى ادعى الاسرائيليون انه كان مشيدا في نفس موقع الحرم الشريف جهز الاسرائيليون فريقين لهذه الحفريات :

الفريق الأول مولته الجامعة العبرية وكان برئاسة الاستاذ مازار من الجامعة نفسها .

باشر هذا الفريق عمله بالحفر في الزاوية الجنوبية الغربية خارج الحرم الشريف وتحت المتحف الاسلامي وامتد شرقا بمحاذاة الجدار الجنوبي للحرم الشريف وشمالا بمحاذاة الجدار الغربي للحرم الشريف حتى وصل الى باب المغاربة .

الفريق الثاني كان ممثلا ببعض الاحزاب الدينية المتعصبة من اليهود وباشر عمله بالحفر تحت المدرسة التنكيزية والتي تم احتلالها مسبقا من قبل القوات الاسرائيلية .

وصلت هذه الحفريات الى عمق ١٥ مترا تحت سطح الارض الطبيعية ثم سارت شمالا بشكل خندق ارتفاعه ٢,٥٠ متر ويعرض متفاوت . امتد هذا الخندق لمسافة ١٧٥ مترا شمال حائط البراق تحت البنية الاسلامية التاريخية والأثرية والمنشأة على محاذاة الجدار الغربي للحرم الشريف وتسببت في تشقق بعضها وهبوط البعض الآخر لتخلخل التربة تحتها من جراء الحفريات ومن جملة الابنية التي تضررت بسبب هذه الحفريات دار الشهابي ورباط الكرد والمدرسة العثمانية . وقد سمحت السلطات الاسرائيلية للفرق الدينية اليهودية المتعصبة بزيارة هذا الخندق والصلاة في داخله .

لم تكن نتيجة هذه الحفريات مرضية للاسرائيليين اذ لم يجدوا أى أثر لهيكل الملك سليمان ، وكل ما وجدوه كان اثارا اسلامية من العصر الأموي واثارا أخرى من العصر البيزنطي أو اثارا رومانية ، كما وجدوا بعض قطع الفخار المكسورة وقطعتي نقود صغيرة سكها الناصر اليهودى المدعو (باركوخبا) تحمل رمزا لأربعة اعمدة وبوابة لتدل على شكل مدخل هيكل سليمان .

رغم هذه النتيجة فقد وضع الاسرائيليون تفاصيل تصميم هيكل الملك سليمان حسب فرضيات خيالية ووضعوا مواصفات فنية متكاملة لانشاء هذا الهيكل ، وقالوا ان موقعه هو في نفس موقع المسجد الأقصى ثم غيروا رأيهم وقالوا انه مكان مبنى قبة الصخرة المشرفة ، وان صخرة المعراج المشرفة هي حجر الاساس لهذا الهيكل . والقصد من كل ذلك هو هدم الأماكن المقدسة الاسلامية وانشاء الهيكل المزعوم مكانها .

ان هذه الحفريات الاثرية التي قام بها الاسرائيليون ، بعكس ما كانوا يأملون ، لم تعطيهم أى برهان عن وجود هيكل الملك سليمان في هذا الموقع ، وعلى العكس من ذلك فقد أضرت بالابنية الاسلامية الاثرية والغنية بالعمارة الاسلامية والفن الاسلامي والتي تم هدم بعضها بالجرافات وتشقق البعض الآخر وأصبح في وضع خطير يتطلب الترميم العاجل للحفاظ على هذه الآثار التاريخية .



٢٠٣ حارة المغاربة بعد هدمها



٢٠٢ حارة المغاربة قبل ان يهدمها الاسرائيليون

حريق المسجد الأقصى المبارك :

قبل حريق المسجد الأقصى ببضعة أيام رتب الاسرائيليون مظاهرة عدائية للمسلمين أمام ابواب المسجد الأقصى في داخل الحرم الشريف وكان اليهود فيها يهتفون بشعارات عدائية . وتاريخ ٢١ آب من عام ١٩٦٩ أعلنت السلطات الاسرائيلية رسميا ان شخصا مختل العقل اسمه (روهان) قد احرق المسجد الأقصى ، ان حقيقة هذا الحريق كانت مختلفة عما اعلنه الاسرائيليون .

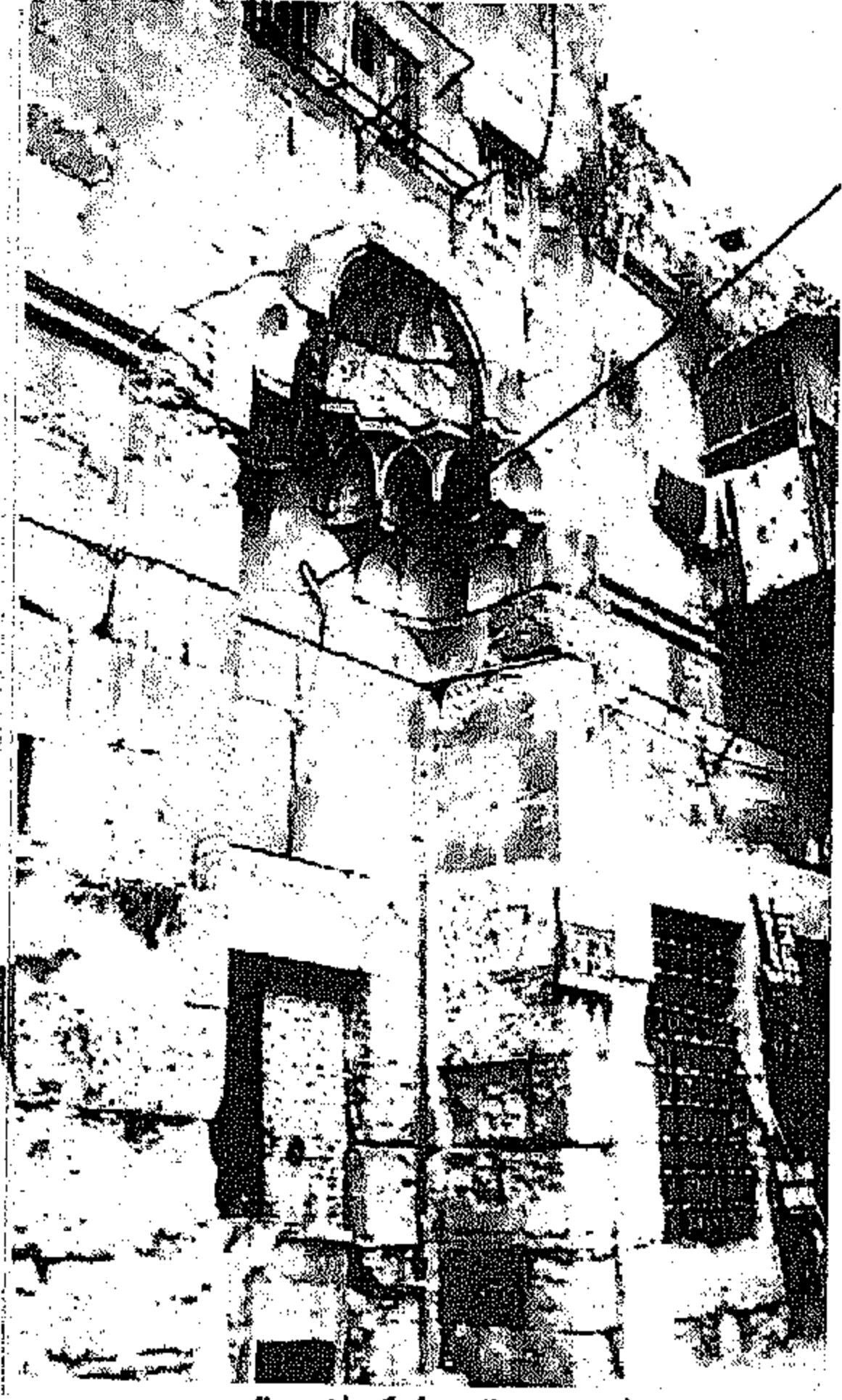
لقد شب الحريق في نفس الوقت في ثلاثة مواضع :

الموضع الاول كان في مسجد عمر الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى . والموضع الثاني كان في وسط الجدار الجنوبي وفي منبر صلاح الدين بالذات . والموضع الثالث كان في الشباك الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى ، وهذا الشباك يرتفع ١٥ مترا فوق ارضية المسجد ويصعب الوصول اليه من الداخل وهذا بالتالي يدل على ان هناك شخصا من الخارج قد ساعد روهان في هذا الحريق .

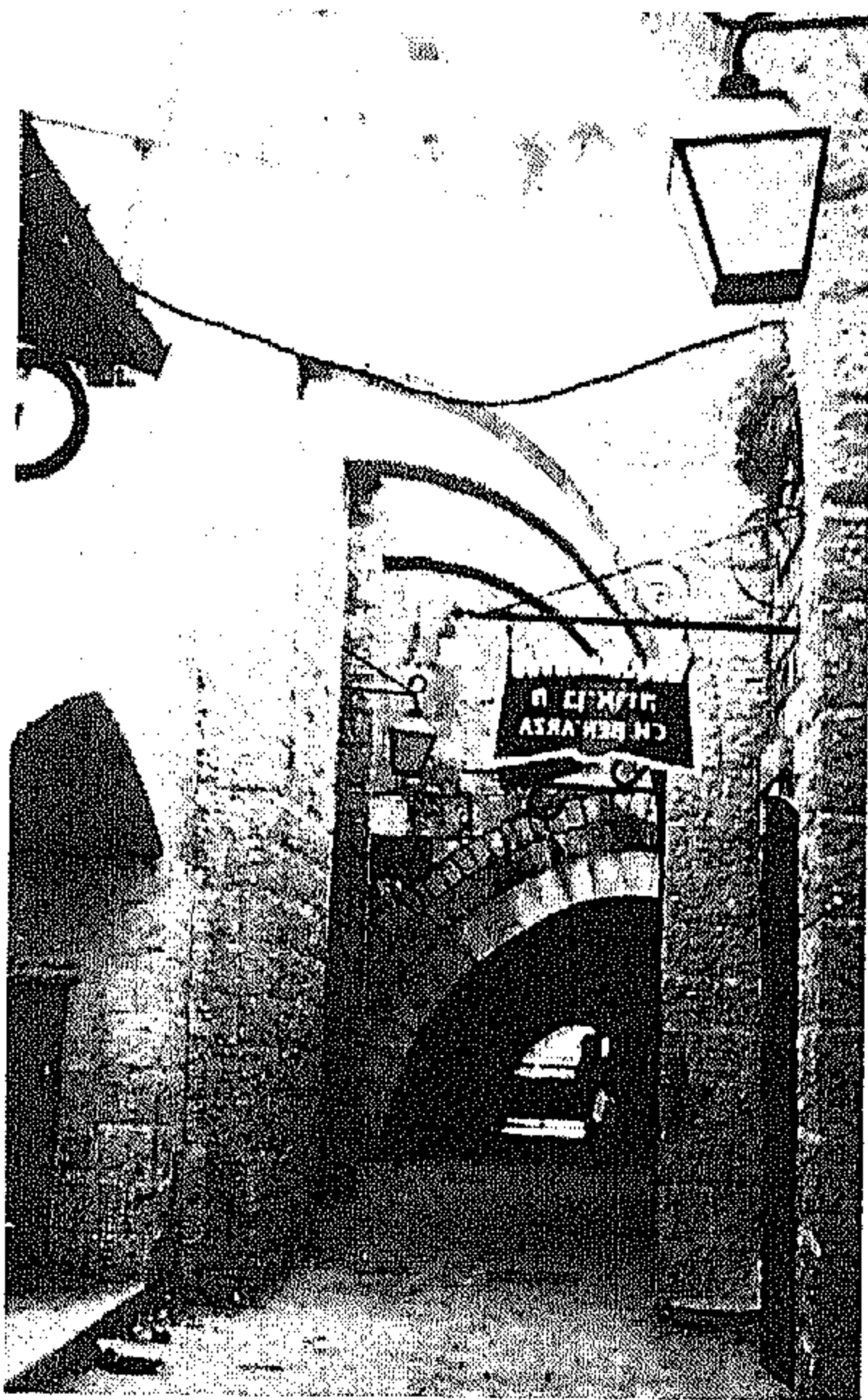
كان يعتقد الاسرائيليون ان الحريق في المواضع الثلاثة سوف يتصل مع بعضه البعض ويدمر الواجهة الجنوبية كلها ومن ثم يمتد شمالا لياكل جميع المسجد ، الا ان الاسرائيليين لم يكونوا محظوظين تماما لان النار في الشباك المرتفع قد انطفأت بذاتها دون ان يطفئها أحد لسبب بسيط وهو عدم وجود عامل مساعد للحريق فيما بين هذا الشباك والوسط ولذلك لم يحرق الا الوسط والجهة الشرقية . لقد بلغت مساحة الجزء المحترق من المسجد ١٥٠٠ متر مربع من اصل المساحة الاجمالية البالغة ٤٤٠٠ متر مربع أى حوالي ثلث مساحة المسجد الأقصى . وما يجدر ذكره انه في نفس يوم الحريق قطع الاسرائيليون في بلدية القدس اليهودية الماء عن الحرم الشريف لكي لا يستعمل في اطفاء الحريق ، كما ان سيارات الاطفاء الاسرائيلية من البلدية جاءت بعد ان اخمدت النيران ولم تفعل شيئا . أما الذين اخمدوا النيران فهم السكان العرب الذين يقيمون حول الحرم الشريف بمساعدة سيارات الاطفاء العربية التي قدمت من بلديتي الخليل ورام الله .



٢٠٤ حريق المسجد الأقصى



٢٠٦ المدرسة الكيلانية



٢٠٥ احد العقارات العربية التي حولها الاسرائيليون السي مكتبة يهودية

ان ما ذكر اعلاه هو اكبر دليل على ان حريق المسجد الأقصى قد تم عن قصد وتعمد من قبل الاسرائيليين وانه قد خطط له على النطاق الرسمي الاسرائيلي كما ان المشتركين في الحريق كانوا اكثر من واحد ، ولكن الاسرائيليين ادعوا ان روهان المجنون هو الوحيد الذي قام بهذا الحريق واخرجوه من البلاد وسفروه لبلده الاصلي استراليا .

فيما يلي اذكر أهم الاجزاء التي احترقت داخل مبنى المسجد الأقصى المبارك :

- منبر صلاح الدين الذي يعتبر قطعة فنية نادرة والذي كان يرمز الى انتصار القائد صلاح الدين الايوبي ودخوله القدس . وياحرقه اراد الاسرائيليون احراق هذا الرمز .

- مسجد عمر الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى .

محراب زكريا المجاور لمسجد عمر ومقام الاربعة وثلاثة اروقة ممتدة من الجنوب شمالا مع الاعمدة والاقواس والزخرفة والسقف التي سقطت على ارض المسجد .

- عمودان رئيسيان مع القوس الحامل للقبه .

- القبه الخشبية الداخلية والزخرفة الحصية الملونة عليها .

- المحراب الرئيسي للمسجد والجدار الجنوبي والرخام الداخلي كاملا . و٤٨ شبكا من الجبس والزجاج الملون والفريدة بصناعتها . والسجاد العجمي . وسورة الاسراء التي تبتدىء من فوق المحراب والتي كانت مركبة بالفسيفساء المذهب وغيرها من الزخارف والآيات القرآنية في أماكن اخرى .

إزالة آثار الحريق وترميم المسجد الأقصى المبارك :

تم اعمار المسجد الأقصى مرات عديدة خلال سبعة القرون الماضية ، وكانت أسباب ذلك اما للتحسين أو للتوسيع أو للصناعة . وخلال القرن العشرين تم اعماران اساسيان كان الأول تركيا والثاني من قبل حكومة المملكة الاردنية الهاشمية وتم سنة ١٩٦٥ قبل العدوان الاسرائيلي واحتلال القدس . وعندما احرق الاسرائيليون المسجد الأقصى قررت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية اعمار المسجد وإزالة آثار الحريق واعادته كما كان . وشكلت الحكومة الاردنية لهذا الغرض لجنة اعمار برئاسة قاضي القضاة وكنت احد اعضائها ، ووضعت المخصصات اللازمة للعمل ، وقدرت تبرعات المواطنين في الأرض المحتلة التي بلغت في ايام معدودة (٢٥٠٠٠٠ دولار) قررت لجنة الاعمار القيام بهذا العمل الجليل على مراحل مدروسة مبرجة حسب التالي :-

- انشاء الجزء المحترق والمهدوم وإزالة آثار الحريق .

- ترميم الزخرفات الداخلية والشبابيك الحصية والقبة الخشبية الداخلية

- صنع منبر مماثل لمنبر صلاح الدين المحروق . واصلاح القبة الخارجية .

كما قررت استعمال مواد انشائية افضل مما استعمل في مراحل الاعمار السابقة كالحرسانة المسلحة (بدلا من الطين) والجير والرخام والحجر المنقوش مع الإبقاء على روح العمارة الاسلامية وشكل الواجهات والعناصر الانشائية . لقد تأثر المسجد الأقصى في السابق بسبب الزلازل ، ولذلك تم حفر الاساسات للجزء المحترق والمهدوم لعمق ٩,٠٠ أمتار للوصول الى طبقة الصخر والتأسيس عليها وهذا بالطبع يخفف من تأثير الزلازل .

خلال عملية حفريات الاساسات الداخلية للجدران والأعمدة الجديدة تم اكتشاف خندق يصل الخارج بداخل الأقصى حفره الاسرائيليون قبل حريق المسجد الأقصى وهويشكل جزءا من الحفريات الاثرية الاسرائيلية للفتيش على اثر من آثار هيكل الملك سليمان . يقال في القانون ان اللص دائما يترك وراءه اثرا صغيرا يدل عليه . وفي حالتنا هذه كان الاثر بعض نقاط من الشمع سقطت على الأرض الترابية للخندق وكانت جديدة العهد مما يدل على ان الاسرائيليين قد دخلوا هذا الخندق قبل مدة قصيرة من حريق الأقصى . وكان أول شيء تم فعله هو سد هذا الخندق بالحرسانة المسلحة ومن ثم بوشر بعملية الاعمار التي اشتملت على الآتي :-

اساسات الجدران الجديدة والاعمدة الجديدة بدلا من المحترقة والمهدومة .

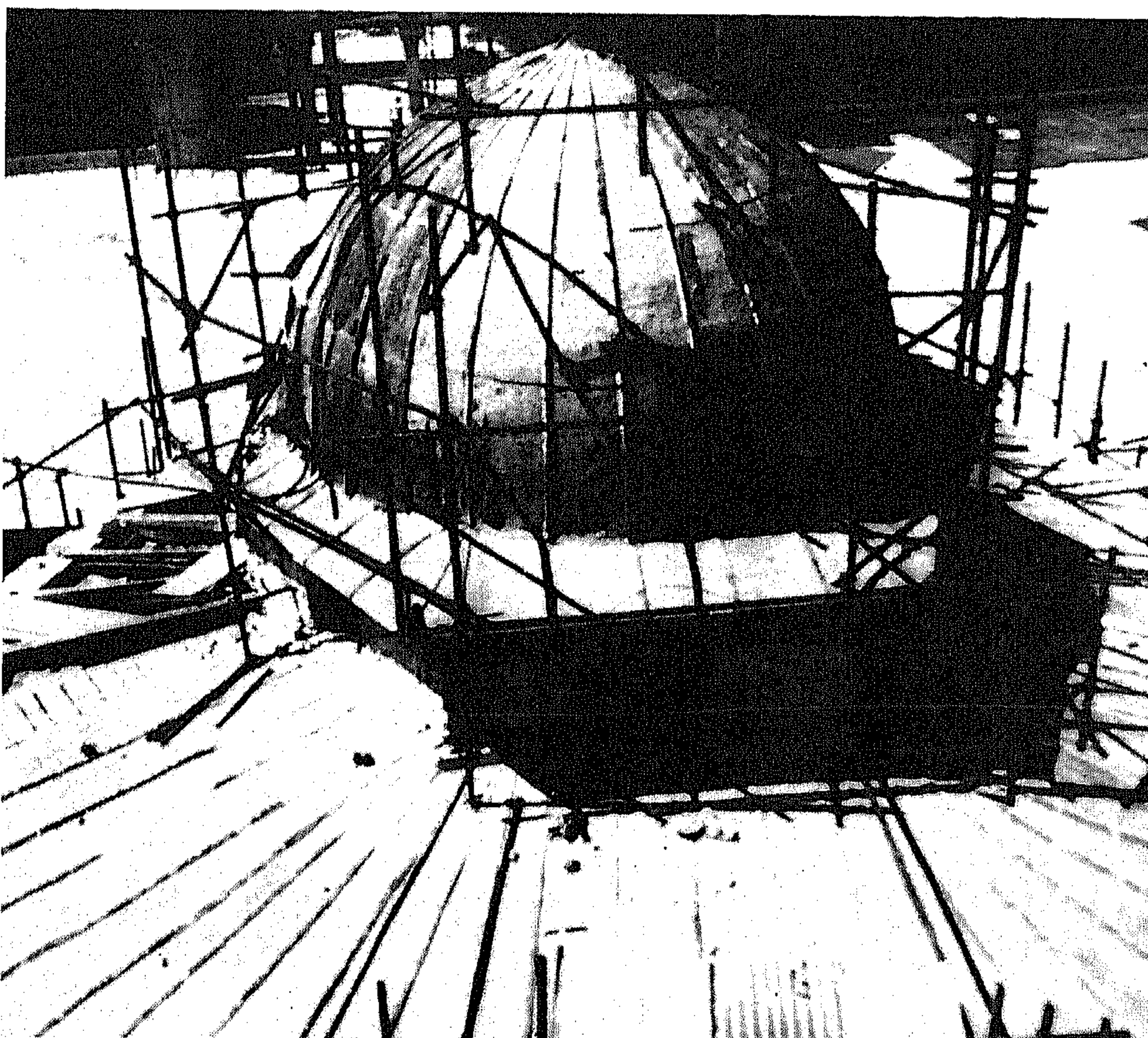
القواعد الخرسانية والزناير الخرسانية المسلحة والاعمدة الخرسانية المسلحة .

ارضية خرسانية مسلحة بدلا من الارضية السابقة العادية .

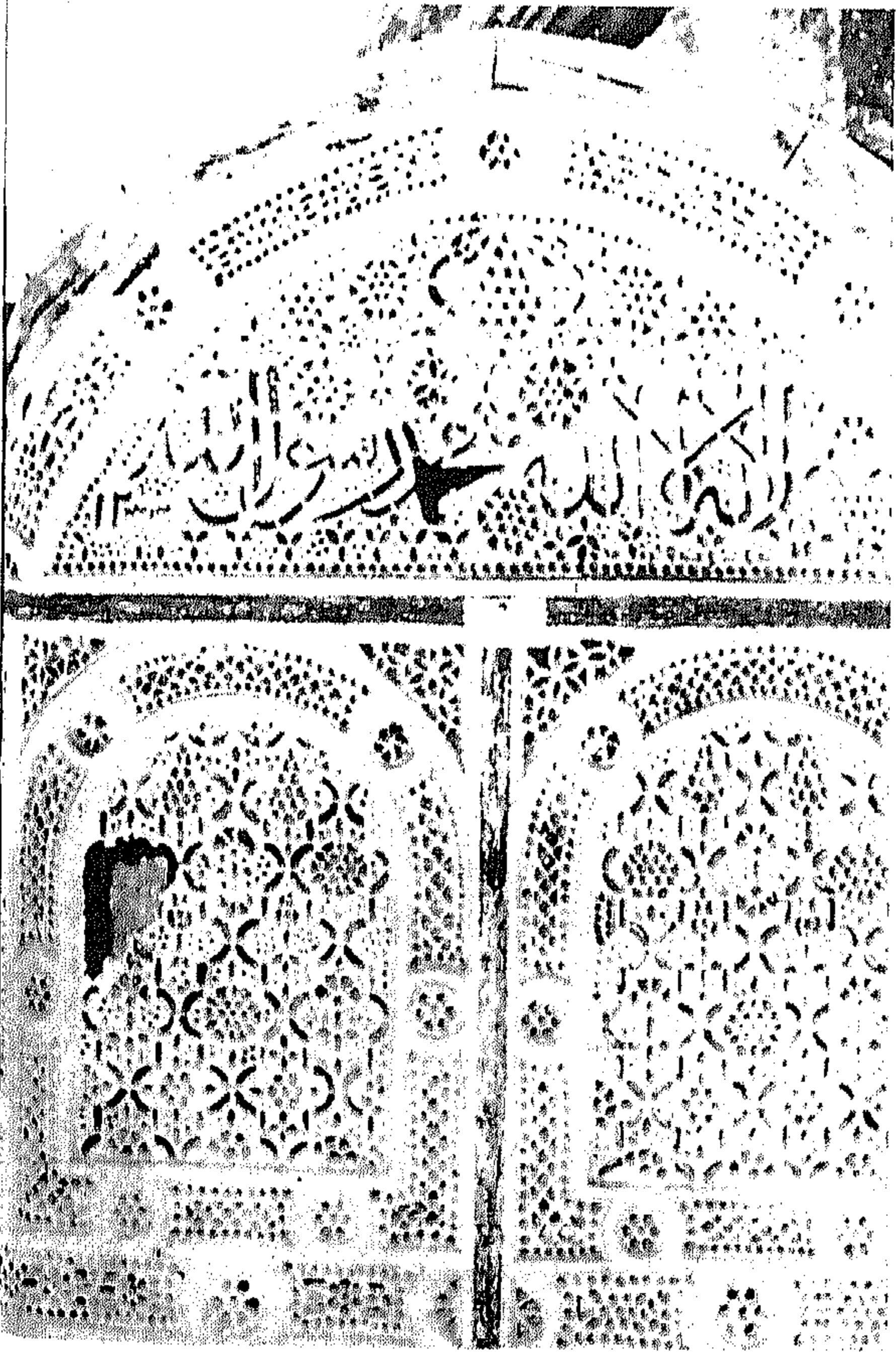
السقف الخرساني المسلح بدلا من المحترق والمهدوم .

الاقواس الحجرية البيضاء والحمرء والجدران العلوية الحجرية الحاملة للسقف .

انشاء واجهة وسقف مسجد عمر مع الإبقاء على الشكل المعماري السابق ، وقد استعمل السقف المسلح فوق عقدة داخلية من الحجر المكحل بدلا من الطين والجير الذي كان مستعملا بالسابق فوق العقدة الحجرية .



٢٠٧ قبة السلسلة



٢٠٨ أحد الشبابيك الجصية - صناعة

التصدي للتحدي الاسرائيلي :

رغم ادائه اسرائيل من قبل جميع المحافل الدولية والطلب اليها بعدم تغيير طابع مدينة القدس الا ان السلطات المحتلة قد وضعت مخططا تنظيميا مفصلا للقدس سيم بموجبه طرد حوالي عشرين الفا من السكان العرب في القدس القديمة وقد بدى بتنفيذ منذ عدة سنوات بشتى الضغوط على هؤلاء السكان . وفي نفس الوقت قامت اسرائيل بانشاء المستوطنات الاسرائيلية حول مدينة القدس بشكل يمكنها من حصار المدينة ومنع العرب من التوسع وقد أنشأوا حتى الآن حول القدس وفي الضفة الغربية ما يتوف على مائة وثلاثين مستوطنة اسرائيلية ضارين بالمعارضة الدولية عرض الحائط .

ان الصمود العربي في القدس الشريف يعتبر تحديا للسلطات الاسرائيلية وما تقوم به من اجل تهويد القدس . ان جميع الدول مدعوة لدعم هذا التحدي وخصوصا الدول العربية والاسلامية دون انتظار تغير الحالة السياسية ، من اجل الإبقاء على هذا الجزء من الحضارة الاسلامية وكنوزها الاثرية والمعمارية .

انشاء اعمدة رخامية فوق قواعد حجرية بدلا من التالفة . واجهة جديدة لمقام الاربعةين . وما يجدر ذكره هنا انه خلال حفر اساس جدار الواجهة تم اكتشاف قاعدة متوسطة للمدخل مدفونة تحت الأرضية مما يدل على ان هذا المدخل كان له بابان في وقت مضى ، ولذلك اعيد شكل المدخل كما كان سابقا وانشى له بابان مع قوسين من الحجر .

وقد بلغت تكاليف الاعمال المنجزة لغاية تاريخه من أجل اعمار المسجد الاقصى بعد الحريق (٣,٠٠٠,٠٠٠) دولار .

أما الاعمال المتبقية والتي تحتاج الى ترميم او اعمار في المسجد الاقصى فتشمل قبة صلاح الدين وسورة الاسراء والزخرفة الداخلية والحراب والقبة الخارجية الالومنيوم وتركيب جهاز إنذار واطفاء الحرائق ، وكذلك ترميم الاماكن المقدسة الأخرى داخل الحرم الشريف حيث يوجد داخل الحرم الشريف اثار اسلامية عديدة تحتاج الى ترميم ومن اهم هذه الآثار ترميم قبة الصخرة وقبة السلسلة وسوق القطنين والمتحف الاسلامي وسبيل قايتباي وكذلك مسح وتوثيق الأبنية الاثرية حول الحرم الشريف وداخل القدس القديمة .

ان مسح هذه الأبنية والتي تشمل ضمنها المدارس الاسلامية القديمة وسبل الماء الكثيرة يعتبر عاملا هاما لاثبات وجود هذه الابنية أولا ومن ثم تحضير مخططات تفصيلية وتوثيقها من أجل القيام بترميم ما يلزم منها وهذا الأمر لا يجوز اهماله بعد اليوم .



انقاذ مدينة فاس في إطار الحفاظ على التراث الاسلامي

عبد اللطيف الحجامي

مقدمة

السنة النبوية ، سماه : العُرف الآسي في العُرف الفاسي ولم يقع بيدي ...) انتهى كلام الكتاني (1) .

وتعاقبت الدول على مدينة فاس بعد الادارة فكانت دول المرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين ثم العلويين وخلفت فيها كل دولة معالم ثقافتها وحضارتها ، وتنتج عن هذا عبر التاريخ مدينة متميزة لها شخصيتها الخاصة بها تتمثل في عمراتها ونشاطاتها التجارية والصناعية وعلاقاتها الاجتماعية ومازالت توحى اليها الى يومنا هذا بحكمة تدبير معمرها .

النظام المعماري لمدينة فاس .

وتحتوي مدينة فاس حاليا على مركز اساسي هو مركز عدوة القرويين ويشمل جامع القرويين وضريح المولى ادريس الأصغر وشبكة الأسواق كسوق الأقمشة والتوابل والأواني والقيسارية وتتخلل هذا المركز طرازات وفنادق للصناع والتجار كفندق تطاوين وفندق النجارين ، ومدارس لطلبة العلم كمدرسة العطارين (٧٢٣هـ) (٢) ومدرسة المصباح أو المصباحية ومدرسة الطفاويين وكلها مرينية ومدرسة الشراطين العلوية (حوالي ١٠٨١ هـ) (٣) .

وللمدينة الاصلية مركزان آخران ، مركز عدوة الاندلس الذي يضم جامع الأندلس ومدرستي الصهريج والأندلس المرينيين ، ومركز فاس الجديد مع مدرسة البيضاء .

ويمتد النشاط التجاري عبر الشوارع الرئيسية الرابطة بين مركز القرويين وبين الأبواب الرئيسية للمدينة باب الفتوح وبلب عجيسة وباب أبي الجلود . ثم المشور وباب السمارين وتتوزع الفنادق على طول هذه الشوارع لدورها الاقتصادي .

أسست مدينة فاس على يد المولى ادريس بن ادريس سنة ١٩١ هـ (١) وفي الآثار عن كتاب القرطاس وكتاب الاستقصا أن ادريس هذا ناجى ربه عند الشروع فيها بالدعاء التالي : « اللهم إنك تعلم أنني ما أردت بناء هذه المدينة مباحة ولا مفاخرة ، ولا رياء ولا سمعة ولا مكاورة وإنما أردت أن تعبد فيها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرايع دينك ، وسنة نبيك محمد ﷺ ما بقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأغنهم عليه وأكفهم مؤنة اعدائهم وأدر عليهم الأرزاق ، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق ، انك على كل شيء قدير » (٤) .

وشيد فيها أول مسجد بعدوة الاندلس ويطلق عليه اسم « جامع الاشياخ » (٣) ثم بضع سنين أسست العالية ، أي عدوة القرويين وبني جامع الاندلس وجامع القرويين وظلتا مدينتين منفصلتين الى ان جمع بينهما يوسف بن تاشفين في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي . وتعتبر سنة ٢٤٥ هـ (٤) سنة « بداية أول جامعة في العالم هي جامعة القرويين إذ انه تم تأسيس جامع الأزهر في ٣٦٠ هـ وصار جامعة في ٥٤٧ هـ كما أسست أول جامعة في أوروبا جامعة ساليرن سنة ٤٣٠ م أي حوالي ٢٠٠ سنة بعد القرويين » (٥) وكان دور القرويين نشر العلم الشرعي على كل المستويات فكان من جملة الطلبة تجار وصناع وحرفيون ومسافرون من كل الطبقات اغنياء وفقراء فانتشر العلم في البلاد وعم ، ومازال بعضنا يعرف أفرادا واطلبوا على دروس القرويين فحفظوا مئات الاحاديث وتعودوا التدبر في نص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وكان سكان المدينة يتكلمون الى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ص) في أمورهم الخاصة والعامة . فصارت الشمائل المحمدية تعم تصرف الفرد في خاصة نفسه ، وفي معاملاته حتى قال الدكتور محمد المنتصر الكتاني : (أخبرني والدي عن أبيه عن جده رحمهم الله أن عالما من علماء فاس بالمغرب ألف كتابا في عوائد فاس وحضارتها ، استنبط لها جميعا أصلا من

(١) - فاس عاصمة الادارة .

(٢) - القرطاس ص : ٤١٢

(٣) - الاستقصا ص : ٤٠ - ٤١

(١) - القرطاس ص : ٣٢ ، الاستقصا ص : ١٦٧ - الجزء الاول .

(٢) - القرطاس ص : ٤٩٠

(٣) - الاستقصا ص : 166 - الجزء الاول .

(٤) - القرطاس ص : ١٥٤

(٥) فاس عاصمة الادارة .

وهكذا يرتسم جزء مما نسميه بالاهلال المركزي الذي يشكل المحور الاساسي للمدينة لكن النشاط الاقتصادي لا ينحصر في هذا الهلال المركزي بل توجد هناك مراكز للانتاج تتكون من عدة وحدات مثل دور الدباغة وصياغة المعدن وغيرها ، وتتمركز خاصة على ضفاف وادي الجواهر الذي يشق مدينة فاس وبالأخص قرب حارة « بين المدن » ، ثم هناك عشرات الارحية (فوق المائة) التي تعتمد على ماء القنوات التي تتخلل المدينة وهناك أيضا عشرات الطرازات التي توجد في كل من المناطق التجارية والصناعية ، وهناك صناعة الفخارين الموجودة خارج الأحياء السكنية في الجهة الشرقية كيلا تؤذى سكان المدينة وهناك أخيرا أرحية الزيتون الموجودة خصوصا قرب باب الفتوح وباب عجيسة وفضلا عن هذا فان معظم أشغال الطرز سواء على الثوب أو على الجلد تنجزها النساء في بيوتهن .

وتحيط بالمركز الرئيسي حارات أو أحياء سكنية تحتوي كل منها على مركز ثانوي يتكون من حوانيت المواد اللازمة للاستهلاك اليومي من فحم وخضر وتوابل وغير ذلك من المواد الغذائية ، ويشمل كذلك بعض المرافق مثل المسجد والكتاب والسقاية والحمام في بعض الاحيان . كما توجد في كثير من الاحياء زوايا الشيوخ .

وَدور المدينة الاصلية تتخذ اشكالا عديدة :

- فهناك الدار التي تتكون من بيتين متقابلين بينهما صحن ذو شكل هندسي ثابت مربع أو مستطيل كيفما كان شكل البقعة الارضية ، وفي جهة من الجهتين الباقيتين من الصحن منافع للدار ومن جملتها المطبخ والميضاة ، وغالبا ماتتوفر الدار على ماء بئر أو عين أو قناة ، واذا كانت الدار تحتوي على سفلي وفوق فيكون في الفوقى غرفتان ومنافع .

- وهناك الدار التي تتكون من نفس الشيء ، كالاولى ولكن يوجد في جهة المنافع « مصرية » أي دار صغيرة هي الفوقية وسطها مغطى بسقف أو بقبة .

- وهناك الدار مثل الثانية ولها في الطابق الثاني أو السطح منزه أي غرفة لها واجهة معظمها من الزجاج ويقابلها منظر عام ، وتحجبها حيطان السطح عن رؤية المنازل المجاورة .

- وهناك الدار التي تكون مثل هذه الاخيرة ولها روض أي بيت يكون بجانب الدار ثلاثة حيطان من الزجاج وقبائه عرصة أو حديقة كما أن هناك مركبات عديدة تعكس تعايش عدة عائلات من نسب واحد أو عائلة كبيرة مع عائلات خدما وغير ذلك .

- وتحيط بكل الاحياء الموجودة بالمدينة أجنة فيها فواكه وخضر ، ثم بعد هذا هناك أسوار تحيط بالجميع ولها أبواب ضخمة ، وللمدينة مقبرتان شمالية وجنوبية ولها طرف داخل الاسوار وطرف خارجه ولها كذلك نظيان كلتاها خارج المدينة قرب المقبرة ، وتحيط بالاسوار أجنة عديدة وغابات زيتون وأراض فلاحية .

وتروي كل هذا النسيج مياه وادي فاس أساسا ، فهو يمر بالقصر الملكي بفاس الجديد وينحدر عبر المدينة نحو الشرق . ويتفرع من وادي فاس عدة أودية بعضها تروي عدوة القرويين والبعض الآخر يروي عدوة الاندلس وفي مدخل المدينة قرب باب أبي الجلود ناعورة ترفع الماء لري فاس الجديد كما أن هناك ساقية تأتي بالماء لفاس الجديد على بعد عدة كيلو مترات غرب المدينة .

وتشكل هاته المياه شبكتين شبكة علوية وأخرى سفلية فالعلوية للماء النقي الصالح للعادة والعبادة والسفلية تشكل شبكة الماء الحار التي تتلقي كل المياه المستعملة ثم تصبها في وادي الجواهر أو وادي الزحول اللذين يكونان في مخرج المدينة وادي فاس ، وزيادة على ماء وادي فاس توجد مئات العيون والآبار .

وتعتبر شبكة المياه الموجودة في فاس من أوائل الشبكات في العالم وربما تكون أتقنها ، وتقر هاته المياه بمعظم دور فاس ومرافقها من مساجد وميضات وحمامات وأرحية ودور الدباغة كما تستخدم لسقي الأجنة وتنظيف الأزقة وغير ذلك .

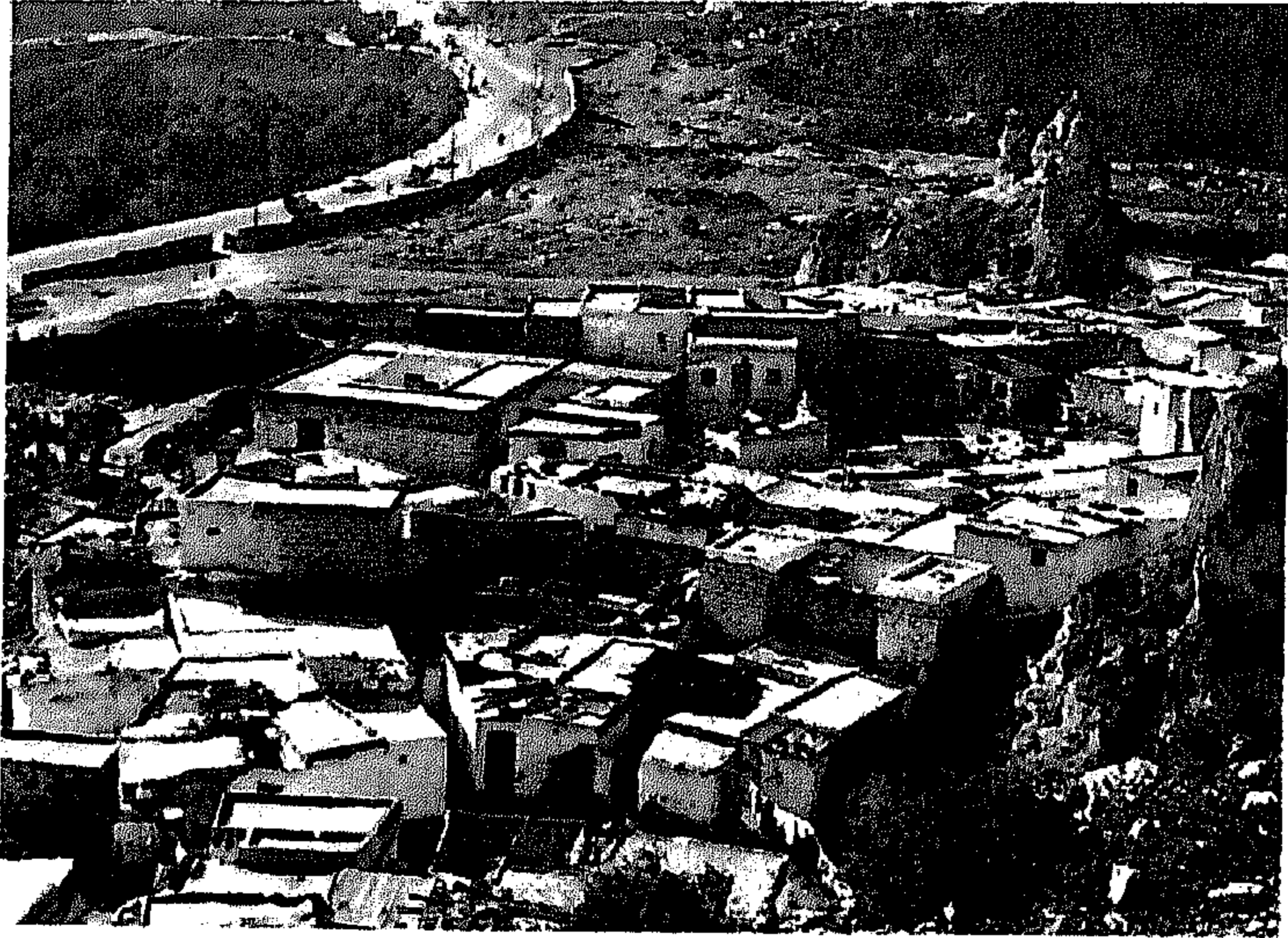
وهكذا يوحي هذا العمران بنسيج متصل يخشى اذا ما انفكت عقدة منه أن ينفك كله .

الواقع الحالي لمدينة فاس :

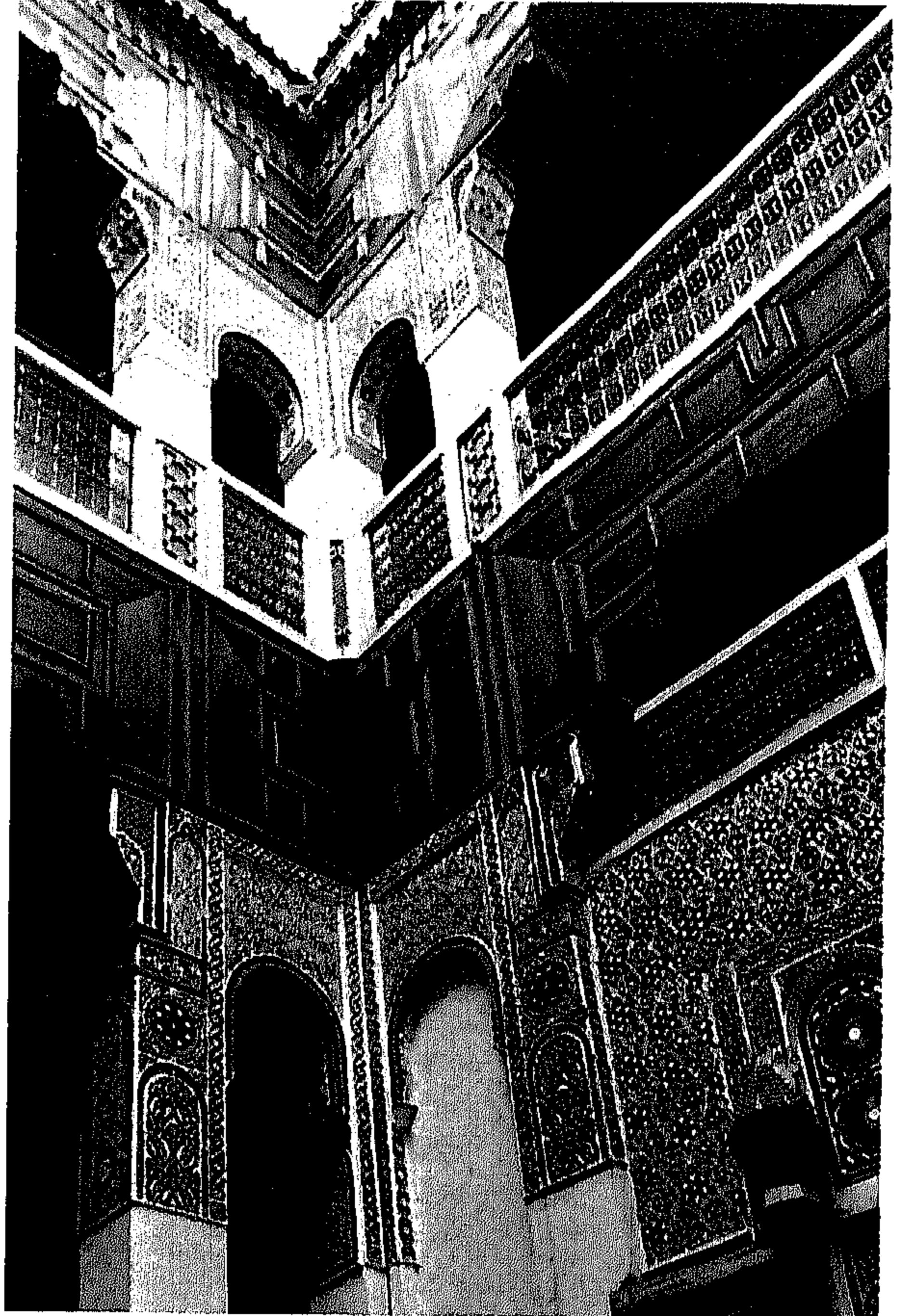
إن المفروض في هذا النسق الشامل في البنيان أن يكون انعكاسا لخصائص هذه المدينة من الناحية الاجتماعية من تكامل وارتباط بين السكان ، فقراء ، وأغنياء ، علماء وعوام ، صناعا وتجارا في الاحياء والمساجد والمدارس والاسواق . كما أن المفروض أن تقوم هذه الارتباطات على أساس قواعد تزيدهم التحاما والتثاما ، وتيسر بينهم المساحة وسعة الصدر ، كما يتجلى ذلك في وجود اوقاف خاصة بالطلبة والدروس والمكتبات الفقراء والصناع وحتى بالحيوانات والطيور .

لكن ، اذا ما قلنا « ان الامصار برجالها » فان فاسا تبدو في هذه السنوات الاخيرة وكأنما قد اعتراها إعياء شامل ، فتضعف كيانها المعماري وضعفت بنيتها الاجتماعية وتقهقر اقتصادها نسبيا ، ونتيجة لتغيير اجتماعي شامل توجد هذه الوحدة الفريدة مهددة بالزوال .

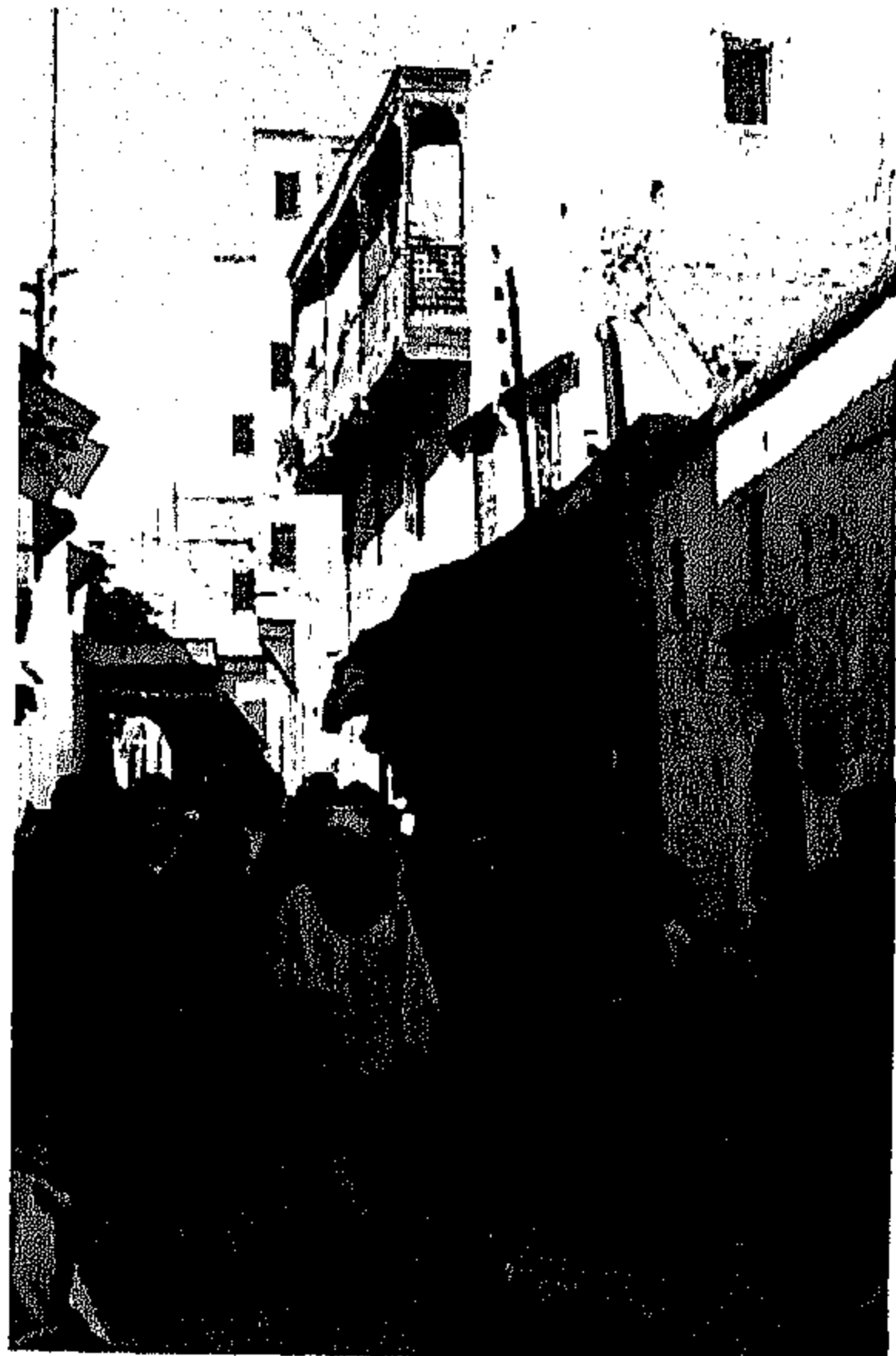
فقد أوجد الاستعمار حساسيات خطيرة داخل المجتمع الفاسي في أوائل هذا القرن ثم جاءت الهجرة القروية الضخمة الاولى حوالي سنة ١٩٣٦ م بسبب استيلاء المستعمر على آلاف الهكتارات من الاراضي الخصبة بنواحي مدينة فاس ، ثم بنى المستعمر مدينة في الجنوب الغربي من المدينة الاصلية خارج الاسوار تجنبا لاثارة غيرة أهل البلد وتبذير جهود كبيرة دون جدوى



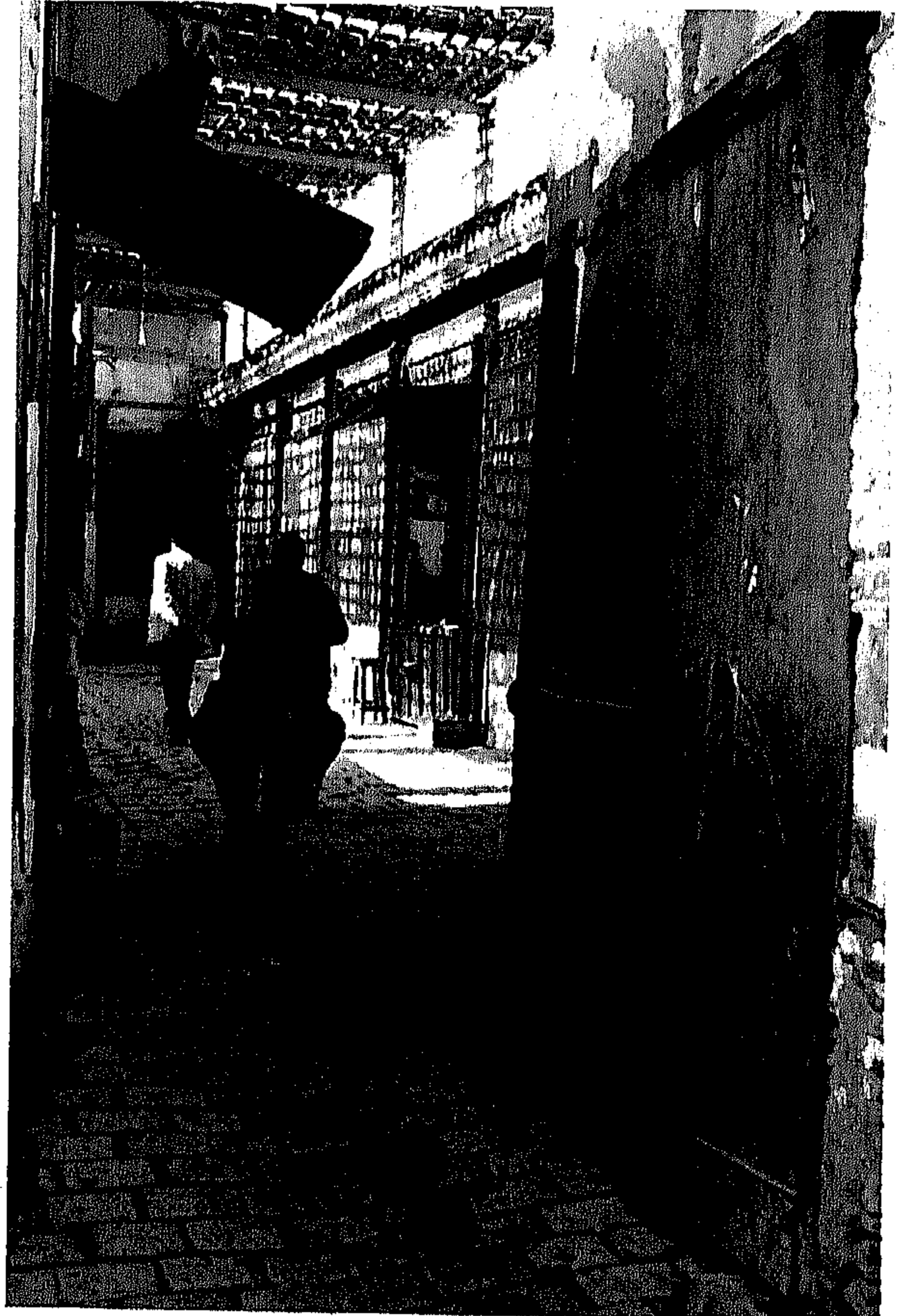
٢١٢ سكن مرتجل - فاس



٢١٠ تفاصيل معمارية - فاس



٢١٣ منظر لأحد الشوارع - فاس



٢١١ سوق الحايك - فاس



٢١٤ عامل حرفي - سوق السكاكين فاس

لأن غرضه هو استغلال ما يمكن أن يستغل من ثروات البلاد دون أن تضيع جهوده في الاشتباكات الجانبية مستفيدا في ذلك من تجاربه السابقة في المستعمرات الأخرى .

ثم أنتج هندسة معمارية تحاكي الهندسة المعمارية الأصلية في الشكل ولعلاقة لها بالمضمون .

كما أعد قوانين للبناء بعضها يخص المدينة الأصلية والبعض الآخر يخص باقي الأراضي . فاهتم بالشكل في المدينة الأصلية واهتم بالمضمون خارجها خدمة لمصالحه الخاصة ودون اعتبار لأي قانون مغربي إسلامي .

وجعل أسلوب هاته القوانين يواكب السلطة التي كان يطغى بها على الأراضي الموجودة داخل محيطه البلدي ، وبنى معامل تنافس صناعات المدينة الأصلية العامة لأهل البلد ، وسبب هذا هجرة التجار إلى الدار البيضاء مكان تصدير السلع ثم بعد الاستقلال في ١٩٥٦ : تزايدت الهجرة القروية ونشأت هجرة داخلية من المدينة الأصلية إلى دار الدبيغ أو المدينة الجديدة ، وإلى عين قادوس وهي وحدة سكنية أحدثت في ١٩٥٤ غرب المدينة الأصلية .

وننتج عن كل هذا أن عدد سكان مدينة فاس تصاعد من ٨١١٧٢ في ١٩٢٦ إلى ٢٧٠.٠٠٠ في المدينة الأصلية وحدها وإلى ٥٢٠.٠٠٠ نسمة في كل المدينة في ١٩٨٠ أي بعد مضي نصف قرن ، كما أن الهجرة داخل المدينة بدأت تكتل السكان حسب الطبقات الاقتصادية ، وتفكك نظام التجارة والصناعات وكاد يندثر الجو الثقافي العام :

وهكذا ظهرت مدن الصفيح والتجزئات والبناء غير القانوني وهي الآن تؤوي ما يقرب من ٢٠٪ من سكان المدينة وتكاد تنعدم فيها التجهيزات والمرافق الاجتماعية ، وهي الآن تحيط بالمدينة الأصلية من كل جوانبها ، وذلك راجع لتوافر الشغل ولو بصفة هامشية في المدينة الأصلية . ووصلت الكثافة السكانية في المدينة الأصلية إلى ١٠٠٠ ساكن في الهكتار الواحد وتوارى العديد من الأجنحة والحدايق داخل الأسوار وخارجها وقسمت دور فحمة إلى شقات ضيقة ، وتخرب كثير منها لعدم القيام بالإصلاحات اللازمة لها . كما تدهور عدد كبير من معالم فاس لعدم توظيفه توظيفا حكيما ، وتزايد السكان بالمدينة الأصلية زاد من شدة الحاجة إلى المرافق الاجتماعية وتجهيزات البنية التحتية حيث تدهورت حالة البنية التحتية بسبب اكتظاظها وعدم إصلاحها وزادت هجرة التجار إلى الأحياء الجديدة في مقدار عجز سكان المدينة الأصلية عن القيام بشؤونها وفي هذا الحين نجد هذه الأحياء الجديدة وخصوصا دار الدبيغ تتوافر على تجهيز وعلى أراض تفوق احتياجاتها .

أما من الناحية الاقتصادية فنجد عددا من الصناعات المسماة بالتقليدية يلاق صعوبات شتى تدفع به للاندثار ، إذ تفككت عدة حرف منها حرفة النسيج التي يصعب الآن تداركها وحرف الجلد التي تتخبط حاليا في مشاكل مصيرية سوف تأتي عليها إن لم تتلق مساعدة فعالة ، كما انقرض كثير من الحرف ، في حين تسربت عشرات الوحدات من الصناعة الحديثة إلى المدينة الأصلية وتستعمل جلها آلات كهربائية ولا يرتبط موقعها بحرف من الأحياء فنجدها في وسط أحياء سكنية مثلا وهي بهزات محركاتها تؤدي الدور المجاورة وبما ترميه من مواد كيميائية تلوث قنوات ماء الأودية والآبار والعيون . وتشغل العمال في جو مغلق بعيد عن أن يستوفي حتى شروط الصحة الجسمية ، ولكنها تشغل مئات بل آلاف العمال .

وأما التجارة فإن نشاطها المتزايد لا يعني نظامها المحكم إذ نجد معظم تجارة الجملة قد انتقل من وسط المدينة إلى الأبواب الرئيسية وخصوصا باب الفتوح وباب السمارين وذلك راجع جزئيا لصعوبة نقل السلع بالكمية والسرعة اللازمة إلى دور السلع الموجودة وسط المدينة فتكتظ مناطق هاته الأبواب وتصبح مشكلة من مشاكل العمران أحيانا بوجود حافلات وسيارات النقل البلدية والنقل بين المدن ، وكذلك بوجود التجهيزات اللازمة للمسافرين والتجار مثل الإبنائى ومستودعات الوقود والمقاهي والمطاعم . وطريق الرصيف الجديدة التي تخترق طرفا من مدينة فاس فوق وادي الجواهر تشكل نفس الخطر على المدينة .

وأما المتاجر الموجودة داخل المدينة فقد تركت التنظيم ضمن تكتلات التخصصات الشيء الذي يسهل النقل والبيع ، وفتح كل تاجر حانوته حسب هواه . وعلينا أن لانغتر بكثرة الحركة الناتجة عن هذا الوضع حتى يبقى قياسنا قياسا علميا صحيحا .

وأما مياه وادي فاس ومياه العيون والآبار فقد تلوث معظمها وإذا لم تنق حاليا فقد تؤدي إلى نقل الأمراض إلى آلاف السكان الذين تصلهم هاته المياه .

وأخيرا لقد واكبت جامعة القرويين ومدينة فاس نشأة الحضارة الإسلامية في شمال أفريقيا وغربها وفي بلاد الأندلس .

وابرز هذا المركز علماء عديدين يشهد لهم التاريخ بمقدرتهم العلمية كما يشهد لهم بمواقف مشرفة أمام الصراعات التي كانت تشوب المجتمع من حين لآخر .

وحتى عهدنا الحاضر ظلت جامعة القرويين الشريان النابض للمدينة جمعاء كما ظلت مركز أشعاع للعلم وتصدد للجهل . ونراها كيف قامت في وجه الاستعمار لما أخرج الظهير البربري الهادف إلى عزل جبال الأطلس عن باقي بلاد المغرب . لكن بتلاشي التعليم الأصيل تكاد تنعدم تغذية أهل فاس الروحية والعلمية لأن من مميزات هذا التعليم عدم إهماله لعامة الناس ، ولهذا الانعدام انعكاسات وخيمة على البيئة الاجتماعية ، وكل منا يعلم مدى أهمية هذا الباب بالنسبة للصبيان والشبان والصناع والتجار وحتى بالنسبة للعلم نفسه .

هذه أهم مشاكل مدينة فاس وخصوصا المدينة الأصلية وإذا لم نعتبر المميزات الجزئية فإننا نجد أن هاته المشاكل تعترى معظم المدن العربية .

هذا جانب من حقيقة وضعية مدننا ، ومالم نتدارك الأمر بعد فإنه لن يزداد الا تفاقمها . وكم من مدينة تضخمت مشاكلها حتى صار التحكم في نموها شبه مستحيل ، وكلنا على علم بمخلفات هاته المشاكل .

مسألة إنقاذ مدينة فاس

لم تكن حالة مدينة فاس لترضى سكانها ولماستوليتها خصوصا وأن هاته المدينة رغم ما ذكرنا يكاد لا يوجد لها نظير في العالم الاسلامي قاطبة ، ولذلك لفتت أنظار كل من يهمه أمر المدن والشعوب الاسلامية وكل من يهمه مصير الثقافة الاسلامية .

الخطوات التحضيرية .

فبعد تقريرين قدمهما خبيران من اليونسكو تحت إشراف وزارة الثقافة المغربية قررت وزارة السكنى وإعداد التراب الوطني دراسة تصميم توجيبي لمدينة فاس ، وبعد قبول الجمع العام لمنظمة اليونسكو بنبروي سنة ١٩٧٦ لاقتراح المغرب بشأن اعتبار مدينة فاس تراثا عالميا ألقى النداء العالمي لانقاذها في ٩ أبريل ١٩٨٠ . وخلال هاته المدة تم التوصل الى نتيجتين أساسيتين :

الاولى أن الانقاذ لا يمكن أن يكون إلا ضمن إطار نمو المدينة بصفة عامة . وهكذا أسفرت دراسات التصميم التوجيبي عن تحديد هذا الإطار ، وكانت المدينة الأصلية محور هاته الدراسات نظرا لاهميتها بالمقارنة بالوحدتين الحضريتين الاخريين دار الدبيخ وعين قادوس ، فالمدينة الأصلية تؤوي ما يقرب من ٦٠٪ من سكان المدينة و ٦٠٪ من النشاطات الاقتصادية ، اذ ان الصناعة التقليدية وحدها تشغل حوالي ٣٠٠٠٠ صانع بينما تؤوي دار الدبيخ حوالي ٢٩٪ من مجموع السكان ، وما يعادل تلك النسبة يقطن بعين قادوس ، الوحدة التي تكاد تخلو من كل نشاط اقتصادي .

وبعد ما أوضح التصميم التوجيبي خصائص كل من هاته الوحدات وكذلك خصائص مدن الصفيح والقرى الموجودة بالقرب من المدينة ، بين الربط الموجود بينهما وحدد إطار نموها الى أفق سنة ٢٠٠٠ م آخذنا في ذلك بعين الاعتبار المتغيرات القابلة لان يتحكم فيها مثل توزيع السكن على الاراضي المتوافرة وتوزيع التجهيز على مختلف الوحدات الحضرية ، والمتغيرات غير القابلة للتحكم فيها في هاته الفترة ، كالهجرة القروية والبنية الاقتصادية والمعطيات الطبيعية .

واهم الاختيارات التي نتجت عن هاته الدراسات هي :

- الحفاظ على المدينة الأصلية وانقاذها .

- تعمير المنطقة الشرقية تعميرا إسلاميا يضمن توازن المدينة الأصلية بين الوحدات الحضرية المكونة لمدينة فاس .

- التعمير المحدود للمنطقتين الجنوبية والغربية .

- تعمير اختياري لمنطقتي الكعدة وزلاخ يحدد بعد سنة ١٩٩٠ وبعد مرور سنتين على تهيؤ التصميم التوجيبي يمكننا أن نبدي

بعض الملاحظات ومن أهمها :

- ضرورة وجود استمرارية في البحث ووجود ربط مباشر بين الدراسات والتطبيق .

- ضرورة حظوة الاختيارات بموافقة كل الاطراف المعنية بأمر التعمير وبالاخص السلطات المحلية والمركزية وسكان المدينة مع تمثيلهم .

- إتخاذ الاجراءات اللازمة للتحكم في مسألة الاراضي .

- الاخذ بعين الاعتبار مدى الفعالية القانونية للتصاميم المرتقب تهيئتها

هذا فيما يخص النتيجة الاولى ، أما النتيجة الثانية فهي اعتبار إنقاذ مدينة فاس عملية شمولية تستهدف إحياء التراث وإعطاءه المكانة التي تقتضيها أهميته في إطار نمو حضارتنا .

فبعد تهيؤ التصميم التوجيبي سنة ١٩٧٨ شرع في دراساته معمقة للمدينة الأصلية بقصد تهيئة مشروع الانقاذ وشملت الدراسات عدة قطاعات . ودلت على ارتباط بعضها ببعض وعلى ضرورة الالمام بها كلها . ونتج عن هاته الدراسات مشروع إنقاذ مدينة فاس الأصلية .

ويمكن حصر بعض أسس المنهاج المتبع لتهيئة مشروع الانقاذ في النقاط التالية :

- اعتبار المدينة الأصلية وحدة حضرية متميزة تشمل كل القطاعات في ارتباط شامل ومتكامل .

- اعتبار أن خصائص هاته الوحدة مازالت قائمة ومازال يعتمد عليها ولو « بشكل هامشي » في النشاط الحضري للمدينة الأصلية .

- اعتبار أن عملية الانقاذ تستهدف مبدئيا إحياء وتدعيم كيان المدينة الأصلية مع الاخذ بعين الاعتبار كل الامكانيات المتوافرة في عصرنا الحاضر .

انطلاقا من هاته الاعتبارات الثلاثة تمت دراسات ميدانية ووثائقية حول : النسيج المعماري . الهيكل الاقتصادي . الهيكل الديمغرافي . شبكة المياه والبنية التحتية . التجهيزات العامة . قضايا تاريخية .

ثم بعد هذا تم تحديد المشاكل التي تهدد المدينة الأصلية وتقوم احتياجات صيانتها من تجهيز وترميم وإصلاح وأخيرا وضع مشروع للانقاذ :

مشروع الانقاذ :

يمكن تقسيم مشروع الانقاذ هذا الى ثلاثة فروع :

- عمليات الانقاذ .

- الاجراءات اللازم اتخاذها لتحقيق الانقاذ .

- التقويم المالي .

أما عمليات الانقاذ فهي تنقسم الى قسمين : قسم يقصد إعطاء المدينة الأصلية الدور الالهم الذي يليق بها ضمن الوحدات الحضرية الاخرى . ويشمل هذا القسم :

مشروع المنطقة الشرقية وبالاحص مايرتبط بتخفيض كثافة سكان المدينة الاصلية وذلك بنقل مايقرب من ١٠,٠٠٠ عائلة من داخل المدينة ومايقرب من ٤,٠٠٠ عائلة من مدن الصفيح المضايقة للمدينة الاصلية الى هاته المنطقة .

مشروع الحى الصناعي العصري والصناعي التقليدي لنفي ضرر وحدات الانتاج الصناعي الموجودة داخل الاسوار والحد من تأثيرها في جلب اليد العاملة الى المدينة ولتشغيل سكان المنطقة الشرقية ووحدة عين قادوس .

تقريب المرافق الادارية والاجتماعية والثقافية الضرورية للمدينة الاصلية نظرا لتركز هذه المصالح في دار الدبيغ .

مشاريع البنية التحتية كحماية وادى فاس وتجديد قنوات الماء الحار وإصلاحها وترميم واحداث طرق للمواصلات تربط بين المدينة الاصلية والوحدتين الاخرين ، وكذلك تجهيز المنطقة الشرقية .

أما القسم الثاني فيشمل كل المشاريع المتعلقة بداخل المدينة ويهدف هذا القسم من العمليات الى تقوية بنية المدينة الاصلية وتنميتها ومنها :

- مشاريع المحافظة على البيئة الطبيعية .
- المشاريع الثقافية كترميم المساجد والمدارس والخزانات العلمية وإنشاء معهد الدراسات الاسلامية ومركز الملتقيات العالمية .
- مشاريع التجارة والانتاج كترميم الفنادق وتنظيم الاسواق والطرازات ودور الدباغة والارحية وترميمها وبناء مدرسة للمحافظة على الفنون والصناعات التقليدية وبناء مدرسة لصناعات البناء وفنونها بصفة خاصة .
- مشاريع التنظيم الحضري من تنظيم مراكز الاحياء وإصلاح وترميم للدور العتيقة والقصور ذات القيمة التاريخية والفنية .
- ثلاثة مشاريع نموذجية في مجال السكن والتجهيز .
- بناء قنطرة بين عدوتي المدينة .
- تعميم الماء الصالح للشرب والكهرباء .

وأما فيما يخص الاجراءات فهي تتعلق بالتنسيق بين المصالح في شأن كل عمليات الانقاذ كما تتعلق بالمسائل القانونية وتشجيع الدراسات الهندسية والمعمارية وبحملات التوعية كما أنه قد أنجز تقويما ماليا أوليا ليس هاهنا مجال ذكره .

وهكذا نرى أن هذا المشروع يعنى بالحفاظ على أسس ومقومات مدينة فاس كما يعنى بإحيائها وتنميتها وإحياء وتنمية فروعها .

الانجاز :

تم القاء النداء العالمي منذ مايقرب من سنة . والاهتمامات تبدو من أوساط مختلفة ، لكن عمليات الانجاز لما تبدأ بعد . فما هي الحواجز التي تحول دون الشروع في عمليات الانقاذ ؟

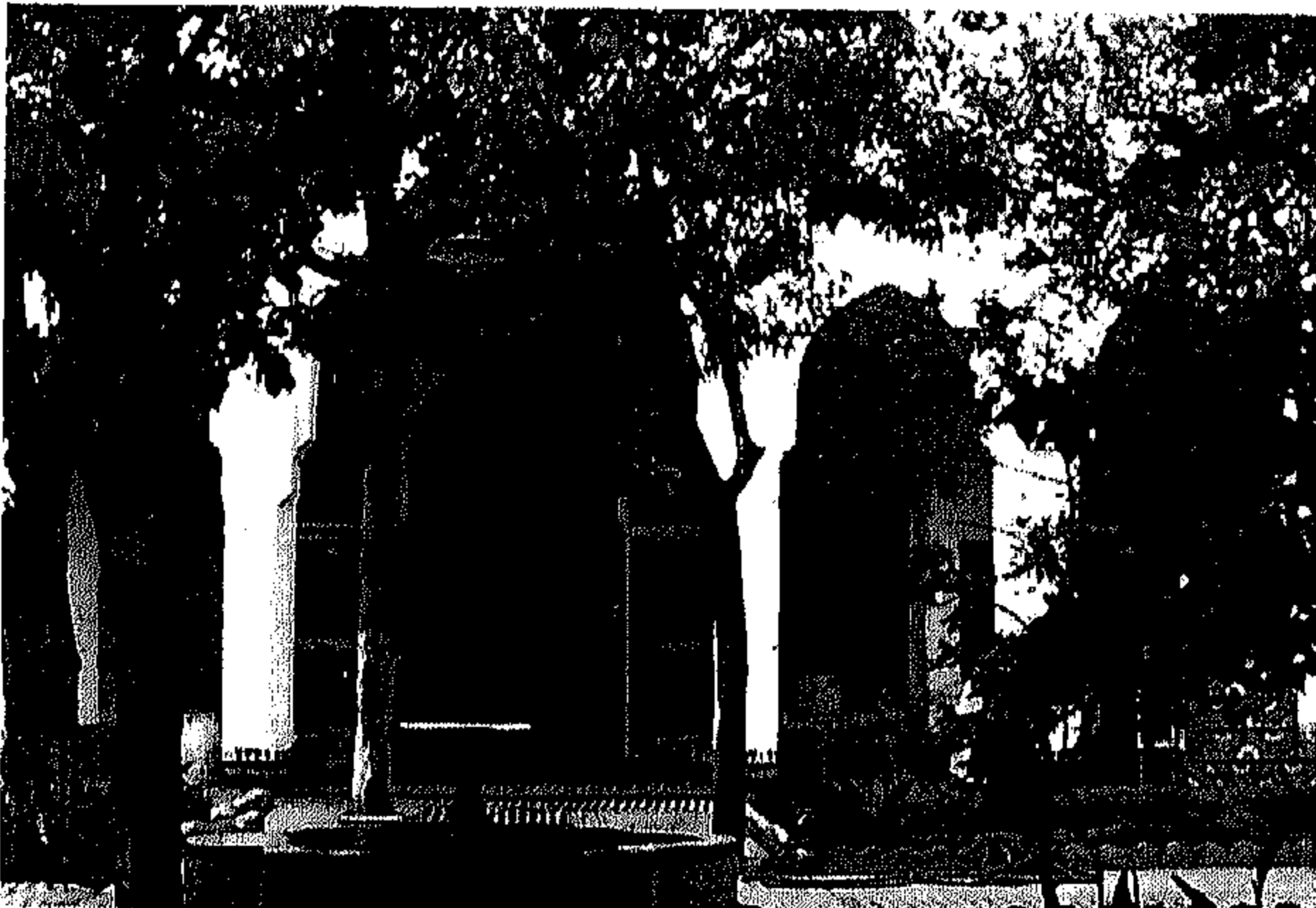
إن مشروع الانقاذ كما قلنا يضم عمليات شتى ، منها مشاريع البناء والترميم ومنها مشاريع تستهدف تنظيم المدينة وقوانين نموها . ومشروع الانقاذ هذا هو جزء من الجهودات المفروض بذلها للمحافظة على التراث الاسلامي بصفة عامة . ففي هذا الاطار نجد أنه قد تم الحد جزئيا من نمو المدينة في الجهات غير المرغوب فيها كما تم توجيهه نحو المنطقة الشرقية الموجودة ضمن اختيارات التصميم التوجيهي ومشروع الانقاذ ، كذلك كانت هناك استشارة دائمة فيما يخص المشاريع العامة التي لها ارتباط بالحفاظ على المدينة الاصلية . وحتى بالنسبة لمشاريع الخواص فجعلها لاترخص إلا بعد موافقة المسؤولين عن المحافظة على المدينة .

كما أنه قد تم انجاز المرحلة الاولى من عملية إصلاح وتعميم قنوات الماء الحار والتخفيف من تلوث ماء الوديان والآبار والعيون . وتعد هاته العمليات ضمن الجهود الوطني لانقاذ مدينة فاس فضلا عن مشروع الانقاذ الذي سوف يبدأ فيه رسميا في القريب العاجل بأربع عمليات : ترميم باب المحروق وتجهيز محيطه (باب الشريعة قديما) ، ترميم جزء من سور المدينة بباب عجيسة ، ترميم فندق النجارين وفندق البركة وفتحهما للنشاط الاقتصادي والانتاج التقليدي .

لكن رغم هذا كله تبقى الجهود ناقصة إذا ما لم يتبن سكان المدينة هذا المشروع . وليست مسألة الحفاظ مسألة مادة وإمكانات تقنية فقط بل هي مسألة وعي بالدرجة الاولى .

فمشروع الانقاذ على أهميته لن تكون له النتيجة المطلوبة ولن يمكن إنجازه إلا إذا استكملت أمتنا وعيها بالأهمية البالغة لتراثها الاسلامي ولدوره الاساسي في بناء مستقبلها .

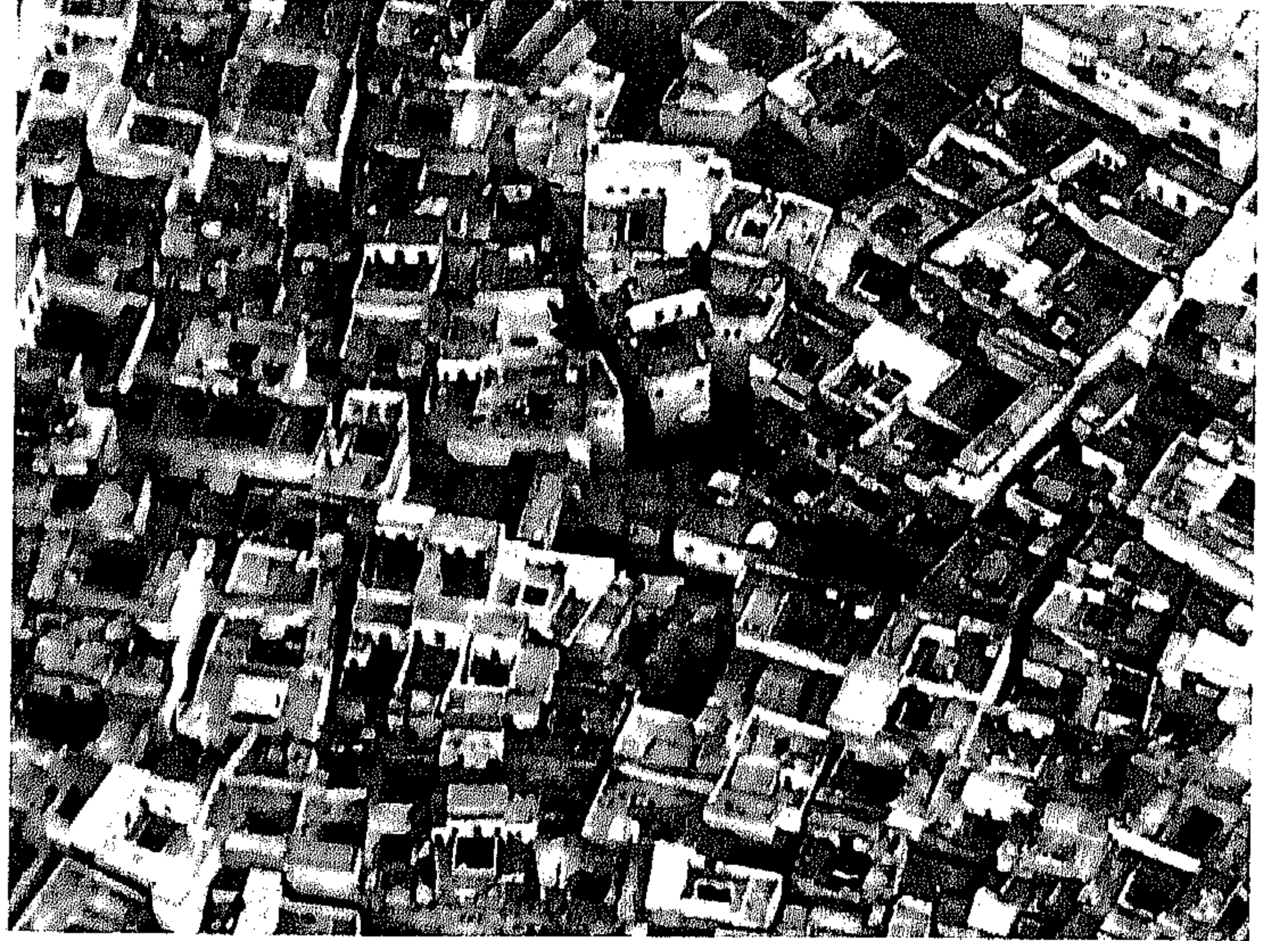
وهذا يتطلب منا الماما تاما بميداننا والاستفادة في مثل هذه الفرص من وجود ممثلين لاهم مدننا لتبادل الآراء والتنسيق بين الجهود المبذولة من كل واحد على حدة ، ونرجو الله أن يوفقنا وإياكم لصالح الاعمال .



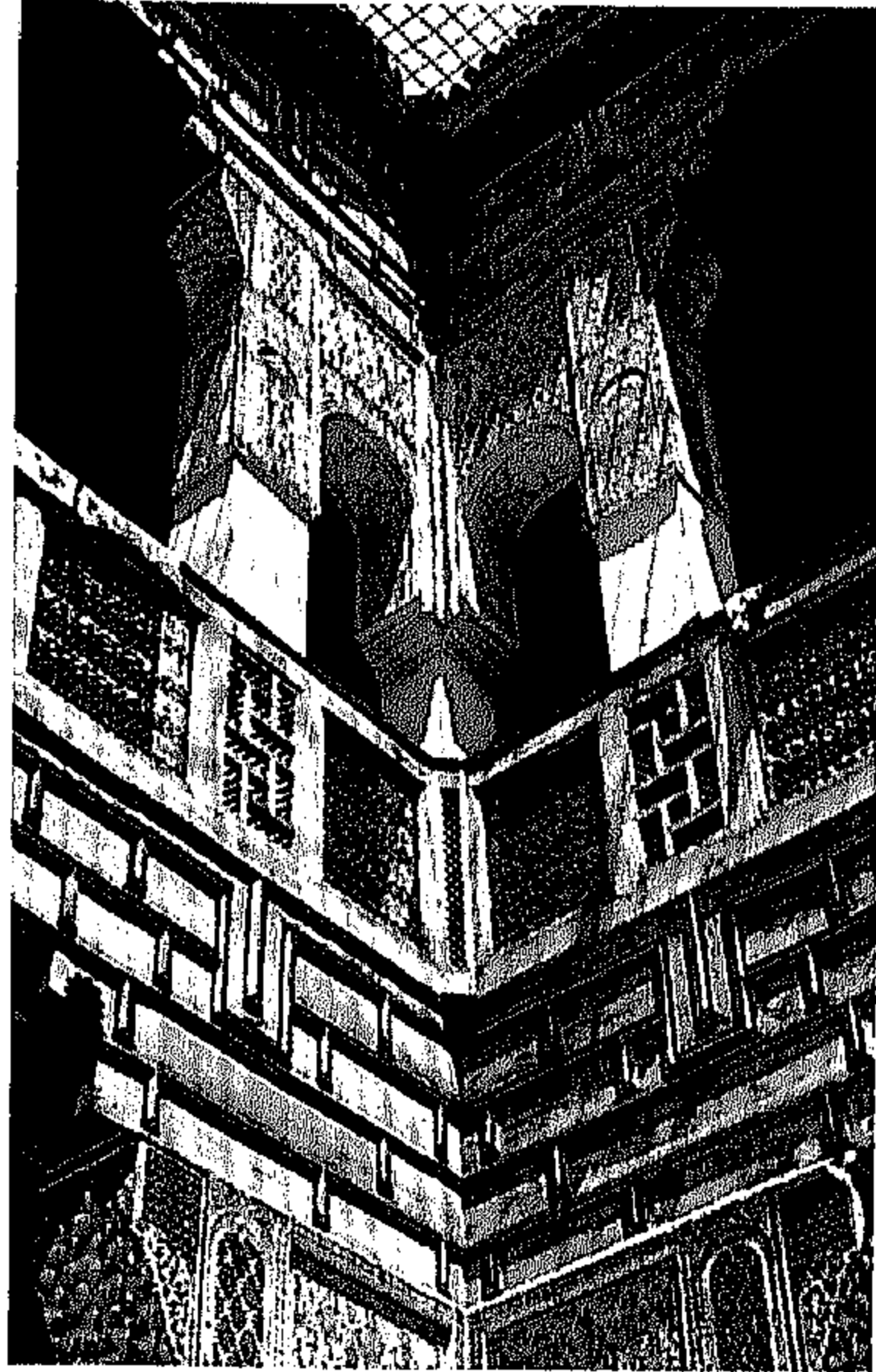
٢١٥ احدى الحدائق الجميلة فاس



٢١٩ السيارات في ظل الواجهات التقليدية



٢١٦ النسيج العمراني التقليدي فاس



٢١٧ تفاصيل معمارية - فاس



٢١٨ وادي بوخرارب المغطى حاليا فاس

أشكالية المحافظة على التراث المعماري لمدينة فاس في إطار مخططها التوجيهي

نجيب العرائشي بدوي

المركز التقليدي للمدينة القديمة الذي يعرف تدهورا ملموسا ويحتضن كل العرف والوظائف ذات الطابع التقليدي .

المركز العصري للمدينة الجديدة وهو دائم الحيوية ويضم جل الأنشطة الحديثة من تجارة وصناعة وتجهيزات .

ولعل أخطر شكل تولد عن هذه الوضعية هو التزايد المهمل للكثافة السكانية بالمدينة العتيقة حيث يصل معدلها الى ١٠٠٠ ساكن في الهكتار الواحد ، وحيث أخذ البناء يتسع داخل أسوارها على حساب المناطق الخضرة والبساتين التي كانت تمتاز بها ، وكذلك داخل المنازل بتغطية الصحون وتقسيم البيوت الى أن أصبحت هذه المنازل قليلة أو معدومة التشميس والتهوية .

وخلاصة القول ، فقد تبين من خلال دراسات التخطيط التوجيهي ان المشاكل التي تعرفها المدينة العتيقة لا تنحصر عند اسوارها من حيث أسبابها بل ترتبط بالوحدات الأخرى المكونة للمدينة وبوضعها داخل المجال الحضري ، فالمشكلات التي تحدق بالمدينة العتيقة ليست مشاكل ترميم للسكن والتراث القديم أو تكييفه مع متطلبات العصر فقط ، بل مشاكل ترجع أساسا لطبيعة العلاقات التي تربط بين قطاعين يشكلان قاعدة التنظيم المعماري الحديث ، القطاع التقليدي بجميع مستوياته الاقتصادية ، والاجتماعية ، الثقافية والعمرائية والذي يعرف تراجعا وتدهورا مستمرا والقطاع الحديث ، الذي هو دائم الحيوية والنشاط .

موضوع هذا التقرير يتعلق بدراسة حديثة العهد ، أشرفت على تهيئتها وزارة السكنى واعداد التراب الوطني في المملكة المغربية بمساعدة منظمة اليونيسكو ، استهدفت وضع تخطيط توجيهي لمدينة فاس اهم باستخلاص مميزات المعمارية وبإيجاد الاطار الملائم للحفاظ على مآثرها التاريخية ضمن برنامج عام لنمو وتطور المدينة حتى سنة ٢٠٠٠

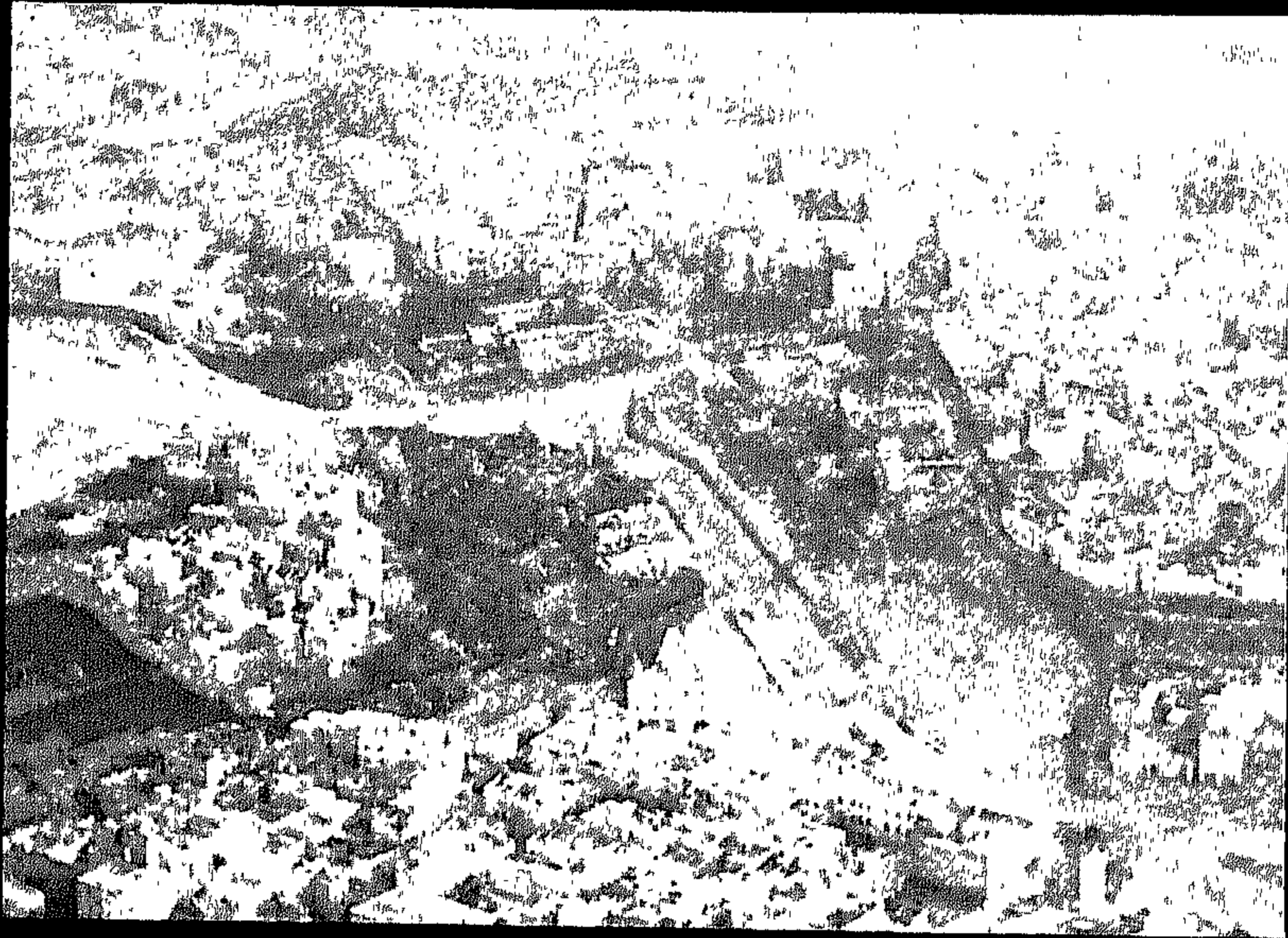
ومدينة فاس التي استطاعت أن تبلور في شكل منسجم وموحد مطبوع بالطابع الاسلامي العريق جميع التقاليد الفنية والتقنية التي نقلتها اليها مختلف الفئات التي ساهمت في بنائها تعد من قلائل المدن التي استطاعت الى وقت قريب المحافظة على أصالتها التاريخية والحضارية بالرغم من التقلبات والهزات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفها القرن الأخير ، لكن المقارنة بين مدينة فاس في الماضي ومدينة فاس في الحاضر تظهر لنا التعمرات التي أحاطت بسيرتها خلال هذا القرن وكذا حدة المشاكل المطروحة عليها حاليا والاحطار المحدقة بها مستقبلا .

فبعد أن كان تنظيمها المعماري يتجاوب الى حد كبير مع وظائف واحتياجات الحياة الحضرية أصبحت تعكس خللا في مسيرة تطورها ونماؤها ذلك لأن الاطار المخصص للحياة الحضرية أضحي متجاوزا نتيجة ظاهرة الضغط الديموغرافي الحديث والتقلبات الاقتصادية المعاصرة .

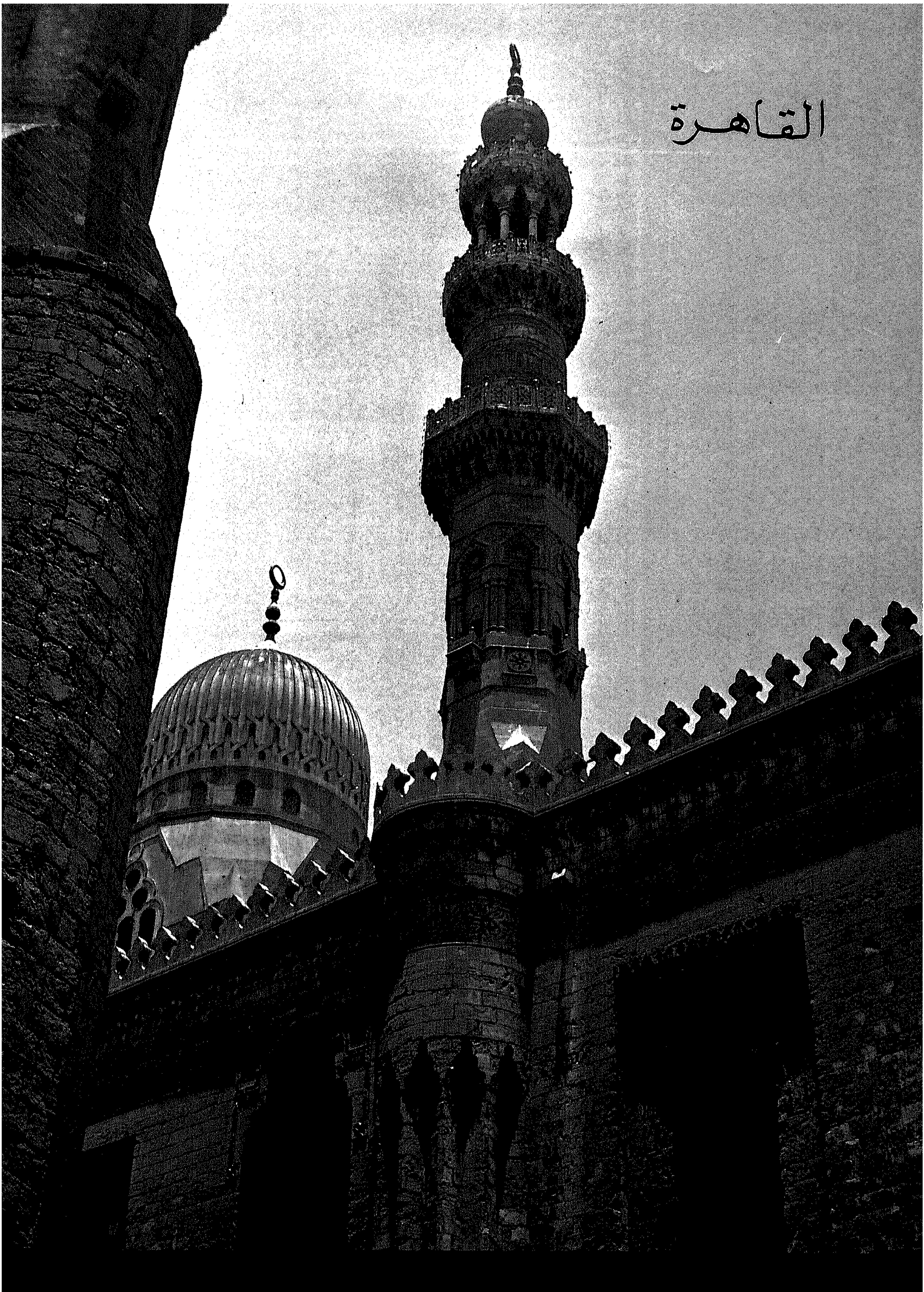
فعل الصعيد الاقتصادي عرفت الصناعة الحديثة بالمدينة تطورا لا يوازي التطور العمرائي ، ذلك أن الأيادي العاملة التي هاجرت الى المدينة وجدت امكانيات العمل بها جد محدودة ، الشيء الذي دفع بها للالتجاء الى القيام بأعمال هامشية ، من تجارة صغيرة ، ومهن متواضعة لا تتطلب أي تخصص مهني .

وعلى صعيد آخر فان الصناعة التقليدية التي كانت تشكل النشاط الاقتصادي الحيوي للمدينة قد عرفت بدورها تقهقرا نتيجة منافسة المنتجات الصناعية الجديدة والتطورات الحاصلة في نموذج الاستهلاك ، وقد ادى هذا أيضا الى تحول جزء كبير من قطاع الصناعة التقليدية الى قطاع خدمات واصبحت بالتالي القاعدة للمدينة العتيقة تتكون من صناعات تقليديين صغار وسكان جدد هاجروا الى المدينة من أجل الحصول على عمل .

أما على صعيد التعمير فقد تم تشييد وتطوير مدينة جديدة أمام المدينة العتيقة على النمط الغربي لا علاقة لها بأصالة حضارتنا المعمارية ، فأصبحت المدينة تتصف بكونها تحتوي على مركزين أساسيين يطبعان شكلها العام :



القاهرة



إحياء القاهرة العصور الوسطى

احمد كمال عبد الفتاح وآخرون*

مقدمة :

واستعادت « القاهرة » مكانتها كعاصمة ، ونشطت فيها حركة البناء والتعمير ، ولكن في اطار وطرار أوروبي. وبعد أن تم تثبيت مجرى النهر ، وردم الكثير من البرك والخلجان ، أضيفت للقاهرة ، مناطق سكنية شاسعة الى الغرب . ولحسن الحظ ، فمازالت القاهرة القديمة ، تحتفظ حتى الآن ، والى حد كبير ، بطابعها التاريخي المميز ، وتضم أكثر من خمسمائة أثر اسلامى ، من القرن السابع الى التاسع عشر الميلادى . وهو أمر ليس له مثيل ، فى العالم الاسلامى كله .

أدت التوسعات العمرانية نحو الغرب ، الى هجرة الطبقة المتيسرة من السكان ، من منطقة القاهرة القديمة ، الى المناطق الجديدة وتبع ذلك ، انتقال المركز التجارى للمدينة ، وبقي فيها السكان ، من رقيقى الحال . وترتب على ذلك ، الاهمال الكامل للمنطقة القديمة من السلطات الادارية ، التى كان مفروضاً عليها أن تلتزم بالحفاظ عليها وحل مشاكلها ، ورفع مستواها ، ونجم عن ذلك :

اهمال المباني الأثرية ، وتدهورها . وسوء المرافق والخدمات ، بالمنطقة . وارتفاع منسوب المياه الجوفية ، الملوثة بمياه الرشح من المجارى . والخلط فى استعمالات الأراضى . وتلوث البيئة . وزيادة كثافة المرور الآلى ، بأحجامه المختلفة .

وانعكس فقدان القيم الحضارية ، على معاملة سكان المنطقة للآثار ، فعولمت كأنها أطلال بالية ، واستعملت استعمالاً سيئاً ، خربها ، ودمر الكثير من قيمها الفنية والمعمارية .

كما دخلت أنماط معيشية غريبة ، الى المنطقة ، لا تناسب ماضيها الحضارى ، ولا واقعها البيئى . وانعكس ذلك ، على طابعها العام ، وشخصيتها الفريدة ، هذا بالاضافة ، الى التدهور الاجتماعى ، الذى جاء نتيجة توافر وسائل الخدمات الاساسية فى المنطقة كالتعليم ، والخدمات الصحية والترفيهية المناسبة . بالاضافة ، لانخفاض مستوى الدخل العام ، وتفاقم مشكلتى زيادة السكان وأزمة الاسكان .

ولهذا ، فان المشكلة الواضحة للمدينة القديمة ، تتمثل فى أن أى مشروع لحياتها والحفاظ على آثارها ، لا بد وأن يرتبط تمام الارتباط ، برفع المستوى العام لها ، عمرانياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً . وأن أى حل يقترح ، يجب أن توجهه نظرة شمولية ، على المنطقة ككل .

أسس القائد « جوهى الصقلى » مدينة « القاهرة » عام ٣٥٨ هجرية (٩٦٩ م) ، لخليفته « المعز لدين الله الفاطمى » ، الى الشمال من العاصمة القديمة « مصر الفسطاط » ، وكانت حينئذ مدينة محرمة Forbidden City ، مقصورة على الحكام وأتباعهم ، من الفاطميين ، ومسورة بأسوار قوية كقلعة محكمة تحميهم وتحمى مصر الفسطاط من أعدائهم القرامطة القادمين من الشمال .

وفى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، أصبحت القاهرة عاصمة كاملة لامبراطورية واسعة ، بعد أن سمح لعامة الشعب بسكناها وبعد أن ضم اليها العواصم الاسلامية الثلاث : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، وشيد حولها جميعاً سور دفاعى جديد وتوجه بقلعته فى جبل المقطم .

وفى عهد المماليك ، اتسعت رقعة القاهرة ، وامتدت فى اتجاه الشمال والغرب . وتنافس الحكام والأمراء ، فى بناء المساجد ، والمدارس ، ودور الكتب ، والقصور ، والخانات ، والوكالات ، وغيرها من الآثار الرائعة ، التى لا يزال الكثير منها ، شاهداً على ما اتسمت به المدينة آنذاك ، من الغنى والازدهار ، ورفاهية الذوق .

أما فى أيام العثمانيين ، فقد بقيت القاهرة فى حدودها المملوكية . وتفشى الخراب بأحيائها ، وثلاشى العديد من قصورها وعمارتها ، نتيجة للاهمال ، والنقص فى الأموال والمواهب الفنية ، التى كانت ترسل أو تنجذب الى عاصمة الخلافة « اسطنبول » . ومع ذلك ، لم تخل هذه الحقبة ، من آثار رائعة لبعض التكايا ، والأسبلة ، والمساجد ، الحافلة بأروع النقوش والزخارف .

وقد ظلت المدينة على ما هى عليه تقريباً ، الى ما بعد الغزو الفرنسى لمصر ، حين حركها مرة ثانية ، طموح محمد على والحديوى اسماعيل ، فى العصر الحديث . وذلك عندما تم انشاء مدينة عصرية ، مستوحاة من تخطيطات « هاوسمان » فى « باريس » ، فى المنطقة الواقعة بين القاهرة القديمة ومجرى نهر النيل

* هذا بحث مهدى الى أئمة المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية ، وقام به فريق من المتخصصين هم احمد كمال عبد الفتاح ، يحيى الزينى ، عبد الباقى ابراهيم ، احمد رأفت الزغبي ، عبد الحليم ابراهيم ، ممدوح يعقوب ، عبدالله السعيد .

ولاشك ، أن عملية الاحياء هذه ، عملية ضخمة ، باهظة التكاليف ، وأكبر من امكانيات مصر ، في ظروفها الراهنة . ولابد من اثاره الرأي والضمير العالمى ، دول وأفراد ، بالمسئولية اتجاه هذا التراث الانسانى العظيم ، وحثه على الاسهام فى الحفاظ عليه .

وتأكيدا على اثار الاهتمام العالمى ، بآثار مصر الاسلامية ، قررت منطقة « اليونسكو » ، اعتبار قاهرة العصور الوسطى ، واحدة من مراكز التراث الثقافى والحضارى ، ذات الأهمية الخاصة ، فى العالم . ووافقت على القيام ، بالدراسات الأثرية ، والتخطيطية ، والعمرائية ، اللازمة للحفاظ عليها . على أن تتركز هذه الدراسات ، فى ابراز دور - المنطقة ، كمركز ثقافى وحضارى حى ، والبعد عن معالجتها ، كمجتمع لآثار صماء ، أو عمائر متحفية .

تحليل للتكوين الحالى للنسيج العمرانى لقاهرة العصور الوسطى

التكوين الطبيعى للمنطقة : يحدد الموقع العام لمنطقة القاهرة الفاطمية (قاهرة العصور الوسطى) من الشمال ، أسوار بدر الجمالى ، ابتداء من برج الظفر ، باب النصر ، باب الفتوح ، حتى شارع الخليج المصرى ، ومن الجنوب ، شارع باب الوزير ، ومن الشرق ، تلال الدراسة ، وسور مصر القديمة ، والقلمة ، ومن الغرب ، شارع الخليج المصرى ، وميدان احمد ماهر ، وشارع محمد على . وتبلغ مساحة المنطقة ، حوالى ٨٤٧ فداناً تقريباً . وتضم ٣٤٦ أثراً اسلامياً ، من مختلف العصور الاسلامية . ويحيط بالقاهرة أحياء أغلبها رديئة سيئة .

الأقسام الادارية للمنطقة : تنقسم الى الأقسام الادارية التالية من محافظة القاهرة : قسم باب الشعرية ، وقسم الجمالية ، وقسم الدرب الاحمر ، وقسم الخليفة .

الحالة العامة لأحياء المنطقة ومنشآتها : حالة المباني فى المنطقة عموماً رديئة ، فيما عدا بعض المباني العامة المنشأة حديثاً ، والتي لا تمت للطابع المميز للمنطقة بصلة . والمتوسط الاجمالى لعدد الأدوار فى مباني المنطقة كلها ، هو ٢.٥ دور .

الاستعمالات الحالية للمنطقة : تبلغ جملة المساحة الفعلية المستعملة فى المنطقة ٦١٤ فداناً تقريباً - بعد استبعاد قلعة صلاح الدين والجبانات والأراضى الواقعة شرقى سور مصر القديمة (وتبلغ مساحتها ٣٣٣ فداناً تقريباً) . وأهم الاستعمالات بالمنطقة : المناطق الأثرية والدينية ، وتتركز فى قلب المنطقة ، وعلى جوانب الشوارع الرئيسية ، وتشغل ٤٤ فداناً . وتمثل المناطق السكنية ، التى لا توفر لسكانها الخدمات الضرورية ، التكوين الرئيسى للمنطقة . وتبلغ مساحة الأراضى المستغلة فى الاستعمالات السكنية ، المشتركة مع الحرف والتجارة ، حوالى ٢٦٨ فداناً . وتتركز المناطق التجارية حول جامعى الأزهر والحسين ، وعلى جانبي شوارع المعز والجمالية والموسكى والأزهر والغورية . وتتميز فى بعض أجزائها بالتخصص التجارى الحرفى (تجارة العطاراة - المنسوجات - النحاس - صناعة وتجارة الذهب - صنع الخيام) . وتبلغ مساحة الأراضى المستغلة فى

الاستعمالات التجارية والتجارية الحرفية ، حوالى ٧٥ فداناً ، وتشغل المباني العامة حوالى ٤٥ فداناً . ويوجد بالمنطقة حوالى ٣٥ فداناً من الأراضى الفضاء والخربة ، تتراكم فيها أكوام الأنقاض والقمامة ، وتبلغ مساحة الحدائق والمساحات الفضاء ، حوالى ٣ أفدنة ، مما يوضح أن المنطقة تكاد تكون خالية من الأنشطة الترفيهية والحدائق .

الدراسات السكانية : كان عدد سكان المنطقة فى عام ١٩٣٧ هو ١٥٤٣٥٤ نسمة . وبلغ عدد سكان المنطقة ٢٥٦١٠٢ نسمة فى عام ١٩٧٦ . وذلك بمعدل زيادة سنوية قدرها ٥٪ خلال الفترة من ١٩٣٧ - ١٩٤٧ ، و٩.٥٪ فى الفترة ١٩٤٧ - ١٩٦٠ ، و١١.٥٪ فى الفترة ١٩٦٠ - ١٩٦٦ ، وبمعدل تناقص سنوى قدرة ٨٪ - خلال الفترة ١٩٦٦ - ١٩٧٦ ، بالمقارنة الى معدلات الزيادة السنوية للسكان بمحافظة القاهرة ، خلال نفس الفترات ، وبالباغة ٥.٨٪ ، و٤.٧٪ ، و٤.٣٪ ، و٢.٢٪ على التوالى ومن ذلك يتضح ان القاهرة القديمة ، أصبحت منطقة طاردة لسكانها منذ عام ١٩٤٧ . ويبلغ متوسط الكثافة السكانية الاجمالية على مستوى المنطقة ككل ٣٠٢ شخص فى الفدان ، تصل الى ٨٦٢ شخصاً فى الفدان بشياخة درب شغلان . ويبلغ متوسط التزاحم فى المنطقة ٢١ شخص فى الغرفة .

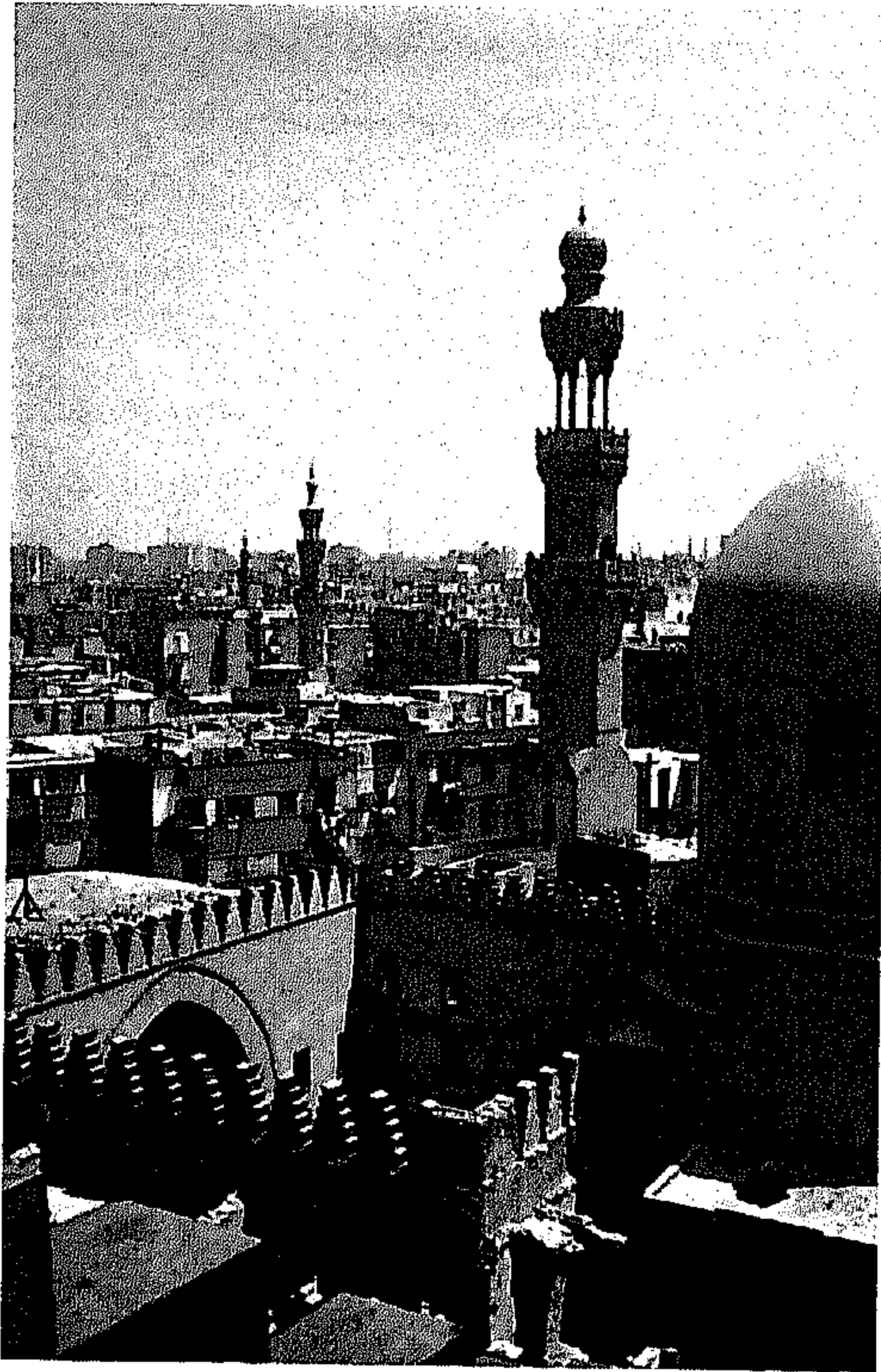
الخدمات فى المنطقة : المرافق بالمنطقة ، سواء شبكات المياه أو الصرف الصحى أو الكهرباء بحالة سيئة . كما تفتقر المنطقة الى الخدمات المختلفة : الصحية ، والتعليمية ، والترفيهية ، والحدائق ، والمساحات المكشوفة .

شبكة الطرق : يحد المنطقة طريقان رئيسيان ساعدا على تسهيل عملية النقل والانتقال منها واليها ، وهما : طريق صلاح سالم ، وشارع الخليج المصرى ، ومن أهم الطرق الاشعاعية والعرضية بالمنطقة : شارع الموسكى ، وهو للمشاة فقط . وشارعا القلعة والأزهر ، وهما يختنقان بوسائل المرور المختلفة ، وخاصة النقل الآلى الثقيل . ومن أهم الطرق الداخلية : شارع المعز لدين الله (قسبة القاهرة) ، وشارع الجمالية . وتتركز على جانبيهما ، أهم المجموعات الأثرية . ومع أنهما طريقان ضيقان للمشاة ، الا أن حركة المرور الآلى مسموحة بها ، بالرغم من أنها تكاد تكون مستحيلة .

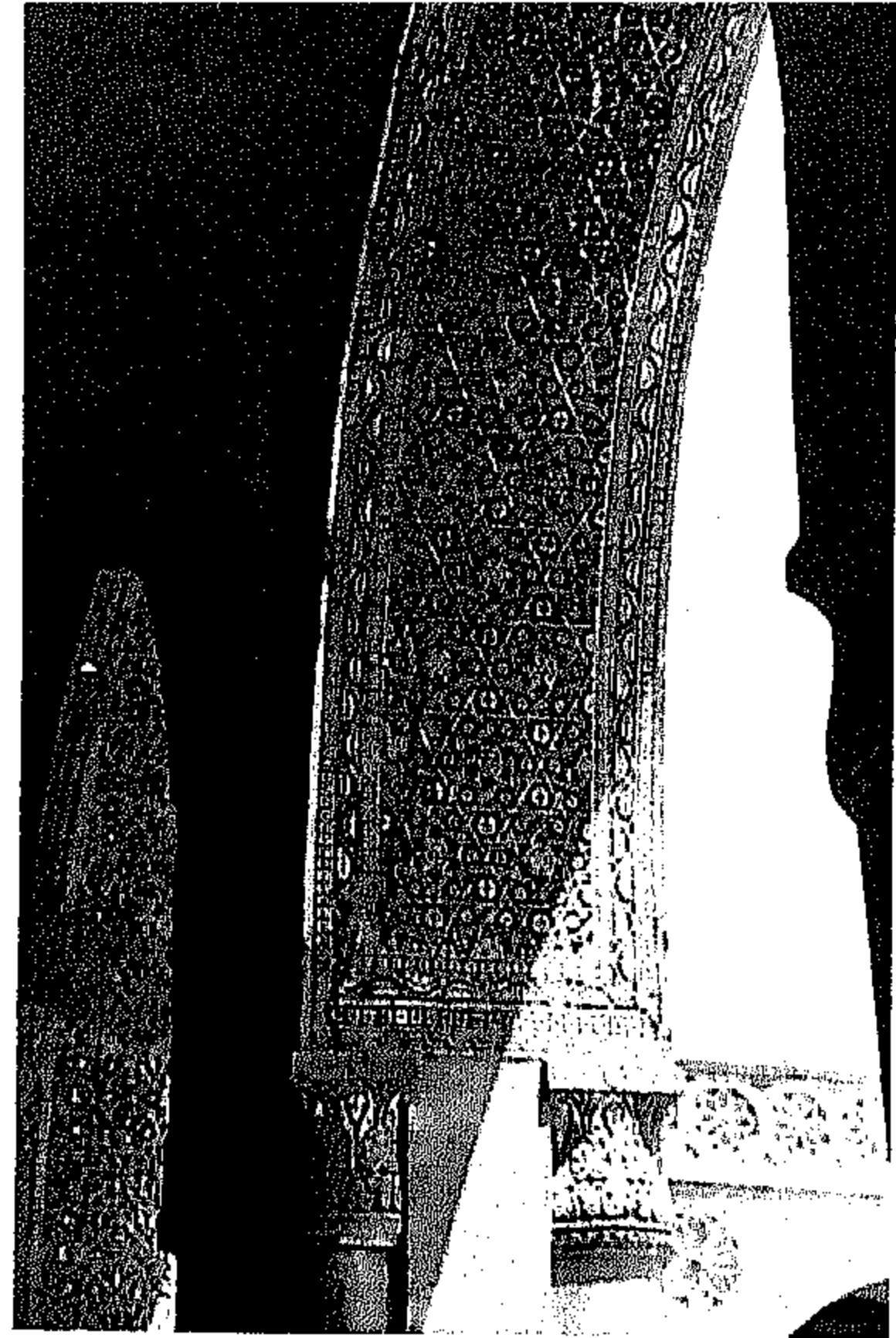
حصر وتقييم المشاكل الرئيسية لقاهرة العصور الوسطى

المشكلات الادارية :

توجد ثلاث سلطات رئيسية مختصة بشئون المنطقة : محافظة القاهرة ، وهى مسؤولة عن اعطاء تراخيص المباني الجديدة ، وتراخيص التعديلات والهدم للمباني القائمة ، كما أنها الجهة المسؤولة عن حل مشاكل الاسكان ، وعن المباني العامة ، ومباني الخدمات ، والمرافق العامة ووزارة الأوقاف ، وهى تملك عدداً كبيراً من الآثار الاسلامية ، ومن المباني ذات الطابع الأثرى والتى لاتضمها قائمة الآثار المسجلة ، وهى الجهة المختصة بصيانة هذه الآثار والمباني . وهيئة الآثار المصرية ، وهى المسؤولة عن اعطاء التصاريح الخاصة بالتعديلات للمباني الاثرية المسجلة . وقد فشل هذا النظام الذى تتداخل فيه السلطات الثلاث بسبب : النقص الخطير فى الخبرات الفنية والادارية والتنظيمية ، فى السلطات الثلاث ، وعدم التعاون بينهما ، وعدم



٢٢٥ قبة صرغتمش - القاهرة



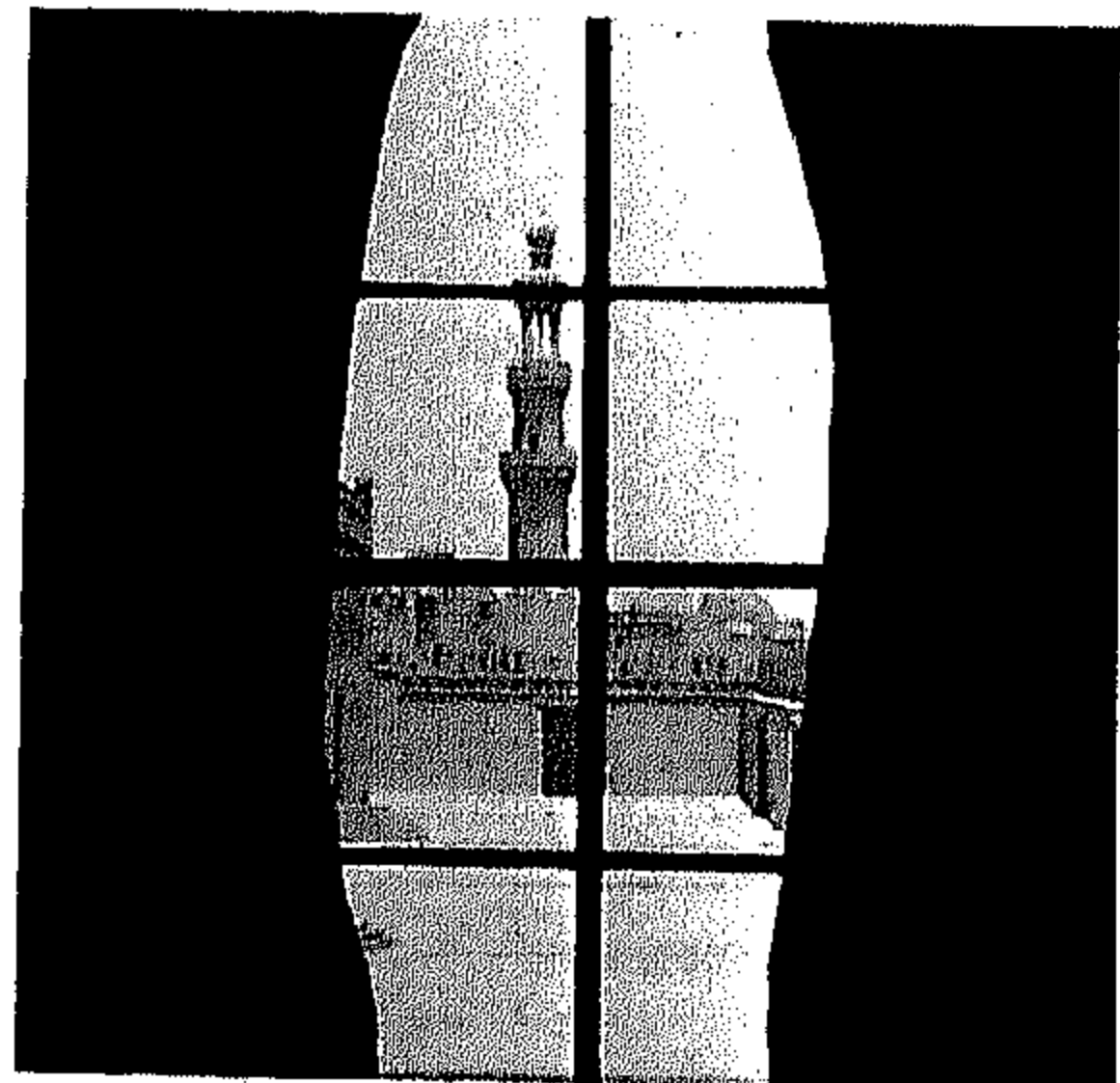
٢٢٢ جامع ابن طولون - القاهرة



٢٢٣ بيت الكريتلية - القاهرة



٢٢٦ جامع عمرو بن العاص القاهرة



٢٢٤ جامع ابن طولون - القاهرة

وجود تمويل مالى كاف . والقيام بانشاءات جديدة ، وتغييرات فى المباني الأثرية ، بواسطة الأفراد ، بدون رقابة من السلطات المسئولة . وأدى ذلك ، الى مشاكل متعددة :

قدم المباني الأثرية وتمالكها وتداعيا :

وعلى الأخص الآثار غير المسجلة والتي لا تخضع لأى اشراف من هيئة الآثار ، مما يعرضها للزوال . كما أن وزارة الأوقاف وجهت أموالها التي كانت مخصصة لصيانة الآثار ، الى مشاريع اقتصادية مريحة من وجهة نظرها .

اهمال النظافة العامة :

حيث يؤثر على نظام نقل المتعهدين للقمامة ، الازدياد المضطرب فى كميات القمامة ، وتناقص العائد المالى للمتعهدين . ونتج عن ذلك ، وجود أكوام من القمامة فى الأراضى غير المستخدمة ، وفى الطرقات ، وحول المساجد والمباني الأثرية ، مما يؤثر على الأخيرة . كما نلاحظ أشكالاً مضغوطة من القمامة ، تشكل السطح العلوى للطرق .

الخلط فى استعمال الأراضى :

وهو نتيجة لعدم تحكم السلطات المسئولة عن التنظيم وتراخيص البناء ، فى الحفاظ على طابع استعمال الأراضى بالمنطقة ، وبما أدى الى انتشار مختلف الاستعمالات المتناقضة . فالورش الصناعية الثقيلة ، بجوار المساكن والآثار . ومقابل القمامة ، فى كل مكان .

المباني وارتفاعاتها وطابعها :

فى ظل قانون المباني الحالى ، اختلفت وتباينت المباني ، فى الشكل وفى الطرز الأثرية ، التى لا تتناسب والطابع المعمارى للمنطقة . كما اختلفت ارتفاعات المباني ، طبقاً لعروض الشوارع . وارتفعت مثل ونصف عرض الشارع ، لتناطح المآذن الجميلة لمساجد القاهرة .

المرافق والخدمات :

حالة شبكة المياه بالمنطقة سيئة ، ومعظمها يحتاج لتجديد . وتزايد كمية الفاقد منها ، يوماً بعد يوم . وتوجد مشاكل ناتجة عن الحالة السيئة لشبكة الصرف ، وعدم كفاءتها . أهمها ، وجود رد عكسى ، ينتج عنه طفح للمجارى ، يؤثر على الصحة العامة ، وعلى المباني الأثرية . وزحف بعض من أجزاء مركز المدينة الحديث ، المجاور من ناحية الغرب ، الى القاهرة القديمة ، فى صورة شرايين عابرة (باترة) . كما أثقل توسيع شارع الأزهر - الذى يربط وسط المدينة الجديدة ، بطريق صلاح سالم السريع كاهلها ، بعبء كانت فى غنى عنه ، من وسائل مواصلات عابرة ، وحجم مرور ضخم ، أحدث فاصلاً بين جزئها الشمالى والجنوبى . هذا بالإضافة لانتشار القاهرة العصور الوسطى ، الى الخدمات العامة ، والاجتماعية . وعلى الأخص الخدمات التعليمية ، والصحية ، والمناطق الخضراء ، والخدمات الترفيهية ، والوحدات الاجتماعية .

المشاكل الاجتماعية :

ارتفاع معدلات الكثافة السكانية والتراحم ، من العوامل الأساسية فى تدهور المنطقة . وأدى ارتفاع القيمة التجارية عن مستوى دخل السكان ،

الى مشاركة أكثر من أسرة ، فى وحدة سكنية واحدة . واصبحت منطقة المقابر المجاورة للمنطقة . من جهة الشرق ، والغنية بآثارها الفريدة ، منطقة جذب للمهاجرين الفقراء الذين ينزحون الى القاهرة من الريف كما تستقبل المنطقة أعداداً متزايدة من الوافدين اليها ، لزيارة المباني الدينية والأثرية ، والتبرك بها فى المواسم ، مثل : مولد الحسين ، ومولد النبى (صلعم) وشهر رمضان ، والاعياد . فيتضاعف عدد الأهالى فى هذه المواسم بما يمثل عبئاً على خدمات المنطقة الحالية .

تأثير العوامل الطبيعية على المباني الأثرية :

ومن أهم هذه العوامل : مياه المطر اذا كانت بكميات كبيرة ، والرياح ، والأعاصير ، والصواعق ، والحرائق . وكذلك رطوبة التربة ، التى تحدث غالباً من طفح المجارى المتردة ، ومن ارتفاع منسوب المياه الجوفية بعد انشاء السد العالى ، وايضا ، التغيرات فى درجات الحرارة بين الصيف والشتاء ، وبين النهار والليل . وازدحام زائدة ، وأوزان أكثر من تلك التى صمم المبنى من أجلها . والاهتزازات الأرضية التى تحدثها وسائل النقل الحديث .

تدخل الانسان والاستخدامات السيئة للآثار :

أصبح كثير من القصور والخانات والوكالات مأوى للمهاجرين من الريف وعائلاتهم ، وايضا ملاذا لسكك المباني المنهارة . كما انه من الظواهر المنتشرة فى أيامنا الحالية ، احتلال المساجد بسكان انهارت مساكنهم . واستفحل المرض واستشرى فى معظم التجمعات الأثرية ، بتحويل أفنية وأحواش القصور والمنازل ، وادوارها الأرضية ، الى ورش نجارة ، وحدادة ، ومخازن لتجارة الجملة ، واستخدامات أخرى متعددة دخيلة تماماً على الاثر وعلى المنطقة .

القصور فى التشريعات والقوانين بالنسبة للحفاظ على الآثار :

لم تستطع أى من الهيئتين المختصتين ، سواء القديمة قدم الزمن وهى هيئة الأوقاف ، أو هيئة الآثار المصرية الاحداث عهداً ، وقف تدهور حال المدينة القديمة . كما أن أكثر من ٥٠٪ من العقارات الموجودة اوقاف اهلية ، لا يمكن التصرف فيها بالبيع . واصبحت هذه العقارات متجمدة تماماً ضد أى سبيل لتطويرها ، وفى حالة تدهور مستمر . وللأسف ، لم تتضمن قائمة الآثار المسجلة (٦٢٢ اثراً) ، التى أعدتها لجنة حفظ الآثار العربية ، كثيراً من المباني السكنية والتجارية ، والتى اعتبرتها اللجنة ، من وجهة نظرها ، أقل قيمة تاريخياً وتقيناً. فتركزت هذه المباني مهمة ، لتلقى مصيرها المحتوم ، بالانهيار أو الهدم . كذلك لاتفى الميزانية الضئيلة للغاية ، التى تحصل عليها هيئة الآثار ، باحتياجات صيانة ونظافة الآثار ، وحراستها . كما أن وزارة الأوقاف ، تحولت الى استثمار اموالها فى بناء عمارات سكنية والى بناء جوامع جديدة ، فى المناطق الحديثة ، بدلاً من انفاق مبالغ كبيرة ، على صيانة البعض القديم المتداعى منها ، فى المدينة القديمة . وذلك بالإضافة الى وجود عدة هيئات حكومية ، تتضارب وتتنازع سلطاتها داخل المنطقة .

الحل التخطيطي

المدخل للحل التخطيطي :

ان إحياء قاهرة العصور الوسطى الاسلامية ، هو عملية شمولية ، تتكامل وتتبلور فيها ، العلاقة بين ترميم الآثار والحفاظ عليها من ناحية ، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والحضرية للمجتمعات المرتبطة بهذه الآثار من جهة أخرى ،

ولاشك أن كلا من النشاطين متميز ومختلف عن الآخر ، فبينما يرتبط أحدهما بالتراث الثقافي والجمالي للعمارة الاسلامية ، فان الآخر ، يرتبط بالانسان الذى يعيش فى هذه المجتمعات ، مطورا ومنميا لظروفه الاقتصادية والاجتماعية ، والثقافية .

ان احياء التراث المعمارى الاسلامى هو مدخل حقيقى فعال لحل مشاكل قاهرة العصور الوسطى الحضرية المعاصرة . لأن التراث اذا ما فهم بعمق وحلل بتمعن واستيعاب ، وجدنا فيه الجذور والحلول للاستمرارية الحضرية والتنمية المستقبلية للانسان ومجتمعه ، فى توازن متوافق ، مع بيئته ، وخلفيته التراثية .

الهدف من الحل التخطيطى الشامل هو احياء الوحدة العضوية العمرانية لقاهرة العصور الوسطى ، والحفاظ على نسيجها العمرانى . وتنعكس هذه الوحدة ، فى حدود واضحة للمنطقة ، وشريان مركزى رئيسى حيوى (القصبه) ، يربط المدينة من الشمال الى الجنوب . وتتركز كل الأنشطة العضوية ، على هذا الشريان المركزى الحيوى ، كمراكز جاذبة ، متتابعة ، مفعمة بالحياة والحيوية . ويبدأ الشريان المركزى وينتهى أيضا عند نقاط جاذبة للأنشطة التجارية والسياحية المختلفة . ويتكرر مثل هذا النموذج لتكوين النسيج العمرانى ، فى تتابع ايقاعى للمجتمعات المحلية (وحدات اجتماعية اقتصادية) ، مثل : الخيامية ، الفحاميين ، النحاسيين ، مجمعة بواسطة الشريان المركزى الرئيسى . ولكل مجتمع محلى مركز محلى جاذب أو أكثر (يتمثل فى أثر ذى قيمة أو فى سوق حرفية منتجة) مرتبط بأنشطة السكان - وله أيضا حدوده ، وبدايته ونهايته . وكل هذه المجتمعات ، تتكامل فى وحدة كاملة كبيرة ، تربطها القصبه (الشريان المركزى الرئيسى للحياة والأنشطة) .

لذلك ، يجب معالجة المنطقة كوحدة من وجهة نظر وسائل النقل والمواصلات ، والخدمات والمرافق . ومن ثم فانه يلزم ابعاد النقل الآلى الى الحدود الخارجية للمنطقة . ويجب التخلص من حركة النقل الآلى المتدفقة فى شارع الأزهر ، وذلك بالأخذ فى الاعتبار ، عدة اختيارات تخطيطية ، والتي سوف توضح فى الحلول البديلة المختلفة . ويجب أن تعاد القصبه ، الى وضعها الأصلى كمجال لحركة ونشاط الانسان ، وذلك بتطهيرها من المرور الآلى .

تنقل أنشطة الصناعات وتجارة الجملة خارج المناطق السكنية والحضرية الى الحدود الخارجية للمجتمعات المحلية على كلا الجانبين ، حيث يمكن توفير الخدمات ، بواسطة طرق للسيارات وكذلك توفير مخارج للطوارئ (للحريق والاسعاف) ، ومساحات انتظار للسيارات ، للسياح وللخدمات الأخرى .

بدائل الحلول المختلفة :

بناء على المبادئ التصميمية سألقة الذكر ، طورت مجموعة الباحثين عدة حلول تخطيطية بديلة :

البديل الأول : ابقاء قاهرة العصور الوسطى كما هى موجودة حاليا ، مع استمرار المرور الآلى فى شارع الأزهر ، قاطعا لها . ولكن فى نفس الوقت يتم تطوير تدريجى وتنمية حضرية للمجتمع والبيئة المحلية .

البديل الثانى : وهو حل تخطيطى شامل ، لاهياء تكوين النسيج العمرانى لقاهرة العصور الوسطى ، فى شكل مجتمعات حضرية متتابعة ، لكل منها ، مركزه الحضارى أو الحرفى ، وكلها مجمعة فى وحدة واحدة ، بواسطة الشريان المركزى الرئيسى للمشاة (القصبه) ، والتي تتركز عليه الأنشطة المختلفة المفعمة بالحيوية والحياة والتنوع .

والمميزات الرئيسية لهذا التخطيط ، هى :

نقل تدفق المرور من شارع الأزهر ، بالنزول به الى نفق تحت الأرض ، لإخلاء مستوى الشارع للمشاة ، ولربط الشريان المركزى الرئيسى بالحى الجامعى (جامعة الأزهر) . تحديد خمسة مجتمعات محلية كمجال لعملية الاحياء . تخصص المناطق المحيطة بكل مجتمع محلى لأغراض الاحلال الداخلى للأنشطة والمنافع .

ويرتبط كل مركز من مراكز المجتمعات المحلية بمجموعة من الآثار ، سوف تكون النواة لعملية الترميم واعادة بناء الآثار .

البديل الثالث : وهو مثل البديل الثانى ، فيه عدا طريقة معالجة شارع الأزهر الذى يرفع فيه ، كطريق علوى معلق ، فوق قاهرة العصور الوسطى .

البديل الرابع : وهو يحافظ على الفكرة الأساسية للبديلين الثانى والثالث ، فيما يختص بتحديد خمسة مجتمعات متتابعة . ويختلف عنهما . فى انه يوقف تدفق المرور فى شارع الأزهر ، عن طريق خلق نهايتين مغلقتين ، تنتهى كل منهما برحابة ومكان لانتظار السيارات ، على كل من طرفى الشارع : واحدة عند شارع بورسعيد ، لخدمة الاستعمال التجارى لتجارة الجملة . والاخرى لخدمة التجمع الثقافى الدينى التعليمى ، متمثلا فى جامعة الأزهر ، ومسجد الحسين .

تقويم البدائل لاختيار أفضل الحلول :

أخبرت البدائل الأربعة ، وقومت ، فى شكل تقويم جدولى ، أجرى بالنقاط . وكان معيار التقويم ، مؤسسا على ثلاثة معايير رئيسية : هى البيئة والانسان والمعاصرة .

البيئة : وتشمل الشق الثقافى : مثل القيم الحضارية والتراث الحضارى والشق الطبيعى : والطابع العام للبيئة وتكامل المنطقة أو عزها والتاريخ والطبيعة والحركة فى المنطقة .

الانسان : ثقافيا وأنماط المعيشة والكثافة السكانية والاستعمالات وإعادة تنظيمها والتسكين وإعادة التسكين .

وتم اختيار البديل الثانى كحل أفضل وطور بالتفصيل فى المشروع المقترح .

المعاصرة فى استخدام التخطيط والتكنولوجيا : ويتضمن هذا المعيار : استخدام التكنولوجيا لتحقيق الاقتصاد ووسائل وطرق النقل والمرور وارتباطها بالمدينة ككل .

تفاصيل الحل المختار

يتسم الحل المختار بالآتى :

اعلان قاهرة العصور الوسطى ، كمنطقة تاريخية ، تخضع لقوانين خاصة ، بالنسبة لجميع أعمال التخطيط والبناء والترميم .
انشاء هيئة عليا لحياء قاهرة العصور الوسطى ، يفوض اليها ، التحكم فى أنشطة التخطيط والبناء والترميم فى المنطقة .
تركيز عملية الاحياء على التكامل بين ترميم وإعادة بناء الآثار ، وتطوير الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات المحلية .

تحديد الأحياء المحلية الخمسة :

يمكن تحديد المجتمعات المحلية (أو الأحياء) فى قاهرة العصور الوسطى ، كخمسة مجتمعات متتابعة ، هى بدءا من الشمال ، كالاتى : مجتمع باب النصر - مجتمع قلاوون - مجتمع الغورى والأزهر - مجتمع المؤيد - مجتمع الخيامية .

لكل مجتمع محلى (أو حى) مركزه التاريخى والحرفى . وفى كل مجتمع يجب أن يركز فيه على عملية ترميم وإعادة بناء مجموعة آثاره التاريخية ، وعلى تنمية أنشطة اجتماعية واقتصادية ، بالإضافة للأنشطة الثقافية والسياحية .

تبدأ عملية الاحلال ، بمخلخلة الكثافة السكانية فى مجتمع باب النصر . وذلك بنقل جزء من السكان الى اسكان جديد ، خارج المنطقة وسوف يترقب على ذلك احلال داخلى للأنشطة والاستخدامات فى كل مجتمع محلى .

نقل الصناعات وتجارة الجملة غير المرغوب فيها الى الحدود الخارجية للمجتمعات المحلية .

احياء نشاطات ثقافية ذات طابع خاص جذاب ، مثل : الأعياد الدينية ، والاحتفالات ، والفنون الشعبية ، فى تطوير وتنمية عملية الاحياء .

أولوية الاختيار لثلاثة أحياء محلية كنواة لعملية الاحياء :

اختيرت ثلاث مناطق (أو أحياء) ، لتكون نواة لعملية الاحياء وتكون أمثلة لدراسة ومعالجة وصيانة آثار القاهرة الاسلامية ، وهى :

باب النصر - قلاوون - باب زويلة .

اعتمد اختيار هذه المناطق (أو الاحياء) ، على وجود مميزات واضحة فى كل منها : من حيث موقعها ، حيث تمثل المنطقتان الأولى والثالثة ، بدايات لشريان الحفاظ ، بينما تمثل الثانية مركزا هاما لقاهرة العصور الوسطى .

تحتوى كل من هذه المناطق ، على عدد من الآثار الهامة ، من مختلف العصور الاسلامية . كذلك تمكن هذه الآثار ، بعد ترميمها واحياء المناطق المحيطة بها ، من الناحية التخطيطية ، والمعمارية والاجتماعية ، من الحصول على النتائج التالية : الوصول الى الأشكال الجمالية الحقيقية للمجموعات الأثرية - تجانس المباني المحيطة والآثار - إعادة استخدام المباني الأثرية فى الحياة اليومية - ابراز المعالم الأثرية فى المنطقة ، والحفاظة على المباني التاريخية ، وازالة المباني الدخيلة والمشوهة للمنطقة - ابراز القيم الفنية الرائعة للتصميم المعمارى للمباني الأثرية .

أجريت الدراسات الأولية للمناطق الثلاث المختارة ، من الناحية الأثرية ، والتاريخية ، وأعمال الترميم ، والتقدير المالى اللازم لترميم كل أثر .

دراسة تفصيلية لحي باب زويلة ، كنموذج لدراسة الاحياء لحي :

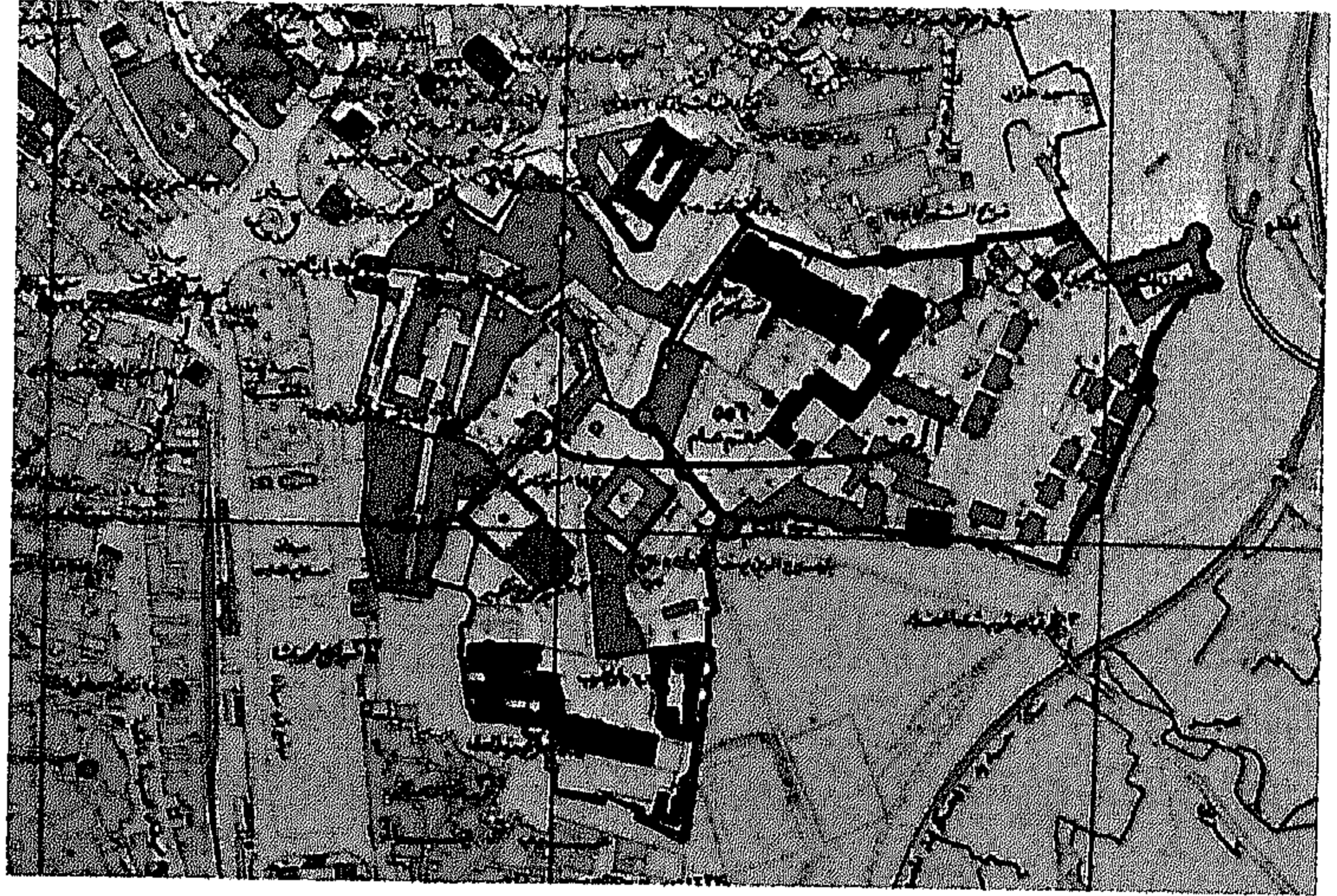
تمثل هذه المنطقة (أو الحى المحلى) مجموعة أثرية نادرة ، اذ تشمل : جامع المؤيد ، وزاوية الست نفيسة ، ومسجد الصالح طلائع وسقيفة رضوان بك ، وغيرها . وهذه الآثار تنتمى الى حقبة تاريخية تبدأ من الفاطميين حتى المماليك . وتعيش هذه المجموعة وسط مجتمع متدفق الحيوية ، تتنوع فيه الأنشطة الحرفية والانتاجية ، وتغلب عليها الحرف المتعلقة بالخيام ، والسرادات والأقمشة .

فى اتجاه معاكس تماما ، لهذا التجمع الحضارى الرائع ، تدمر الاستعمالات الرئيسية للشوارع والأماكن العامة ، معنى وجمال هذا التجمع . فيحتل أفنية قسبة رضوان ، ورش لتصنيع الأبواب والشبابيك وتقطيع الأخشاب ، مستعملة آلات ثقيلة ، ومستلزمة حركة نقل آلية مستمرة . كما تزدحم السقيفة بسكنى كثير من العائلات التى أساءت استعمال المكان . وتحجب فوضى المرور الآلى وحركته حول باب زويلة وميدان الصالح طلائع أية امكانية للاحساس البصرى بتكامل الموقع وجماله .

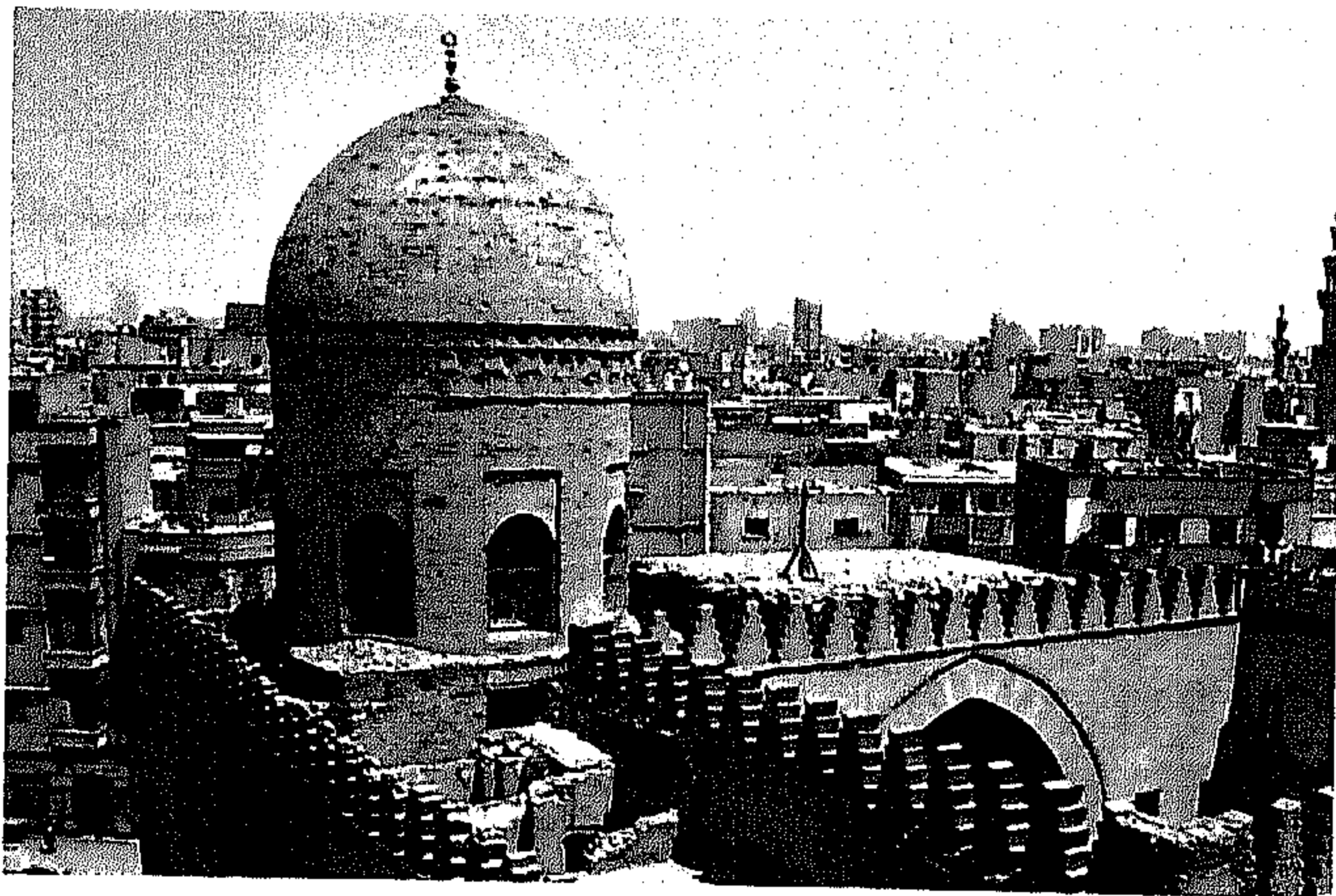
تقوم الفكرة الأساسية لتطوير هذه المنطقة على وجود مركز تنبع منه امكانية تنمية الموقع المحيط به ، انتاجيا وحضاريا .



٢٣٠ بيت الكرتيلية - القاهرة



٢٢٧ خريطة القلعة - القاهرة



٢٣١ جامع مرغتمش - القاهرة



٢٢٨ جامع السلطان حسن ومسجد الرفاعي - القاهرة



٢٢٩ جامع محمد علي - القاهرة

اختصاصات كل من هيئة انقاذ آثار النوبة وجهاز تهجير وتوطين أهالى النوبة وتتلقى المساهمات المالية المحلية والدولية الى جانب الاعتمادات المالية التى تقررها الدولة . وتتخذ الهيئة جميع الاجراءات لتنفيذ خطة احياء القاهرة القديمة عمرانيا وصيانة آثارها بواسطة امكانياتها الفنية أو بالاستعانة ببيوت الخبرة المتخصصة على المستويين المحلى والدولى .

ويمكن تلخيص نتائج الدراسات فى التوصيات التفصيلية التالية :

أولا : بالنسبة للتخطيط العمرانى لإحياء وتنمية المنطقة :

- خلخلة الكثافات السكانية ونقل الصناعات الحرفية من على جانبي المحور الرئيسى لموقع القاهرة العصور الوسطى (شارع المعز لدين الله الفاطمى) وامتداده جنوبا الى مناطق جديدة محددة على المشروع التخطيطى المقترح وذلك بغرض تخفيف الضغط الذى يؤدي الى تلوث البيئة والاضرار بالآثار التى تتركز فى مجموعات على جانب هذا المحور .
- تنظيم معايير لوسائل المرور والنقل بالمنطقة مع الأخذ فى الاعتبار توفير الأماكن المناسبة واللازمة لانتظار السيارات فى الساحات أو الرحبات المقترحة ومنع المرور العابر بالمنطقة وذلك بتحويل مسار السيارات الى نفق تحت أرض شارع الأزهر الذى سيخصص للمشاة .
- الاسراع فى اصلاح وتطوير شبكات المرافق (مياه - كهرباء - صرف صحى) ووضع برامج عاجلة وطويلة المدى لاصلاحها وكذلك تحسين وصيانة الطرق ونظافتها وتوفير نظام صحى لجمع القمامة يتناسب والمظهر العام للمنطقة .
- وضع برامج أولية عاجلة للمناطق الثلاث المختارة ولفترة زمنية ، أربع سنوات . تهدف هذه البرامج الى ترميم الآثار ووضع الاسس والمعايير التصميمية للمباني الجديدة بها واسلوب تطبيق هذه الاسس مع مراعاة ماوضع فى الحل التخطيطى لدور وظيفة مناطق الاحلال بهدف تخفيض الكثافات السكانية وتحسين حالة القائم منها وتحسين المواقع من تنمية وتطوير وادخال الآثار بهذه المناطق لتؤدى دورها فى الحياة اليومية وذلك باحياء واعادة توظيفها بما يتناسب وحالتها .

ثانيا : بالنسبة للآثار :

تمت دراسة حالة الآثار فى ثلاث مناطق من الموقع تحتوى على آثار هامة وتم تقدير التكلفة التقديرية للترميم المطلوب بصفة عاجلة حفاظا لهذه الآثار من التهالك والتداعى واعادتها لحالة مناسبة وبلغت القيمة التقديرية ٦٠٠٠٤٢٠ جنيه (ستة ملايين وأربعمائة وعشرون الفا من الجنيهات) تستغرق هذه الأعمال حوالى أربع سنوات .

تقترح مجموعة العمل البدء فورا فى دراسة مناطق أخرى تحتوى على مجموعات من الآثار الهامة داخل وخارج موقع القاهرة العصور الوسطى وعلى الأخص مناطق ذات أهمية اثرية خاصة مثل : منطقة القلعة - منطقة الجبانات - منطقة مصر القديمة والفسطاط - منطقة بولاق .

تشمل مراحل الاحياء : خلخلة منطقة الاحلال ، بنقل الأنشطة والسكان منها . وتهيئة الأرحبة ، وطرق التوصيل والخدمة ، والبدء فى تجهيز المرافق والخدمات ، وبلى ذلك ، عرض قطع الأراضى بها للايجار أو الحكر على مدى طويل . وتنقل الورش الثقيلة وكافة الأنشطة الدخيلة على طبيعة المنطقة الى خارجها . ثم البدء فى محورى الاحياء ، فى توقيت واحد :

فى محور الحفاظ : اعادة بناء الأجزاء المتهدمة من سقيفة وقصبة رضوان بك ، وتكتملتها بوحدات متجانسة مع الوحدات السكنية التى تعلق المحلات . وبناء مجموعتين معماريتين فى رحاب قصبة رضوان .

فى محور التجديد : وصل سقيفة قصبة رضوان بالرحاب وبمنطقة الاحلال . وتجديد الأنشطة التراثية التى تقع على المسار الموصل بينهما . وبناء الحمامات والحدايق على جانبيه . والبدء فى تجهيز مواقع المراكز الحرفية فى حيز الرحاب ، وعلى جانبيه ، وفى منطقة الاحلال .

تنظم عملية الاحياء فى منطقة الخيامية خمس لجان عمل أو أجهزة تنفيذية لبدء وتشغيل أنشطة ومتطلبات عملية الاحياء ، وهى : جهاز المجتمعات الحرفية التصميمية المنتجة . وجهاز احياء التراث لتنمية المجتمع ولجنة المحمل ، ولجنة الاحتفالات الشعبية والموسمية ، ولجنة الأسواق .

وبواسطة هذه الأجهزة ، ترسخ عملية الاحياء ، فى بنى المجتمع المحلى وبالتالى ، لانتهى مهمة الاحياء بانتهاء العمل فى الترميم أو التجديد ، وإنما تستمر فى حياة المجتمع المحلى وتطويره .

التوصيات

وفى ضوء دراسة الأوضاع والمشاكل الحالية لمنطقة القاهرة العصور الوسطى والحلول التخطيطية والعمرانية المقترحة واسلوب الحفاظ على آثارها ، فإنا نرجل التوصيات التى توصلت اليها مجموعة العمل فيما يلى :-

أن يكون العمل على مستويين : أولا على المستوى الكلى لموقع القاهرة العصور الوسطى . وثانيا على مستوى مناطق مختارة بالموقع تحتوى على مجموعات من الآثار ذات أهمية وألوية يمكن اعادة النظر فيها بعد دراسة دقيقة متتالية .

ان يبدأ برنامج لتحسين وتطوير البيئة ككل شاملا قطاعات الاسكان والأنشطة الاقتصادية والخدمات العامة والاجتماعية والمرافق وان يتكامل هذا البرنامج مع سياسة وبرنامج الحفاظ على الآثار .

ان يتم انشاء هيئة عليا لحياء القاهرة القديمة والحفاظ على آثارها لها كافة الصلاحيات الفنية والمالية والادارية والقانونية بحيث يجمع عملها بين

ثم عمل دراسة مبدئية لتقدير المبالغ اللازمة للصيانة والانقاذ العاجل (كاسعاف) للآثار الاسلامية والقبطية بالقاهرة وتبلغ هذه القيمة حوالى ٢٥٠٠٠ ٠٠٠ جنيه (خمسة وعشرين مليون جنيه) ويقترح البدء فورا بعمل الدراسات التفصيلية ومشروعات الترميم لكافة هذه الآثار .

يجب البدء فورا فى اجراء المسح الأثرى لتصحيح وضبط قوائم تسجيل الآثار واضافة كل ما يرق لمستوى الأثر من المباني التاريخية الى هذه القوائم حتى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

عدم التصرف أو تعديل أو صيانة أو ترميم أى مبنى اثرى أو أى مبان ذات طابع تاريخى حتى غير المسجلة منها فى قوائم الآثار الا بعد الرجوع للهيئة العليا المقترحة سالفه الذكر .

إعاشة الآثار فى الحياة اليومية بعد ترميمها لضمان صيانتها وعلى سبيل المثال يمكن استخدام بعض الوكالات كأماكن للصناعات التقليدية والحرفية والفنية مع اصلاح الطوابق السكنية العلوية منها لتخدم نفس الأغراض . وقد يستغل بعضها وكذلك المنازل والقصور كفنادق سياحية أو إستديوهات للفنانين .

ضرورة معالجة المباني المجاورة للآثار أو الواقعة فى نطاقها بحيث يتاح استغلالها فى الأنشطة التجارية والحرفية السياحية بواسطة أهالى الحى بأسلوب متطور بحيث تعطى لهم عائدا مجزيا يشجعهم ويقنعهم بانهم أول المستفيدين من الحفاظ على الآثار .

البدء فورا فى عمل أبحاث التربة والمياه الجوفية فى مناطق الآثار وتجنيد الخبرات المحلية والعالمية لاقتراح الحلول لمشكلة تآكل أساسات وجدران الآثار بسبب ارتفاع المياه الجوفية فى المنطقة الأثرية نتيجة لثبات مستوى نهر النيل بعد السد العالى ونتيجة رشح المياه من شبكات المياه والصرف الصحى .

تطور قطاع الآثار يشمل رفع مستوى العاملين فى قطاع الآثار الاسلامية والقبطية وتنمية كفاءتهم الانتاجية عن طريق التدريب ورسم سياسة محددة للتدريب سواء فى مراكز تدريبية محلية أو بالخارج أو فى دورات متخصصة . والعناية بالصناع والحرفيين العاملين فى مجال ترميم الآثار وفى مجال الحرف والصناعات التقليدية وتدريبهم وتنظيم زياراتهم للاستفادة بالأساليب المتطورة والمستعملة لصيانة المباني الأثرية فى الدول المتقدمة واصدار حوليات عملية محلية عن الآثار الاسلامية مع التركيز على الآثار الاسلامية فى مصر .

ثالثا : توصيات عامة :

عمل البرامج اللازمة لتنمية الوعي بأهمية المنطقة بما فى ذلك الدعوة فى المساجد واشراك سكان المنطقة فى أى لجان لمتابعة عمليات التطوير والاحياء والصيانة .

الدعوة الى تأكيد وتنمية الوعي بأهمية الحفاظ على الآثار والمناطق الأثرية بالمدارس وبمستويات التعليم العام المختلفة والجامعات وكليات واقسام العمارة بكليات الهندسة والفنون الجميلة .

التوعية عن طريق جميع وسائل الاعلام بحملة مستمرة للتعريف بمنطقة القاهرة التاريخية وآثارها وتراثها الحضارى الذى لا مثيل له فى العالم .

الاعلام والتوعية عن طريق وزارة السياحة لجذب وتنظيم السياحة الى المنطقة لانعاشها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا الى جانب توفير الخدمات العامة والاجتماعية فى هذه المناطق .

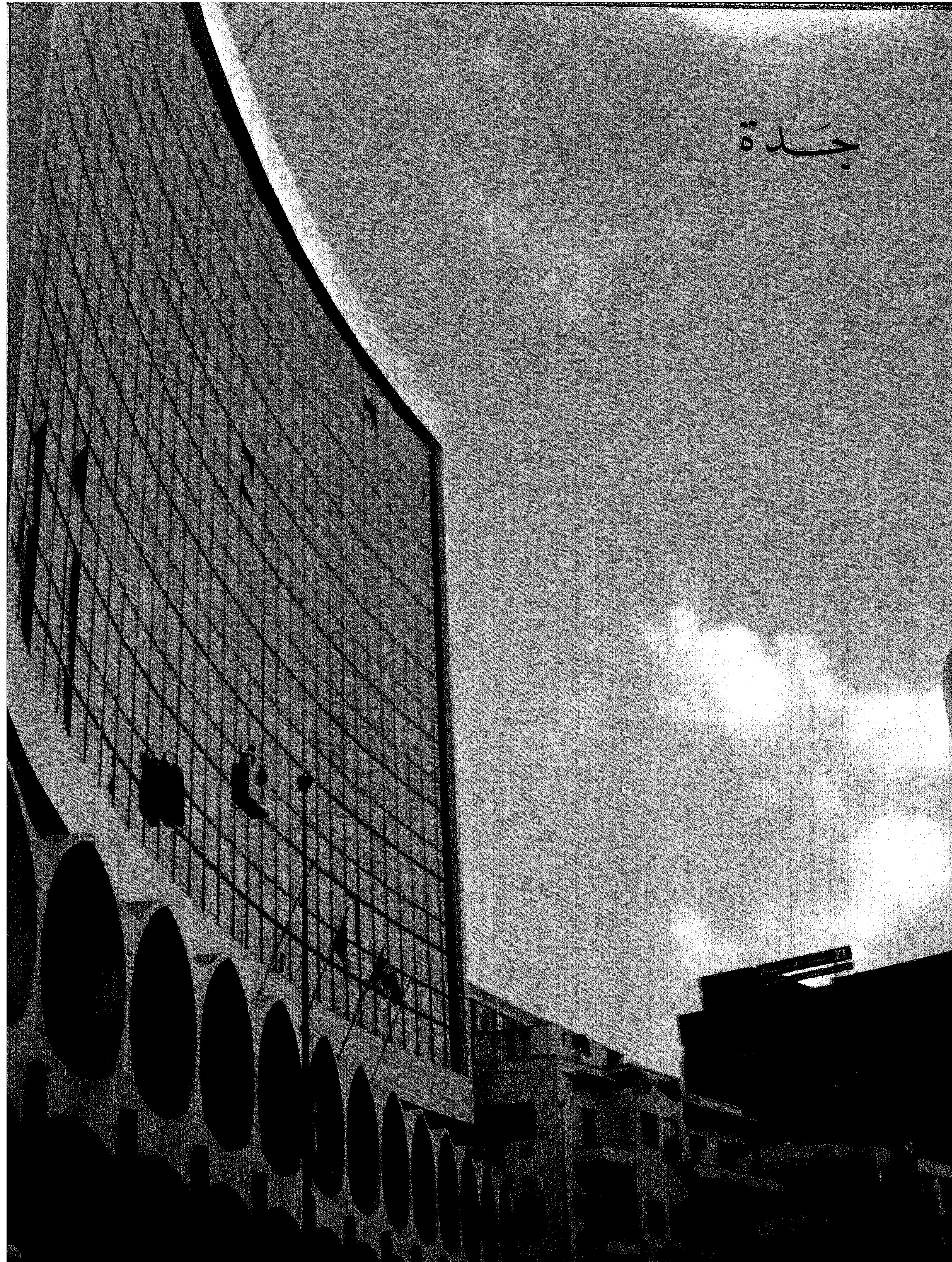
تقوم الهيئة العليا المقترحة برسم سياسات التنمية الاقتصادية (التجارية والحرفية والسياحية) وسياسات الاسكان والخدمات المختلفة التى تهدف الى تنمية واحياء المنطقة .

تضع الهيئة المقترحة السياسات والأسس والمعايير واللوائح المحلية لأساليب البناء والقرارات المنظمة لها وكذا طرق ومواد الانشاء التى يجب ان تستخدم بالمنطقة مع وجود صلاحيات الهيئة بغرض فرض قيود على الارتفاعات حفاظا على الخط السماوى والطابع العام للمنطقة .

تقوم الهيئة المقترحة بتنسيق مختلف المناطق والاهتمام بتنسيق واستغلال الفراغات المدنية المختلفة من ميادين عامة وبممرات مشاة ورحبات وطرق وذلك باختيار وتحديد انواع التشجير والمقاعد وعناصر الاضاءة والاعلان بالمجال التجارية ومواد الرصف بما يعطى ويحقق المظهر المناسب كحرم للآثار .

حل مشاكل الاسكان بالمنطقة وذلك بعمل مشاريع للاسكان العاجل والاسكان الاقتصادى بالتعاون مع الهيئات الدولية (ماثلا لمشروع الضويقة ومنشية ناصر) .

جدة



جدة القديمة والحديثة

محمد سعيد فارسي وحزمة ابراهيم عامر

مقدمة

فيما يلي مقتطفات من بحث مستفيض بعنوان خصائص العمارة الاسلامية في الجزيرة العربية وأثرها في تخطيط مدينة جدة القديمة والحديثة قدم إلى ندوة المدينة العربية ، وقد تم نشره في هيئة مستقلة من قبل ادارة الأبحاث بأمانة مدينة جدة .

جدة .. القديمة ..

جدة واحدة من أقدم المدن - كانت ومازالت البوابة لزوار البيت العتيق القادمين بالبر أو بالبحر للحج أو للتجارة - وقدما كانت الجدة السهل المنبسط على ساحل البحر - مناخ الأهل قبل الصعود الى مرتفعات الحجاز الى الوادي غير ذى زرع عبر فتحة وحيدة فريدة في سلسلة جبال السروات المتصلة .

ويحكى التاريخ أنها كانت قرية تقوم على الصيد وأن ماء الشرب فيها عزيز يجلبه قاطنوها من تحت مرتفعاتها الشرقية وكانت مساكنهم عرائش متواضعة - وكانت جدة مرعى بما حولها من سهول ووديان .. وكانت مساكن (قضاة) .. وهى أول من نزع من قبائل معد بن عدنان في القرن الثاني قبل الميلاد - ومعد هو الجد التاسع عشر لرسول الله ﷺ أى قبل الاسلام بحوالى ثمانية قرون (عبد القدوس الانصارى - تاريخ مدينة جدة) .

وهناك تشابه يكاد يصل الى حد التطابق بين تخطيط مدينة مأرب القديمة (جورجى زيدان) وتخطيط مدينة جدة القديمة كما رسمها ابن الجاور - ومدينة الجار القديمة - شمال جدة كما رسمها عبد القدوس الانصارى .

ولقد وصف سور جدة عدد من الرحالة الذين شاهدوه وهو قائم الى عهد قريب حتى عام ١٩٤٧ - ١٣٦٧هـ . وكانت جدة القديمة نموذجاً لمدينة اسلامية من طراز خاص .. فهى بوابة الحرم الشريف - وهى ميناء تجارى مناخه حار رطب وترتبطها ملححة جيوية - ومحصورة داخل السور - وكانت بيوتها من أحجار الكاشور الجيوية وهو الحجر الجيري المرجاني الذى كان يقطع من شاطئ البحر ومادة البناء هى الطين من بحر الطين (بحيرة الأربعين) في شمال المدينة القديمة يجلبه السيل المنجرف من وادى بنى مالك ليصب في هذه البحيرة - وكان يتم تدعيم الاحجار غير المستوية الشكل أو الحجم بعروق خشبية لضبط المنسوب الافقى للبناء وكذلك

منسوب الواجهات .. وكانت بيوت جدة متعددة الأدوار - بيضاء اللون الا من العروق الخشبية التى كانت تترك على لونها الطبيعى - وكانت تغطى فتحاتها العريضة رواشين خشبية وأبواب خشبية وكانت معظمها محلاة بعقود مدبية والقليل منها بعقود مستديرة وتعكس في ذلك طرازاً هندياً عربياً للنقش على الخشب .

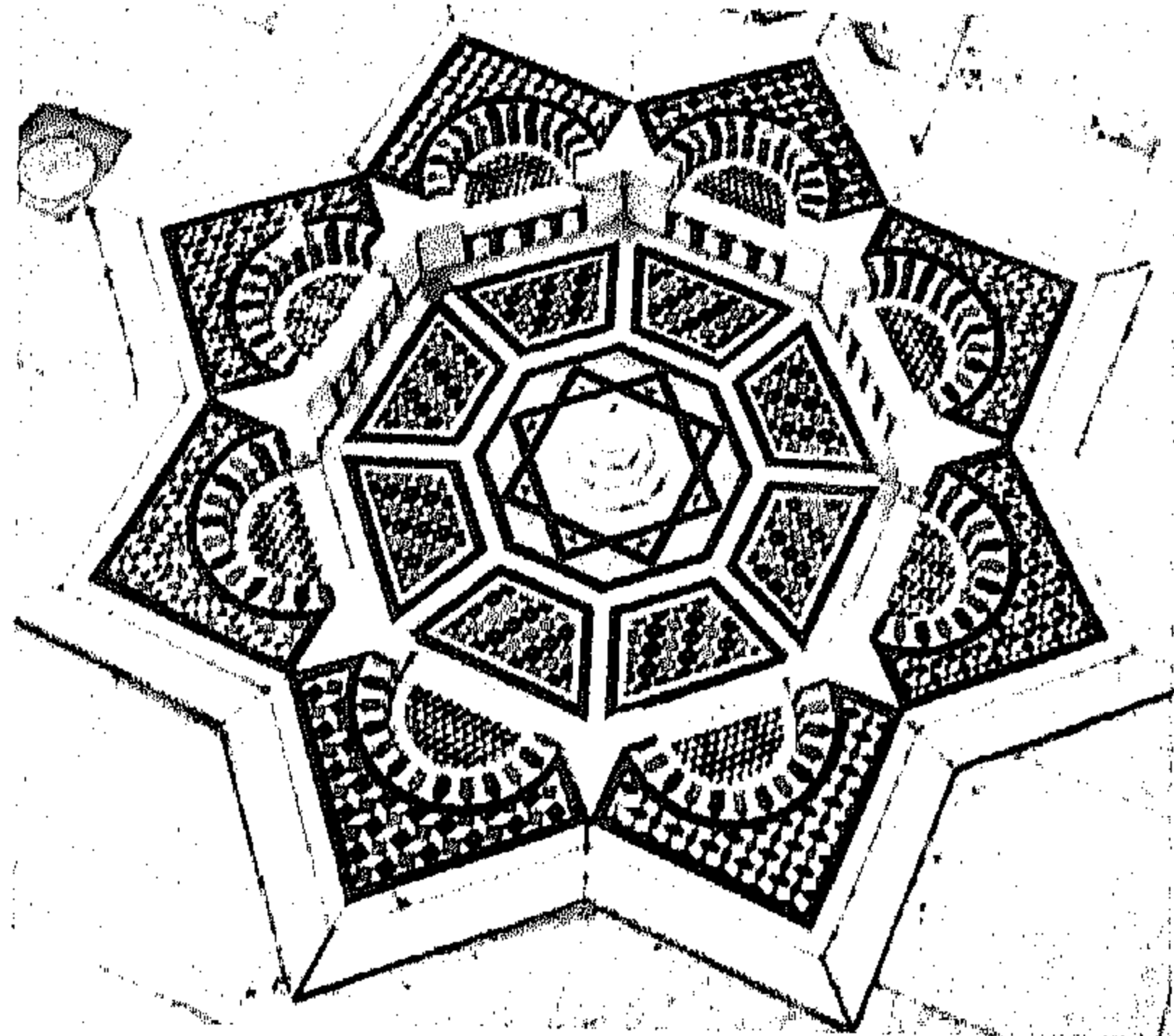
وكان أهل جدة في تصميمهم بيوتهم لأنفسهم - حريصين على وفائها بأحكام البيت المسلم - فكان الدور الارضى للاستقبال والأول مضيئة والثاني والثالث لأهل البيت - والسطح للسمر والسهر وهو بديل الحوش في البيت المتسع ذى الامتداد الأفقى .. وكانت البيوت مترابطة في حارات معروفة وواجهاتها ذات اتجاهات مختلفة يظلل البيت على جواره لتخفيف حدة الحرارة وتخلق تيارات ينشأ عنها نفحات من النسيم في أيام الحرارة الشديدة .. وكانت حارات جدة .. كلها أسرة مسلمة واحدة وان اختلفت أصولها تحافظ على تقاليد اجتماعية راسخة في التآزر والتآخي

وهكذا يحمل التراث المعماري لمدينة جدة بصمات اسلامية واضحة ذات علاقة كبيرة مع ماكان يسود الجزيرة العربية قبل الاسلام - وتأصل ذلك التراث وأخذ طابعاً مميزاً لجميع مدن الحجاز بعد الاسلام - ومثال ذلك مكة المكرمة والطائف وينبع .. وحتى بور سودان وسواكن على الجانب الآخر من البحر .

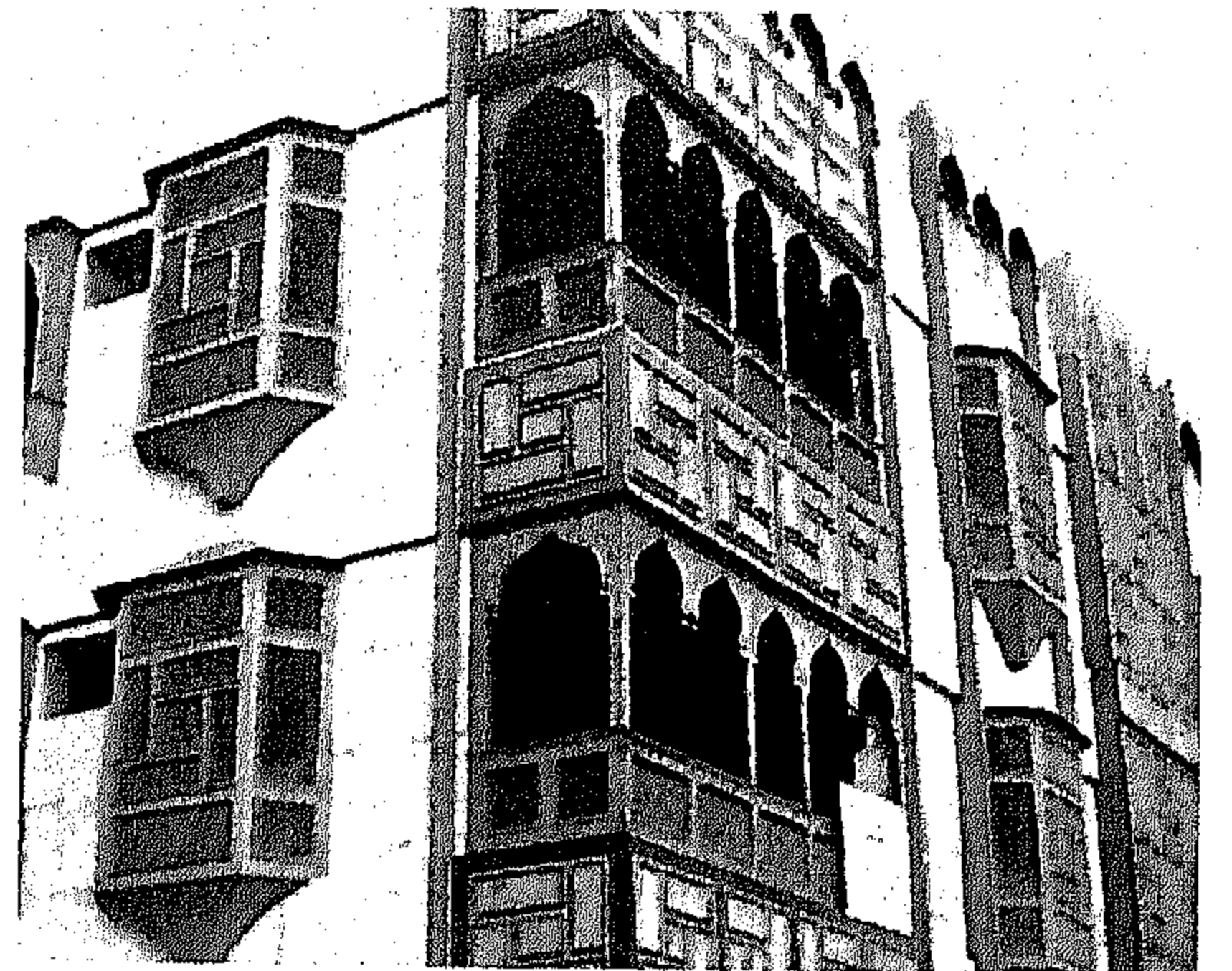
وقد اشتملت جدة القديمة على عدة أنواع من المباني هنى المساجد والخانات والمستودعات والبيوت والمباني العامة .

وكانت مآذن مساجد مدينة جدة البيضاء العالية هى العلامة المميزة لها يراها المرء من البحر من على بعد كبير ومازالت هذه المساجد حتى اليوم تحمل السمات الاسلامية الأساسية في البساطة وأهمها مسجد الحنفى الذى تأسس عام ٦٤٩هـ ومسجد عثمان بن عفان والذى تم انشاؤه في القرن التاسع أو العاشر الهجرى .

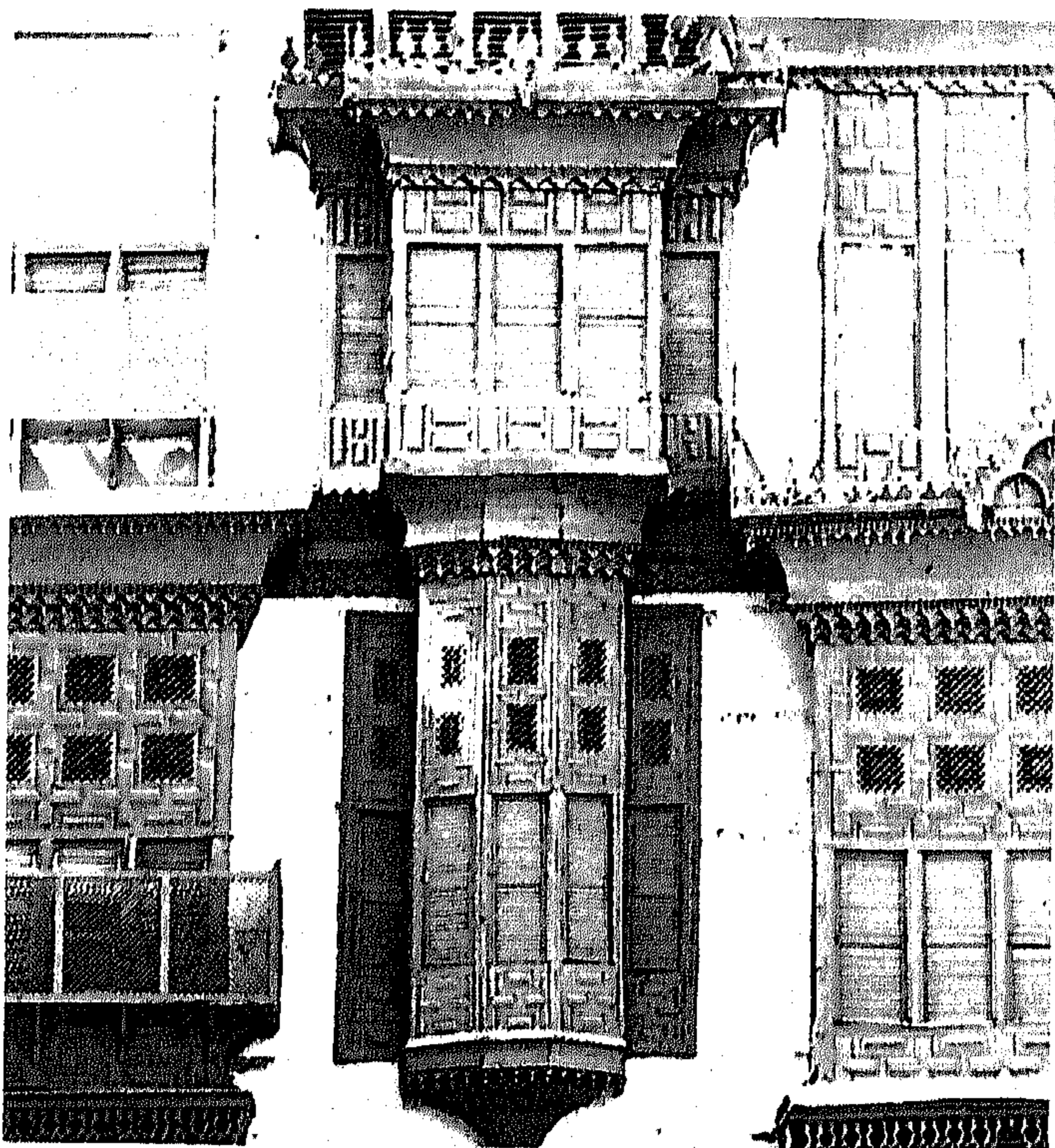
وقد بنيت مساجد جدة - مثل بيوتها من الحجر الجيري المرجاني وغطيت بمادة المصيص الجيرى - ولها فتحات نوافذ صغيرة والتحليات فيها بأشكال بسيطة سطحية وليس لها قباب بالمعنى المعروف ولها معذنة واحدة - وأجملها معذنتا مسجدى الشافعى وأبو حنيفة .



٢٣٦ فسقية (شافورة) من الرخام
المحلي - جدة الحديثة



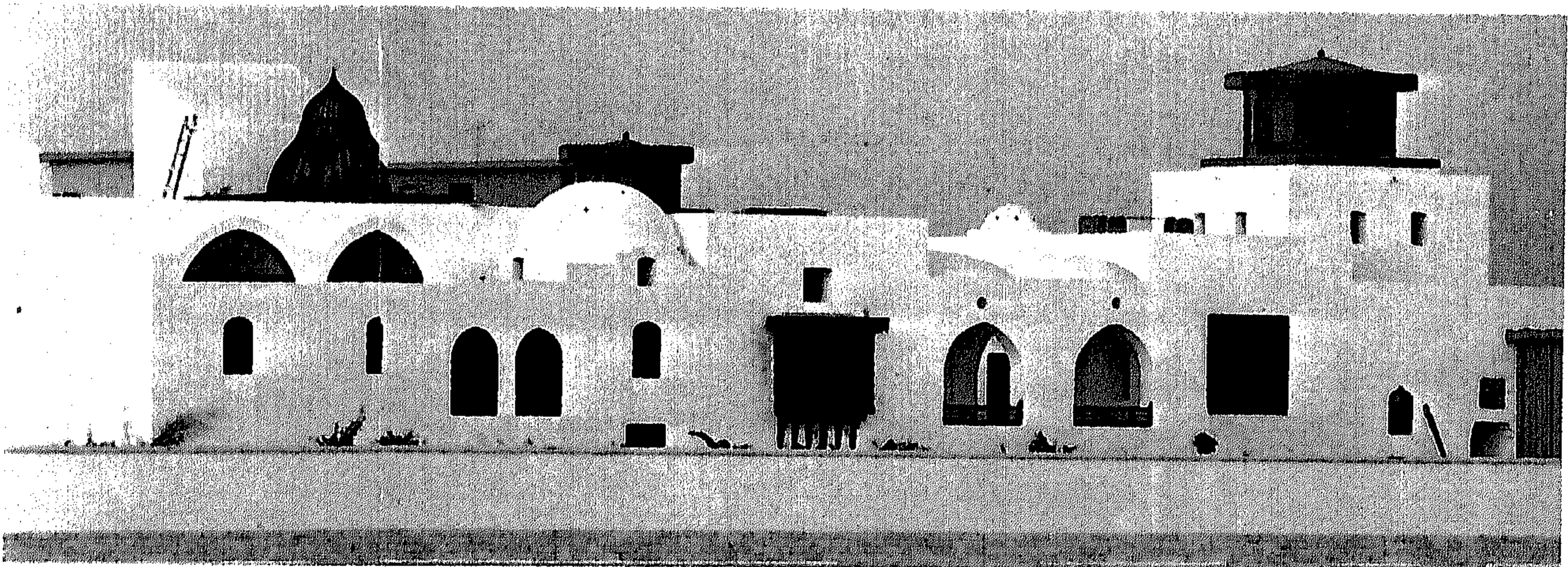
٢٣٣ الرواشين في جدة الحديثة



٢٣٧ الرواشين على بيوت جدة القديمة



٢٣٤ الرواشين في جدة الحديثة



٢٣٥ بيت آل سليمان - جدة الحديثة

جدة الحديثة ..

وحارات جدة أصبحت اليوم أحياء تزيد على الخمسين حتى تغطي من المساحة ما يزيد عن ٢٥٠ كيلو مترا مربعا ويسكنها حوالي مليون وثلاث نسمة .

ولقد هيأت الظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة الآن في مدينة جدة - ومعظم مدن المملكة العربية السعودية - المناخ المناسب لإحياء العمارة الاسلامية لأن معظم المواطنين يبنون بيوتا خاصة بهم لسكنائها وأسهرهم فقط وبدون الهدف الى الاستغلال الاقتصادي . وهذا بالطبع غير بيوتهم الأخرى التي تبنى بهدف تأجيرها للوافدين المشاركين في تنفيذ خطط التنمية الكبيرة .. وتختلف قوة الدعوة الى احياء العمارة الاسلامية بمدى حماس الاجهزة الحكومية القائمة على التخطيط العمراني والمتابعة المحلية .

وفي سبيل احياء العمارة الاسلامية في جدة تقوم أمانة المدينة بتنفيذ وتطبيق خطة تعتمد على النقاط التالية :

- المحافظة على المدينة القديمة بكامل بيوتها ذات الأهمية العمرانية الخاصة ، وإعادة ترميمها بتشجيع أصحابها على إعادة تخطيط استخداماتها لتحويل من أطلال قديمة الى أسواق ومطاعم لأكلات شعبية أو مصانع يدوية لمنتجات محلية أو شكت على الانقراض مع زحف الانتاج الجاهز التصنيع .
- تشجيع أصحاب البيوت التي تم بناؤها على النمط العربي على ستر شرفاتها بمشربيات خشبية بسيطة مع إعادة الطلاء باللون الأبيض ابتداء من استخدام الجير (النورة) أو الطرطشة أو الرخام الأبيض المحلى .. وهكذا ظهرت في شوارع جدة بيوت حديثة مغطاة برواشين خشبية . اتجاه قوى واستعداد طيب من أصحابها للعودة الى الشكل الاسلامي المحافظ .
- تجميل شوارع المدينة بأشكال مستوحاة من التراث الاسلامي في المآذن والأهلة والسيوف والخط العربي .
- تدقق الأمانة في منح تراخيص للأبنية الجديدة - بحيث يتم مراعاة خصائص العمارة الاسلامية في الاستخدامات الداخلية والتصميم الخارجي . وفي سبيل ذلك خصصت الأمانة جائزة سنوية للمباني المتميزة في الأحياء المختلفة والتي تم تنفيذها خلال العام وحافظ مصممها ومالكها على الهوية الاسلامية .
- تبنيت الأمانة الدعوة الى جائزة عربية تمنحها منظمة المدن العربية لأحسن مبنى لمرفق عام في مدينة عضو يراعى خصائص العمارة الاسلامية في التصميم .
- تبنيت الأمانة الدعوة الى اقامة معرض المدينة العربية بهدف الاعلام والدعوة بالنماذج التي تم تنفيذها فعلا - الى احياء العمارة الاسلامية - والتعريف بالنهضة الشاملة للمدن العربية الى جانب تبنى الدعوة الى انشاء مركز للمعلومات يتم فيه تجميع كافة المعلومات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للمدن العربية القديمة والحديثة .

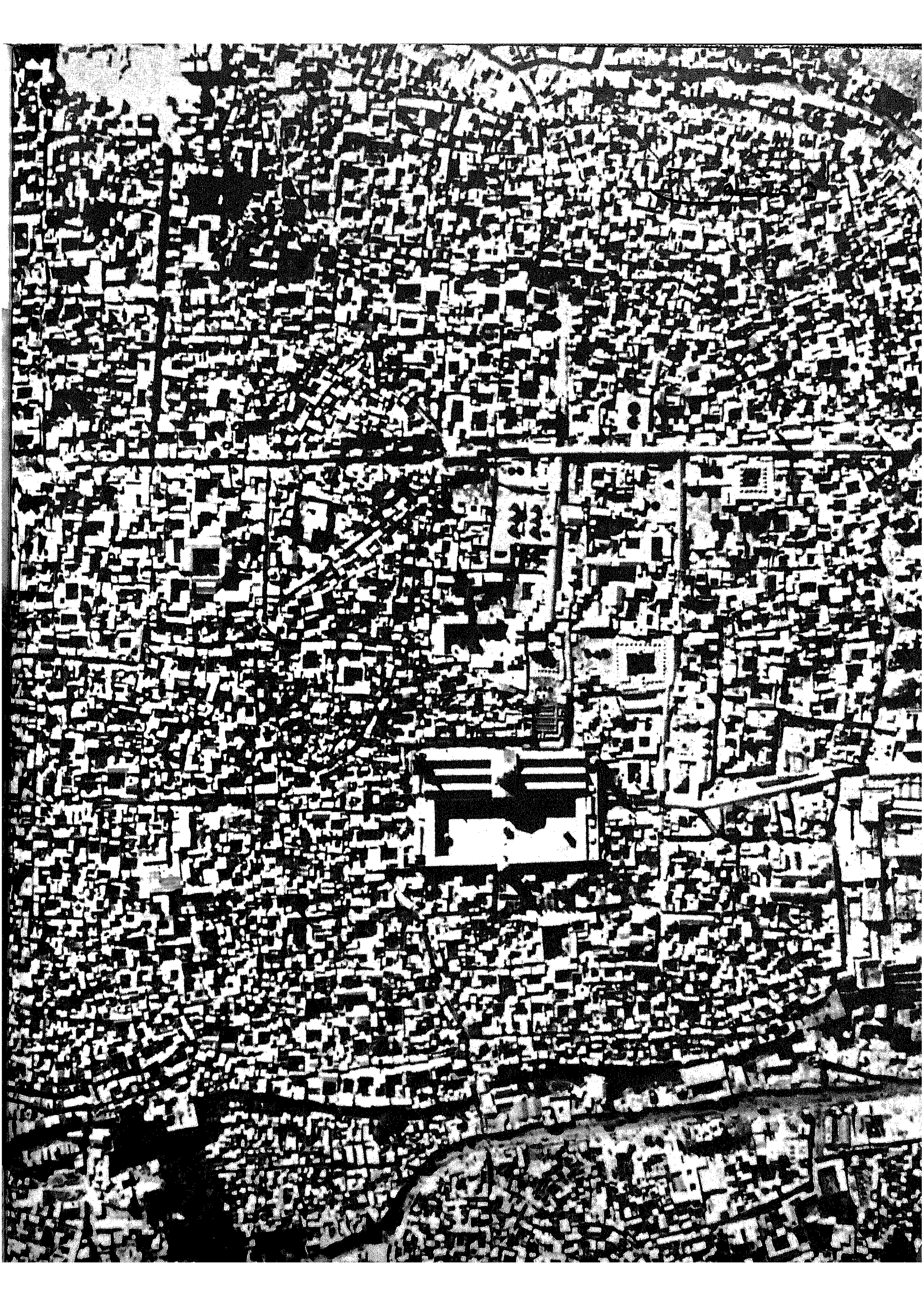
تطورت جدة - ومدن المملكة جميعا - بعد هدم سورها عام ١٣٦٧هـ ومع الاندفاع نحو السهل الساحلي المنبسط شهدت جدة أنماطا وأشكالا ونماذج من العمارة تعكس ثقافات وحضارات مختلفة وغريبة عن الواقع المسلم أظهرت جميعها حماس المخططين الشباب العائدين من الخارج بعد الدراسة متأثرين بحضارات غريبة ونماذج معمارية ذات شكل خارجي جميل - ولكن استخداماتها لا تتفق مع الواقع المحلي - ففتحاتها الواسعة وواجهاتها الزجاجية لا تصلح لبيئتنا الحارة المشمسة وأكثر من هذا فهي لا تنفي باحتياجات البيت المسلم في الخصوصية والاستقلال .

وشهدت شوارع جدة بيوتا متعددة الوحدات ومتكررة الادوار .. شرفاتها مفتوحة على الشارع وفتحات المكيفات موزعة على واجهاتها والمكيفات بها تدوى ليلا ونهارا - بديلا عن الرواشين الخشبية الجميلة والتي كانت ستر لما خلفها والنسيم يسرى عبر فتحاتها مع التيارات الصاعدة والهابطة خلال الملاقف العلوية وعبر السرايب الرطبة - فتملاً البيت بجو لطيف تحافظ عليه الحوائط السمكية التي لا تتأثر بالحرارة خارجها . ولقد كانت الحاجة ملحة .. والتطور لا ينتظر .. والسباق مع الزمن ، فالتخطيط والتنفيذ يسيران جنبا الى جنب

وبعد أن أوفت جدة باحتياجات ساكنيها والوافدين اليها العاجلة للسكن - فان أهلها اليوم يعيدون تراثا خالدا من العمارة الاسلامية في بنايات جميلة بيضاء يتم بناؤها للاستخدام الخاص للأسرة الواحدة .. فبنى آل نصيف مجموعتهم السكنية من الحجر المنقبي (والاسمنت) وستروا فتحاتها بالرواشين الخشبية العريقة الحديثة ولم يستخدموا فيها مكيفات واستعاضوا عنها بملاقف الهواء والقباب لاتاحة الفرصة لتيار الهواء الساخن أن يصعد ويحل محله تيار بارد لطيف . وأقام آل السليمان بيتهم الأبيض الجميل على شارع التحلية وأخرون كثيرون من عائلات جدة القديمة ومن كانت لهم بيوت لاتزال قائمة حتى الآن في وسط البلدة القديمة .

وفي هذه البيوت جميعها قام المسيح مقام البركة أو النافورة القديمة لمن شاء من الأبناء أن يلهو أو يلعب ومسطح مائي في الحديقة يساعد على سريان نسمة في ليالي الصيف .

وخططت أمانة المدينة أراضي في مربعات سكنية متكاملة الخدمات أتاحت لكل مواطن فيها الحصول على قطعة أرض يبنى فيها سكنه الخاص واتصلت البساتين بينها تحيط بالبيوت - وتقوم الازهار والأوراق الخضراء بتنقية الجو وامتصاص الأصوات العالية والغازات الضارة من السيارات التي تزحم شوارعها الطويلة العريضة .



الخصائص المشتركة للمدينة العربية والمتمثلة بمدينة دمشق القديمة

غسان نويلاقي



مقدمة :

ومن الخصائص الأخرى للمدن العربية توزع المدينة الى احياء متعددة ليسكن كل حي قبيلة حيث أن العرب في حواضرهم لم يتخلصوا من عصبيتهم القبلية التي كانت تجمعهم وتوثق عراهم ولهذا فقد كان كل حي يشبه المجاورة السكنية في الحاضر في عصرنا الحاضر ويتمتع بالخدمات الخاصة به من حمام وجامع ومدرسة تفصله عن باقي المدينة بواحة تعتبر الامان فيما اذا دهم الحي أى مكروه وتحمي افراده وهذه البوابة هي صلة الوصل مع باقي المدينة .

دمشق على مر العصور :

ما تقدم نجد أن الخصائص المشتركة للمدن العربية ميزتها عن غيرها من باقي المدن واعطتها صفة خاصة وملاحة مشتركة وما مدينة دمشق الا مثال صادق لهذه المدن فدمشق هي أقدم مدن التاريخ وبقيت في العهدين الآرامي والروماني المدينة الجميلة المقدسة .

ونسبوا بناءها الى البطل دسكوى الذى نزع من بلاد اليونان الى سوريا حيث بنى مدينة باسمه كما قرن اسم دمشق مع الأسماء الدينية القديمة مثل النبي ابراهيم بالتوراة والنبي يونس في الانجيل الا أنه من المعروف والثابت علميا وجودها قبل ٢٥٠٠ ق.م حيث وجد في حفريات صحن الجامع الأموي تمثال آرامي يعود الى ذلك التاريخ ويعتبر موقع الجامع حاليا الموقع القديم لمعبد حدد الآرامي إله الصواعق والأمطار والذى كرس فيما بعد على اسم جوبيتر رب الأرباب وهو الذى عرف باسم جوبيتر الدمشقى أما في العهد البيزنطى فقد تحول المعبد الى بازيليكاً فتننت ضخامتها وزخارفها الزائرين وأصبحت دمشق مقراً لاسقفية مسيحية لا تتقدمها في المنزلة سوى اسقفية انطاكيا وبرز منها قديسون مسيحيون أشهرهم يوحنا الدمشقى وحنانيا أما في العصر الاسلامى وخاصة العصر الأموي فقد شهدت دمشق أجدد ايامها وأروعها اذا أصبحت مقراً للخلافة ومركزاً دينياً هاماً يشع على العالم الاسلامى بأسره من أسبانيا الى الصين والهند وانتشرت فيها المدارس والمعاهد الدينية وبها الجامع الأموي الذى يعتبر من ارق الحضارة الاسلامية في عهدها المبكرة عام ٧٠٥ ميلادية ثم تعاقب عليها عدة عهود العهد العباسى والطولونيون والاختشديون ثم الفاطميون ثم السلاجقة والاكادكة وتلاههم الأيوبيون فالمماليك ثم العهد العثماني وبالتالي الى العهد الفرنسى الى ظل الحكم الوطنى ومن النادر ان نجد على سطح كرتنا الأرضية مدينة تعاقبت عليها مثل هذه الحضارات بحسناتها وسيفاتها ومخلفاتها التي وان كان قد اندثر الكثير منها فان الباقي لايزال ينطبق عن تراثها العظيم في قيمته الحضارية والثقافية والروحية وبالتالي في قيمته العمرانية والمعمارية .

وقد دلت البحوث على أن دمشق الإرامية كانت تقع بحى معذنة الشحم أما المدينة الافريقية فتقع في حى القمبيرية وهي الخراب ومعالم الاغوار لا تزال ظاهرة في هذين الحيين .

ان البلاد العربية من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها تعتبر ذات نسيج عمراني متشابه ، وخاصة لمدنها والمراكز الحضرية فيها فان اختلفت الاشكال فان المضمون لها جميعا متشابهة والخصائص التي تميزها عن سائر مدن العالم تجمعها في قالب واحد ذلك لأن هذه الخصائص هي المنعكس الطبيعي لحضارة المجتمعات العربية في الاجيال السابقة والترجمان الصادق لمعيشتهم وحياتهم المادية والروحية وتقاليدهم وطبيعة بلادهم ومناخها وعلى هذا الاساس كان التشابه التنظيمى للمدن العربية جميعها في احيائها وفي التكوين المعماري للمباني التي تحتويها وقد اختلفت النظرة في تكوين المدينة العربية عن النظرة للمدن العصرية القديمة والبابلية والافريقية - والرومانية اذ ان هذه الحضارات كانت على اسلوب الشوارع المستقيمة والعريضة ذات التقاطعات المنتظمة والساحات الواسعة اضافة الى ضخامة مبانيها ومعابدها بالمقارنة مع المقياس البشرى بهدف تمجيد ملوكهم وقوادهم دون النظر الى مايفرضه المناخ على هذه المدن من تخطيط ، والذى لجأ اليه العرب بعد ذلك هرباً من هذا المناخ يجعل - طرقهم ضيقة عبارة عن أزقة ودروب ودخلات وزنقات مسدودة لا يتجاوز عرضها الوسطى مترين وهي بنفس الوقت متكسرة وذلك لمنح الدار العربية باباً على الاملاك العامة دونما واجهات طويلة على هذه الاملاك كما هو متبع حالياً في عقارات عصرنا وهذه من الخصائص البارزة في المدن العربية حيث الاهتمام بالمظهر الخارجي للبيت العربي بسيط ومتواضع والابتعاد بقدر الامكان عن المشاريع يجعل مدخله طويلاً يمتد الى العمق لتأمين الهدوء وعدم الضوضاء اضافة الى ما تقدم فان العقيدة الدينية ساهمت في هذا الوضع اذ أن الطريق المتعرجة والمتكسرة تمنح الستر للنساء من أعين الفضوليين وطرق المدن العربية صنعت حسب الوظيفة التي تؤديها فالاحياء السكنية التي كانت وسيلة التنقل بينها هي حيوانات النقل وما يمكن أن تحمله فوقها من متاع أو أناس كثيرين بجانبها هي المقياس في عرض هذه الطرق كما أن مراكز المدن التي تزخر بالعربات وحيوانات النقل والمشاة والتجار والصناع تتوخى زيادة عرض الطرق كي تفي بحركة السير الكثيف واذا أساء العرض الى مبدأ الحماية من الشمس ومن الحركات لابد من تغطية السوق إما بسقف أو بتشييد مبنى كبير مسقوف للاستعمالات التجارية والحرفية لذا فان للطريق في المدن العربية نوعين : طرق رئيسية تجارية وحرفية . وطرق ثانوية سكنية تنفرغ عن الطريق الاولى وتتشعب في حارات ودروب وزنقات غير نافذة ويمكن تشبيه الطرق في المدينة العربية بالشجرة فالجزع هي الطريق الرئيسية والفروع والاعصان هي الطرق الثانوية أما الساحات العامة والتي كانت في مدن الافريقية تسمى بالاغنورا وعند الرومان بالفورم فقد كانت في المدن العربية هي المكان الجامع مثل سوق عكاظ قبل الاسلام وبعد الاسلام حل المسجد الجامع محل هذه الاسواق واصبح مكانا للالتقاء لتبادل الرأى وبسط سياسة الدولة اضافة الى قيامه بالمهام الثقافية والتعليمية والاعلامية حيث تمثلت فيه المدرسة والكلية والجامعة والاذاعة ووسائل النشر والاعلام

أما المدينة الرومانية فهي تقريبا المدينة الحالية التي افتتحها العرب المسلمون وانتزعوها من أيدي الروم فزادت حضارتهم وتطور عمرانها ووصلت إلى النمو العمراني والمعماري والمطبوع بالطابع العربي الأصلي الذي مر في معظم المدن العربية الرئيسية ولاسيما مدن المغرب القديمة كمدن تونس جميعها وكمثال طنجة والرباط والدار البيضاء وفاس ومكناس في المغرب والتي يُخيل إلى من يتجول فيها بأنه يتجول حقا في مدينة دمشق القديمة والتي تبلغ مساحتها ١٢٨/ هكتارا والتي تشبه الشكل البيضاوي فقطرها الكبير حوالي ١٦٠٠م/ ويتمثل بالشارع المستقيم والذي سمي فيما بعد بشارع مدحت باشا أو طريق باب شرقي أما قطرها الصغير فيبلغ ١٠٠٠م/ ويمتد من باب الفراديس في حي - العمارة شمالا إلى الباب الصغير في حي الشاغور جنوبا ويعتبر هذان الشارعان أساسا لابنية الرومان والاعرق - وبالتالي العرب إلا أن استقامة الشارع الشمالي الجنوبي ضاعت على مر الأيام بسبب المباني المشيدة في العهود الإسلامية التي ساهمت في اصباح الطابع الإسلامي عليها وعلى مبانيها فساهم الدين في تطوير شبكات المياه ، القديمة القائمة منذ العهد الروماني وتوزيعها إلى دورها بشكل متوازن ورائع كما تطورت شبكات الصرف إلى اقنية خاصة بها .

دمشق والكثافة السكانية والعمرانية :

ودمشق في تطورها وباعتبارها عاصمة القطر العربي السوري اخذت تتوسع افقيا من جميع جهاتها وبلغت في عام ١٩٧٨ أكثر من مليوني نسمة بينما كانت في عام ١٩٧٠م ثمانمائة وسبعة وثلاثين الف نسمة وهذا ما أدخل ببعض خصائصها فأصبحت تعاني أزمات النقل والتلوث والانفجار السكاني كما أن المدينة القديمة التي مازالت حتى هذا الوقت محتفظة بخصائصها معرضة للاعتداء على مبانيها القديمة باحداث انشاءات ضمنها تعمل على تشويهها وبالتالي تدميرها إلا أن الدولة تنبته إلى هذا الواقع واقرت مؤخرا انشاء هيئة عليا خاصة بالمدينة القديمة مخولة بالصلاحيات الخاصة بترميم وتنظيم المدينة من جميع نواحيها الفنية والإدارية بما يكفل لهذه المدينة تراثها وخصائصها باعتبار الحفاظ على النسيج العمراني والمعماري هو الأصل وليس الحفاظ على مباني معينة فقط وهذا ما اقره الميثاق العالمي لحفظ وترميم المباني الأثرية الذي ابرم في اعقاب المؤتمر الثاني العالمي لمهندسي وفنيي المباني التاريخية المنعقدة في البندقية فيما بين ٢٥ - ٣١ ايار عام ١٩٦٤ اذ نصت المادة الأولى منه على ما يلي :-

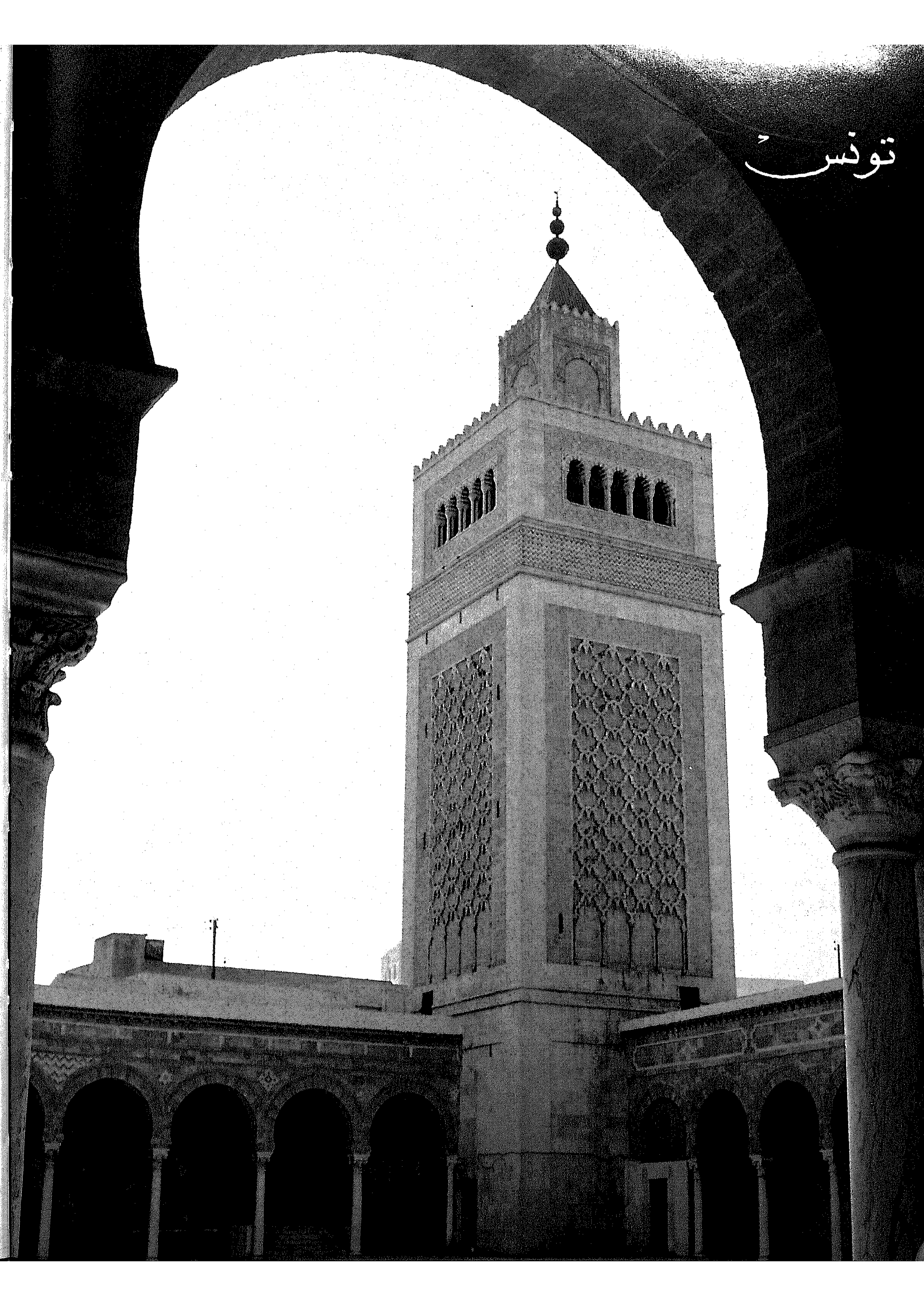
أما مفهوم المبني الأثري فلا يشمل المنشأة المعمارية بمفردها فحسب بل الاطار الذي تقع المنشأة ضمنه ايضا إذ لا يمكن فصل المبني الأثري عن الوسط الذي يقوم فيه ولا عن التاريخ الممثل بهذا الشاهد أما المادة الحادية عشرة من الميثاق المذكور فتقول ان احترام المبني يستلزم احترام الاطار التقليدي الذي يضمه وهذا الاطار لا يمكن تعريضه للخطر بمنشآت جديدة تفسد علاقات الحجم واللون وعلى العموم فان دراسة وظائف المدينة القديمة من ثقافية واقتصادية وسكنية تساهم مساهمة كبيرة في تحديد هذه الوظائف ضمن اطر معينة بالوظيفة الثقافية . يجب أن تحدد المباني الهامة والنسيج العمراني المتصل بها وإزالة المباني الطفيلية التي تمت كالحشائش الضارة بين المباني والمجمعات وشوحتها وحجبت مظاهرها وبالتالي استخدام هذه المباني كقاعات عروض فنية وتمثيلية ومراسم ومراكز لجمعية اصديقاء دمشق بينا الوظيفة الاقتصادية للمدينة القديمة يجب أن

تبقى المميز لها باسواقها المشهورة من سوق البزورية والحميدية وغيرها من الاسواق التي كانت تشتهر بها على أن يكون حجم الاسواق محمدا بحيث لا يتحمل خدمة المدينة التي تتوسع باستمرار وذلك حفاظا على قدرة مبانيها في الاستيعاب للحركة الناتجة من هذه الاسواق واعادة الصناعات الدمشقية التي اشتهرت بها إلى مراكزها الطبيعية التي وجدت بها مثل صناعة النسيج الدمشقي والبروكار والحفر على النحاس والخشب وغيرها وبالتالي اخراج الصناعات الحديثة التي داهمت مبانيها مثل صناعة التريكو والموبيليا الحديثة كما ان تحديد حركة مرور السيارات والشاحنات المختلفة والتي تخدم المدينة القديمة عن طريق إيجاد طرق تنتهي إلى ساحات بقرب الأبنية الأثرية والأسواق وزيادة طرق المشاة هي الطريقة التي يمكن أن تساعد في الحفاظ على مباني المدينة القديمة وتخفيف التلوث بها وبالتالي ترغيب السكان على البناء رغم ان الوظيفة السكنية للمدينة القديمة تفهقرت في الآونة الأخيرة لهجرة سكانها الأصليين منها طلبا لمساكن في الأحياء الجديدة تتوافر فيها رفاهية أكثر وخدمات أحسن مما جعل الدور القديمة هدف المهاجرين إلى دمشق من الأرياف . كثافة سكانية لم تعد لها هذه الدور مما أدى إلى زيادة الأعباء عليها وتعرضها للانهايار اضافة إلى اهمال صيانة هذه المباني من قبل هؤلاء الساكنين ، واجد في المجال ضرورة للتنويه بأنه لا بد لتمكين دمشق القديمة من القيام بالوظائف الثقافية والاقتصادية السكنية التي جرى ذكرها من اتخاذ سياسة عمرانية واضحة ومدروسة تعتمد على معطيات صحيحة وتنفذ على مراحل بعد استخدام طرق واساليب اثبتت التجارب امكان نجاحها مثل إيجاد لجان تشرف عليها .

واحياء يمكن تحديدها جزئيا وحياء لا يكون لها أي طابع أو أهمية مرتبطة بالمدينة القديمة وهذه يمكن أن يعاد بناء مبانيها وفق نموذج المنزل الدمشقي الذي يعتمد الباحة الداخلية والأيوان والغرف التي تدل على هذه الباحة وبما يوفر الهواء والشمس والخصوصية والمرور التي يشتهر بها البيت الدمشقي ضمن الباحة الداخلية مثل شجر الكباد والتارنج والليمون والياسمين والشمشير اضافة إلى بركة الماء في وسط هذه الباحة مع نوعية الساكنين بان الحفاظ على مبانيها وصيانتها هو الحفاظ على تراث المدينة وعلى نسبها وجعل هذه النسبة في مبانيها أكثر انسجاما مع النسب الإنسانية الصحيحة واشد انسجاما مع ضرورات البيعة مما يبني في المدينة الجديدة لأن هذه الحجوم والفراغات قابلة للاستخدام صيفا وشتاء وتستفيد من الشمس في كل ساعات النهار وتؤمن تهويتها بشكل دائم ولأنها تسمح لمن يعيش فيها بالتمتع بجو عائلي صميم وتهيب لهم الغرض لكي يلتقوا ببعضهم دوما ويؤلفوا وجدانا مشتركا ويوجدوا مجتمعاً متماسكا .

ان مدينة دمشق هي جزء من التراث العربي الإسلامي والحفاظ عليها هو حفاظ على هذا التراث وبالتالي الحفاظ على خصائص المدينة العربية التي اصبحت في طغيان الحياة المادية العصرية وتقليد الحياة الغربية مهددة بالزوال شيئا فشيئا وان الحفاظ على مدن الدول العربية وخصائصها يتطلب اهتماما أكبر من حكومات الدول العربية رغم انه في الآونة الأخيرة اخذ هذا الاهتمام يزداد ويتسع ويترجم إلى وقائع منها هذه الندوة التي تبحث في خصائص المدينة العربية والحفاظ عليها .

تونس



التطوير مع المحافظة على الطابع الذاتي للمدينة العربية : تجربة باب سعدون

محفوظ الإمام

مقدمة :

في هذا البحث أعرض نموذجاً للأعمال التي تقوم بها السلطات التونسية للتطوير مع المحافظة على الطابع الذاتي للمدينة العربية .

هذا العمل يهدف إلى تهيئة جانب من الحي الشمالي لمنطقة باب سعدون التي توجد خارج مدينة تونس ، وهو يمتد من شارع ٩ أبريل إلى شارع الهادي السعيدى . هذا الجانب من الحي المذكور يشتمل فعلاً على عدة مساكن متداعية للسقوط ، في حين أنه توجد في نفس المنطقة عمارات في حالة حسنة .

لقد كانت هذه العملية محل دراسات عديدة ، منها أن مخطط التهيئة لمدينة تونس الذي انجز سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦م كان يتضمن عملية تحسين لهذه المنطقة محدداً لها محيطاً مقارناً للمحيط الموضوع حالياً .

وفي سنة ١٩٦٦م كانت كتابة الدولة للاشغال العامة والاسكان تنوى تضعيف شارعى ٩ أبريل والهادى السعيدى بمسالك لتسهيل حركة المرور مع تهديم المساكن الموجودة بين هذين المحورين وتعويضها بمبان عمودية .

ثم قامت الشركة المركزية للتهيئة الترابية سنة ١٩٧٥م بدراسة الموضوع من جديد حتى تعهد ضبط التقديرات اللازمة للعملية من خلال دراسات اجتماعية ، اقتصادية وعقارية آخذة بعين الاعتبار مسألة حركة المرور .

عمليات التجديد :

يشتمل هذا المشروع على عملية مزدوجة احيائية وتجديدية لمناطق الجهة الشمالية من المدينة قرب بطحاء باب سعدون ، مما أدى إلى قيام دراسة شاملة على عين المكان من طرف جمعية صيانة مدينة تونس والمعهد القومى للآثار والفنون ، واعتمد الفنيون هنا على أنه لا يلجأ إلى عملية التجديد إلا إذا اثبت ان عملية الاحياء مستحيلة . كذلك الشأن بالنسبة إلى داخل كل رقعة يقع تجديدها فان المباني التي تكون في حالة جيدة يقع الابقاء عليها كما هي . ان هذه الطريقة الجديدة في العمل سميت بـ (التهيئة

التكميلية) اذ انها تمكننا من التنقيص من عملية التهديم وبالتالي تنقيص عدد العائلات التي يتم اخراجها من منازلها . والمحيط الذي وقعت دراسته يحتوى على ما يلى :

من الشمال : شارع الهادى السعيدى الى نهج سيدى عبد السلام
من الجنوب : نهج باب العلوج وشارع ٩ ابريل
من الغرب : بطحاء باب سعدون
من الشرق : نهج بوغدير ، نهج بوحميدة ، نهج الاقواس ، نهج باب سعدون ونهج آخر موائى يبعد مائة متر عن شارع الهادى السعيدى .

وثمة ملاحظة اولية فعلى عكس سكان وسط المدينة فان اغلبية سكان الجزء الشمالي يقطنون به منذ عدة أجيال .

ان هذه المنطقة تعد مائتين واربعين عائلة مقابل مائة وستة وعشرين مسكناً الى ما يعادل عائلتين في كل مسكن (وهو عدد غير مشط) ، كما ان ثلاثين بالمائة من السكان يتمتعون بدخل ٣٠ ديناراً فأقل في الشهر الواحد .

والمشروع في مجموعه يمتد على مساحة معينة للدرس تقدر بثمانية عشر هكتاراً . أما المساحة العملية فتقدر باحد عشر هكتاراً ويبلغ عدد السكان بها ٧٨٧٠ نسمة ، وعدد المساكن ٧٣١ وعدد العائلات ٢٤٦٢ عائلة .

وتقدر نسبة المالكين بسبعة وخمسين بالمائة . اما المباني فان اثنين وثلاثين بالمائة منها توجد في حالة متداعية و ٣٤٪ تتطلب ترميماً وصيانة وتجهيزاً .

ويحدد القسط الأول بنهج باب العلوج ، باب البنات ، القعادين ، بوغدير ، النفاثة ، بن ضريف ، مراد وشارع ٩ ابريل .

وهذا القسط لا يشمل الا المساحة التي سيقع تجديدها وتقدر بـ ٢٨٢٤٥ متراً مربعاً يقطنها ١٢١٣ ساكناً الى ما يعادل ٢٤٠ عائلة تمثل ١٢٦ مسكناً .

اما القطاع الذى سيتم احيائه فهو يقدر بـ ٢٠٢٩٥ متراً مربعاً ويحتوى على ١٢٦ مسكناً و٦٢ محلاً تجارياً .

الاحياء : هذه العملية تشتمل على ايجابيات مضمونة ، مثل المحافظة على طابع الحياة في اطار تقليدي ، ابقاء السكان الاصليين في منطقتهم . كما أن آجال تنفيذ أعمال الاحياء تتماشى بأكثر مرونة مع امكانيات الدولة والاشخاص من عملية التجديد التي تتطلب اعتمادات هامة جدا في آجال قصيرة الامد ١٣ مليون دينار سنة ٧٥م بالنسبة للقسط الاول فقط . مما يتيح فرصة استعمال رأس مال الجامعة القومية لاعانة السكان .

الحميات المتعلقة بصيانة التراث :

ان الخلية المتكونة من الرقاع (١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٨) يجب المحافظة عليها تماما كما ان عملية الاحياء يجب النظر فيها .

ان نهج الاقواس بهيكله وفضائه العمراني يمثل قيمة تاريخية هامة . والملاحظ انها توجد في نفس الموقع للسور القديم . ولارجاع الرسم القديم لهذا السور فان التمديد في نهج الاقواس والصاقة بشارع ٩ ابريل يمكن التفكير فيه مع انجاز رواق تجارى في نفس الموقع .

كما ان بطحاء سيدى الجبالى تمثل أيضا بتخطيطها قيمة تاريخية يجب المحافظة عليها .

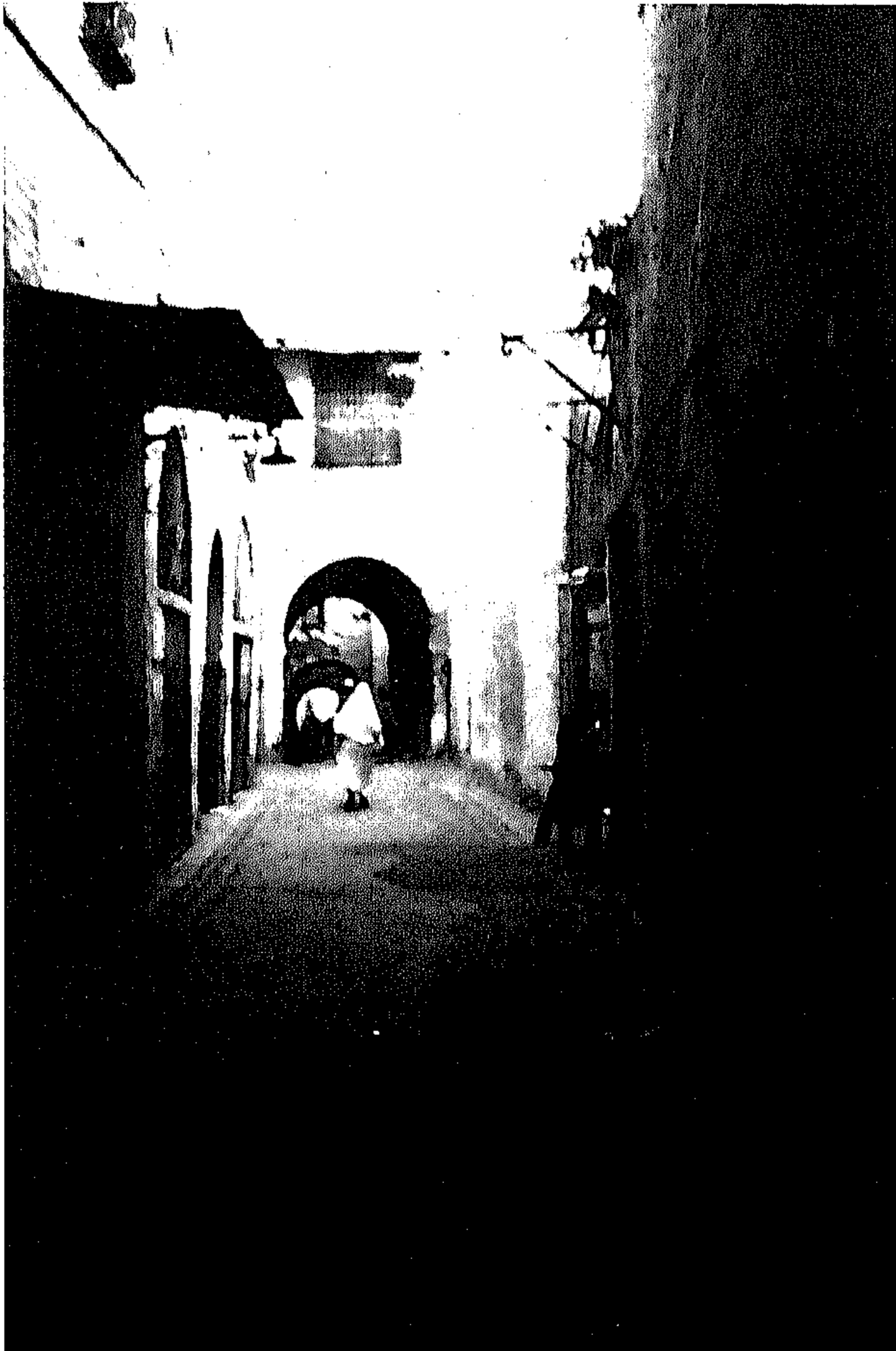
في داخل هذا المحيط الرقاع : ١٠ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ و ١٩ يجب ابقاء عليها كما هي اذ ان عملية الاحياء منتظرة في اقرب الاجال .

كما ان عملية شاملة تجمع الرقاع : ١٠ - ١٣ - ١٤ - ١٥ و ١٦ محبذة في هذا الشأن .

ان تظافر الجهود لمختلف القطاعات المعنية بالامر (البلدية ، الديوان القومي للتطهير ، المعهد القومي للآثار والفنون ، والديوان القومي للسياحة) واجبة لتكميل عمل الجامعة القومية لاعانة السكان التي لا تغطي الا قسما ضئيلا من الاعتمادات المرصودة للاحياء .

الايجابيات والسلبيات

التجديد : عملية غير مبررة بأي حجة متداولة . ونرى ألا يلجأ اليها إلا في الحالات المستعصية مثل زيادة كثافة السكان فوق ما تنصح به أسس التخطيط السليم ، أو أن تكون حالة المبنى سيئة للغاية مما يؤدي الى ان تكون التقديرات الاجمالية لعملية الاحياء تفوق التقديرات اللازمة لعملية التجديد .



٢٤٢ الحفصية - تونس



٢٤١ جامع الزيتونة - تونس

اتجاهات التهيئة

مشروع القسط الاول للعملية

ان اقليم تونس قام بدراسة اولية لمشروع يهتم بالقسط الاول من مثال التهيئة لباب سعدون (مارس ١٩٧٩ م) . ان هذا المشروع الاول سيكون قاعدة لمشروع نهائي كما ان الشركة الاقتصادية لتعبئة منطقة تونس كلفت بالاشراف الرئيسي على هذه العملية .

وعلى اساس تحديد جديد وقع ضبط محيط الانتزاعات ، اما مثال التهيئة الذى قدمته الشركة المركزية للتهيئة الترابية فقد وقع تحويله فى خصوص تقسيم الرقاع .

رفع تقديم المشروع بعد تحويله الى دورة المجلس البلدى لشهر أغسطس ١٩٧٨ والذى قدم خلاله المعهد القومى للآثار والفنون وجمعية صيانة المدينة احترازا واكدوا على الامور الاجبارية .

التقديرات المبدئية للتهيئة تمكنا من تحديد المساحات التالية .

التجهيزات	١٠٤٢٠	مترا مربعا
المساكن ، المكاتب والمحلات التجارية	٦٨٥٠	مترا مربعا
المساحات الخضراء	٥٦٣٠	مترا مربعا
المكاتب	٧٠٠٠	مترا مربعا

ان القيمة الاجمالية لعملية التجديد تقدر بـ ٣,٥٦١,٣٣٣ د.

الاتجاهات الاساسية للمعهد القومى للآثار والفنون

- يجب القيام بدراسة مدققة على عين المكان للتحديد بالضبط عدد المنازل التى يجب تهيئتها .

- اقتراح مشروع تهيئة للمساحات المتحصل عليها .

- تحديد المسالك للمرور والتى يمكن ان تهدد الطابع الاصلي للمدينة .

- احياء وسط الحي على ان يتم فى نفس الوقت لعملية تجديد الحاشية .

- يجب تحاشي تهيئة المسالك الداخلية التى تعتبر مخالفة لاتجاهات مخطط الصيانة . وبذلك يمكن الإبقاء على عدة مساكن مهيأة

للتقديم قصد توسيع نهج الاقواس ، نهج بوغدير ، الخ ..

- الإبقاء على طريقة التهيئة التكميلية التى تعتمد اقل ما يمكن من عمليات التجديد .

- اعادة توطين السكان الحاليين للمنطقة المهتمة من طرف الشركة القومية العقارية بتونس التى خصصت تجمعات سكنية لهذا الغرض .

- ان توسيع شارع ٩ ابريل لا يمكن ان يتم على حساب المنطقة الموجودة داخل المحيط الذى وقعت دراسة من طرف الشركة المركزية للتهيئة الترابية والتى تعتبر منطقة تراثية .

تطبيق الهندسة المعمارية الجديدة على الوسط التقليدى

تنقيص علو المساكن المزمع انشاؤها الى طابق سفلي تعلوه ثلاث طوابق مطلة على شارع ٩ ابريل .

- تماشى العمارات الجديدة مع شكل المدينة وطابعها التقليدى .

- يجب اعطاء الاولوية فى خطة المناطق الى البناءات السكنية ثم فى آخر الامر الى المكاتب الادارية والمحلات العمومية .

- التنقيص من المساحات حتى يمكن ضمان الاعتمادات اللازمة للعملية الا انه يجب احداث دراسات حول وفى الأماكن الشاغرة وبمرات للمترجلين تتخللها مساحات نصف مغطاة .

بالنسبة للنشاطات الفنية يجب تطبيق المبدأ المتفق عليه فى مخطط الصيانة والممثل فى اعادة توجيه المباني القديمة (القصور ، الزوايا ، المدارس الخ ..) بعد ترميمها وتثبيتها .

ان المعهد القومى للآثار والفنون له اليد العليا على مجموع الآثار الموجودة داخل المحيط الذى ستقع به هذه العملية ، والذى يعتبر الاختصاصيون ان بقاءها وعدم تهيئتها واجب لقيمتها التاريخية والمعمارية والجمالية مثال ، نهج الاقواس والاسوار القديمة .

مبادئ الصيانة وقضية التجديد : تجربة الحفصية

جميلة بينوس

مقدمة

ان المراحل التي مرّ بها هذا المشروع من ذلك الوقت الى الآن تدل احسن دلالة على تطور النظرة نحو التراث العمراني الاسلامي .

برنامج تهيئة الحفصية في عصر الحماية :

حظي هذا الحي بمثال تهيئة في عصر الحماية لم يتم انجازه وأعيد النظر فيه بعد الاستقلال وبرز تحليل كلا المثلين مدى تضارب نظرية المستعمر التي تهدف الى اقحام النسيج في المدينة العربية مع ما توصلنا الى تحقيقه من عادة انسجام ذلك النسيج في سنة ١٩٣٠ لما عرضت المسألة على المجلس البلدي اتفق على حل يتمثل كما قيل حينذاك في « هدم كامل الحي وتعويضه بحي يخضع لمعطيات العمران العصري ويتماشى مع نمط المدينة العصرية » ووصف الحي ببؤرة الأوبئة حيث البيوت المكتظة والانهج الضيقة الوسخة ...

ان هذا التقرير البلدي ان دل على شيء فهو يدل على النظرة المحقرة التي ينظر بها المستعمر الى المدينة العربية وعلى عدم فهم علماء الغرب لتلك المدينة وعزم السياسيين منهم على تفكيكها كلما سمحت لهم الفرصة لذلك .

اشتمل برنامج تجديد الحفصية اذ ذاك على فتح الحي للسيارة وادخال البناء العمودي والمزج بين السكن والوظائف التجارية وعلى ضوء هذه الاختبارات خطط المثل التالي

طريق رئيسية اتجاهها شرقي غربي خارقة محورا تجاريا ذا اتجاه معاكس متألف من أسواق تقليدية يرتادها المستهلكون من جميع أنحاء العاصمة وتمتاز بطابع شعبي وحركة دائبة .

ويجدر بالذكر ان هذه الحركة لم تنقطع قط وأنه رغم زوال المحلات التجارية ورغم الخراب المنتصب في المنطقة كنت ترى البيع والشراء متواصل على قارعة الطريق بين سوق سيدي محرز وسوق القرانة وهذا أكبر دليل على أهمية الوصل بين الجنوب والشمال في تخطيط مدينة تونس القديمة .

يمثل اذن هذا الشارع الجديد بداية فتحة عريضة في النسيج التقليدي كانت مواصلتها مقررة الى حد الحاشية الغربية للمدينة فتكون بذلك نهاية هذه الاخيرة كوحدة فضائية متلاحمة الاجزاء وبداية تفكيكها في سبيل السيارة .

خصت مدينة تونس العتيقة طيلة العشرية الفارطة بدراسات شافية شملت جميع الأوجه . فتم تحليل النسيج العمراني واتضح ما تكنة المدينة العربية من مميزات من حيث التصميم وتخصيص المناطق والوظائف . كما احصيت المعالم الاثرية الدينية منها كأماكن العبادة والتعليم والأضرحة والمدينة كالكصور والفنادق والحمامات والحصون والثكنات . ولعل أهم قسم من هذه الدراسات هو الذي شمل السكان وحالة السكن فتيين أن عدد النازحين من الارياف يفوق ٥٠٪ يعيش جلهم في قصور المدينة التي انقلبت الى مساكن جماعية هي أشبه شيئا بالاكواخ من حيث انعدام الشروط الصحية والتكاليف السكني .

القضية ليست اذن قضية تراث وكيفية حفظة من الاندثار فحسب بل هي قضية جزء لا يتجزأ من العاصمة له مشاكل بشرية واقتصادية لا يمكن حلها الا في نطاق تنظيم شامل وسياسة عامة .

وبناء على هذا التحليل ضببت الاختيارات الاساسية لسياسة الصيانة والتنمية ومن أهم المبادئ المنصوص عليها :

- صيانة المعالم الاثرية وتداركها بالترميم وإعادة استعمالها طبقا لحاجيات الحاضر والمستقبل
- المحافظة على تخطيط المدينة ونسيجها العمراني
- تطور السكن وتحسينه
- تنمية الاقتصاد وتنظيمه

ونعرض عليكم فيما يلي برنامج تجديد حيّ بالمدينة العتيقة تم انجاز القسط الأول منه طبقا لهذه الاختيارات وتجسيما لهذه المبادئ .

تجديد حي الحفصية

يقع هذا الحي في الحاشية الشرقية للمدينة القديمة ملاصقا للمدينة الجديدة غير بعيد عن المركز الاقتصادي المنتصب حول باب البحر .

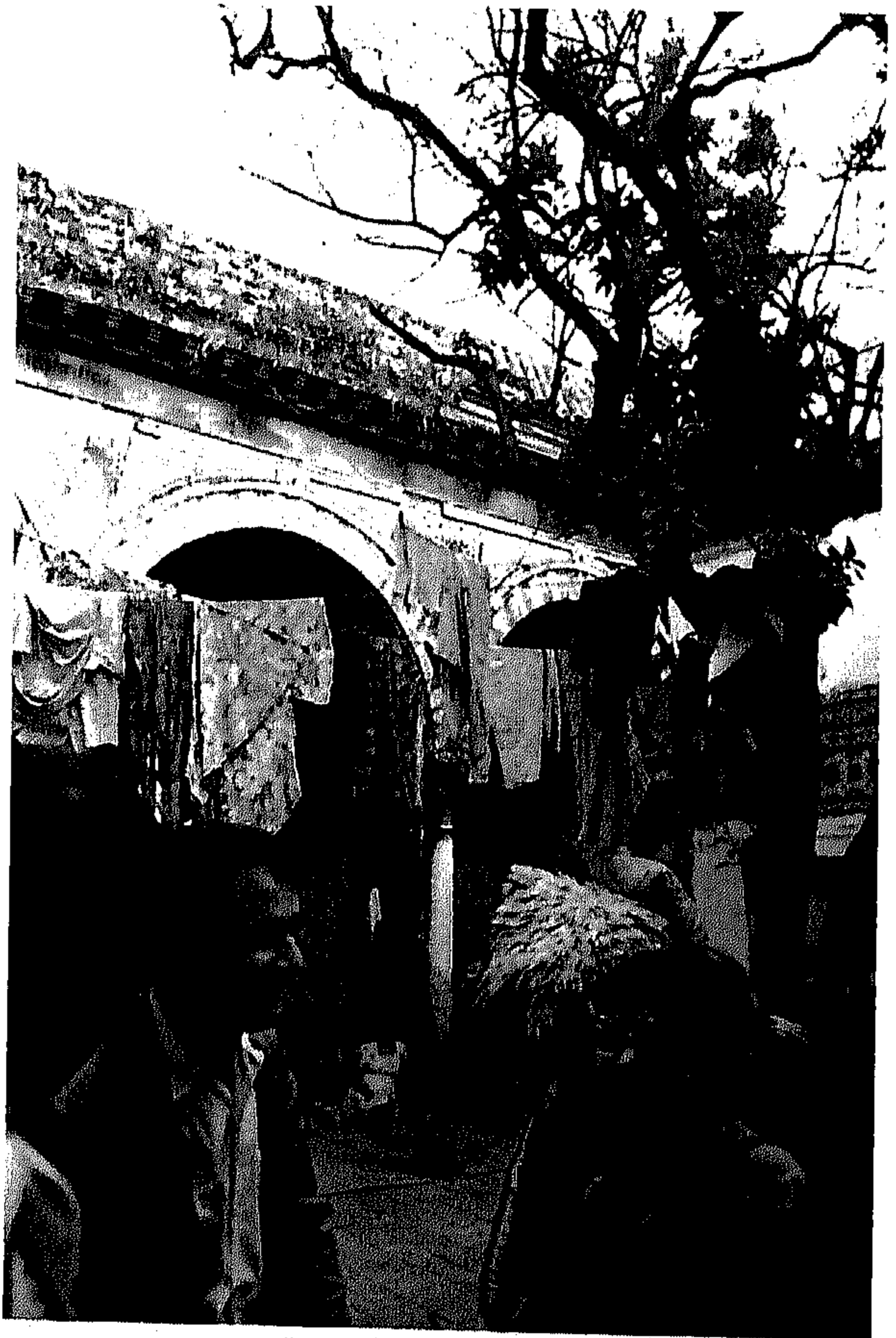
ويعود عهد بناء هذا الحي الى القرن الرابع الهجري ويرجع الفضل في تشييده الى الشيخ الولي سيدي محرز الملقب بسلطان المدينة . وظهرت في هذا الحي علامات التدهور منذ بداية القرن فكثر به الامراض والابوة وتقرر تطهيره كما نص عليه مخطط التهيئة لسنة ١٩٢٨ .



٢٤٣ الحفصية - تونس



٢٤٥ تدهور حال المساكن - الحفصية



٢٤٤ تدهور حال المساكن - الحفصية

طريق فرعية أفقية (نهج الحكيم كسار) شيدت على طولها ثلاث عمارات ذات ثلاثة طوابق امتزج فيها السكن بالتجارة فانصبحت الدكاكين في الطابق الاسفل ، وبيوت السكن في الطوابق الأخرى وفتحت المساكن نوافذها على الشارع الذي أصبح مصدر الاضاءة والتهوية خلافا للبيت العربي ذي الفضاء الداخلي ولكن مع بداية الحرب العالمية الثانية تعطلت الاشغال واستمر الحي في التخريب .

برنامج تهيئة الحفصية بعد الاستقلال :

ولما استقلت البلاد استؤنفت عمليات الهدم وكلفت جمعية صيانة المدينة باعادة النظر في تهيئة الحي وتجديده سنة ١٩٧٢ .

حددت الاهداف التي ترمي اليها العملية على ثلاثة مستويات :

تعديلات ترمي الى ادماج الحي في المجموعة العمرانية التي تكون لتونس الكبرى وهي تهم علي وجه التحديد الوظائف الاقتصادية . ان موقع الحفصية في قلب تونس العاصمة يؤهلها للمساهمة الفعالة في تنمية الوظائف الاقتصادية وتوسيع رقعتها .

الهدف الثاني يرمي الى ادماج الحي في المدينة القديمة من حيث النسيج العمراني وتركيبه ومن أهم مقوماته : الفصل بين الفضاء السكني والفضاء العمومي بترتيب الطرقات الى مسالك خاصة بالمساكن والشوارع العامة . وتنظيم المنازل حول فضاء داخلي غير مسقف - الصحن - يقوم بوظائف التهوية والتشميس والانارة . ومراعاة أفقية البناء لتمكين الصحن من القيام بهذه الوظائف وللمحافظة على الانسجام الشكلي لكامل المدينة .

والهدف الثالث هو بعث تجهيزات جديدة تتلاءم مع مقتضيات العصر والرفع من مستوى الخدمات وتوفير المرافق وطيب العيش للسكان الجدد .

تحليل القسط الأول من العملية

تسمح رقعة التجديد ١٣ هكتارا انجز قسط أول منها وشمل ٣ هكتارات من الاراضي البيضاء واحتوى على سوق بها ١١٦ دكانا وحيا سكنيا به ٩٤ مسكنا و٣ محلات تجارية

أنجزت السوق على النمط التقليدي : ممراً مسقفاً تحيط به دكاكين على اليمين وعلى اليسار . فتمّ بنائها الربط بين سوق سيدي محرز وسوق القرانة وعاد اكتمال المحور التجاري وتحتوى السوق الآن على اصناف تجارية من مستوى متوسط أو فوق المتوسط تتمثل في الاقمشة والاحذية والملابس الجاهزة والداخلية والأواني المنزلية ويتوارد على هذه السوق مستهلكون من كافة أحياء العاصمة .

نظمت حركة المرور وفقاً للاختيارات المذكورة فألغى الشارع المستقيم وعوض بطريق اتخذت رسماً منكسراً يعسر مرور السيارات به . كما أعد موقف للسيارات في مدخل الحي استجابة لحاجة السكان من جهة وحاجة من يرد على السوق من أصحاب السيارات من جهة أخرى بينما خصصت كافة الأنهج السكنية للراجلين .

صممت بيوت السكنى على عشرة نماذج يسمح أكبرها ١٦٣ م^٢ وأصغرها ٢٦٠ يحتوي نموذجين اثنين على صحن يتوسط الدار بينما توجد بالأمثلة الأخرى حدائق أمامية .

وحرصنا على توفير شروط الاضاءة والتشميس بالنسبة لجميع البيوت وكذلك المرافق الضرورية . ونزولا عن رغبة السكان أضيف لكل مطبخ صحن خلفي يصلح لاداء بعض الاعمال المنزلية .

يتمتع الحي بالتجهيزات والخدمات اللازمة من ناد للاطفال ومركز ثقافي واجتماعي ومحلات تجارية للحاجيات اليومية وعددها ثلاثون محلاً تقع منفصلة عن السكن اذ تفتح أبوابها على الطرق الرئيسية المذكورة أعلاه .

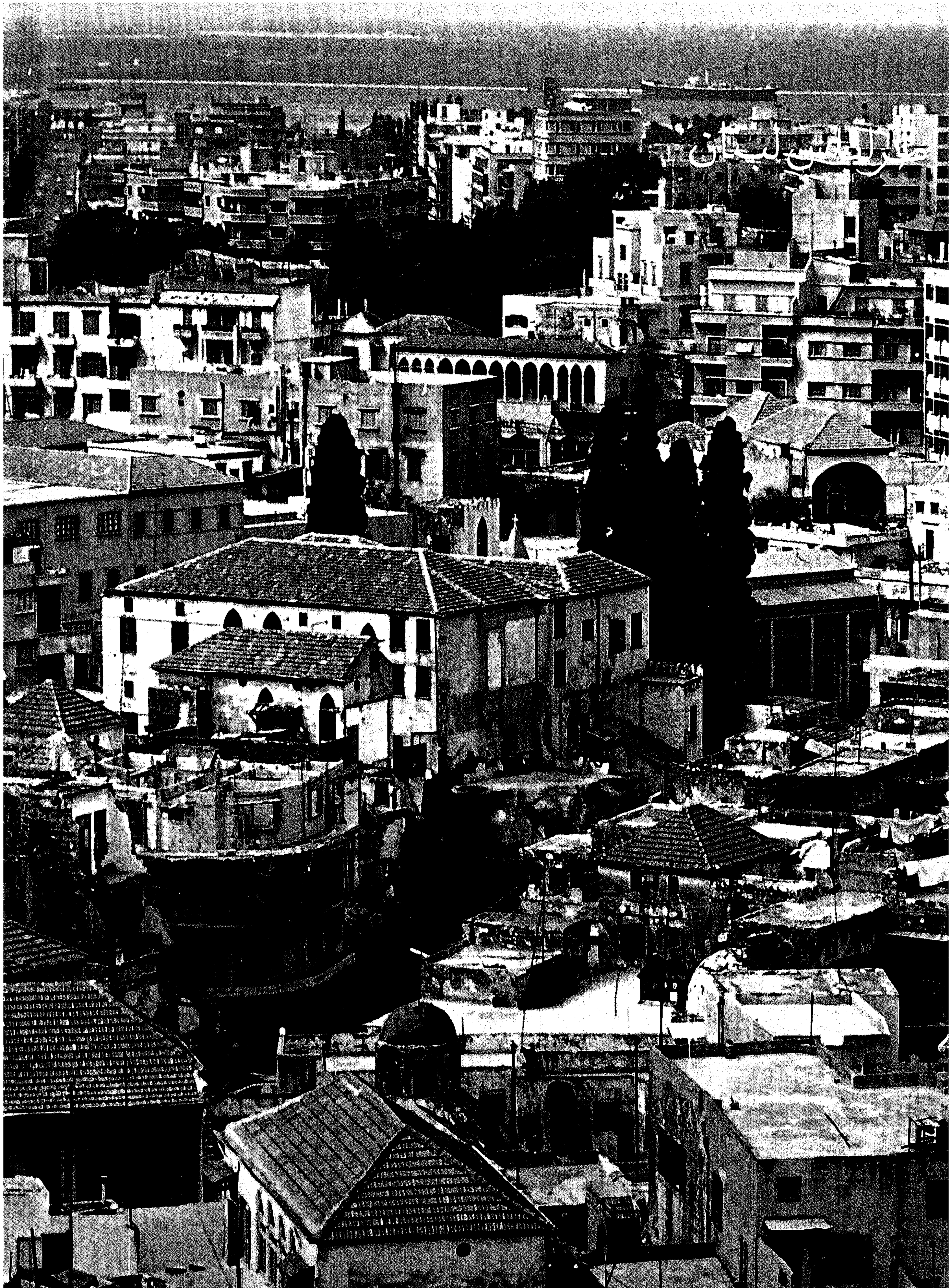
قامت الشركة القومية العقارية بتمويل الاشغال والاشراف عليها ووزعت المنازل على أساس دفعة أولى تناهز ثلث القيمة وتسديد الباقي على أقساط شهرية لمدة عشرين عاما وتتراوح هذه الدفعة الشهرية بين ٣٠ - ١٠٠ دينار تونسي (ما يساوي ١٠٠ و ٢٠٠ دولار) حسب مساحة المحل .

اذ قدرنا ب : ٣٠٪ معدل النسبة المتبوية من الدخل العام التي تنفق على الكراء بالنسبة لكل عائلة يتحتم حينئذ أن تكون العائلات الجديدة من ذات الدخل المرتفع (اطارات متوسطة ، مهن حرة ...) .

خاتمة :

نلاحظ في الخاتمة أن العملية بلغت أهدافها في الميدانين العمراني والمعماري الا أنها أنشأت شكلاً يتمثل في تغيير التركيب الاجتماعي للمنطقة . تعدد هذه الظاهرة خطراً من اخطار التجديد الذي يترتب عليه حتما ارتفاع كبير في القيمة الكرائية الأمر الذي يجعل السكان القدامى غير قادرين على الدفع ، مما يضطرهم لمغادرة حيزهم الأصلي وتركه لمن لهم أكثر قدرة شرائية . لم نتعرض في واقع الأمر الى هذا المشكل في الحفصية بالذات لأن عملية التجديد قامت على اراض خلت من السكان منذ سنين وتمت تسوية مشاكلها البشرية منذ ذلك الحين . لكن هذا لاينفي طرح المشكل والتفكير في الحل الملائم له .





خصائص العمارة الإسلامية في طرابلس وآثارها المماليكية

(٦٨٨ - ٩٢٢ هـ / ١٢٨٩ - ١٥١٦ م .)

عمر عبد السلام تدمري



٢٤٨ خريطة لمنطقة طرابلس لبنان

مقدمة

الماردانية ، والمدرسة الزرقية ، ومدرسة الخيرية حسن ، وحمّام عز الدين ، والبيمارستان ، وخان الخياطين ، وحمّام أسندمر ، وخان المنزل ، وغيره ، فقد جاءت عمارتها خالية من الزخارف والتزيينات الهندسية ، ولم يدخل في بناء جدرانها أو أرضيتها عنصر الرخام ، بل اقتصر البناء على استخدام الحجارة الرملية . وليس هناك من عناصر جمالية يمكن التوقف عندها إلا في بعض اللمسات المتأثرة بأنماط وخصائص عمرانية سبقت فن العمارة المالكية ، مثل البوابة الرئيسية للجامع المنصوري الكبير ذات الطراز القوطي ، والتي تحمل قوساً من الزخارف النافذة المطلّة على فناء الجامع الخارجي ، مثل القوس الوسائدي الذي يقع فوق النافذة الغربية المطلّة على مدخل البوابة الرئيسية للجامع المنصوري ، والذي يُرجّعه بعضهم إلى العهد اللاتيني ، ومثل الزخرفة الموجودة على عقد بوابة خان المنزل ، وعلى النافذة الواقعة على يمين البوابة . وماعدا ذلك فلا شيء يثير الأهتمام .

ومن اساتذة المدرسة المعمارية في هذه المرحلة ، عرفنا اثنين سجلاً اسميهما على أعمالهما هما : « سالم الصهبوني بن ناصر الدين العجمي » الذي بنى الجامع المنصوري ، و « أحمد بن حسن البعلبكي » الذي بنى رواقات هذا الجامع . وهما من أصحاب المدرسة الشامية في العمارة الضخمة القائمة على البساطة في آن معاً .

ولا ريب أن الفترة التي أعقبت فتح طرابلس مباشرة كانت تتطلب الأهتمام بتحقيق البناء المطلوب طالما يؤدي الغاية المرجوة من إقامته ، فقد كانت ظروف المنطقة وأجواء الحرب لاتزال تنعكس على نفسية السكان ومعاشهم ، وتفرض حالة من الاقتصاد والتقنين في إهدار المال والجهد والوقت في مواضع لا ضرورة لها .

أما المرحلة الثانية للعمارة في طرابلس ، فقد وضحت معالمها في الربع الثاني من القرن الثامن الهجري ، وتجلت بتنوع العناصر الجمالية ، وغنى الزخرفة والأشكال الهندسية ، والكتابات المتنوعة الرشيقة ، وتناغم الألوان في قطع الرخام الناعم الأملس ، وتناسق الحجارة المصقولة وتناوب الأبيض والأسود منها ، وتعاشق السنجات ، وتتابع التجويفات والمقرصات وتساقط المدليات ، والمبالغة في التألق والفخامة والبذخ ، سواء في تزيين البوابات ، أو المحاريب ، أو جدار بيت الصلاة ، أو القباب ، أو حوض الوضوء ، وحتى أرضية حرم المسجد وفنائه .

وإلى تلك المرحلة العمرانية ينتمي بناء جامع طينال ، وجامع البرطاسي ، وجامع العطار ، والمدرسة القرطابية ، والمدرسة النورية ، والمدرسة الأثرية ، والمدرسة الناصرية ، وكلها حوت عناصر هندسية وفنية ذات جمالية رائعة تُحاكي الجمالية والغروة الفنية التي نراها في مساجد القاهرة المالكية ومدارسها . وهذا الترف في العمارة يعكس الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية التي أخذت المدينة تعيشها ، والراحة النفسية والشعور بالأمان والأطمئنان الذي ساد سكانها ، بعد أن اكتملت معالم المدينة وركنت النفوس إلى حصانتها ، وإلى تقلص خطر الإفرنج وتراجعهم ، وإلى استقرار الحياة السياسية للمماليك في بلاد الشام عامة ، وطرابلس على وجه الخصوص .

تقع مدينة طرابلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وفي منتصف الشريط الساحلي الشرقي للبحر المتوسط تقريباً ، بين الإسكندرون وغزة ، وهي شمالي بيروت بنحو ٨٢ كيلو متراً ، وتعتبر المدينة الثانية في لبنان « مساحة » وعدد سكان ، حيث يسكنها نحو نصف المليون نسمة ، وهي المدينة الإسلامية السنّية الأولى في لبنان ، وأغنى مدينة بالعمارة الإسلامية المتنوعة ، ليس في لبنان فحسب ، بل في الساحل الشرقي للبحر المتوسط على الإطلاق . فهي تنافس آثارها الإسلامية ، وتراثها الحضاري ، وعمارتها الدينية والمدنية والحربية والتجارية ، المدن الإسلامية الكبرى في مصر والشام والعراق .

ولا غرو ، فقد هيأت الطبيعة كل المقومات الأساسية لقيام مدينة كبيرة في المنبسط الساحلي القريب من سفح الجبل حيث النهر الذي يوفر المياه اللازمة ، ليس للارتواء فحسب ، بل لإدارة المطاحن ودور الصناعة القديمة ، وحيث المناخ المعتدل بين طبيعة الجبل والبحر ، وحيث المركز الذي يتوسط طريق القوافل على طول الشريط الساحلي ، وحيث اللسان البرّي الداخل في البحر الذي يوفر ميناءً طبيعياً ، فيجعل المدينة ذات طبيعتين : برّية - بحرية ، سهلية - جبلية . وقد لاحظ « شيخ الربوة الدمشقي » هذه الخصائص وهو يصف المدينة في عصر المماليك فقال : « وهي سهلية جبلية ، بحرية برّية ، يتخلل الماء في جوانبها » .

ولما كانت طرابلس القائمة الآن تدين بالفضل إلى سلطان المماليك المنصور قلاوون الذي حرّرها من الصليبيين وأمر ببنائها من جديد في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م ، فإنها جاءت بعمارتها صورة مصغرة من القاهرة المالكية . وبما أنها في إقليم الشام فقد جمعت بين خصائص بلاد الشام في الطبيعة والعادات الاجتماعية ، ولذا جمعت بين الطبيعة الشامية ، والعمارة المصرية المالكية .

الخصائص الهندسية والجمالية :

يمكن القول إن الخصائص العمرانية في طرابلس المالكية مرت بمرحلتين متميزتين عن بعضهما ولوضع الأمثلة على ذلك يجب الأخذ بتطور بناء المساجد والمدارس ، فهي أفضل مثال لدراسة تطور عمارة المماليك في المدينة ، وفي هندسة بواباتها ومآذنها ومحاريبها وقبابها قاعاتها وأروقتها وفنائها يمكن قياس النواحي الجمالية في أبنيتها بشكل عام .

وتتميز المرحلة العمرانية الأولى باعتماد الحصانة في البناء مع البساطة المتناهية في العقود والأقواس والبوابات والمحاريب وأحواض الوضوء التي تخلو جميعها من أية زخرفة ، أو لمسات فنية تسترعي الأهتمام أو تثير الناظر إليها ، وهذه المرحلة تنحصر زمنياً بين سنة ٦٨٩ سنة ٧٢٥هـ / ١٢٩٠ - ١٣٢٥م . وتبدو بصماتها على مجموعة عمرانية تم بناؤها خلال تلك الفترة المتقدمة من تاريخ المدينة المستجدة ، مثل الجامع المنصوري الكبير ، وجامع التوبة ، وجامع السيد عبد الواحد المكناسي ، والمدرسة الشمسية ، والمدرسة

على أن السمة الدفاعية الحربية ظلت تطبع العمارة المساجدية في المدينة ، وذلك في بناء المآذن المربعة التي لها خصائص الأبراج الحربية العالية ، وهذا ما نراه في مئذنة الجامع المنصوري الكبير ، ومئذنة جامع العطار ، ومئذنة جامع التوبة ، ومئذنة جامع طينال ومئذنة مسجد ومدرسة البرطاسي ، ومئذنة مسجد الحجيجية .

ومن أساتذة المدرسة المعمارية في المرحلة الثانية بطرابلس عرفنا اثنين أيضاً ، هما : « أبو بكر بن البصيص البعلبكي » ، وهو باني جامع العطار ، وقد سجل اسمه فوق عتبة الباب الغربي (قبل سنة ٧٣٥هـ .) . و « محمد بن ابراهيم المهندس » ، وهو صاحب الباب الشرقي والمنبر الرخامي داخل حرم الجامع نفسه . (سنة ٧٥١هـ .)

وفي الصناعات الخشبية ، وخاصة في صناعة المنابر وزخرفها وصلنا اسم المعلم « محمد الصندی » ، ونرى اسمه محفوراً على عتبة باب المنبر داخل جامع طينال . (٧٣٦هـ .)

وهكذا نجد أسماء المهندسين والصناع تنتمي الى المدرسة الشامية في العمارة والصناعة ، ومع ذلك فقد ظهرت تأثيرات أندلسية واضحة في مئذنة مسجد البرطاسي ، وفي النافذة الصغيرة العالية في واجهة المدرسة الطواشية ، مما يعنى أن مهندسين أندلسيين شاركوا بخبراتهم في بناء بعض المعالم العمرانية ، كما ظهر النمط المغربي في بناء مئذنة مسجد عبد الواحد المكناسي ، فهي تتميز بصلابتها وصغر حجمها .

ولم يتحرج المهندسون المسلمون من استخدام بعض الأحجار والأعمدة التي كانت في المعابد الوثنية أو كنائس النصارى ، فألقوا بينها في انسجام معماري بديع كما هو قائم في الحرم الأول لجامع طينال حيث نرى ثلاثة أنماط معمارية في جزء واحد ، هي عمود غرانيطي ضخمة مجلوب من مصر أيام الفراعنة ، يعلوه تاج كورنثي ضخمة بتوريقاته التي اختص بها الفن الروماني - البيزنطي ، ويرتكز عليه دعامة من الحجارة الرملية تساهم مع دعومات أخرى في حمل القبة التي تظهر فن عمارة المماليك . ورغم التباين البعيد تاريخياً وفنياً بين الفراعنة والرومان والمماليك ، فقد تجلت عبقرية المهندس الاسلامي في تدجين تلك العناصر ، وتأليف عنصر جمالي متكامل ترتاح اليه النفس . على أن البوابة الداخلية للجامع ، التي تفصل بين الحرمين : الأول والثاني ، والتي جاءت إسلامية البناء والهندسة والفن ، فهي تعتبر بحق أجمل بوابات مساجد طرابلس ولبنان على الإطلاق ، فهي تنافس بفخامتها وروعة تناسقها وزخارفها وألوانها وخطوطها وتجويفاتها ومقرنصاتها وضخامتها أروع بوابات مساجد المماليك في القاهرة ودمشق . وتكاد بوابة المدرسة القرطابية تماثلها بفخامتها أيضاً ، ولكن من يتأمل هذه البوابة وتلك يشعر بنكهة متغيرة نوعاً ما - إن جاز التعبير . والأرجح أن مهندسي بوابات جامع طينال ، وجامع البرطاسي ، وجامع العطار ، والمدرسة القرطابية ، والمدرسة النورية ، والمدرسة الناصرية ، والمدرسة الأثرية ، وغيرها ، كانوا أصحاب مدرسة معمارية واحدة ، وأنهم كانوا جميعاً في فترة واحدة نقلوا عن بعضهم فن التجويف والمقرنصات والمدليات ، والتزيين بالفسيفساء ، وتلاعبوا بقطع الرخام الملون ، الأبيض ، والأسود ، والرمادي ، والأحمر ، فطوّعوها وشكلوها منها تزيينات ودوائر

هندسية بديعة . ومن يتأمل في بوابات هذه المعالم التي ذكرناها بحسب لأول وهلة بأنها ذات روح واحدة في الشكل الهندسي العام ، رغم الاختلاف في دقائق الزخرفة ، كذلك يظهر الإحساس الموحد عند تأمل محراب المدرسة النورية ، ومحراب المدرسة القرطابية ومحراب مسجد البرطاسي ، حيث الرخام الملون يشكل العنصر الأساسي في تزيينه ، ثم تليه قطع الفسيفساء الملونة فوق التجويف . ولكن محراب البرطاسي يتميز عن كل محراب طرابلس ولبنان على الإطلاق بالزخرفة النباتية الرائعة من الفسيفساء المذهبية التي تغطي كامل الفجوة والحنية العليا من المحراب ، وهي تشكل كأساً تفرع منها أغصان وفروع متناسقة متساوية الأبعاد يميناً ويساراً تضفي جواً من الراحة في نفس المتأمل لها . ويكاد مسجد البرطاسي أن يكون بناء مكتملاً حاوياً لكل العناصر الجمالية والهندسية البديعة التي تعبر بقوة ووضوح عن عبقرية البناء والمهندس والفنان المسلم . فمئذنة هذا المسجد تقوم ، مباشرة ، على عقد البوابة الخارجية ، وهذا النظام في البناء نادر حدوثه إذ يحتاج برج المئذنة إلى قاعدة قوية وعريضة تحمله ، فأقوى بناء المئذنة على قبة البوابة مباشرة وكأنه تحد من البناء والمهندس المسلم لقوانين الهندسة والعمارة ، ونجح في ذلك .

وقد تأثر المهندس بالطراز الأندلسي ، وظهر هذا التأثير على الواجهة الغربية للمئذنة ، حتى ليُخيل للناظر إلى هذه الواجهة أنه يرى إحدى مآذن الأندلس أو المغرب العربي . ويشهد الإحساس بأن المهندس أندلسي الأصل ، هاجر الى طرابلس وساهم في بناء معالمها الإسلامية ، وسجل أصله الأندلس في زخرفة العقود التوأمة المنكسرين عند رأسهما ، وتناوب فيهما الحجارة البيضاء والسوداء . ويرتكزان على ثلاثة مناكب من الحجارة البيضاء ، وتفتح تحتها نافذتان مستطيلتان ، يفصل بينهما عمود داكن اللون . والنافذتان مع العقود ضمن إطار مجوف مستطيل الشكل غائر في واجهة المئذنة ، بحيث يبدو سطح العقود بمستوى سطح واجهة المئذنة وفوق هاتين النافذتين ، نافذتان أخريان ترتكز قنطرةهما المدية على عمود مركزي ، وفوق هاتين النافذتين مباشرة مقرنصات متدرجة تشكل اسافين لقاعدة برج المئذنة المشرف الى الخارج ، بحجم يزيد عن حجم ساق المئذنة .

أما قبة المسجد فهي غاية في الروعة والبهاء والفخامة والإرتفاع والاتساع ، تحتها فسقية من الرخام الملون تعتبر أروع فسقية في مساجد طرابلس ولبنان على الإطلاق ، وأرض المسجد كلها بالرخام الملون ، والفسيفساء تشكل تزيينات هندسية بديعة حول الفسقية ، كما يغطي الرخام كامل الواجهة القبليّة لبيت الصلاة .

وجامع طينال يماثل مسجد البرطاسي في روعة البناء والهندسية ، إلا أنه أفخم منه لضخامته بحيث يتألف من حرمين ، ويحتوي على خمس قباب متفاوتة الأحجام ، وينفرد بمئذنته الجميلة المتميزة بالطابع الحربي في شكلها وفي تصميمها ، ومن خصائصها الفريدة غير المتوافرة في غيرها من المآذن الاسلامية ، أن لها سلّمان لولبيان ، إذا صعد إليهما شخصان في آن واحد لا يلتقيان أبداً ، وينزلان كذلك بحيث يفضى باب إحدى السلمين إلى داخل الحرم الثاني (الداخلي) من الجامع ، ويفضى باب السلم الأخر الى

خارج الجامع إن تعداد الخصائص الهندسية المتوافرة في مساجد طرابلس ومدارسها تحتاج الى دراسة أوسع ، ووقت أطول ، ويكفي أننا ألمحنا إليها هنا بهذا البحث المتواضع .

بقي أن أشير إلى خصوصية أخيرة في بناء المدينة الإسلامية ، تتم عن لمسة إنسانية وروح متعاطفة بين المهندس والبناء وصاحب البناء ، والتعاطي هندسياً ومعمارياً مع عامة الناس ، وذلك في كسر حدة الزاوية لكل بناء يقع في بداية السوق أو في نهايته ، أو عند كل منعطف ، بحيث تشطف الزاوية الحادة للبناء كما يشطف طرف الزجاج للتخفيف من حدته فلا يجرح الأيدي والأصابع التي تحملها أو تمسكها ، ولا يخفي ما في هذه الخصوصية المعمارية التي تراها في أسواق طرابلس القديمة من لمسة إنسانية تتوخى إزالة كل ما من شأنه يعرض المارة للضرر في حال الارتطام لسبب ما في زاوية البناء ولم يكتف البناء بكسر حدة الزاوية فحسب ، بل أضفى عليها مسحة جمالية ، حيث جعل نهاية الزاوية المشطوفة شبيهة بجنحة المحراب ، وزينها ببعض التجويفات المتناسقة ، ترتاح النفس لرؤياها ، وليت بنائنا ومهندسينا يقتدون بالمهندسين والبنائين المسلمين الذين شادوا المدن العربية بتلك الروح السامية الصافية صفاء العقيدة الإسلامية ، والشفافه شفافية الروحخ الإنسانية .



صَفَا قِسْ



وضعية مدينة صفاقس العربية الاسلامية والتوسع التجاري والصناعي داخلها

على الزواري

مقدمة :

في قلب هذا النسيج العمراني ممثلة رغم وطأة حضارة العصر عليها احد عشر قرنا من التاريخ والحضارة . فالمدينة العتيقة قد حافظت على جوهر كيانها الحضاري المعماري وعلى تقاليد الحضارة العريقة وكانت المنهل ولا تزال في انتشار التقاليد الحضارية في الاحياء والقرى المحيطة خارج سورها . غير ان تلاقي بعض العوامل القديمة مع بعض العوامل الجديدة ، بنت هذا العصر اخذ يضغط على المدينة في اتجاه يعاكس توازنها وتوازن البيئة (حزام الاجنة) التقليدية التي حولها .

أبرز خصائص المدينة :

موقعها الجغرافي : تقع مدينة صفاقس بين البر والبحر . ومنذ اقدم عصورها حافظت صفاقس على عضويتها مع بساطتها فكان السكان حتى مطلع القرن الثامن عشر يقطنون بالمدينة طيلة السنة عدا اشهر الصيف التي يقضونها في الابراج خارج السور حيث الاجنة وجملة الاجنة تسمى الغابة ثم صار بعض الناس يقطنون كامل السنة في البساتين . ولكن اهل الغابة لم يتنكروا للمدينة ولم تنتكر لهم ، ياتونها لقضاء صلاة الجمعة وبيع غلالهم واقتناء كل ما يحتاجون اليه من منتج محلي ومستورد . ومنذ الاحتلال الفرنسي شيدت مدينة حديثة خارج السور حول الريص القبلي في مكان الميناء الذي وقع ردمه وتوسعت المدينة الحديثة مع الزمن وكثر عدد سكانها . وهؤلاء السكان يلجأون الى المدينة الاسلامية لايتباع المنتجات التقليدية وغيرها وصار سكان الغابة يعبرون المدينة الاسلامية ذهابا الى المدينة الحديثة حيث الادارات والملاهي والمقازات العصرية ويعبرونها اياها الى منازلهم ، فمن الطبيعي ان تتفاعل الاسواق مع مرور الناس جيئة وذهابا .

النمو الديمغرافي والمكاني : النمو الديمغرافي ظاهرة من ظواهر عصرنا واسبابه معروفة . وعندما نتحدث عن النمو الديمغرافي بالنسبة لصفاقس فليس داخل المدينة فقط بل في منطقتها الكاملة اذ هي كما ذكرنا آنفا بحكم موقعها ووظائفها الصناعية والتجارية مجلبة للحرفاء والمتجولين فعلى سبيل المثال نذكر ان عدد سكان صفاقس قبل الاحتلال لا يتخطى ٢٠,٠٠٠ ساكن ووصل سنة ١٩٣٧٦/١٩٥٦ الى ١٦٧,٠٠٠ ساكن ثم تطور هذا العدد بسرعة خلال السنوات الاخيرة اذ وصل الى ٢٣٥,٩٥٠ ساكن سنة ١٩٣٨٦/١٩٦٦ وإلى ٢٦٠,٠٠٠ ساكن سنة ١٩٧١/١٩٣٩١ واقترب سنة ١٩٣٩٥/١٩٧٥ من ٣٠٠,٠٠٠ ساكن منهم ١٠,٥٠٠ ساكن فقط في المدينة

تقع مدينة صفاقس بالجمهورية التونسية على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرق شمالي خليج قابس في ارض منبسطة تربط بين الساحل التونسي ومواقع الجنوب .

دخلت مدينة صفاقس التاريخ المكتوب عندما تم بناء سورها بالطوب وعندما تم جامعها (الجامع الكبير) الذي يحتل قلب المدينة وذلك على يد القاضي علي بن سلم البكري الوالي الجبنياتي سنة ٨٢٤٥/٨٥٩م في زمن الامير احمد بن الاغلب ورقعة المدينة التي يحيط بها السور هي على شكل مربع مستطيل ومساحتها تساوي ٢٤,٥ هكتار . خططت على النمط العري وأما السور فيمتد على طول ٢٥٧٠ مترا بينما يتراوح ارتفاعه بين ١٠ و ١٢ مترا عدا القلاع والحصون التي يصل ارتفاعها الى ١٧ مترا وأكثر .

والمتمعن لتاريخ مدينة صفاقس يلاحظ انه يصهر في تاريخ الامة العربية الاسلامية فقد تبعت صفاقس الفيروان والمهدية في اطوارها الاغلبية والزيرية ، وتبعت تونس الحفصية والتركية واحتضنت في مختلف اطوار حياتها اسرا عربية اتتها مباشرة من الشرق أو عن طريق القيروان ، كما احتضنت اسرا موحدية واندلسية اثرت كلها في اتجاهاتها الحضارية كما تأثرت عن طريق التجارة بالفنون الشرقية وما تزال من كل ذلك في المنازل القديمة التي سلمت من المسخ والمعالم الاثرية العامة من جوامع ومساجد وزوايا ، شواهد معمارية وزخرفية بليغة .

ومن خصائص مدينة صفاقس التي واكبتها منذ بدايتها وجود حزام اخضر من الأجنة « الحدائق والبساتين المثمرة » بتوسعة مسكن هرمي الشكل يعرف بالبرج .

وعاشت مدينة صفاقس العربية الاسلامية داخل سورها قرونا طويلة ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر شيد حي جديد خارج السور قرب الميناء يعرف بالريص القبلي . ومنذ ذلك التاريخ تعددت الارياض وظهرت قرى صغيرة حول المدينة في منطقة الاجنة . وفي القرن الذي نعيشه ظهرت مدينة حديثة في مكان الميناء القديم الذي وقع ردمه . واليوم وقد اتسع العمران وامتدت الاحياء السكنية والتجارية والصناعية امتدادا عظيما نجدها



مفاس ٢٥٢



مفاس ٢٥



مفاس ٢٥٣

الاسلامية التي تستقبل يوميا من باعة وحرفاء ومتجولين اضعاف عدد سكانها . فعلى سبيل المثال والتقريب اعطتنا احصائية سنة ١٣٨٩/١٩٦٩ عدد ٣٨٨٧ عاملا في المدينة لا يقطن منهم بها الا ٧٢٠ عاملا . ومنذ ذلك الحين تفاقم الفارق ولاشك لان نشاط المدينة تضاعف وقل عدد سكانها كما سنبينه .

طريق المواصلات : ان الثورة التي حصلت في ميدان النقل جعلت مدينة صفاقس قبلة مختلف القرى المنتشرة في سباسبها وقبلة مدن الجنوب التونسي يستمدون منها الالات الفلاحية التقليدية والغرابيل والاحذية والمنسوجات والتوابل والحلي والاقمشة وغير ذلك من المنتجات المحلية والبضاعة والمستودرة .

الحركة التجارية والصناعية :

فلهاته الاسباب الاساسية كلها كثر الطلب فاذا كان الطلب متوافرا فلا بد ان يواجهه العرض وذلك ما حصل خاصة وان الصفاقسي تاجر بطبعه وحافظ على صناعاته التقليدية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فالعمل التجاري والصناعي لا يكون الا في محلات ودكاكين ومخازن وحصل الذي لابد ان يحصل مع هاته الوضعية فلم تعد الاسواق التقليدية كافية لاستيعاب النشاط المتزايد فامتدت الحركة داخل الاحياء السكنية . والمتجول اليوم في المدينة العتيقة داخل الاحياء السكنية القديمة يلاحظ كثرة الحدادين والحياطين وباعة الاقمشة والملابس الجاهزة وزادت أعداد الدكاكين منذ سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م بمقدار ٨٠٠ رغم تشديد المراقبة التي لولاها لانتهى أمر مدينة صفاقس .

وان قلة الدكاكين المعروضة للبيع أو الكراء اما كثرة الطلب ادى الى ارتفاع اثمانها خاصة الدكاكين الموجودة بالشوارع التجارية فقد وصل كراء بعض الدكاكين الى اثمان خيالية ٢٥٠ دينارا تونسيا في الشهر الواحد ، اما اثمان البيع والحقوق التجارية فتصل الى عدة ملايين من المليمات التونسية . والنتيجة هي تقسيم المنازل الى أكثر عدد ممكن من الدكاكين الى حد ان بعض الدكاكين اقتصرت مساحته على مترين مربعين ودون فتحات تهوية خلاف الباب ومن الطبيعي ان تؤدي هاته الحالة الى تسابق في تحويل المنازل الى دكاكين وحجة اصحابها ان المدينة تجارية والدكاكين في كل مكان وهاته الظاهرة لها تأثير آخر على السكن فاصحاب المنازل الذين بقوا متعلقين بمنزلهم واحيائهم وجاورتهم الدكاكين صاروا يشعرون بالضيق وصاروا بدورهم يفكرون في حلول لا تتماشى مع البيئة الطبيعية للمدينة . ومن نتائج الاحتكار ايضا انعدام وحدة الاسواق ففي سوق الكامور نجد جزائرين ، وفي سوق الجزائر نجد الحدادين الى غير ذلك .

ومن جهة أخرى استدعت الحركة التجارية والصناعية وكثرة الناس بالمدينة فتح ابواب جديدة في السور فخلال الفترة الاستعمارية فتحت خمسة ابواب ثلاثة منها واسعة تدخل منها السيارات ومنذ الاستقلال فتحت اربعة ابواب اخرى . وامام ضغط الحركة المتزايد ومن حسن التدبير انه وقع العدول عن التفكير في شق المدينة الى نصفين بطريق واسعة تربط بين باب الجبلي وباب الديوان ولو نفذت هاته الفكرة لذهبت الطريق بأثنى ما في المدينة ، جامعها الكبير واسواقها التقليدية . واخيرا استدعت كثرة رواد المدينة توسيع البعض من مساجدها وجوامعها تلك التي يرجع تاريخها الى القرنين السابع عشر والثامن عشر ولكن الحقيقة تقال ان جل المساجد والجوامع بقيت على طابعها .

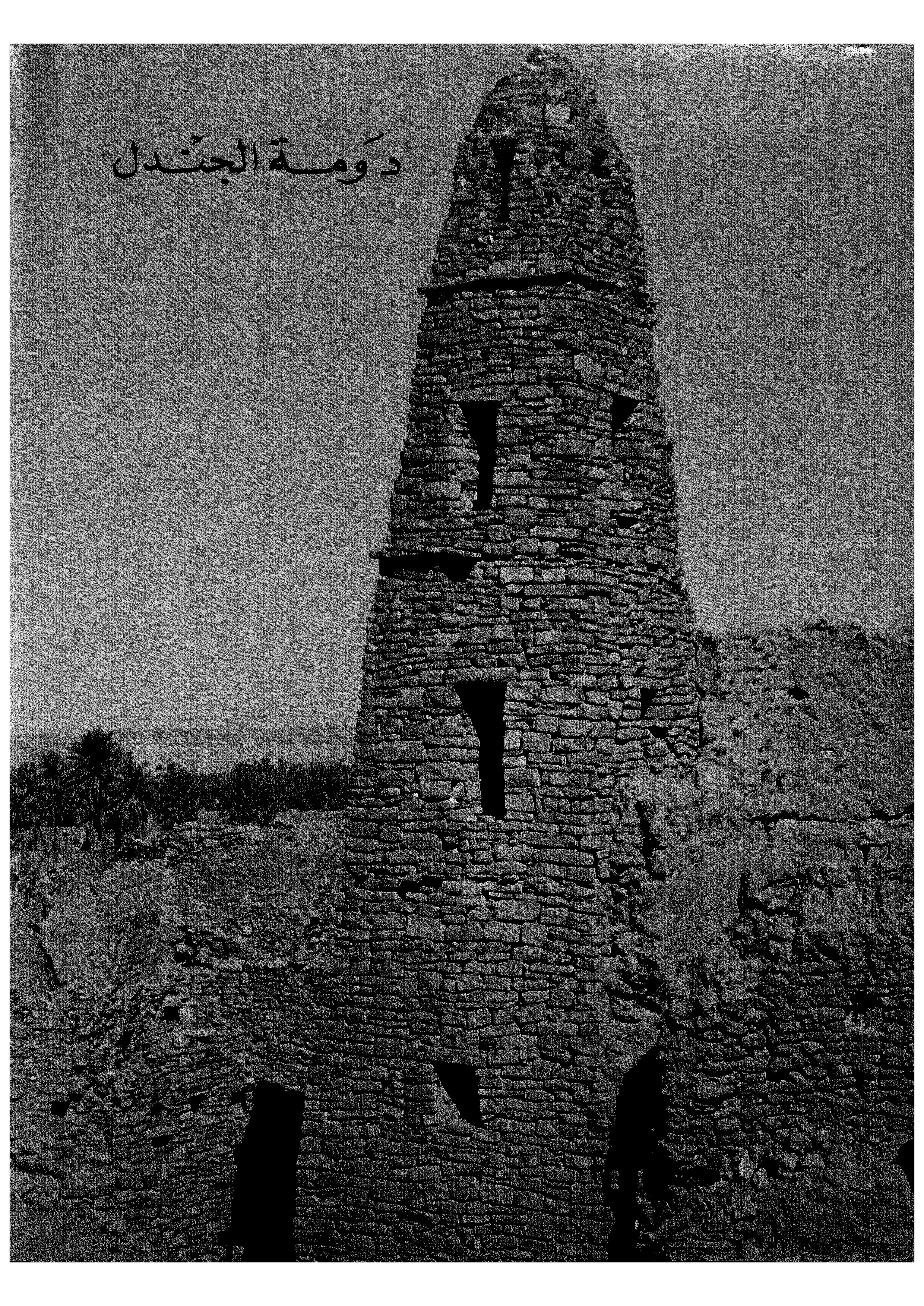
هذه هي تأثيرات الموقع الجغرافي ، والنمو الديمغرافي ، والنشاط التجاري والصناعي على بيعة المدينة وتوازنها ولكن هناك عاملا آخر هو ضغط الحضارة العصرية في اساليبها الفنية والعمرائية والاشهار التجاري ففي المدينة الاسلامية صارت المظاهر التقليدية تتضارب مع مظاهر الحضارة العاصرة ، وتعددت الالوان واخذت الابواب الحديدية التي تطوى تعوض الابواب الخشبية كما اخذت النوافذ الواسعة تعوض النوافذ التقليدية ثم ظهرت محلات تجارية ذات واجهات بلورية للعرض التجاري ، وعلت واجهات المحلات التجارية لافتات اشهارية متباينة في اشكالها والوانها وكيفية وضعها .

الخلاصة :

ولو اردنا ان نلخص لقلنا ان مدينة صفاقس الاسلامية احتفظت بالعديد من مظاهر ماضيها وبيعتها : سور يحيط بها ، جوامع وحمامات بقيت وشبكة طرقات ومسالك لم تتغير واسواق تعمل لفائدة ابنائها ومرتاديا التونسيين ، فمدينة صفاقس من المدن الاسلامية القليلة في تونس التي لم تتأثر بالسياحة ولكن العناصر الجديدة التي دخلت بصفة فوضوية احدثت نشازا غريبا .

فهل نعتبر دخول العناصر الجديدة التي اشرنا اليها خطرا على هاته المدينة ككيان حضاري اسلامي ام نجده كنشاط يواكب النمو الحضاري المعاصر نريده لكل مدينة اسلامية يعيشها اناس نريدهم يعيشون وترك لهم حرية التصرف فيما يملكون ؟

دومة الجندل



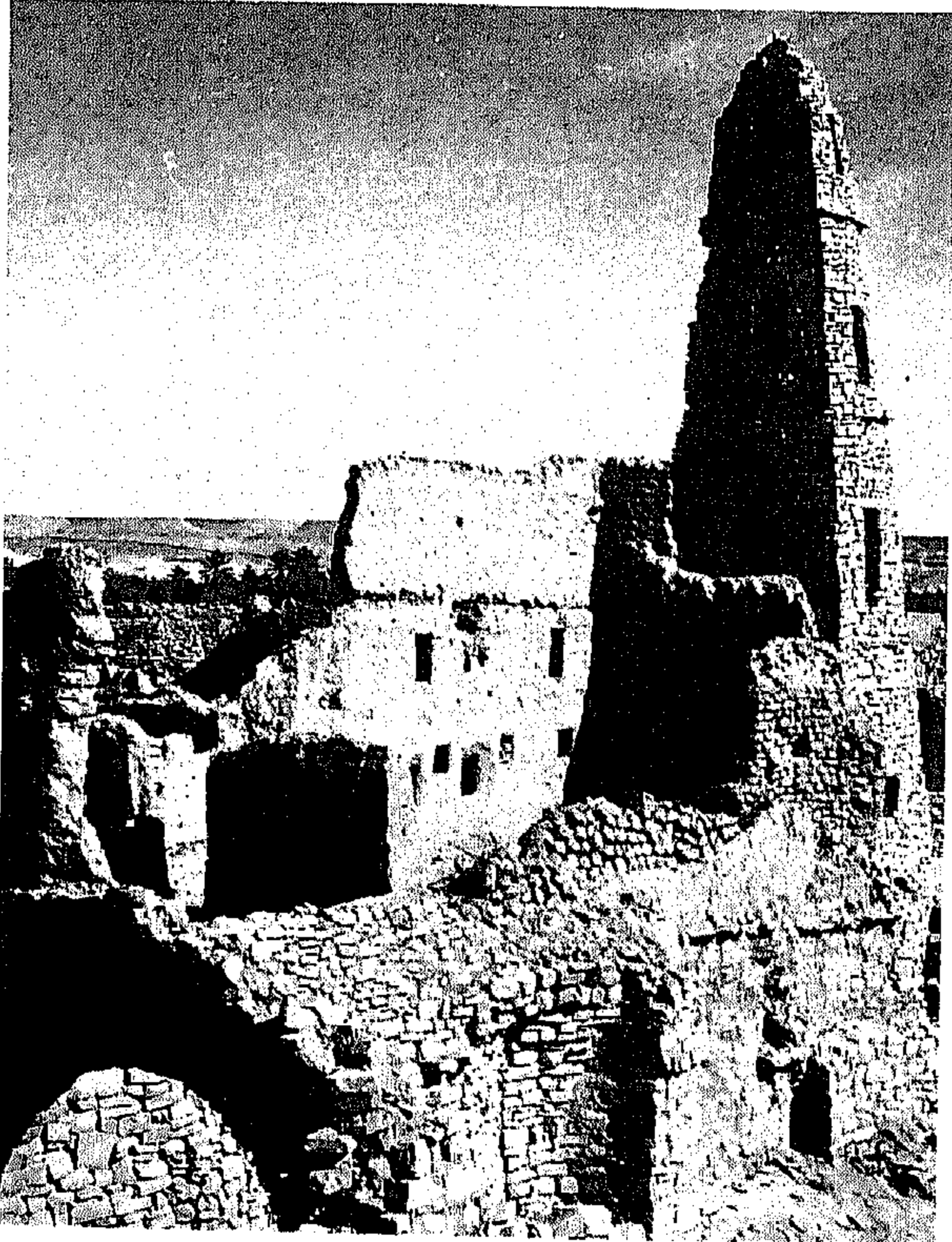
الحفاظ على خصائص المدينة العربية الإسلامية

الإدارة العامة للآثار والمتاحف وزارة المعارف - المملكة العربية السعودية

مقدمة :

- رصف الأزقة والدروب الضيقة بالمواد القديمة مثل الأحجار .
- انشاء مصانع لتأمين المواد الأولية اللازمة ذات المواصفات الأثرية والحضارية المعنية .

ولقد قامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف بعدد من المشاريع الهامة التي تهدف الى صيانة هذه المدن وإحيائها والحفاظة عليها ، فضلا عن تعاونها العربي والدولي في هذا المجال وما يشتمل عليه نظام الآثار لتأمين هذا التراث الخالد وتعريف العالم بتاريخ وحضارة هذا البلد العريق ، من ذلك مشروع إحياء مدينة الدرعية القديمة ومشروع تسجيل وترميم وصيانة قصور الأحساء ومساجدها ، والاحتفاظ بحجى الديرة (العلا القديمة) تمهيدا لصيانتها وترميمه ، كما تعمل الإدارة على الإبقاء وصيانة البلدة القديمة بدومة الجندل . وقد قدمت الإدارة العامة للآثار إبحاثا عن كل هذه المشروعات (ستنشر تباعا) ، وفيما يلي وصف لمشروع البلدة القديمة بدومة الجندل .



٢٥٥ اطلال من البلدة القديمة

تتطلب صيانة المدن التاريخية أنماطا من المباشرة وأصنافا من التخصصات ومقادير من التكاليف عالية تتناسب مع المهمة ومتطلباتها ، اذ يلزم لصيانة المدينة الآتى :

- بيان مصنف لكل محتوياتها الفنية وكل أنشطتها وتطلعاتها .
- تصنيف للأولويات والاحاطة بجوانبها ومتطلباتها .
- اعداد لوسائل العمل وتوفير الطاقات ذات الكفاءة المتخصصة للعمل بأنجح الطرق .
- مباشرة شواغل الصيانة بنفس متصل ووسائل متوافرة ومكاتب متابعة وتنفيذ ، قائمة في المجالات المعنية نفسها .

والواقع أن تحقيق هذه الأهداف ليقع على عاتق البلديات اذ انها أقدر الجهات التي يمكنها القيام بهذا العمل العظيم أما دور الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف فهو دور المساعد والاستشاري .

- ولتحقيق هذه الأهداف فإنه من الضروري إتخاذ الخطوات الآتية :
- رفع مساحى دقيق وكامل للمدينة المراد صيانتها يوضح المساحة الكلية وأنماط نسيجها الحضارى والتاريخى
- تحديد الخصائص المعمارية الفنية وأساليب البناء ومواده .
- انشاء مكتب هندسى يدار بوعى لتوجيه التنفيذ ودفعه ومراقبته وملاحظة نتائجه .

وعلى ضوء الدراسة والأبحاث التي يقوم بها هذا المكتب يمكن اتخاذ الخطوات الآتية :

- فتح الشوارع الضرورية لانسحاب الحركة ومسايرة التطور .
- وضع مواصفات المباني الجديدة لتنسجم مع المباني القديمة .
- العمل على تشجيع الأسواق القديمة مع الإبقاء والاستمرار في ادخال الخدمات الجديدة بما لا يتعارض مع الصبغة القديمة والطابع الحضارى لها .
- عدم السماح بهدم الأحياء القديمة والعمل على المحافظة عليها وتقديم منح تشجيعية لأعمال الترميم والصيانة .
- الإبقاء على العمارة الدينية وترميمها وعدم السماح بهدمها .

البلدة القديمة بدومة الجندل :

والواقع أن التصميم المعماري لمنازل هذه البلدة القديمة يشير الى أنها كانت تخضع الى نظام اجتماعي معين إذ يلاحظ أن الطابق الأرضي في معظمها كان مخصصا للإستقبال ، بينما يصعد الى الطوابق العلوية المخصصة لأهل المنزل بواسطة سلم داخلي ، أى أن فن المعمار بالبلدة القديمة بدومة الجندل قد سبق فن المعمار المعاصر من حيث التصميم وتخصيص أجنحة للإستقبال وأخرى للمعيشة والحياة اليومية .

الأسوار والبوابات : نتج من تلاصق جدران المنازل مع بعضهما ، أسوار أحاطت بالمدينة الى جانب الأسوار الأخرى المستقلة ، وكان يدخل الى البلدة بواسطة عدة بوابات ، ويظهر ذلك في تلك البوابة التي لاتزال قائمة في شمال غرب المدينة والتي يعلوها جذوع النخيل .

الشوارع : يتراوح اتساعها بين ١,٥ م و٣ م ، ويوجد ببعضها مصاطب حجرية للراحة والاسترخاء ولقد أقيمت جسورها فوق الاجزاء المغطاة منها وبما استخدمت كممرات للدفاع من ذلك ثلاثة عقود مديبة يعلوها سقف أفقى من جذوع النخيل والأشجار ، وعلى كلا الجانبين مصاطب (المساحة ١٦٨٦ م) .

العناصر المعمارية :

الفتحات : ضيقة في معظم الأحيان ، وهى إما بوابات خارجية بأسوار البلدة ، وإما مداخل للمنازل أو نوافذ ، تعلوها أعتاب حجرية مرفوعة على كوابل بسيطة ، أو تعلوها جذوع نخيل أو أشجار وضلفها قوامها جذوع نخيل رأسية مثبت فيها عوارض خشبية أفقية ومزودة بترابيس (مزلاج) خشبية ، كما أن الفتحات الداخلية لهذه المنازل عادة ما تكون محمولة على كوابل حجرية ، كما يلاحظ أن بعض النوافذ للمنازل المطلة على الشارع توجد في دخلات على هيئة محارِب .

التغطيات : قوامها أسقف مسطحة محمولة على قطع من جذوع النخيل وأشجار الآثل في معظم الأحيان ، وعلى قطع حجرية أحيانا لاسيما في بعض المناطق المغطاة بالشوارع .

مواد البناء .

— أحجار رملية ، في جميع مبانى البلدة من أسوار وبوابات ومنازل ، وأعتاب تعلو الفتحات ، وفي العقود المديبة والمستديرة .

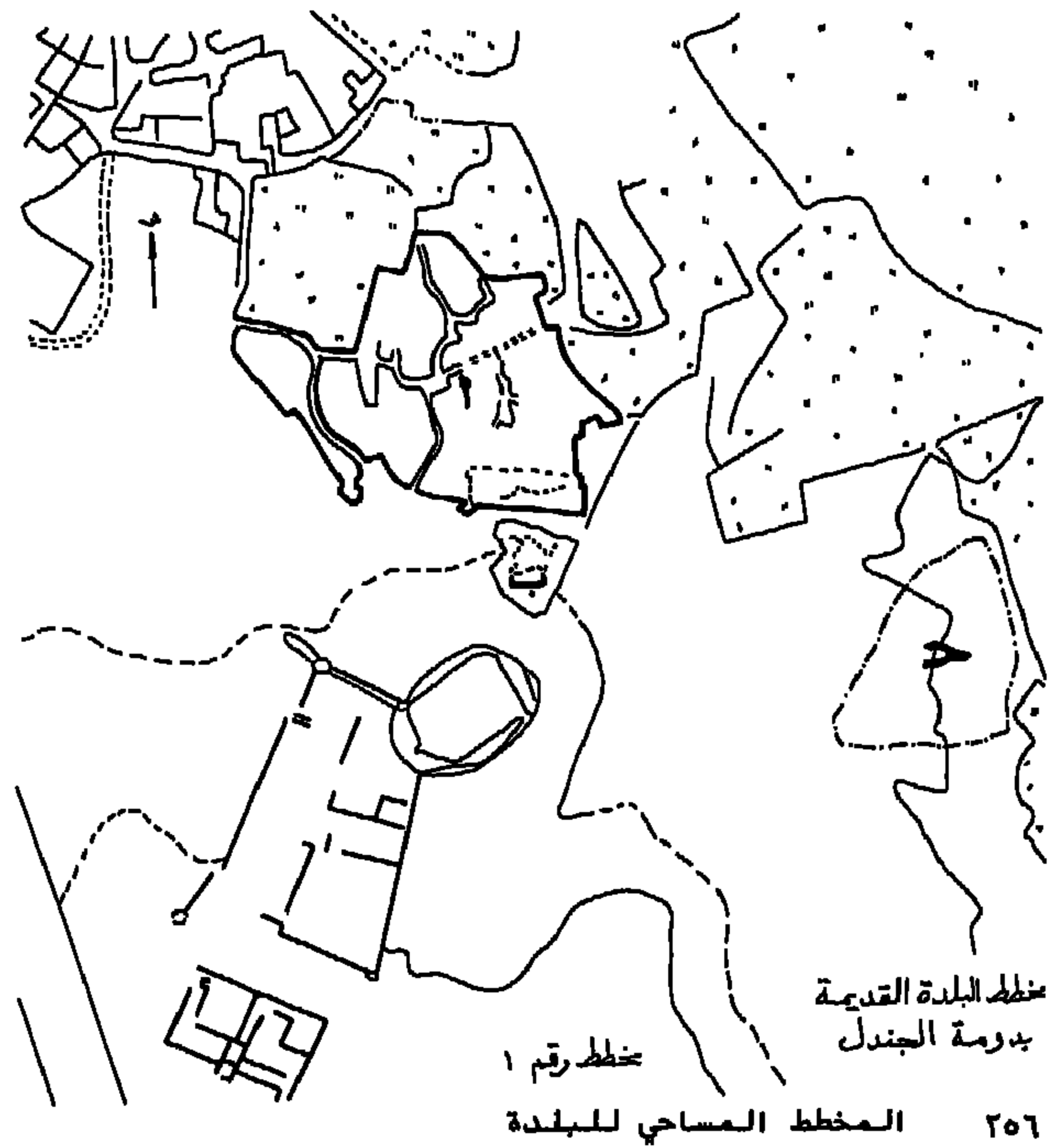
— طوب لبن ، في بعض الأجزاء العلوية من المنازل ، فضلا عن استخدام الطين في التليس .

— مونة من الطين والجص للربط بين الأحجار الرملية في معظم الأحيان .

— أخشاب ، قوامها جذوع نخيل وأخشاب من شجر الآثل استخدمت في تغطية أسقف المنازل والبوابات وفي الضلف الخشبية لأبواب المنازل وكأعتاب تعلو بعض الفتحات .

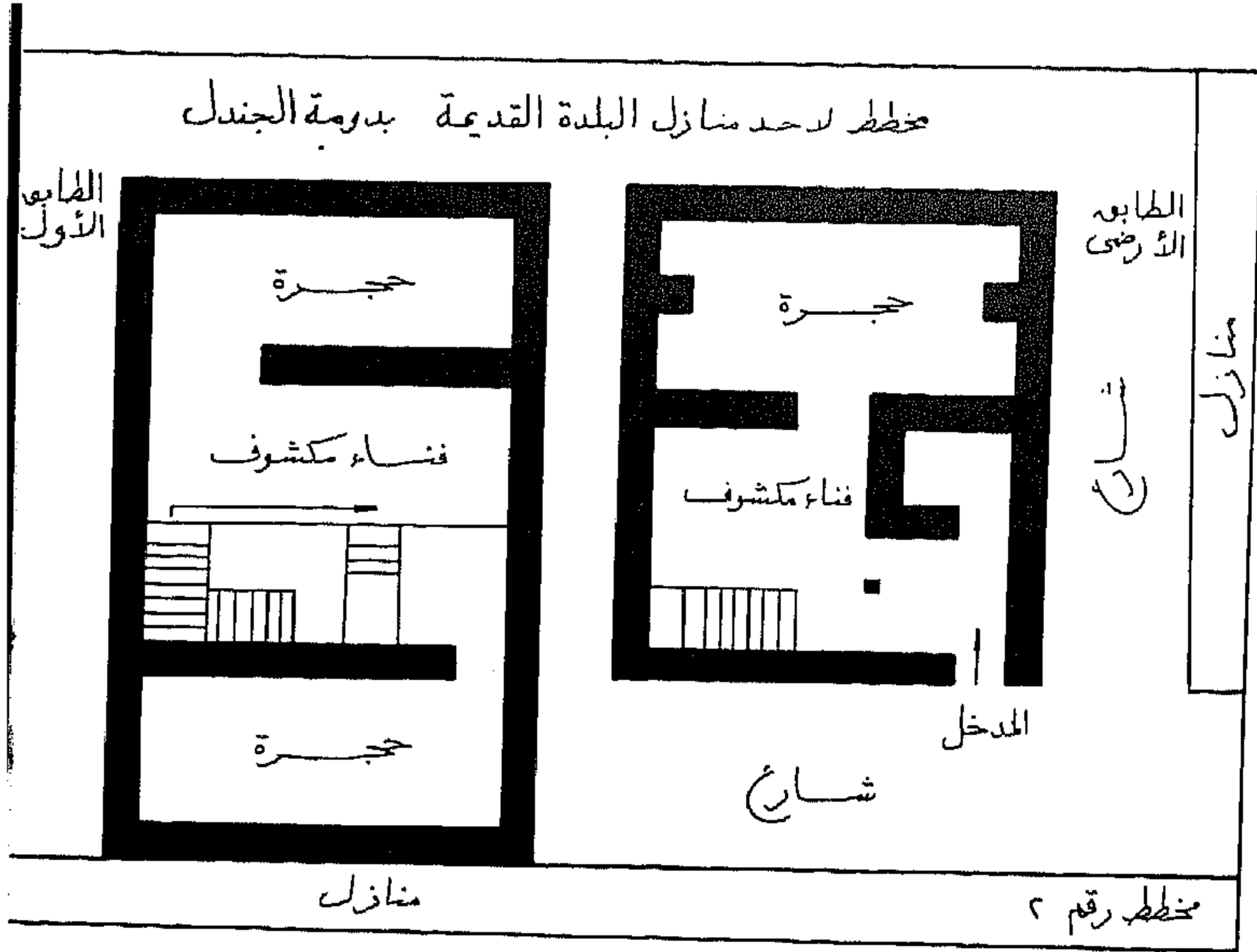
الموقع : تقع في الميول الشمالية الشرقية بدومة الجندل في مساحة غير منتظمة الشكل ، الا أنها تميل الى الاستدارة ، ويحدها من الجهة الشمالية والجهة الشرقية مساحات من النخيل والأشجار ، ومن الجهة الجنوبية مسجد عمر وقلعة مارد وما بينهما من بقايا معمارية قديمة ، كما تتركز بعض البقايا المعمارية القديمة المتهدمة في الجهة الجنوبية الشرقية ، أما الجهة الغربية فيها الطريق الرئيسى الذى يخترق مدينة دومة الجندل الحديثة .

المخطط : قوامه شبكة معقدة من الطرق المتداخلة وغير المنتظمة الشكل والاستقامة ، اقيم على جانبا المنازل ويدخل اليها بواسطة بوابات هذا الى جانب مسجد عمر وقلعة مارد ، والأسوار كانت تربط منطقة القلعة بالبلدة .



المنازل : تمتد عبر الشوارع الضيقة وهى قليلة المساحة في معظم الأحيان ومتعددة الطوابق وقوام تصميمها المعماري في أغلب الأحيان أفنية مكشوفة تفتح عليها حجرات قليلة العدد والمساحة ، ومتعددة الطوابق اذ يتراوح عدد طوابق بعضها بين طابق واحد وثلاثة طوابق وتشتمل المداخل على عقود مديبة ومستديرة ، وهى مزودة بنوافذ ضيقة ومرفعة تطل بها على الشوارع الى جانب مداخلها التي تعلوها أعتاب حجرية محملة على كابولى .

ولقد استخدمت الأحجار الرملية المختلفة الأحجام في بناء هذه المنازل ، وغطيت جدرانها بطبقة من الطين في بعض الأحيان ، وتوجد على جانبا مداخل بعض المنازل مصاطب حجرية .

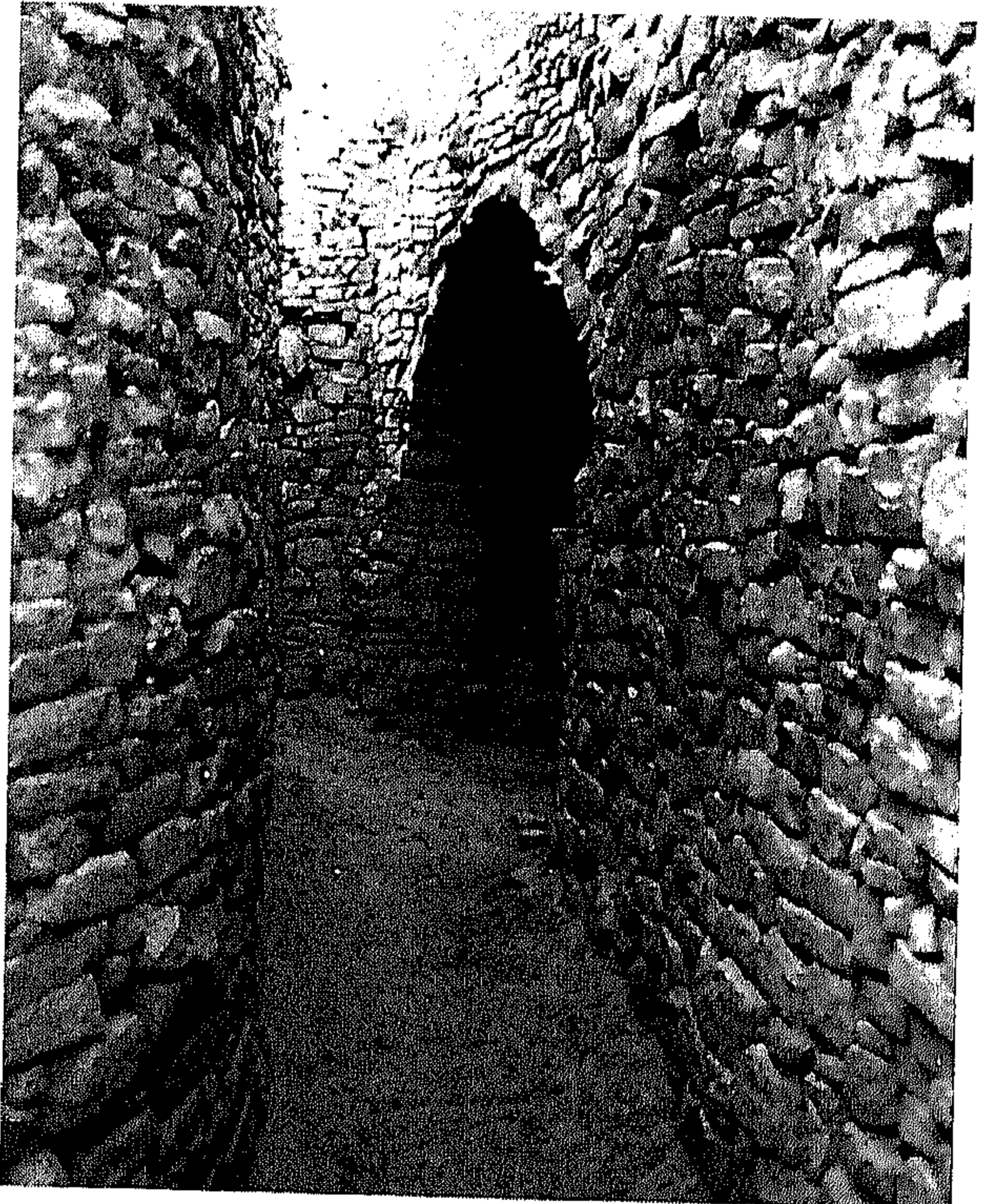


٢٥٧ أحد منازل البلدة القديمة



٢٥٩ أحد المداخل الرئيسية للبلدة

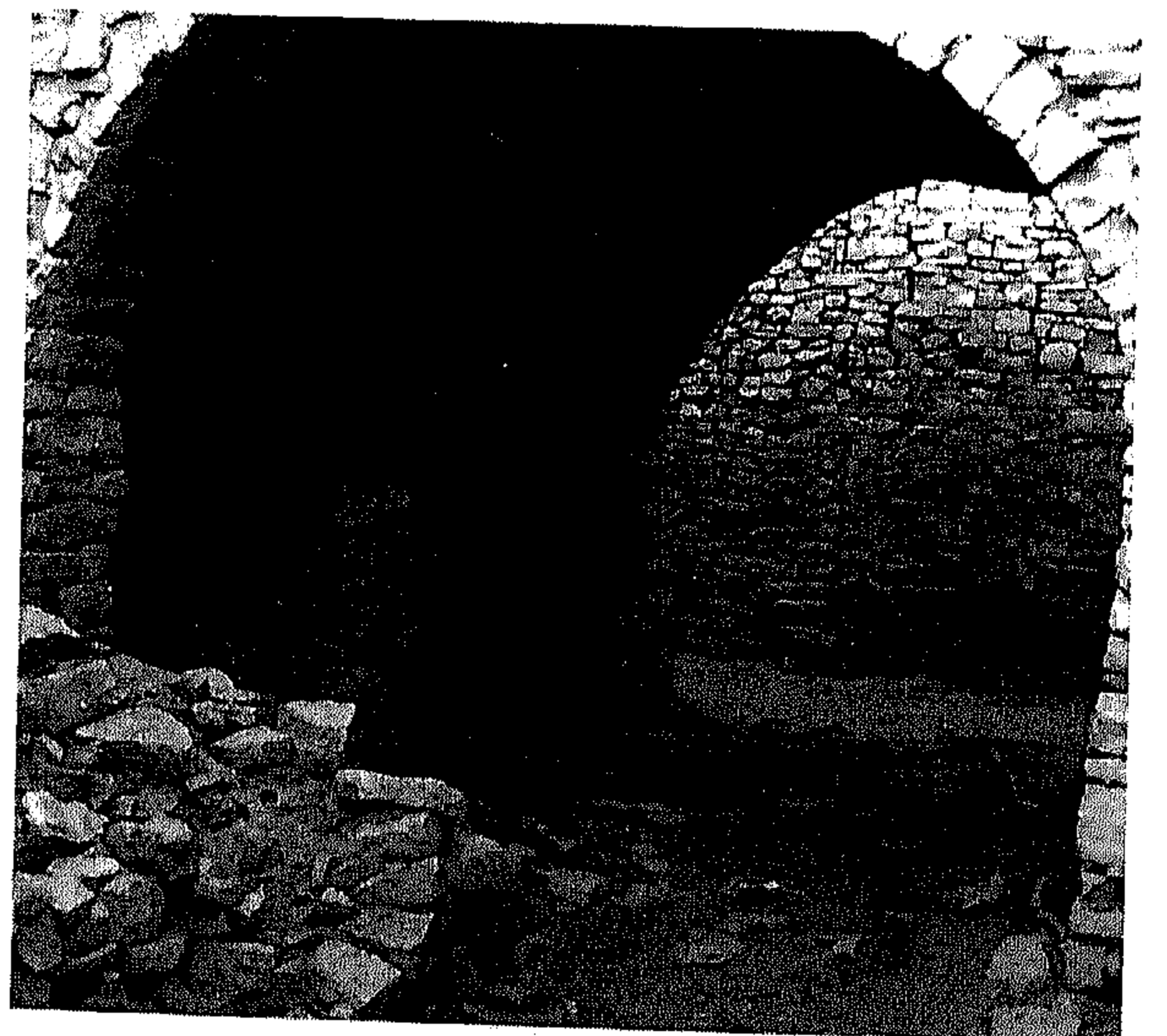
والواقع أن الطراز المعماري بالبلدة القديمة بدومة الجندل ليشتمل على قوة والمتانة ، الأمر الذي يزيد من أهميتها مستقبلا بالنسبة للدراسات والتقنيات الأثرية ، إذ كشفت المحاسن الأختبارية التي أجريت بها عن أساسات عميقة وفخار من العصر النبطي على بعد حوالي ٢٢ م من سطح الأرض ، ويعلوه فخار يرجع إلى العصر الإسلامي ، الأمر الذي يشير أيضا إلى أن هذه المدينة الإسلامية بطرزها وعناصرها المعمارية قد قامت على أنقاض إحدى مناطق الاستيطان القديمة ، وعلى أن هذه المنطقة كانت مأهولة قبل العصر الإسلامي .



٢٥٨ أحد شوارع البلدة القديمة



٢٦١ أسلوب البناء بالبلدة القديمة



٢٦٠ مجموعة العفود المدببة

مسجد عمر :

الموقع : يقع جنوب شرق البلدة القديمة ، وتحيط به منازل البلدة القديمة من الجهة الشمالية والغربية ، بينما تقع قلعة مارد على بعد ١٥٠م من جهته الجنوبية .

الوصف المعماري :

قوامه صحن مستطيل مكشوف (فناء) يحده من الجهة الجنوبية رواق القبلة ، وهو يتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة وتفصل بينها ثلاث بوائك كل بائكة تتكون من عشر دعائم .

ويتوسط جدار القبلة محراب عميق يبرز للخارج ويعلوه عقد مدبب وعلي يمينه مباشرة شيد منبر المسجد ، وهو عميق أيضا ويصعد اليه بواسطة ثلاث درجات من الحجر ، ويعلوه أيضا عقد مدبب ويتخلل جدار القبلة وكذلك الجدار الغربي للمسجد أرفف لحفظ المصاحف ويغطي رواق القبلة سقف من جذوع أشجار متعامدة على جدار القبلة ، ويصعد فوقه بواسطة مجموعتين من الدرج أولاهما في الركن الجنوبي الغربي للمسجد وثانيتهما شرق البروز الخارجي للمحراب .

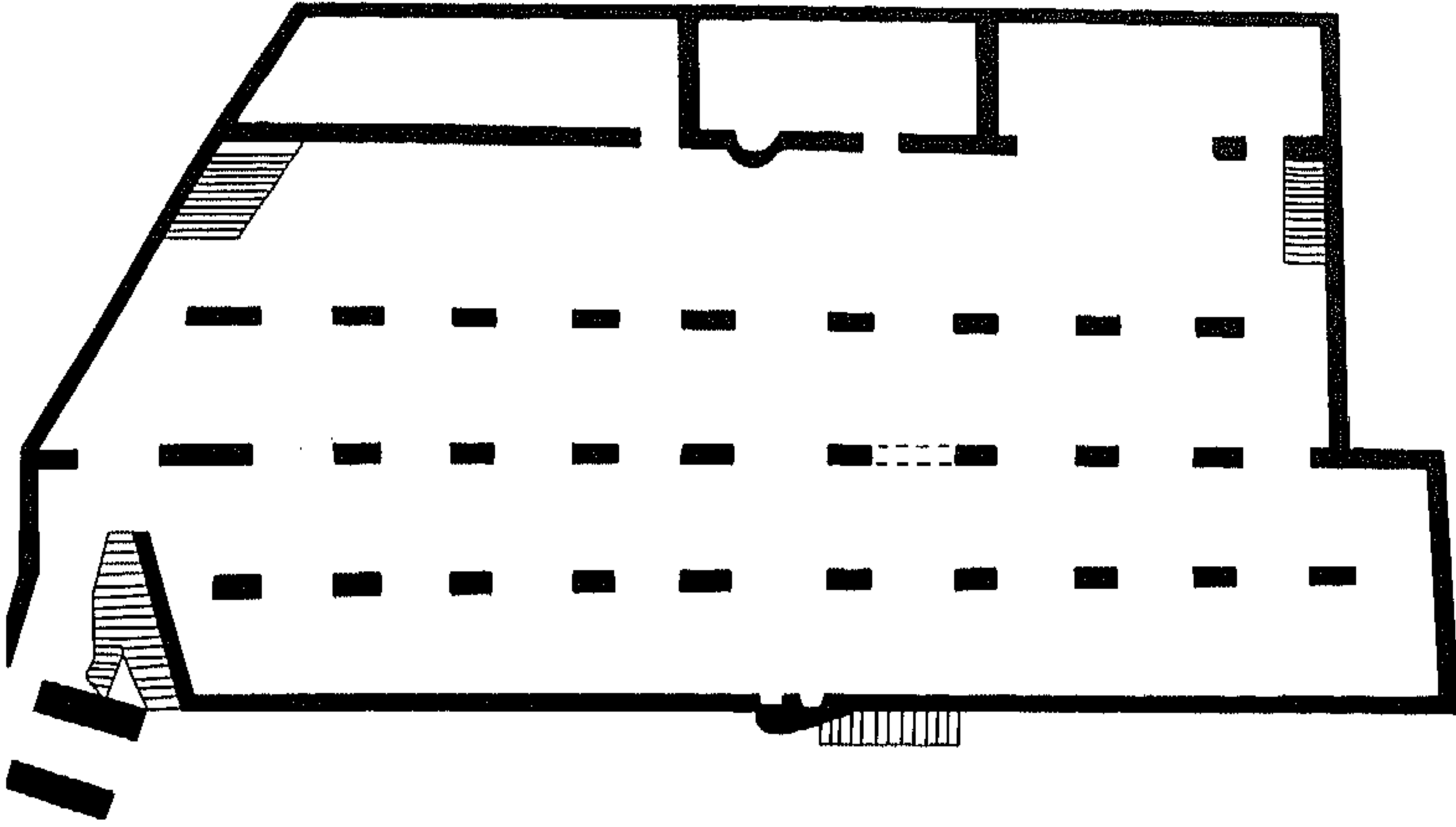
ويحد الصحن من الجهة الشمالية رواق آخر أقل مساحة من رواق القيام الرئيسي ، اذ يتكون من بلاطة واحدة محصورة بين جدار المسجد الشمالي وبائكة واحدة كانت تطل على صحن المسجد .

وفي كل من الركن الشمالي الشرقي ، والركن الشمالي الغربي للصحن ، توجد مجموعة من الدرج تتكون من عشر درجات يصعد بها الى أعلى الرواق المقابل لرواق القبلة .

ويدخل للمسجد بواسطة مدخل رئيسي غرب دعامة المئذنة المتصلة بجدار القبلة يؤدي الى ممر مكشوف الى صحن المسجد ، وفي شرق دعامة المئذنة يوجد مدخل آخر ثانوي يؤدي الى نفس الممر المكشوف وتغلق هذه المداخل بأبواب خشبية .

أما عن المئذنة فهي ذات تصميم فريد وتقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد ، وتبرز عن جدار القبلة وهي عبارة عن كتلة معمارية مقامة على دعامين مستطيلتي القطاع ، ويعلوهما كابولي يتكون من قطع حجرية ضخمة يحمل ثمانى قطع حجرية ضخمة أيضا كأعتاب ، ويصعد اليها بواسطة درج خارجي مقام على قطع خشبية ضخمة ، يصل بالداخل اليها باب قليل الارتفاع في ضلعها الشمالي الشرقي ، ويبدأ بعده السلم الداخلي للمئذنة الذي قوامه قلابات متعامدة مقامة على قطع من جذوع النخيل الضخمة ، ويمكن تمييز ستة مستويات للمئذنة من الخارج ويوجد بكل من المستوى الثاني والثالث والرابع والخامس أربع فتحات مستطيلة الشكل يعلو كل منها عدد ٢ حجر موزعة على أضلاع المئذنة الأربعة للإضاءة والتهوية ولوصول صوت المؤذن للصلاة الى الناس .

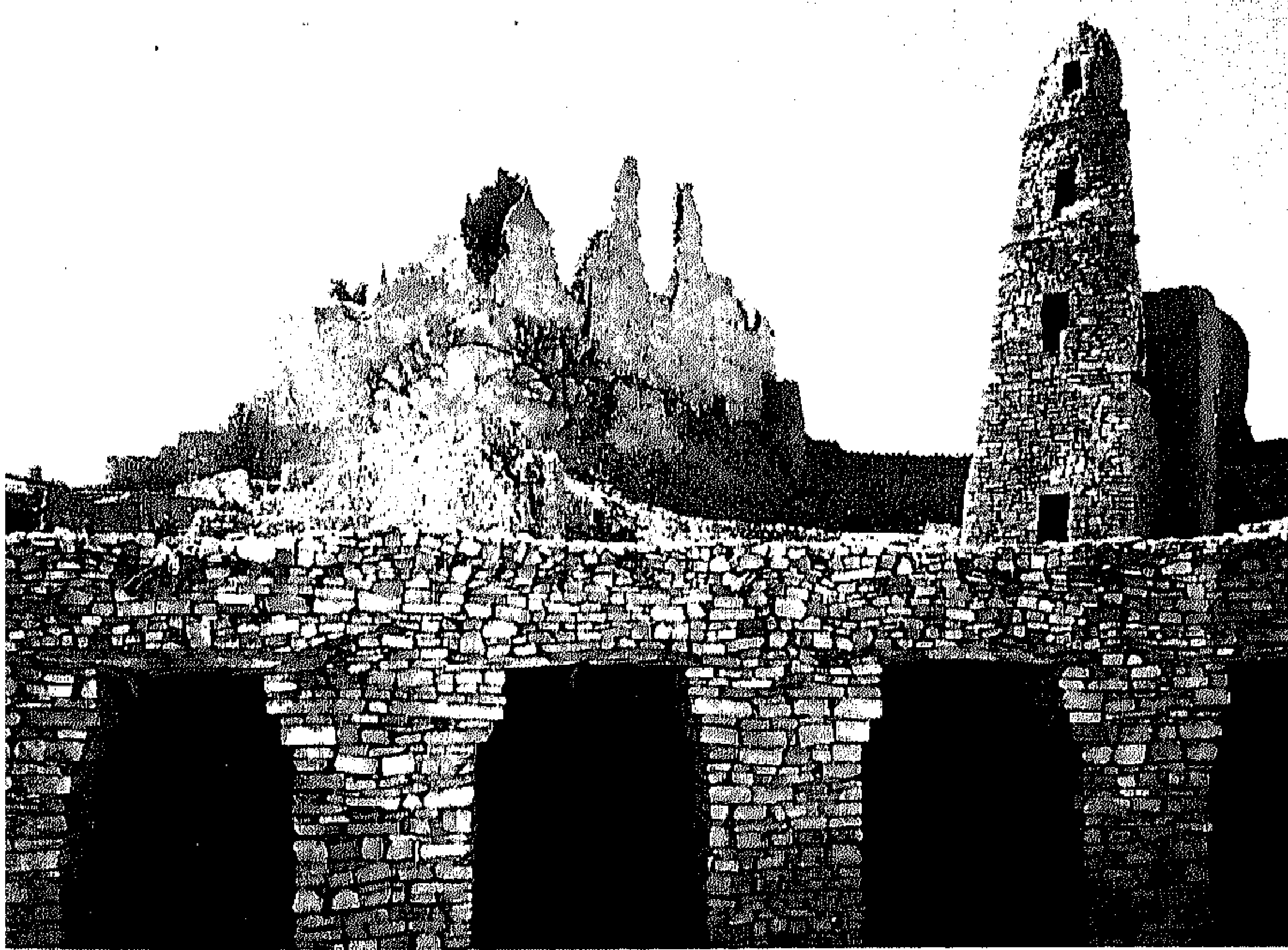
والواقع أن بساطة التصميم العام للمسجد تذكرنا بطابع البساطة الذي ساد معظم المساجد الإسلامية الأولى بالبصرة والكوفة ، كما أن السلم الخارجى للمئذنة ، يذكرنا بملويه سامرا بالعراق ومئذنة أحمد بن طولون بالقاهرة .



مخطط مسجد عمر بالجوف

مخطط رقم ٣

مخطط مسجد عمر ٢٦٢



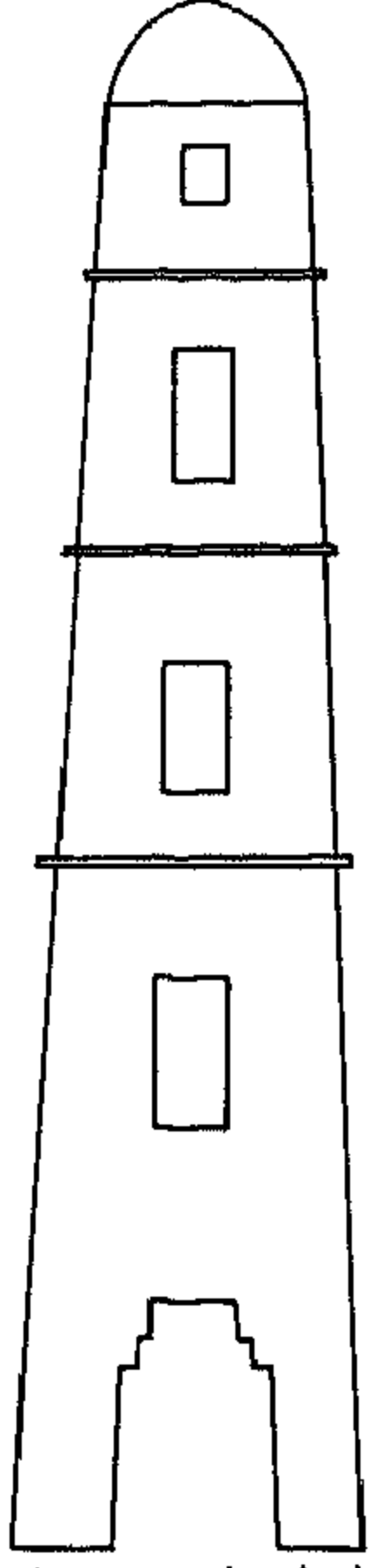
مئذنة ورواق القبلة بمسجد عمر

٢٦٣



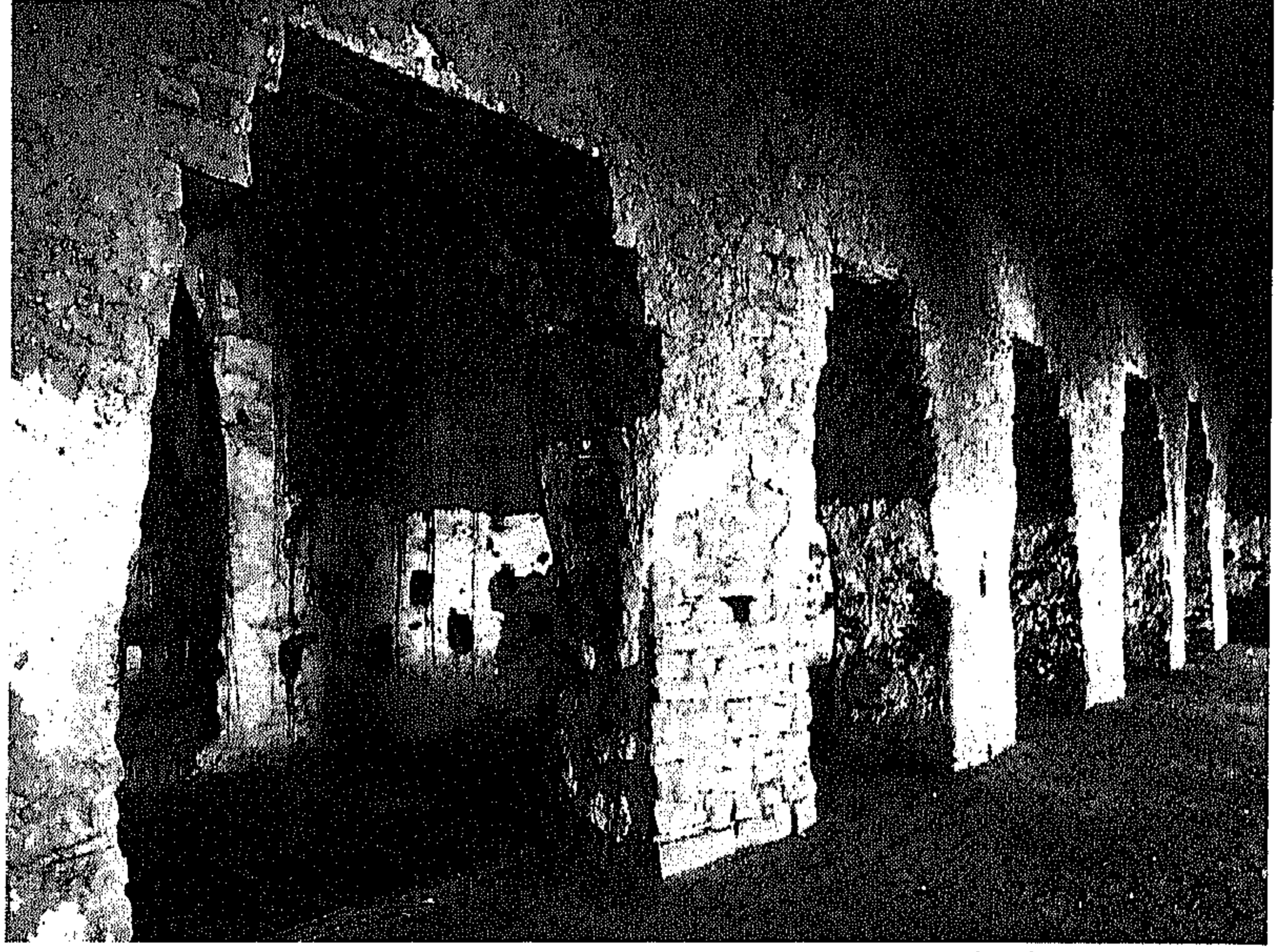
محراب ومنبر مسجد عمر

٢٦٤



واجهة مئذنة
مسجد عمر بالجوف
مخطط رقم ٤

رسم تخطيطي لمستويات مئذنة
مسجد عمر ٢٦٦



رواق القبلة بمسجد عمر ٢٦٥

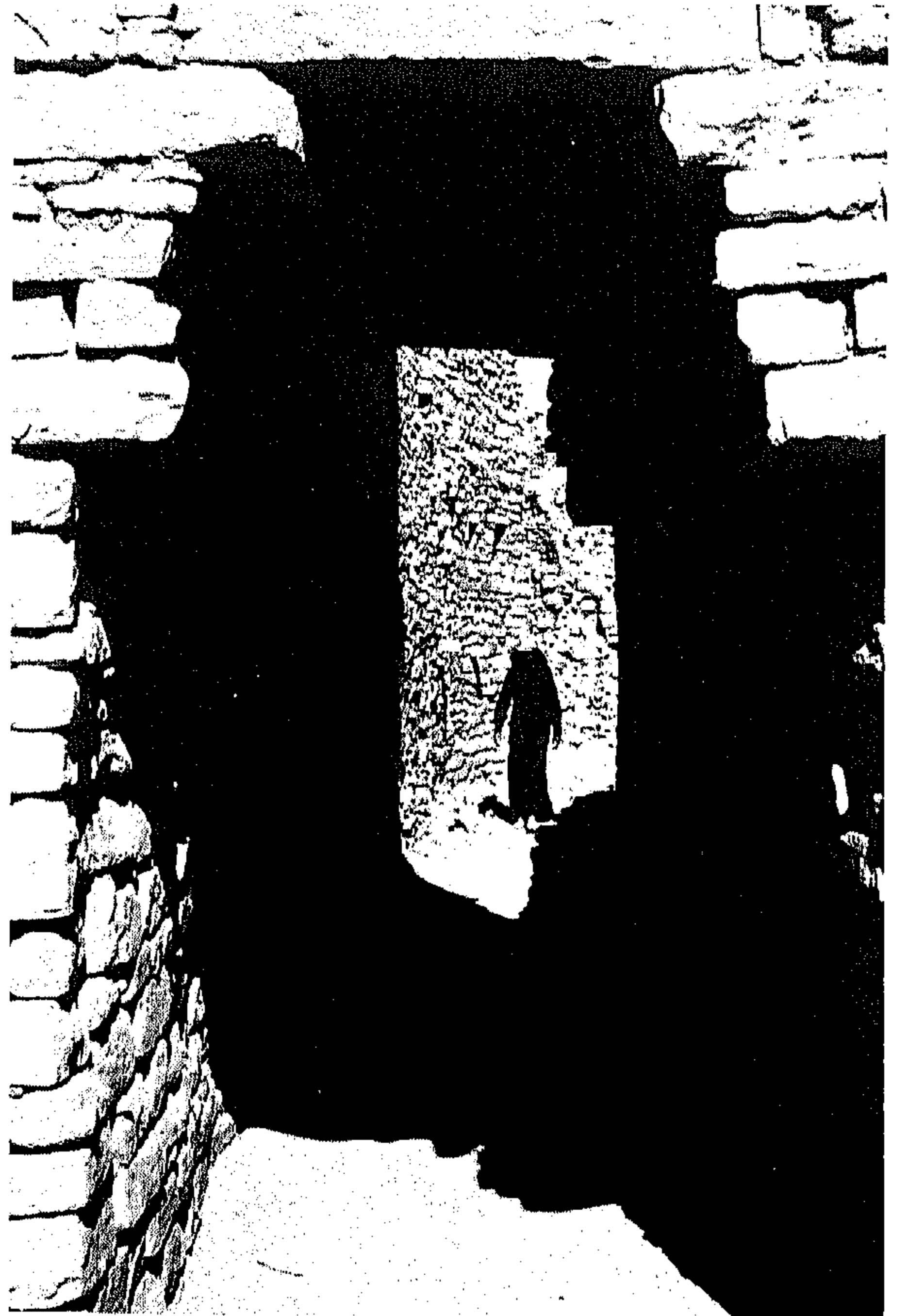
القسم المدنى : يتكون من فناء كبير مكشوف مستطيل الشكل ، يدخل اليه بواسطة مدخل منكسر فى الجهة الشمالية منه وهو مغطى بسقف من جزوع الأشجار يعلوه عدد ٦ مشكولى للمراقبة وإسقاط الأحجار والزيت المغلى ، ويلحق بالمدخل حجرات الحراس ، وبرج مستدير يتصل به ممر مغطى بجذوع أشجار وجريد نخل ، ينتهى بئر عميقة تبرز عن جدار القلعة وكأنها برج مستدير .

كما يفتح على الفناء من جهته الشرقية مباشرة عدد من الحجرات المتداخلة والمختلفة المساحة يتوسطها فناء مكشوف أقل مساحة من الفناء الرئيسى .

أما فى الجهة الغربية للفناء الرئيسى ، فتوجد بقايا مسجد صغير يبدو انه يتكون من رواق واحد رئيسى للقبلة يتألف من بلاطين يفصلهما بانيكة من أعمدة اسطوانية حجرية مليسة بالجص موازية لجدار القبلة الذى يتوسطه المحراب والمنبر ، ويفتح هذا الرواق على صحن مكشوف .

أما عن الجدار الغربى للفناء الرئيسى فيتوسطه مدخل مباشر غير منكسر يعلوه عتب من الخشب الضخم ويعلق بباب خشبى من جذوع النخيل والأشجار .

ويؤمن هذا القسم المدنى بأربعة أبراج ركنية مستديرة ومخروطية الشكل مبنية من الأحجار فى الأجزاء السفلية ومن الطوب (اللبن) فى الأجزاء العليا .



الدعامات التى تحمل مئذنة
مسجد عمر ٢٦٧

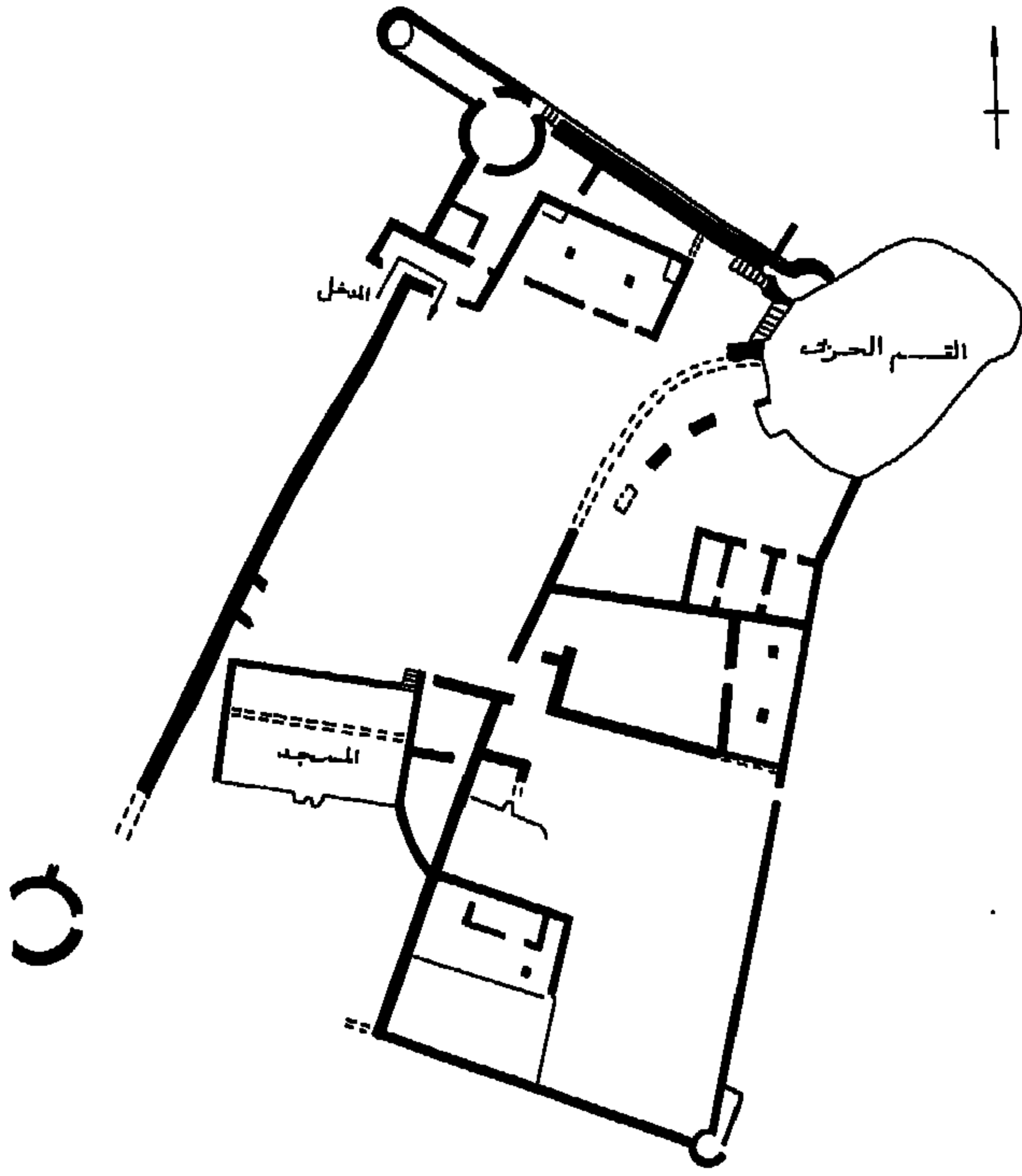
القسم الحرنى :

عبارة عن كتلة معمارية ضخمة مقامه فوق هضبة مرتفعة يتقدمها من الجهة الجنوبية الشرقية خندق دفاعى يتراوح عمقه بين ٣,٢ م ٢ ، ويصعد اليها بواسطة درج بنفس الجهة أيضا ، ويحيط بها سور بينه وبين السور

قلعة مارد :

الموقع : تقع جنوب غرب مسجد عمر بحوالى ١٥٠ م ، وينقسم تصميمها المعمارى الى قسمين أحدهما مدنى للاعاشة والسكن والشئون الادارية والآخر حرنى للمراقبة والإنذار والحرب والقتال .

مخطط قصر مارد بالجوف



مخطط رقم ٥
القسم المدني بقلعة مارد
الذي يتوسطه الفناء المكشوف

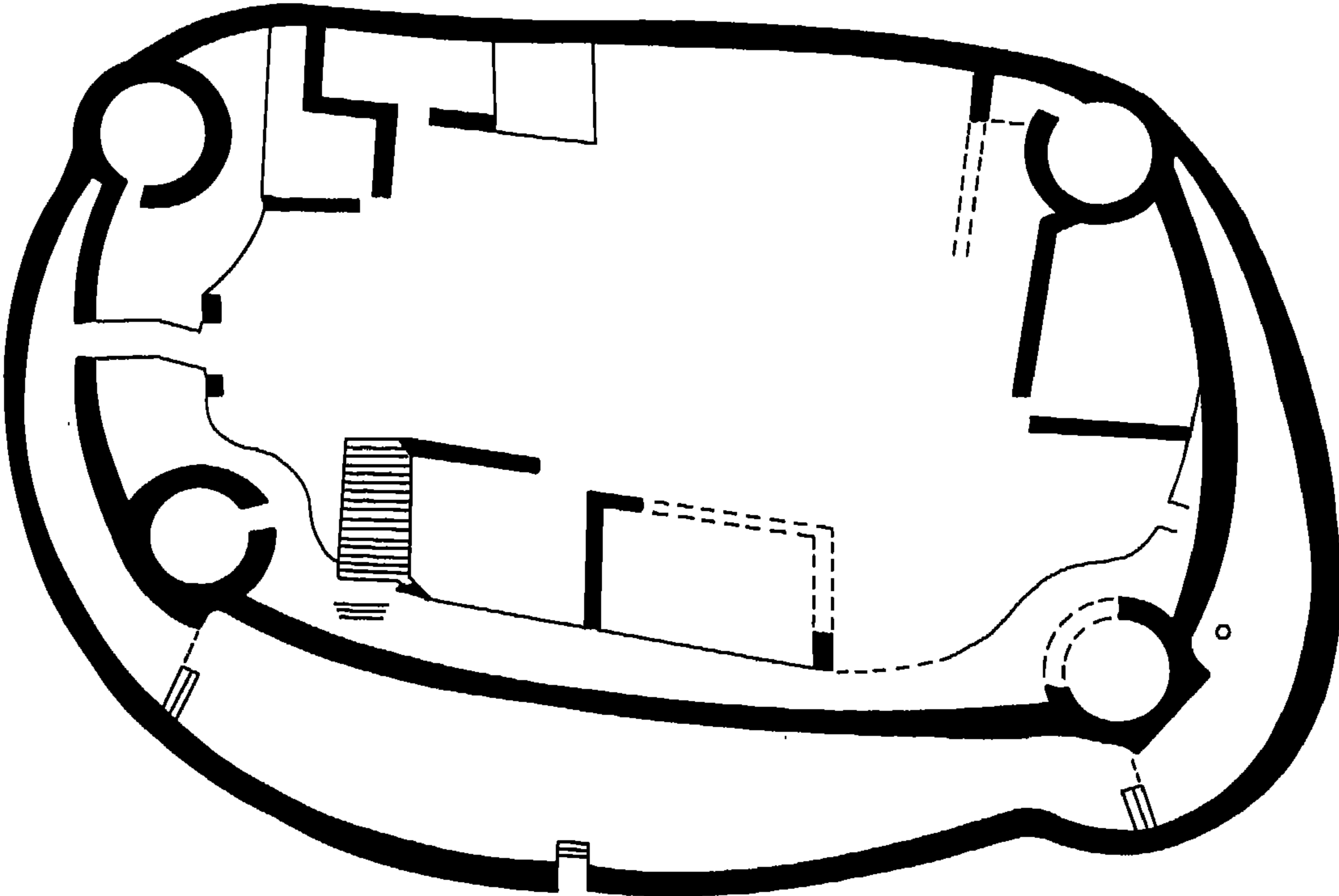
الرئيسي للقلعة يمر مكشوف من جميع الجهات عدا الجهة الشمالية الغربية ، ويوجد في الجهة الشرقية منه بئر عميقة قطرها ٤٠سم ، ويتم الوصول الى داخل القسم الحربي من السور الداخلي بواسطة مدخل متوسط الارتفاع يعلوه عتب حجري مستقيم كما كان يصل الى نفس المدخل أيضا من داخل القسم المدني بواسطة درج بجانب البرج الغربي .

ويؤدي هذا المدخل الرئيسي للقلعة الى فناء مكشوف يضاوي الشكل ، تحيط به في جهاته الأربع الشمالية والشرقية والغربية والجنوبية أربعة أبراج مخروطية الشكل ، ومستديرة القطاع ، وذات مستويين للإنداز المبكر والدفاع .

كما يحيط بالقلعة من الداخل - عدا الجهة الشمالية الغربية - بمر مكشوف للدفاع ، يصعد اليه بواسطة درج بجوار البرج الجنوبي .

وتفتح على الفناء مجموعة من الحجرات ذات الجدران السمكية ، في جهاته الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية والغربية ، تمتاز جدرانها الخارجية بوجود فتحات ضيقة للمراقبة والسهام والبنادق الى جانب الفتحات المنتشرة في الأجزاء العلوية من الأسوار . والواقع أن بناء قلعة على هضبة تشرف على البلدة القديمة مظهر حضاري عرفته بعض الحضارات الأخرى للدفاع والحماية عندما يدق ناقوس الخطر كما في مصر والشام ، الا أن قلعة مارد تمتاز بالضخامة واشتغالها على قسم مدني الى جانب القسم الحربي ، يلجأ اليه في حالة الحصار ، كما أنها تمتاز بتعدد الأسوار ووجود خندق دفاعي عميق .

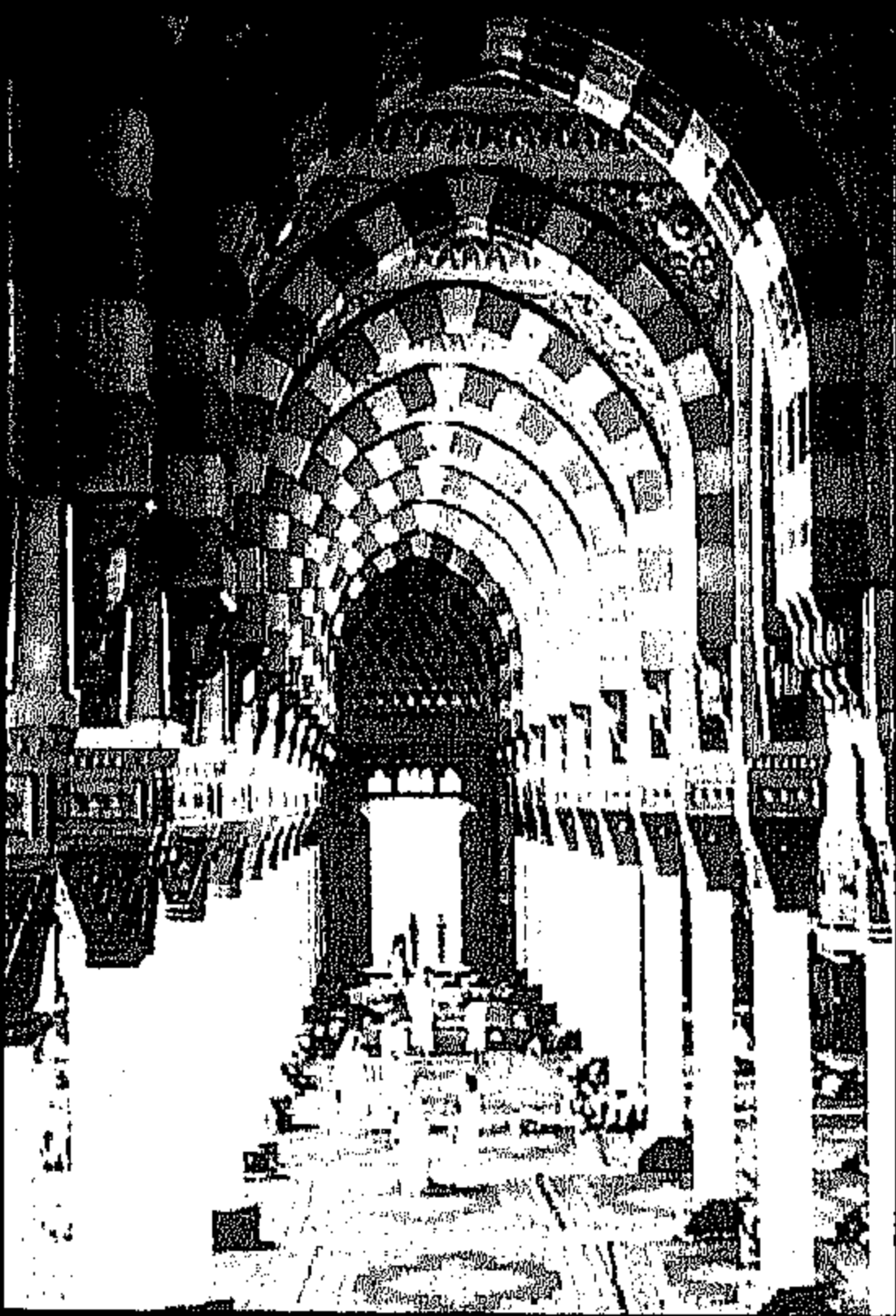
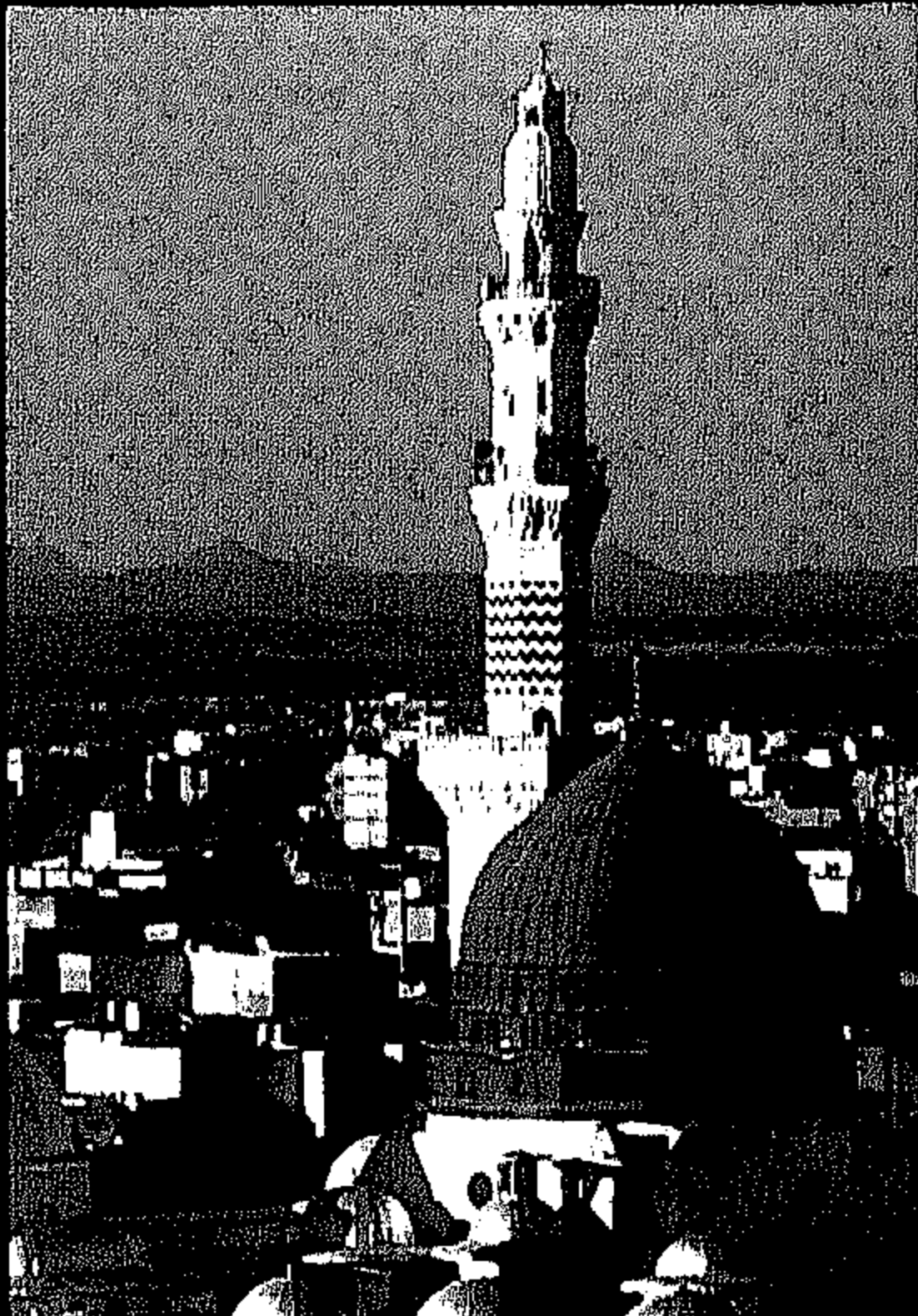
مخطط قصر مارد بالجوف



مخطط رقم ٦

القسم الحربي بقلعة مارد

- ٢٧٠ القبة الخضراء - المسجد
النبوي الشريف
٢٧١ مسجد الرسول من الداخل



قائمة الصور والرسوم والخرائط

كل الصور والرسوم والخرائط التي وردت في هذا الكتاب مقدمة من الباحثين أو المحررين أو الهيئات الحكومية العربية المختلفة التي دعمت جهود تحرير هذا الكتاب . ومن ثم اذ نشكر لكل هؤلاء ما قدموه من عون ومساعدة ، نقر انه تعتبر جميع حقوق نقل أو تصوير هذه الخرائط أو الرسوم أو الصور محفوظة لأصحابها .

الرقم	الصفحة	الرقم	الصفحة	الرقم	الصفحة
					التصهيد
١	١	٥٠	١٠	٣٦	١
٢	١٠	٥١	١٠	٣٦	٢
٣	١٠	٥٢	١٠	٣٧	٣
٤	١٠	٥٣	١٠	٣٧	٤
٥	١٠	٥٤	١٠	٣٧	٥
٦	١٠	٥٥	١٠	٣٧	٦
٧	١٦	٥٦	١٠	٣٧	٧
٨	١٧	٥٧	١٠	٣٧	٨
٩	١٨	٥٨	١٦	٣٧	٩
١٠	١٨	٥٩	١٦	٣٧	١٠
١١	١٨	٦٠	١٧	٣٧	١١
١٢	١٨	٦١	١٨	٣٧	١٢
١٣	١٨	٦٢	١٨	٣٧	١٣
١٤	١٨	٦٣	١٨	٣٧	١٤
١٥	١٨	٦٤	١٨	٣٧	١٥
١٦	١٨	٦٥	١٨	٣٧	١٦
١٧	١٨	٦٦	١٨	٣٧	١٧
١٨	١٨	٦٧	١٨	٣٧	١٨
١٩	٢٠	٦٨	٢١	٣٧	١٩
٢٠	٢٢	٦٩	٢٢	٣٧	٢٠
٢١	٢٢	٧٠	٢٢	٣٧	٢١
٢٢	٢٢	٧١	٢٢	٣٧	٢٢
٢٣	٢٢	٧٢	٢٢	٣٧	٢٣
٢٤	٢٢	٧٣	٢٢	٣٧	٢٤
٢٥	٢٢	٧٤	٢٢	٣٧	٢٥
٢٦	٢٢	٧٥	٢٢	٣٧	٢٦
٢٧	٢٢	٧٦	٢٢	٣٧	٢٧
٢٨	٢٢	٧٧	٢٢	٣٧	٢٨
٢٩	٢٢	٧٨	٢٢	٣٧	٢٩
٣٠	٢٤	٧٩	٢٢	٣٧	٣٠
٣١	٢٤	٨٠	٢٤	٣٧	٣١
٣٢	٢٤	٨١	٢٤	٣٧	٣٢
٣٣	٢٤	٨٢	٢٤	٣٧	٣٣
٣٤	٢٤	٨٣	٢٤	٣٧	٣٤
٣٥	٢٤	٨٤	٢٤	٣٧	٣٥
٣٦	٢٤	٨٥	٢٤	٣٧	٣٦
٣٧	٢٤	٨٦	٢٤	٣٧	٣٧
٣٨	٢٤	٨٧	٢٤	٣٧	٣٨
٣٩	٢٤	٨٨	٢٤	٣٧	٣٩
٤٠	٢٤	٨٩	٢٤	٣٧	٤٠
٤١	٢٤	٩٠	٢٤	٣٧	٤١
٤٢	٢٤	٩١	٢٤	٣٧	٤٢
٤٣	٢٤	٩٢	٢٤	٣٧	٤٣
٤٤	٢٤	٩٣	٢٤	٣٧	٤٤
٤٥	٢٤	٩٤	٢٤	٣٧	٤٥
٤٦	٣٦	٩٥	٢٤	٣٧	٤٦
٤٧	٣٦	٩٦	٣٦	٣٧	٤٧
٤٨	٣٦	٩٧	٣٦	٣٧	٤٨
٤٩	٣٦	٩٨	٣٦	٣٧	٤٩

الرقم	الصفحة	الرقم	الصفحة	الرقم	الصفحة
٩٩	الزجاج الملون - صنعاء	٦٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	١١٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)
١٠٠	مكة المكرمة من الحبو	٦٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	١٢١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)
١٠١	صعدة - اليمن	٦٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٢	تفاصيل معمارية - فاس	٦٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٣	شارع السوق - فاس	٦٧	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٤	سيدي بو سعيد - تونس	٦٧	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٥	فاس	٦٧	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٦	مساكن تقليدية في جنوب تونس	٦٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٧	مدينة الكويت وأماها	٧٠	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٨	المؤثرات المناخية على العمران الكويتي	٧١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٠٩	المؤثرات المناخية على العمران الكويتي	٧١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٠	المؤثرات المناخية على العمران الكويتي	٧١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١١	المؤثرات المناخية على العمران الكويتي	٧١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٢	المواصلات الآلية وتداخلها بالنسيج العمراني	٧١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٣	شبكة المواصلات المقترحة - الكويت	٧٢	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٤	مركز فنطاس - تحرك المشاهير	٧٣	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٥	مركز الجبهة الاقليمي - الكويت	٧٤	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٦	مركز الجبهة الاقليمي - الكويت	٧٤	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٧	مركز الفنطاس - الكويت	٧٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٨	قطاع في مسكن عربي	٧٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١١٩	مقطع مسكن عربي	٧٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٠	مقطع مسكن عربي	٧٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢١	قطاع في حي سكني	٧٩	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٢	مقطع أفقي لحي سكني	٨٠	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٣	منظر من مدينة فاس	٨٢	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٤	البيئة الطبيعية والبيئة العمرانية	٨٣	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٥	هدائق قصر لوطيه	٨٤	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٦	الحديقة والحياة اليومية للعربي	٨٤	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٧	قصر الجماعي - فاس	٨٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٨	فناء داخلي - فاس	٨٧	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٢٩	جدة	٨٩	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٣٠	جدة	٨٩	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٣١	مشروع الاسكان العاجل بالمعاصرة	٨٩	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
	الفصل الثاني - القسم الثاني				
١٣٢	تقاطع الطرق - منسى - السعودية	٩٠	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٣٣	خريطة للقاهرة الأثرية	٩٠	(مطلة الأثار - مصر)		
١٣٤	اطفال في مدرسة - اليمن	٩٠	(البنك الدولي - تصوير توماس سينيت)		
١٣٥	حجر السيارات بالحج	٩٠	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٣٦	رسوم بيانية	٩٠	(البنك الدولي - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨١)		
١٣٧	مطال للمشاة - مكة	٩١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٣٨	عمان	٩١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٣٩	رسوم بيانية	٩١	(تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨١ - البنك الدولي)		
١٤٠	صنعاء	٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٤١	رواقين حديثة - جدة	٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٤٢	مقرية - بيت الكرتيلية - القاهرة	٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٤٣	الفناء - بيت الكرتيلية - القاهرة	٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٤٤	زخارف هندسية من القرويين	٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٤٥	منطقة الجزيرة بالسودان - صورة ملونة بالكمبيوتر	١٠٥	(البنك الدولي - خدمات الخرائط)		
١٤٦	وادي بيحان باليمن - صورة بالكمبيوتر	١٠٥	(البنك الدولي - خدمات الخرائط)		
١٤٧	صورة منمنمة مجموعة بالكمبيوتر للاكندريسة	١٠٥	(البنك الدولي - خدمات الخرائط)		
١٤٨	خريطة احصائية بيانية بالكمبيوتر - مدينة سول	١٠٥	(البنك الدولي - خدمات الخرائط)		
١٤٩	مكة من الجو	١٠٧	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
	الفصل الثاني - القسم الثالث				
١٥٠	سيدي بو سعيد - تونس	١٠٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥١	تشييد مشروع الاسكان بالرياض	١٠٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٢	شارع المطار بالرياض	١٠٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٣	مشروع الاسكان العاجل - جدة	١٠٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٤	خريطة الجبيل	١٠٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٥	الحفصة - تونس	١٠٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٦	مشروع الاسكان العاجل - الرياض	١٠٩	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٧	مجد طرابلس ليبيا	١٠٩	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٨	التشييد الحديث - الرياض	١١١	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٥٩	ينبع	١١٢			
١٦٠	ينبع	١١٢			
١٦١	الاشعاع الضمعي	١١٥			
١٦٢	الجبيل	١١٥			
١٦٣	الجبيل	١١٥			
١٦٤	عمارات سكنية تحت الإنشاء - طرابلس ليبيا	١١٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٦٥	المدينة القديمة - طرابلس ليبيا	١١٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		
١٦٦	المدينة القديمة - طرابلس ليبيا	١١٨	(تصوير اسماعيل سراج الدين)		

الرقم	الصفحة	الرقم	الصفحة	الرقم	الصفحة
٢٣١	جامع مرغتمش - القاهرة	١٧٩	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٣١	جامع مرغتمش - القاهرة
٢٣٢	جسقة	١٨٢	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٣٢	جسقة
٢٣٣	الرواشين في جدة الحديثة	١٨٤	(من مجموعة محمد سعيد فارس)	٢٣٣	الرواشين في جدة الحديثة
٢٣٤	الرواشين في جدة الحديثة	١٨٤	(من مجموعة محمد سعيد فارس)	٢٣٤	الرواشين في جدة الحديثة
٢٣٥	بيت آل سليمان - جدة الحديثة	١٨٤	(من مجموعة محمد سعيد فارس)	٢٣٥	بيت آل سليمان - جدة الحديثة
٢٣٦	فندقية (نافورة) من الرخام المظلي - جدة الحديثة	١٨٤	(من مجموعة محمد سعيد فارس)	٢٣٦	فندقية (نافورة) من الرخام المظلي - جدة الحديثة
٢٣٧	الرواشين على بيوت جدة القديمة	١٨٤	(من مجموعة محمد سعيد فارس)	٢٣٧	الرواشين على بيوت جدة القديمة
٢٣٨	دمشق	١٨٦	(تصوير ميشيل ايكوشارد)	٢٣٨	دمشق
٢٣٩	دمشق	١٨٧	(تصوير ميشيل ايكوشارد)	٢٣٩	دمشق
٢٤٠	تونس	١٩٠	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤٠	تونس
٢٤١	جامع الزيتونة - تونس	١٩٢	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤١	جامع الزيتونة - تونس
٢٤٢	الحفصية - تونس	١٩٢	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤٢	الحفصية - تونس
٢٤٣	الحفصية - تونس	١٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤٣	الحفصية - تونس
٢٤٤	تدهور حال المساكن - الحفصية	١٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤٤	تدهور حال المساكن - الحفصية
٢٤٥	تدهور حال المساكن - الحفصية	١٩٥	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤٥	تدهور حال المساكن - الحفصية
٢٤٦	منظر في المدينة القديمة - تونس	١٩٧	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤٦	منظر في المدينة القديمة - تونس
٢٤٧	طرابلس لبنان	١٩٨	(تصوير ماحنين/س - أن - تي)	٢٤٧	طرابلس لبنان
٢٤٨	خريطة لمنطقة طرابلس لبنان	١٩٩		٢٤٨	خريطة لمنطقة طرابلس لبنان
٢٤٩	بيت الكرتيلية - القاهرة	٢٠٢	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٤٩	بيت الكرتيلية - القاهرة
٢٥٠	مفاتيح - تونس	٢٠٤	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٥٠	مفاتيح - تونس
٢٥١	مفاتيح	٢٠٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٥١	مفاتيح
٢٥٢	مفاتيح	٢٠٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٥٢	مفاتيح
٢٥٣	مفاتيح	٢٠٦	(تصوير اسماعيل سراج الدين)	٢٥٣	مفاتيح
٢٥٤	مسجد عمر بن الخطاب - دومة الجندل	٢٠٨	(وزارة الاعلام - السعودية)	٢٥٤	مسجد عمر بن الخطاب - دومة الجندل
٢٥٥	اطلال من البلدة القديمة ومثذنة مسجد عمر	٢٠٩	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٥٥	اطلال من البلدة القديمة ومثذنة مسجد عمر
٢٥٦	المخطط المساحي للبلدة وموقع كل من مسجد عمر وقلعة مارد بالنسبة لهما	٢١٠	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٥٦	المخطط المساحي للبلدة وموقع كل من مسجد عمر وقلعة مارد بالنسبة لهما
٢٥٧	أحد منازل البلدة القديمة بدومة الجندل يشتمل الطابق الأرضي منه على فناء مكشوف تتق عليه جدران ، ويحده من جوانبه درج الى الطابق العلوي الذي يشتمل ايضا على فناء مكشوف تفتح عليه حجرة ، كما تتصل به حجرة تعلو أحد الجوارح بالشارع	٢١١	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٥٧	أحد منازل البلدة القديمة بدومة الجندل يشتمل الطابق الأرضي منه على فناء مكشوف تتق عليه جدران ، ويحده من جوانبه درج الى الطابق العلوي الذي يشتمل ايضا على فناء مكشوف تفتح عليه حجرة ، كما تتصل به حجرة تعلو أحد الجوارح بالشارع
٢٥٨	أحد شوارع البلدة القديمة ويظهر به احد العقود المستديرة التي تحمّل الجسور	٢١١	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٥٨	أحد شوارع البلدة القديمة ويظهر به احد العقود المستديرة التي تحمّل الجسور
٢٥٩	أحد المداخل الرئيسية للبلدة القديمة وفي الخلف أحد أبراج قلعة مارد	٢١١	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٥٩	أحد المداخل الرئيسية للبلدة القديمة وفي الخلف أحد أبراج قلعة مارد
٢٦٠	مجموعة العقود المدببة التي تتوسط واحدا من الشوارع ، مقام عليها أحد الجسور ، كما يلاحظ وجود المصاطب	٢١١	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٦٠	مجموعة العقود المدببة التي تتوسط واحدا من الشوارع ، مقام عليها أحد الجسور ، كما يلاحظ وجود المصاطب
٢٦١	اسلوب البناء بالبلدة القديمة والمداخل التي تعلوها اعصاب مستقيمة محمولة على كابولي بسيط .	٢١١	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٦١	اسلوب البناء بالبلدة القديمة والمداخل التي تعلوها اعصاب مستقيمة محمولة على كابولي بسيط .
٢٦٢	مخطط مسجد عمر الذي يتكون من صحن مكشوف ، في جنوبه رواق القبلة الرئيسي الذي يتوسط جداره المحراب والمنبر ، وفي شماله رواق آخر صغير ثانوي ، ويحده الى طفه بواسطة درج في الجهة الشمالية الشرقية وآخر في الجهة الشمالية الغربية ، اما رواق القبلة فكان يصعد الى سقفه بواسطة درج خارج جدار القبلة ، وعلى يمين بروز كل من المحراب والمنبر ، وبواسطة درج المثذنة ايضا والتي تتق في الركن الجنوبي الغربي	٢١٢	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)	٢٦٢	مخطط مسجد عمر الذي يتكون من صحن مكشوف ، في جنوبه رواق القبلة الرئيسي الذي يتوسط جداره المحراب والمنبر ، وفي شماله رواق آخر صغير ثانوي ، ويحده الى طفه بواسطة درج في الجهة الشمالية الشرقية وآخر في الجهة الشمالية الغربية ، اما رواق القبلة فكان يصعد الى سقفه بواسطة درج خارج جدار القبلة ، وعلى يمين بروز كل من المحراب والمنبر ، وبواسطة درج المثذنة ايضا والتي تتق في الركن الجنوبي الغربي
٢٦٣	مثذنة رواق القبلة بمسجد عمر ، وفي الخلف تظهر قلعة مارد	٢٦٤	محراب ومنبر مسجد عمر	٢٦٣	مثذنة رواق القبلة بمسجد عمر ، وفي الخلف تظهر قلعة مارد
٢٦٤	محراب ومنبر مسجد عمر	٢٦٤		٢٦٤	محراب ومنبر مسجد عمر
٢٦٥	رواق القبلة بمسجد عمر ، وتظهر دعائم البوائيك المغروطة تحمل كتلا خشبية محمولة على كابولي بسيط	٢٦٦	رسم تخطيطي لمستويات مثذنة مسجد عمر يظهر الفتحات الموجودة بها	٢٦٥	رواق القبلة بمسجد عمر ، وتظهر دعائم البوائيك المغروطة تحمل كتلا خشبية محمولة على كابولي بسيط
٢٦٦	رسم تخطيطي لمستويات مثذنة مسجد عمر يظهر الفتحات الموجودة بها	٢٦٦		٢٦٦	رسم تخطيطي لمستويات مثذنة مسجد عمر يظهر الفتحات الموجودة بها
٢٦٧	الدعائم التي تحمل مثذنة مسجد عمر	٢٦٧		٢٦٧	الدعائم التي تحمل مثذنة مسجد عمر
٢٦٨	القسم المدني بقلعة مسارد الذي يتوسطه الفناء المكشوف وفي الشمالي الغربي تظهر البنية الصخرية المقام عليها القسم الحربي ، وفي الركن الشمالي الغربي مجموعة المدخل وأحد الأبراج وفي الجهة الشرقية بعض الوحدات المعمارية يتوسطها فناء مكشوف ايضا ، أما عن المسجد فيوجد في الجهة الجنوبية الغربية من هذا القسم ، ويلاحظ الأبراج في الأركان الأربعة	٢٦٩	القسم الحربي بقلعة مسارد وتحيط به الأسوار والمعمرات المكشوفة من جهاته الشمالية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ويحيط به أربعة أبراج ركنية متوسطة فناء مكشوف ، وتدخل البنية بواسطة مدخل قليل الارتفاع بالجهة الجنوبية الغربية القبة الخضراء - المسجد النبوي الشريف	٢٧٠	القسم الحربي بقلعة مسارد وتحيط به الأسوار والمعمرات المكشوفة من جهاته الشمالية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية ويحيط به أربعة أبراج ركنية متوسطة فناء مكشوف ، وتدخل البنية بواسطة مدخل قليل الارتفاع بالجهة الجنوبية الغربية القبة الخضراء - المسجد النبوي الشريف
٢٧١	مسجد الرسول من الداخل	٢٧١		٢٧١	مسجد الرسول من الداخل
٢١٢	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)			٢١٢	(من مجموعة الادارة العامة للأثار والمتاحف - السعودية)

